

المشوق
في مرآة رحلات العصور الوسطى



مركز تقيت كتابير روج اسوى

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
مهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

أحمد أبش

دمشق في مرآة رحلات القرون الوسطى: من خلال نصوص الرحالة العرب والأجانب من القرن الأول إلى القرن العاشر للهجرة (السابع إلى السادس عشر للميلاد)/ترجمة أحمد أبش - ط 1 - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، 2009.
2 مج: 24 سم - (مسلة رواد المشرق العربي).
يضم نصوصاً نادرة لـ 69 رحلة عربياً و 43 رحلة أجنبية مع صور وعرائض ولوحات مائدة جداً.
ت د م ك: 3-228-01-9948-978
1- دمشق - وصف ورحلات 2- دمشق - تاريخ 1- 10 هـ (7-16 م). أ- العنوان. ب- المسلة.

915.6531 دوي

٧ ح د *



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث
«المجمع الثقافي»

© Abu Dhabi Authority
for Culture & Heritage
Cultural Foundation

الطبعة الأولى 1430 هـ 2009م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن رأي هيئة أبوظبي للثقافة والتراث - المجمع الثقافي

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380، هاتف: 300 6215 2 971+
publication@cultural.org.ae
www.adach.ae

رَوَّادُ الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ

8 كتابخانه

مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی

شماره ثبت: ۳۳۳۹۱

تاریخ ثبت:

المَشْرِقُ

في مرآة رحلات لعصور الوسطى

مِنْ خِلَالِ نُصُوصِ الرَّجَالِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَجَانِبِ
مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهَجْرَةِ
(الْقَرْنُ السَّابِعُ إِلَى الْقَرْنِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ)

مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی
الدكتور

أحمد بشير

الجزء الثاني



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

يصدر هذا الكتاب
في الذكرى المئوية لوفاة المغفور له
بإذن الله تعالى

سمو الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان
(الشيخ زايد الكبير)

حاكم أبوظبي 1855-1909 م
إجلالاً وإكباراً لذكراه الكريمة
واعتزازاً بمسيرة الخير والبناء التي بدأها
ويتابعها على خطاه اليوم أحفاده الكرام

محيي الدين ابن عبد الظاهر

(توفي 692 هـ / 1292 م)

أرخ لرحلات السلطان الظاهر لدمشق بين 659-676 هـ

محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن تشوان السعدي المصري ، قاض أديب ومؤرخ ، مؤلف سيرة الملك الظاهر بيبرس المسماة «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» .

لم يكن الرجل من الرحالين ، لكن ما كونه في سيرته من مجربات رحلات الملك الظاهر بيبرس الخاطفة والمتكررة من مصر إلى الشام لها مكانة فريدة وقيمة خاصة تؤهلها لتُصنّف هنا مع نصوص الرحلات . لنا في ذلك أسوة بما سنذكره في كتابنا أدناه من رحلات لسبعة سلاطين ، كالأشرف قايتباي (في نص ابن الجيعان) ، وكانت لهذين السلطانين المملوكيين رحلات إلى الشام اشتهرت ، فكلاهما كان مرفور الحركة والنشاط في متابعة أركان دولته . نقارن بينهما رغم بُعد الفترة الزمانية ما بين مطلع العهد المملوكي وأواخره⁽¹⁾ .

ولد محيي الدين في القاهرة عام 620 هـ ونشأ بها ، فعاصر انهيار دولة بني أيوب عام 648 هـ وقيام دولة سلاطين المماليك البحرية (أو دولة المماليك الأولى) ، الذين آل إليهم حكم مصر . وكان أول سلاطين المماليك الملك المعز أيك التركماني الذي تزوج من شجرة الدر أرملة السلطان الأيوبي الصالح أيوب .

(1) من أهم رحلات الحكام إلى الشام (تقدّمت) رحلة الخليفة العباسي المتوكل على الله (ولي 232-247 هـ) في عام 243-244 هـ ، وكان عازماً على نقل دار الخلافة إلى دمشق .

بعد مقتل المعزّ بعاصم تولى المظفر قُطز 657 هـ ، وفي العام التالي قاد جيوش مصر والشام ضد التّار الذين اجتاحتوا بغداد والشام بين 656-658 هـ ، فكسروهم أشنع كسرة في معركة عين جالوت الفاصلة . غير أن المؤسّس الفعلي لدولة المماليك مع ذلك لم يكن المعزّ أيّك ولا المظفر قُطز ، بل كان السلطان القوي الظاهر بيبرس الذي تولى سُدّة السلطنة في عام 658 هـ وبقي بها 17 سنة حتى وفاته 676 هـ .

كان محيي الدين رئيس ديوان الإنشاء عندما تولى بيبرس الحكم ، ويبدو أن عمله في الديوان كان من أيام الملك المظفر قُطز على الأقل ، فقد رافق حملته إلى الشام ضد التّار . وسرعان ما نال الرّجل ثقة بيبرس بعد تولّيه الحكم ، فبدأ يعتمد عليه في بعض المهمّات الإدارية ، وأول ذلك كان سفارته إلى الملك السعيد بركة خان زعيم القبيلة الذهبية التّرية ، يستميله إليه ضدّ ابن عمّه هولاكو خان .

والسيرة التي ألّفها تزخر بما كان يدوّنه من مراسلات إداريّة وديبلوماسية باسم السلطان . وإن طبيعة عمله جعلته على اتصال دائم به ، ممّا مكّنه من الاطلاع على تفاصيل وافية من شؤون حياته السياسيّة والشخصيّة ، فغدا كتابه «الروض الزاهر» أول مصدر عن حياة الظاهر وبلاد مصر والشام والحجاز في عهده . وكان (مع كتاب مماثل لعزّ الدين ابن شدّاد) بمثابة السيرة الرسميّة للظاهر ، لا كباقي المصادر العامّة لتلك الفترة : كمفرّج الكروب لابن واصل ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لبيبرس الدوّادار ، ذيل مرآة الزّمان لليونيني ، نهاية الأرب للتّويري ، النجوم الزاهرة لابن نغري بردي . كما يبرز سيرة الظاهر لابن قايماز الذهبي التركماني ، لتأخّره .

استمرّ محيي الدين في مركزه بديوان الإنشاء طوال فترة حكم بيبرس ، وأثناء حكم ابنه الملك السعيد بركة خان والملك العادل سلامش (676-678 هـ) ، وخلال الفترة الأولى من حكم السلطان المنصور قلاوون (تولّى 678 هـ بعد خلع سلامش) الذي أحلّه مكانة لا ثقة واعتمد عليه في ديوان الإنشاء برغم ما طرأ على نظره بأواخر حياته من ضعف ، كما يذكر شافع بن علي في مختصره على «الروض الزاهر» ، المسمّى «حسن المناقب السريّة المنتزعة من السيرة الظاهريّة» .

وإلى جانب سيرة بيرس ألف محيي الدين كتاباً آخر عن حياة الملك المنصور قلاوون ، سمّاه : «تشریف الأيام والعصور في سيرة السلطان الملك المنصور» ، وبعده كتب أيضاً : «الألطف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية» ، عن عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، الذي تولّى السلطنة عام 689 هـ إثر وفاة أبيه السلطان قلاوون . فعاصر بذلك سبعة من سلاطين الدولة المملوكية الأولى ، من المعز أيك إلى الأشرف خليل ، وأرخ لسير ثلاثة منهم .



يُجمع المؤرخون على أن الظاهر بيرس كان واحداً من ألمع شخصيات التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى ، قام في سنوات حكمه التي دامت 17 عاماً بأعمال باهرة ، فكان المؤسس الفعلي لسلطنة عظيمة امتدت من حدود النوبة إلى نهر الفرات ودامت 275 عاماً (648-923 هـ) . تزامن قيام هذه السلطنة مع قضاء أمراء المماليك على الحملة الصليبية السابعة بقيادة الملك لويس التاسع ، إثر معركة المنصورة عام 648 هـ ، ثم سحقهم لجيش الشتر في عين جالوت بالغور عام 658 هـ ، حيث كان لبيرس دور كبير كما رأينا أعلاه في نص الصّارم .

ثم لما ترتع بيرس في سدة حكم دولة المماليك - وهو رجل حرب من الطراز الأول - صمم على اقتلاع شأفة الفرنجة ، وبأشر على الغور في تنفيذ هذا المهمة دون تلكؤ . بعد ضربات موجعة في نجرهم ، استطاع أن يستخلص منهم قيسارية وأرسوف وصقذ وبافا وشقيف أرنون وأنطاكية ، فأنحسرت إمارة أنطاكية وطرابلس اللاتينية إلى مجرد كونتية طرابلس . ثم تمكّن من انتزاع حصن صافيتا وبعده حصن الأكراد (قلعة الحصن في أيامنا) وعكار .

فتحت هذه الانتصارات الباب على مصراعيه لتقويض الوجود الفرنجي في بلاد الشام بشكل نهائي ، ففي عام 688 هـ فتح المنصور قلاوون طرابلس ، ثم سقطت عكا - عاصمة «مملكة القدس» وآخر معاقل الفرنجة - بيد ابنه الأشرف خليل عام 690 هـ ، لينتهي إلى الأبد الاحتلال الصليبي للمشرق الإسلامي .

كان الظاهر جبّاراً شجاعاً يباشر الحروب بنفسه ، وله الوقائع الهائلة مع التتار والفرنج ، وآثاره وعمائره وأخباره وفتوحاته كثيرة جداً . أشارت بطولاته ورجولته وهمته الدائبة مشاعر الكتاب والمؤرخين فعمدوا لسيرته كثيراً من التواريخ المبنيّة على الأحداث الواقعة ، ثم لما تنامت أخبار بطولاته وجرأته العجيبة تحوّلت سيرته إلى ما يشبه الأسطورة ، فكُتبت فيها روايتان شعبيتان بنسختين : مصرية ، وأخرى مطوّلة شامية (تُنسب للديناري) ، وهي إلى اليوم أبدع نصوص الأدب الشعبي الذي وصلنا من العصور الوسطى ، وما زالت تُتلى في المقاهي الشعبية على ألسنة رواة الملاحم «الحكواتية» ، كما هو معروف .

من بين هذا كلّ ، تبقى لسيرة الظاهر بقلم معاصره وموظّف بلاطه القاضي محيي الدين أهميتها الخاصة ومباشرتها في الرواية ، على اعتبار أن كاتبها كان شاهد عيان لما يكتب . فقمنا باستخلاص أخبار رحلاته المتكررة إلى الشام منها ، وذلك عن طبعة نشرها عبد العزيز الخويطر في بيروت عام 1976 .



المصادر : مركز بحوث كيمياء علوم إسلامي

- الروض الزاهر لابن عبد الظاهر ، مقدّمة عبد العزيز الخويطر .
- تشریف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ، مقدّمة مراد كامل .
- حسن المناقب السريّة لشافع بن علي ، مقدّمة عبد العزيز الخويطر .
- تاريخ الملك الظاهر (الروض الزاهر) لعزّ الدين ابن شدّاد .
- السُّلوك لمعرفة دُول الملوك للمقرئزي ، 1 : 436-641 .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، 7 : 94 .
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، 2 : 179 .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ، 1 : 308-342 .
- دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) : مادة بيبرس لزوبرنهايم ، 4 : 363 .
- الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره لجمال الدين سرور .
- الظاهر بيبرس لسعيد عبد الفتاح عاشور .

حضور الملكين
صاحب حمص وصاحب حماة
[سنة 659 هـ]

لما وصل السلطان إلى دمشق وصل إلى خدمته الملك المنصور صاحب حماة ،
والملك الأشرف صاحب حمص⁽¹⁾ ، فلقاهما بالإكرام وأنعم عليهما بخيل النوبة
والعصائب وشعار المملكة ، وركب كل منهما بمفرده والأمراء مترجلون في خدمتهما
وكتب لهما بالتقاليذ . وزيد الملك الأشرف تلّ بأشر ، والملك المنصور بلاد
الإسماعيلية ، وترجّها إلى بلادهما .

(الروض الزاهر ، 117)



(1) هو ذاته صاحبنا الذي تقدّم ذكره أعلاه في مغامرة مملوكه الصّارم أزيك ، والآن صار يسمو
بفخر كسره للشر على حمص في مطلع هذا العام 659 هـ .

ذكر الصلح مع الفرنج

[سنة 659 هـ]

لما توجه السلطان إلى جهة الشام سير سير جوان دبلين كُنْد يافا⁽¹⁾ ، ييذل
الطاعة وحمل الإقامات . . .

ولما استقرت الأخبار عند الفرنجية بقدوم الركاب الشريف ، بعثوا الإقامات
العظيمة ، وبعثوا رسولهم يهتئون السلطان بالسلامة . ولما وصل إلى دمشق حضر
رسول من جهة عكا يسأله أماناً للرسل المتوجهين من البيوت كلها ، فكتب إلى والي
بانياس بتمكينهم . فحضر أكابر الفرنج والتمسوا الصلح ، فتوقف السلطان عليهم
وطلب منهم أموراً كثيرة ، فلما امتنعوا زجرهم السلطان وأهانهم . وكان العسكر
قد توجه للغارة على بلادهم من جهة بعلبك ، فسألوا في رجوعه .

(الروض الزاهر ، 117)



(1) هو الكونت جان ديبلان الثاني Jean II d'Ibelin ، صاحب يافا وحفيد القائد الشهير جان ديبلان الأول (سيد بيروت العجوز) le vieux sire de Beyrouth مقدم بارونات الأرض المقدسة في مملكة القدس اللاتينية وأرفع مثال للفرسية والنبالة بها عند مؤرخي الفرنجة . يذكره ابن عبد الظاهر في كتابه (ص 292) : «صاحب يافا جوان دبلين ، يعني دبلين نسبته إلى بيني التي فيها قبر أبي هريرة ، فإن أصله منها» . قلنا : والملاحظ أن مؤلفنا يضبط أسماء أعلام الفرنجة بدقة كبيرة ، على نقبض ما نراه عادة في مصادرنا القديمة . أما بيني هذه ، التي سماها الصليبيون Ibelin إيبلان ، فهي بلدة في فلسطين بالقرب من الساحل إلى الجنوب من يافا وغربي اللد .

ذكر ما فعله في الشام

[سنة 659 هـ]

لما دخل السلطان إلى دمشق جهّز الخليفة - كما ذكرناه - والملوك - حسب شرحه - وحضر إليه أمراء العربان ، فأعطاهم ووصل أراقيهم ، وسلمهم بخفر البلاد وألزمهم بحفظها إلى حدود العراق وقوّص إلى أمير علاء الدين الحاج طبرس الوريري بباب السلطنة بالشام ، وولى القاضي شمس الدين أحمد بن حلكان ، على ما ذكرناه .

ولعب السلطان في ميدان دمشق ، فرأيت في خدمته جماعة من الملوك ، وهم : الملك الصالح صاحب الموصل ، الملك المجاهد صاحب الجزيرة ، الملك المظفر صاحب سحار ، الملك علاء الملك ، الملك الأشرف صاحب حمص ، عمه الملك الزاهر بن أسد الدين ، الملك المنصور صاحب حماة ، وأخوه الملك الأمجد تقي الدين بن الملك العادل أبي بكر ، الملك المنصور ، الملك السعيد والملوك المسعود أولاد الصالح إسماعيل ، الملك الأمجد وحيوته أولاد الملك الناصر داود ، الملك الأشرف ابن اقسيس ، الملك الناصر بن المنظم ، وجماعة كبيرة منهم

وهذا ما لا رأي ملك آخر . حكى ابن الأثير في تاريخه⁽¹⁾ ، قال : ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - في بعض الأيام ، فبعده رجل كان في خدمته من السلاجقة ، وعدل ثيابه رجل من بيت أتابك ، فراه رجل فقال⁽²⁾ : « ما بقيت ثبالي بالموت بعدها يا ابن أيوب ، سلجوقي يعضدك ، وأتابكي يعدل ثيابك » فأين هذا القاتل يشاهد السلطان وهؤلاء الملوك في خدمته ؟

(الرّوض الزّاهر ، 119)

* * *

(1) الكامل ، حوادث سنة 587 هـ ، 12 - 33

(2) وجه العرابية أنه كان مجرد تابع للأمراء الأتابكة وهم نواب الملوك السلجوقية الكار

[دخول السلطان دمشق في شوال سنة 664 هـ]

[من فصل]

ذكر تسليم نصف

وفي سابع وعشرين شوال رحل موحياً إلى دمشق ، فزل بالحسرة ، وأمر
أن العساكر لا تدخل دمشق بل تقف على حالها فتتوحت إلى سيس ودخل
دمشق حريصة ، ورسم بتوحيته ملك منصور صاحب حماة مقدماً على العساكر
إلى سيس ووصاه بما يعتمد وجهه

وفي ثالث دي المعدة توفي كرمور أعا^١ وفي ثامه أقيم على أمراء دمشق
وقصاتها ، وأرباب السبب بالشاريف ولما استقر السلطان بدمشق نظري أمر
جامعها ، ومع من ميت فقراء به وأران صاديقيهم التي كانت صيقت الخدم ،
ووسعه للمصلين ، قال الله تعالى^(٢) ﴿ فِي يَوْمٍ أُدْنِ الْبُيُوتَ بَعْدَ وَدْعِهَا
اسْمُهُ ﴾ قال العلماء : «تعلق فلا يفتح إلا أوقات الصلوات»

وفي عاشر اشهر ، مجلس الأئمة مع الأمير حمد لكشف طلاب الناس
و تنويع على التخصيص بدار بدر السعدق ويوحى السلطان إلى عذراء وصغير^(٣)
متصتداً ، وما أحصر أحد صيداً إلا خلع السلطان حتى يعلمان والسوقبة ،
وخرجت الخلع فأطلق لهم دراهم

وفي دي بقعه جمع السلطان أهل البلاد ، وطلع الحبل الذي عند جرور
وصحته الأمراء ، وكان يوماً شديداً الحر ، واشتد العطش فكاد الناس يهلكون
فدلهم شخص من الخلية على عين ماء جارية لكنها بسيرة السبع ، فوقف السلطان
حدها وصر يسقي الناس بيده ، وهذه كرامة ، وما أحقه بقول اشاعر .

(١) من أمراء أسر ، أسلم على يد السلطان وجاهد معه في أرسوف ، ان روض 180 ، 238 .

(٢) سورة النور ، 36

(٣) جمع عذراء والصغير شمال شرق دمشق على أكاف وعرة الصف ودية الحماد ، وبدا كانت
قدماً (حتى أواخر القرن العشرين) مرتعاً مفضلاً لصيد العرلاب والأرانب والطيور
بأنواعها ، ومنها أمانة كاسط الأسود الذي يكثر على حيرات ماء

والله لو لا الخوفُ منهُ مهابةٌ بات يُزار

ثم صرب حلفاء صيد ، فعمل مؤلف السيرة^(١).

يا أيها الملكُ الذي	فيه العقولُ غَدَتْ تحار
يا مَنْ إليه بفعل ما	يرضى الإله غدا يُشار ؟
بالله قُلْ لي ، هل دمٌ	يُجرِيه سيفُك أم يحار ؟
وهل الخولُ لها مسـ	رٌ تحتَ مَرجك أم مطار ؟
إن السَّيوفَ تركَّهـ	لا يستقرُّ لها قرار !
غوثُها سَمَكَ الدَّماء	بمائها عنها اصطار !
لم يبق في الدَّيْبِ سر	جٌ ، لا ولا بقيتْ تثار !
فالوحشُ عن مُهْجِ العِدي	لَا تَفَانَتْ تُستعار !
وأطَّهـ	مرُ من سَواحِبها الفِمار !
بِك سوف تُفـ	الوحشُ أفتاها الغِرار !
إن لدماء من العِبدِ	ويعرُّ بأك يستحار !
فاسلم ودمٌ في بعمـ	

(الرَّوضُ الرَّاهِر ، 263-265)

* * *

(١) هي المؤلف بذلك نفسه ، وهذا شعر عث رديء لا يُعْتَدُّ به .

[أخبار السلطان بدمشق سنة 664 هـ]

[من فصل]

ذكر ما جرى للأمير أحمد بن يحيى وولده

وفي هذه الأيام أبطل السلطان ضَمَّان الحشيشة ، أبعاء ثوب الله تعالى وأمر بناديب أكلها وأمر بساء مكان بحبل المرة للشيخ حصر^(١) ، وتوجه إلى الشيخ خضر وراره وشاهد المقاسم^(٢) التي عُمرت في دولته ، وهي أحسن مما عُمر في زمن الروم^(٣)

(الروص الزاهر ، 265)

* * *

١ . نسخ حصر كس شيخاً صوفياً عظيماً ، بظاهر وعنده ويبلغ في إكرامه وسوره أسبوعياً وبسطه ويعرجه ، بسبب أنه كان يقول عنه وهو أمير إله سبي الملك . ورد ذكره في نص من شدّد أعلاه ، وسيرد أدناه في زيارة الظاهر بشام عام 667 هـ . ذكره ابن كثير وفاته عام ٥76 هـ في لنداه وذلهاه ، وفيه أن اسمه حصر بن أبي بكر بن موسى الكردي الهرواني العدوي . ومن حصره كذلك ابن تيمري يردى الأتابكي في كتيبه «البحر برأهرة» (٦ ، ٦ ، 276) كما يردى في نصوص المؤرخين الدمشقيين ، كابن كثير في «الروح السندية» (ص 22) أنه عمر في أخيل قو الربوة «قصة الحصر» ثم راد فسه بالنساء وصدرت عنه فواشش . فحسه السلطان إلى أن مات

(٢) هذه إشارة بذكره بعباده خوب أن مقاسم نهر بردى بين الربوة ولهامة بنما تم بعمارها في أيام لصاهر سنة 6٥4 هـ . ولم يكن لك معروف على الإطلاق من بحث في تاريخ دمشق وسرى في هذه الكتاب كيف . مقاسم أنهار دمشق السعة وبمربعها ودقة جرائها كانت مصر بأمثال بذلك العصر ، ومنها سترد قصة الثقب الذي أجرت فيه (قديماً) ماء ثور عند الربوة (في بصني ابن الوردي والندري)

(٣) قوله في زمن الروم ، إشارة إلى كور محاري قنوات مياه دمشق ومحرج عين الفيجة بعربها كانت جميعها من عمل الرومان ثم البيزنطيين . وكانت درسا حرم بيع السمحة وثبت له أن اساء البيزنطي وفيه اسم للإمبراطور مرقس (حكم 450-457 م) . كما قرأناه منوشاً باليونانية ، وكتبتا ذلك في موسوعتنا «حفظ ريف دمشق» .

[السلطان في دمشق أواخر سنة 665 هـ]

[من فصل]

ذكر غزوه سييس وأسر ملكها

ولما وردت هذه الأخبار إلى السلطان ، كان في الصيد بجُرُود⁽¹⁾ ، أعطى
أبشر ألف دينار . ودخل السلطان دمشق فتجهز وخرج ، فعيد في حماة وسار
مها إلى أرامية ، ورجل مها بقاء العساكر في ثلث عشر دي الحجة ، وكان قد
أخرج نصيب السلطان من الغنائم ، فلما لتقته العساكر فرّق ذلك على عساكره .
وأحسن إلى صاحب سييس⁽²⁾ ومن معه في الأسر .

وعاد السلطان إلى دمشق في رابع وعشرين دي الحجة . فدخلها مطلقاً
وصاحب سييس وابن عمه وأصحابه بين يديه ، وحلّ على الملوك والأمراء
أشامية والمقدمين . وسير لصاحب حماة الخيول والأموال وأحلّ على الجميع
أصحابه ، وودعه وتوجّه إلى مدينته . وامتلات دمشق بالكماس وببيع من
الجواهر والحلي والرقيق وحرير ما لا يحصى ، وما تعرض السلطان إلى شيء من
ذلك

وخرج السلطان من دمشق في يوم الإثنين ثاني المحرم ، سنة خمس وستين
وستمائة ، إلى جهة نكرّا ، وفارق بعسكر من الفوار وتوجّه جريدةً

(الرّوص الرّاهر ، 271)



(1) أي بلدة خيرُود المعروفة في خرب القصور لأدس ، شمال شرق دمشق
(2) سييس عاصمة مملكة أرمينية لصعري القديّة في كيليكيا (1، 86 م) ، تقع اليوم في جنوب
تركية .

ذكر خروج السلطان إلى الشام لعمارة صفد

[سنة 665 هـ]

في يوم السبت عشرين حمادى الآخرة 665 هـ] ، توجّه السلطان في جماعة من أمرائه ، وأراح بقية العساكر بسديار مصرية ، ولمّ وصل عربة ورد إليه رُسُل لمرجع يهدية وجماعة من أسرى المسلمين ، كساهم أسطدان وأطلقهم

وسار السلطان إلى صفد ، فعند وصوله إليها بلغه أن انتار على عزم قصد الرّحبة فرتب أمر عمدة صفد وبوخته لى دمشق المحروسة مسرعاً ، فوصل إلى دمشق رابع عسر رجب ، فاهتمّ بأمر الرّحبة وعزم على الخروج بسبها وحرّحت الخرابه ، فورد الخرب رجوع انتار وأن العسكر المحرد في الرّحبة تنعّوهم وقتلو منهم وأسروا ، وقتلوا شخصاً من كبارهم .

فلما تحقّق السلطان ذلك عاد إلى جهة صفد ، وكان مقامه بدمشق مقدار خمسة أيام .

(الروض الراهر ، 280)

(لا بد أن تذكر ما فات ابن عبد الظاهر ذكره عن دخول الظاهر دمشق سنة 666 هـ عني مُسنّهل شهر رمضان من السنة المذكورة من على مدينته بطاكية يحاصرها ، وهي من أعظم إمرات الصليبيين في المشرق . ثمّ هاجها في يوم السبت 14 رمضان ، وعزم منها شتاً كثيرٌ ووجد من أسارى المسلمين من الخليلين فيها خلقاً كثيراً ، كان صاحبها الجرمس بوهيمو ، ليمارس Bohemond V (تيمند ، صاحب بطاكية وطرابلس) أسرهم عندهم هربوا من حصار أنتر حبيب (راجع نصّ الضمائم علاه و حول دخول الظاهر دمشق فذكر أن عقب هذا أصبح العظيم ، نقل من تاريخ ابن كثير (الدينه ، النهاية ، حوادث 666 هـ) «وعدا السيف مؤيداً منصوراً» قد حلّ دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة ، في نه عظيمة وفيه هائنه ، وقد رُكب به السد ودلّت به اشار فرحاً بفسرة الإسلام على الكفرة الطّمد»

ذكر وفاة الأمير عز الدين الحلبي

[شعبان سنة 667 هـ]

لما حرح السلطان لسماع رسالة الملك أنعا ، حرح الأمير عز الدين الحلبي معه ، فلما برز السلطان أرسوف طلب مستورا وتوجه إلى دمشق للملاحظة أملاكه ، فأقام به مدة ، ولما عبر السلطان إلى دمشق أطلق له شيئا كثيرا من مدد وقمدش

ورار السلطان شيخا من فقهاء⁽¹⁾ بحبل المرة وكان للأمير عز الدين في خدمته - وقام الأمير عز الدين ليحدد لوصوء ، فقال الشيخ للسلطان : «هذا يموت في هذه الأيام ، ولا يصح يحرح من دمشق» . فعجب السلطان من هذا الحديث فإنه كان كالأسد قوة وفي ثاني يوم قبل إلى الأمير عز الدين باب مشوشا⁽²⁾ ، فتوفي في أوئل شعب ، وحصر ولده إلى دهليز بحرية اللصوص ، وأحضر السلطان إليه وسيره إلى الديار المصرية ولما وصل السلطان إلى الديار المصرية كما ذكرنا أمره بأربعين فارسا .

وأمر أربعة من أكابر الأمراء وهم : الأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، والأمير عز الدين أوغان ، والأمير بدر الدين يسري الشمسي ، والأمير بدر الدين أمير سلاح ، بأنهم يبشرون الخوطة على مائه فاشروا ذلك ، ولم يتعرض السلطان له إلى شيء مع كثرة ميراثه .

(الروض الرأمر ، 350)

(1) هو داته الشيخ خضر بن أبي بكر المهراسي العدوي ، الذي تقدم ذكره في نص سابق أعلاه

من سنة 664 هـ

(2) لا بد أن حصر هذه النصاب سببه شئ من انعدام قوته ودهور صحته ومات يكفي أن نقرأ بسيرة حياته كيف كانت النساء لا يحتجن منه لصلاحه وتقواه العظيمين - فيصل بينهن ويجول كما يشاء ويحب ، إلى أن حبسه السلطان حتى مات .

ذكر توجه السلطان إلى دمشق وحلب

[مسهل سنة 668 هـ]

لما وصل السلطان إلى لكرك بات بها كما ذكرنا^١ ، وأصبح يوم الجمعة
مسهل السنة صلي جمعة بكرث ، وركب حريده على يده فرس ، وعلى يد كل
من صاحبه فرس ، وساق إليهما ولما قريها ، والناس لا يعمون شيئاً من حانه ،
ولا يدري هل هو في شام أو حنا أو غيره ، ولا يحسر أحد يتكلم ، سر أحد
حواصه في البريد إلى دمشق بكتب انبشائر بسلامته وقصه حخته .

فأحضر الأمير جمال الدين السجسي الناس بسمعوا الشرى ، فيمهم في
ذلك ، وقد بلغهم أن السلطان في الميدان ، فتوجه إليه الأمير جمال الدين ، وجد
السلطان قد برز في امداد مرده ، ووهب فرسه لإنسان من مائة سوق الخيل عرفه ،
وقتل الأرض بين يديه وحضر إلى خدمته الأمير شمس الدين أفسر أستاذ الدار
والأمراء المصريون ، وأكل شيئاً

وتوجه الناس ليستريح السلطان^٢ ، فقام وركب في جماعته اليسيرة ، وتوجه
إلى حلب ، وحضر الناس إلى الخدمة فلم يحدوا أحد ، ودخل السلطان حلب
والأمراء في امواك ، فسار إليهم مما عرفه أحد ، وفي ساعة حتى عرفه الصروي ،
ميرل الأمراء وقتلوا الأرض ، ونزل بدار نائب السطنة بحلب ، وشاهد قعتها ،
وعاد منها ولم يلبس به أحد .

فوصل إلى دمشق في ثالث عشر المحرم ، ولعب الكرة ، وركب في الليل
وتوجه إلى القدس الشريف والخليل - عليه الصلاة والسلام - فزارهما وتصدق
وكان العسكر المصري قد سقه صخرة الأمير شمس الدين أفسر أستاذ الدار العالية

^١ هذه الرحلة إلى الشام كانت عقب رحله السلطان إلى الحجاز لاداء فريضة الحج أو خر
سنة 667 هـ ، وكانت لغايه منها عند الحج تشتت أركان حكمه واستعراض مصادره على
مناحه بوليه وسب جهل أركان الدولة بحيث أنه كان يتعمد حركة سرية دمة نحاشاً
لأنه أحبب سقره ، إلى ذلك أنه لم يقطع لسان الخدح بمصر حينما بدت عنه عبره
عمويه بخصوص هذه السقرة راجع ما تقدم في الروض الزاهر ، 354 .

إلى تلّ عجول ، وحصر السلطان إلى تلّ العجول . وكان قد صمى الجمعة في
الكرّك ، والجمعة الأخرى في حلب ، والجمعة الأخرى في دمشق ، وحصر إلى تلّ
العجول . وذلك كلّه في عشرين يوماً ، وما عير عبائنه أن ي حجّ فيها . وسارت
العساكر صُحته من تلّ العجول في حادي وعشرين المحرم ، وخرج وبه الملك
السعيد إلى اصطحية والتقى بها ، ودخل قلعتها في ثالث صفر .

(الرّوص الزاهر ، 359)

* * *

ذكر حركته إلى الشام جريدة

[ربيع الأول سنة 668 هـ]

وَمَا بَلَعَتْ حَرَكَةُ التَّارِ ، وَأَنَّهُمْ تَوَاعَدُوا مَعَ الْفَرَجِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَتَقَوَّى الْفَرَجُ
مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الرِّمْدِ رَاكِبًا ، وَأَنَّ التَّارَ أُعْذِرُوا عَلَى السَّاحِرِ قَرِيبًا
مِنْ حَلَبَ ، وَعَلَى حِفْظِ أَهْلِ حَرَى وَأَحْدُوا مَوَاشِي الْعَرَبِ اسْتِثْنَاءً لِأَسْرَاءِ فِي تَوْحِيهِ
حَرِيدَةً ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْرُجُوا هُمْ قَلْبَهُ وَيَقْبِ السُّلْطَانُ بِقَلْبِهِ فَلَمْ يَرَأْ
تَنْقُضَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا عَصَى يُكْتَبُ فِي حَسَنَاتِهِ ، وَأَنَّهُمْ أَلَّهِ الْخَلَائِقُ أَنَّهُ وَحْدَهُ يَقُومُ
مَقَامَ الْعَسَاكِرِ ، نَكْثِيهِ فِي هَرَمِهِ لِأَعْدَاءِ ، وَأَنَّهُ إِمَّا يَطْعَمُ عَسَاكِرَهُ لَوْحَةً أَلَّهِ لَا يَرِيدُ
مِنْهُمْ خَرَاءً وَلَا شُكُورًا ، وَأَنَّهُ اسْمُهُ يَسْرُرُ الْأَعْدَاءَ الْمَوْتُوتَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيُصَيِّبُهُمْ
بِسَهَامِ الْمَصَائِبِ

فَارَاحَ عَسَاكِرَهُ ، وَحَرَدَ الْأَمِيرَ عَلَاءُ الدِّينِ اسْتِدْقَادَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ
لِيَهَيِّمُوا فِي أَوْتُلِ الْبَلَادِ الشَّامِيَّةِ ، لِأَجْتِمَاعِ أَنَّهُ إِذَا طَلَبَهُمْ سَارُوا إِلَيْهِ وَسَرَّ السُّلْطَانُ
فِي جَمَاعَةٍ سِيرَةٍ مِنْ قَبْلِهِ ، وَبَلَكَ لَيْلَةَ الْإِثْنِ حَادِي وَعِشْرِينَ رَجَعَ الْأَوَّلُ ،
وَوَصَلَ غَرَّةً وَتَوَالَى الْأَمْطَرُ وَسَفِيَتْ لِسَادُ بُوْحَهُ الْمَرْكُ ، وَسَارَ فَوْصِلَ دِمَشْقَ
سَاعَ رَيْبِ الْأَحْرِ ، وَوَزَّذَ بِيَةَ الْأَخْضَرِ بِأَهْزَامِ التَّارِ عِنْدَمَا سَمِعُوا بِوُصُولِ
لِسُلْطَانِ

(الرَّوْحَنِ الرَّأْهِرِ ، 361)

() أَيُّ مَلِكٍ مَمْلُوكَةٍ أَرَاغُونِ لَوْ قَعَتْ فِي شِمَالِ شَرْقِ إِسْبَانِيَا وَعَاصِمَتِهَا سَرُوسُطَةُ وَالْعَمْدَةُ
مُصَحَّحَةٌ عَنِ الْإِسْبَانِيَةِ Rey d Aragon وَمِلَتْ لَأَرَاغُونِ أَمْدَكَ كَانَ حَامِي الْأَوَّلِ
Jaime I de Aragon ، حَكَمَ بَيْنَ 1213-1276 م

ذكر متجدّات

[شوال سنة 669 هـ]

في تسع شوال كان بدمشق استيل العظيم⁽¹⁾ ، وذلك أنه أتى نصف الظهر فأى عسى كل شيء فجعله كالرّمم ، وطبع في حور دمشق قدر رمح وأغرق حيوانات كثيرة عسى حتلافها ، ودخل دمشق فأفسد عدة أدر بها ، وأغرق من العام ما لا يعدّ كثرة ، ومن الحيل والحصان أشياء كثيرة وما عم أحد من أي جهة كان اجتماعه بغير مطر عظيم ولا أين ذهب ، فسُحان دي لقدرة والعظمة ، وقُلع الأشجار من أصولها .

ودخل السلطان بعد ذلك بأيام إلى دمشق ، وما وجد بها ماء ولا حماماً سدر ، وشرب لناس من لصته ريح ولا در . ويقال إنه هلك بهذا استيل عشرة آلاف روح . وأحد استيل الطوحين بحجارتها حتى [كانها] ما كانت . وحكي أن فقيراً أصلاً حصر إني دار نائب السلطنة بدمشق ، يقول : «وعرفو الأمير أني أريد أعود إلى بعلبك» . فقال له الأمر : «رُح إلى حر» . وصححوه منه فراح وعد ، وهو يسر الناس بالنسب ، فصححوه وما أجسوا بالسبل إلا وقد همحم على ما ذكر .

لما فرغ السلطان من هذه الجهات⁽²⁾ ، وترتب الأمير عز الدين الأفرم وعز الدين بيك الشيخ بدمرة⁽³⁾ ، رحن السلطان هوصل دمشق منتصف شوال ، ورحل منها [في ربيع وعشرين منه] .

(الروح الزاهر ، 384-385)

(1) حول هذا السيل العظيم انظر ما تقدّم أعلاه في نصّ ابن شدّاد .

(2) كان السلطان قبل ذلك يقوم بحملاته الحربية مكوكية بواحي الساحل الشامي ، بفتح قلعة صافيت Chastel Blanc من أيدي فرسان الهيكل (سويته) ، ثم حصن الأكراد le Crac des Chevaliers من أيدي فرسان المشفى (الإستريّة) ، وبعد ذلك أكرم هدية مع أصحاب حصني طرطوس والمرقب . وقصد حصن عكّار قرب طرابلس فافتحه ، ثم تهدن مع صاحب طرابلس أبي كاس . مع موقع في الساحل الشامي .

(3) أي عمارة حصني الأكراد وعكّار .

ذكر توجه السلطان إلى الكرك وإلى الشام

[المحرّم سنة 670 هـ]

وتوجه سلطان من قلعه من العرب من ليلة سبع وعشرين المحرم في جماعة
بسيّرة من حواصده ، وأحصى حركته ورسم بأن أحداً من محرّبين معه لا شرطي علبقاً
ولا مأكولاً ، وقرّر بهم بما بحث حوا (sic) إليه ، وعرج من الرّعة في البرية إلى
الكرك ولم يعلم به أحد ، فوصلها في سادس صفر ونزل بقلعتها .

وكان قد استصحب معه علاء الدين أيديكين أستاذ الدار ، وكُتب له تقليد
بسيّرة استنصه في الكرك ، وتقليد الأمير عزّ الدين بعلاء لدين واقطع لتجيسي لعزّ
ندين ، ولم يُعلم بدسّ أحد ، وفي ثامن صفر تسلّم علاء الدين أيديكين السيّرة
بالكرك ، ورسم للأمير عزّ الدين أن يدمر بالحصور بني الشام ، وأفهمه أنه طلبه ليلة
حصن الأكراد

وسار إلى دمشق فوصلها في ثلث عشر ، ولا أحد يعلم به ، وكان قيل أن
يدخل دمشق قد رسم تولد كتابي سيّرة بكتابة كُتب إلى الثواب بنعويص بيابة الشام
لعزّ لدين يدمر ، فعادت نحو ثمانين كريباً في يوم وليلة ، وسير تشريفاً لتجيسي
وأمره بعمل شعله ، فتوجه إلى الشام ، وداشر الأمر عزّ الدين بيابة الشام في بكرة
بهار الإثنين

وأنفق السلطان في المدين صحوة حملة من امال والتفاصيل والمراء والخبول ،
وركب في ليلة سادس عشر صفر ، وورل بظاهر حمة بالجوّسق .

(الرّوص الرّاهر ، 391 - 392)

* * *

ذكر توجهه إلى الحصون لمشاهدتها

[أواخر سنة 670 هـ]

وصحى السلطان بدمشق ، وأحسن إلى صاحب حماة ، وأمر بجلوسه معه بطراحة ومسند وكرسي في رس السباط مساماً لسلطان . وتوجه بعد ذلك إلى حصن لاكراد ، فوصلها حادي عشرين دي الحجة ، فشاهد العمائر ، وأمر أمراءه وجميع من كان في صحته بنقل حجارة المحائق من حرج القلعة إلى دحله ، ونقل بنفسه وبالمذكورين ، وكان في الخندق مكان يحتاج إلى العمل ، فنزل بنفسه وعين معه وعمل فيه وحفر بيده⁽¹⁾

ونرك الثقل وتوجه إلى حصن عكار ، وشاهد عمائره وعمل فيه بيده وعين معه ، وأمر برمي التحصينات التي باحصن ، وشاهد مواضع سقوطها . وعاد إلى حصن لاكراد ، وجعل على من بها من الأمراء وأرباب الوظائف وعاد فتصيد في الطريق . وخلع مقدار خمسمائة تشريف على من أحضر صيداً ودخل دمشق في خامس المحرم سنة إحدى وسبعين⁽²⁾ أو ثمانمائة

وعند دخوله إلى دمشق في التبريح المذكور ، استشار حواسب الأمراء في أن التار تواترت عنهم أخبار الحركة .

(الروض الزاهر ، 402-403)

* * *

(1) هذا السلطان يُعَدُّ بالروح يذكر بن عبد مظهر قبل هذا الخبر عديته بعمل التشاب بيده حتى صار يتقن محته وتريشه ونصسه ، وذلك كوع من أعمال الجهد والإعداد به
(2) دحب السلطان دمشق في 5 محرم ، وركب ليلة 6 (يوم وصوله) موجهاً إلى مصر فدخلها بعثة في يوم السبت 13 منه ثم في ليلة 27 جهز عسكره لتوجه إلى الشام ، وليلة 29 من الشهر توجه مجدداً إلى الشام فوصل دمشق في 3 صفر ودخل لقعدة في الليل فأتى رجل هو ' ألا هكذا تكون السلاطين وعظماء الرجال أم سبب هذه التحركات مدعته فهو اقتراب جيش التتر من الشمال ، كما سري في النص التالي .

ذكر حصار رُسُل أبغا [إلى دمشق]

[صفر سنة 671 هـ]

وفي صفر وردت لأخبار حصار رُسُل أبغا ورُسُل الرُّوم ، فرسم أر لا
تحتل بهم ، وأنهم إذا وصلوا بصرى بن أخواء ثلاث مرآب قدام باب السلطنة
بحلب ، وكذلك قدام صاحب حمة ، وأحصروا إلى دمشق ، وكان مضمون
مشابهم أن أها قبل للأمر ، «صلح أي شيء جاء منه من المصرة ؟ والعداوة
أي شيء جاء منه من المائدة ؟ وهو يقول إن استلصق يسير سنقر لأشقر بمشي يس
في الصلح»

وتلوا في برج عند سوق الخيل¹ ، وتوالت اعساكر من صقد وغيرها ،
وهم يشاهدونها . ثم استحصرهم ، فغيروا كلامهم ، وقالوا : «أعاب يقول بمشي
استلصق أو من يكون بعد في البرلة إلى أبغا لأجل الصلح» فأجابهم السلطان
«باب أعبا إذا قصد الصلح بمشي فيمنعوا أو واحد من أخوته» ثم أمر بئس أجود
اعساكر العدة اكامله ، ولعبوا في الميدان² ، والرُسُل حاضرون ، وكذلك رُسُل
لمنت مكنونهم ، ورُسُل الأشكري³ وسفرنا في ربيع الأول⁴ .

(الروض الراهر ، 404)

(1) موقع سوق خيل المدينة ما زال معروفاً باسم بني أبيهم بدمشق . أما البرج المذكور فليس
المؤكد أنه زال بعيد عصر الظاهر ، وهناك أقيمت المدرسة السعري ورُمست عام 830 هـ .

(2) أي الميدان الأحصر . موضع معروف بدمشق الدوي الذي حرق هدمه مؤخراً .

(3) الاسم تحريف سر كيس ، والمقصود به إمروطور برنطة ميخائيل بالايونوغوس الثامن .

(4) في هذا السطر ، به وقع المصاف بين جيش أماليك وأشر عبد نهر الغراب . فحرب معركة

ه ثلاثة قسده السلطان بنفسه . فتصبر بصرأ ساجماً وأبدى من صرور . شجاعه والنسبه

ما لا يحد ، وعاد به دمشق في 3 جمادى الآخرة . لأسرى بين به . وأكد لتشر أنه

بعد وقعه عين جالوت 658 هـ وبعده وقعه حمص 659 هـ هذه الآن ، ليس لهم على

جيش أماليك بحربه استلصق الظاهر من سسل ، و هو أنهم سيجاولون كما سيمر

ذكر توجه السلطان إلى لشام

[المحرّم سنة 672 هـ]

وكانت الأحبار قد وردت بحركة أبعاملك التّار⁽¹⁾ ، فخرج السلطان في ليلة السادس والعشرين من المحرم ، وصحبته جماعة من أمرائه الخاصة ، فحمل كلّهم في هذه السّفرة وفي أثناء الطريق قوي الخبر بحركة التّار ، فكتب بخروج العساكر جميعها والعربان من الديار المصريّة صُحبة الأمير بدر لدين الخزندار ، ورسم بأن جميع من في مملكته ممن به قُرس يركب بدعوة ، وأن يُخرج أهل كل قرية بالشام من بينهم حيّانة على قدر حال أهل القرية ، ويقومون بكلّهم

ودخل دمشق في سابع عشر من صفر من هذه السنة ، وكان رحيل العساكر من مصر في العشرين من صفر من هذه السنة ، ووصلوا يافا ، وورد المرسوم على الأمير بدر الدين الخزندار بانزول قريباً من يافا ، ولما علم السلطان خروج العساكر من مصر وحضورهم ، ركب من دمشق في جماعة يسيرة مقدار أربعين من جرائد ، ولم يستصحبوا ركاب داراً من دمشق ولا غيره .

فوصلوا وقد طلّت العساكر وقد ربت المنزلة من اعتراضهم السلطان وجماعته ملثمين ، فاعتقدتهم الحجاب تركمناً ، فرسموا لهم بالترحل فما ترحلوا ، وساق السلطان منفرداً وجاء من حنف لتسحق ، وحسّر للثام عن وجهه فعرفه السّلاح داريّة⁽²⁾ . ودخل وساق في موكنه ، فرب الناس وقتلوا الأرض ، وساق وشرل بدليله فرتب مصالح .

(1) أبعاملدا هو ابن خان التّار هو لاگو ، الذي قتل في عام 658 هـ في عرو مصر بسبب سفره إلى قراقوروم عاصمة إمير طورية التّار ، بودة أخيه منكو خان التّار الأكبر ، كما ذكرنا في نص النصّ أريدك أعلاه . لكن أبعامل قتل فشلاً ذريعاً في تحقيق ما عجز عنه أبوه

(2) هذه الحراة لا يُقدم عليها إلا أشداء الرجال ، فعاد السّلاحين ألا يتحركوا إلا بالاطون والرّموز والحرس والجوش والصّحب والمُعظ . وفي عصر المماليك شتهر سلاطين أشهروا بطولات شخصية وجراة بدره ، مثل قطر بيبرس ، والأشرف خليل ابن قلاوون ولصغر قرح ، والأشرف ديتاي

وأصبح في اليوم الثاني ركب في موكبه ، وبرزل فقضى أشغال الناس . ولم
أمسى ركب هو ومن حضر معه ، وعاد إلى دمشق المحروسة . وأصبح فركب في
موكبه . وفي مدة عيته رتب الأمير سيف الدين الدؤادار - رحمه الله - بدمشق ،
وحمل عنده علائم على أوراق بيض يكتب فيها أحوبة البرد .

(الروض الزاهر ، 420-421)

ذكر توجه الملك السعيد إلى الشام

[رمضان سنة 672 هـ]

في هذه السنة رأى السلطان أنه لا يحسن مملكة من ممالكه من تشريف دست سلطانها بحلول صاحبه ، ولا من يقوم بحبه . وكانت الأحبار متواردة بحركة لتأثر ، فرسم السلطان لعيسى بن مهنا لإغارة⁽¹⁾ . . .

وحرّد الأمير شمس الدين سواد الدار ، وجماعة من أكابر الأمراء وخواص صُحبة الملك السعيد⁽²⁾ فتوجه ليلة الثاني عشر من رمضان بعد عشاء لآخرة ، ولم يعلم بذلك أحد . وفي سادس وعشرين منه دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، ولم يدرك نائب السطة بالشام⁽³⁾ به إلا وهو بينهم في سوق الخيل ، فقلوا الأرض ، ودخل قلعه كما يدخل بعمص بين الأضخان ، أو كما تعود العافية إلى جسد الإنسان . و أراد أن يلعب القبق⁽⁴⁾ فأخر من أجل كثرة الأمطار

وفي ليلة العيد جمع على أمر به الشام والمقدمين والمفاردة والأكابر ، وخرج متصيدين بالرح⁽⁵⁾ . ثم توجه إلى الشقيف وصقّد شاهدهم ، وعاد إلى مصر فوصلها في حادي عشر شوال .

(الروض الزاهر ، 426)



- (1) يروي المؤلف ابهرام قوآب التتر من جزء هذه العارة
- (2) ابن السلطان الظاهر ، سمي الملك السعيد بركة خان كاسم جدّه لأنّه حسان الدين بركة خان ابن بولك خان الخوارزمي . لا نسبة لبركة خان ابن عمه هولاكو كما يظن
- (3) الأمير عز الدين أيّاز مير عيه انظر في 670 هـ وبقي حتى 678 هـ أيام ابن الملك السعيد
- (4) انقلو كلمه تركية kabak ، أي ثمر القرع (البطّين) ، كما يُصب على سارية مرتفعه لبرمه الحياة بالشباب أثناء جري خيلهم وهذا من فنون الرماية التي برع بها المماليك أي براعة . نظر صورته في كتابنا هذا ، وراجع الروض الزاهر ، 424
- (5) المرح إسمي جنوب اشرقي من غوطة دمشق . به صياع كثيرة شربها من نهر الأعوج

ذكر توجّه السلطان إلى دمشق

[ذو الحجة سنة 673 هـ]

ولما فرغ السلطان من الأمور المتعلقة بالقُصير^١ ، توجّه إلى دمشق ودخلها في منتصف ذي الحجة ، وفرّق العسكر في الجهات طلباً لرحص الأتبان والأسعار فأقامت جماعة منهم في بابس ، وجماعة في عجلون ، وجماعة في نوى وغيرها ، وبقي الأمراء في حديثه .

(الرّوض الرّاهر ، 448)



١. القُصير من حصون مملكة أنطاكية الأصلية . وحبسه ان أحد أمراء السُلطان (سييف الدس «دودار») أسر صاحبه . يسميه ابن عبد الظاهر «كسام» ، أي Giu aume بالفرنسية - في 15 شوال 673 هـ ، ثم عيّن لسلطان جماعة من أمراء حلب لحصير حصن . ويروي ابن عبد الظاهر «وتوجّه السلطان إلى دمشق ، واستصحب كسام معه . وكان شجاعاً كبيراً . وكان أنومه في الأسر ، فمات كلبم بدمشق بعد اجتماعه إليه . ولمّا شتدّ الحصار على القُصير وعمدوا الآفوات ، سلّموا الحصن لذكور في ثالث وعشرين جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وستمائته»

ذكر حصار الملك السعيد إلى دمشق

[صَفَر سنة 674 هـ]

وفي الربع والعشرين من المحرم من هذه السنة ، رَسَم السُّلْطَانُ⁽¹⁾ للأمير بدر الدين الخراساني بالتوجه إلى الديار المصرية لإحضار ملك السعيد⁽²⁾ ، وتقدم إلى الأمر ، باحضار أولادهم فتوجه الأمير بدر الدين الخراساني على خيل البريد ووصل مصر ، فسُرَّ له الملك السعيد ألف دينار وتشريراً ، وجهزت بيوت الأمراء وأولادهم ، وخرج الملك السعيد من مصر على حبل البريد⁽³⁾ سَخَّجَ المحرم أو وصل إلى دمشق في سادس صفر ، وركب سلطان لقائه ، وحصر بعد ذلك طيبة ومعاوية⁽⁴⁾

لنعب ، ولست لمالك السلطانية اخواش واخوذ ، وعملت لأبرجة الخشب على الأفيلة ، ودخلوا في أحد الخلقة أحسن دحون وسافوا أجمل سوق ثم نصب القنق ورموا بالنشاب ، وجعل لكل من يصب القنق فرس من الخناث الخاص بشاهيره⁽⁵⁾ وصار السلطان يأخذ بقنوب الناس ويحلق عليهم ويعطهم ، وسبق بالرمح أحسن سوق ، وعحب الناس من فروسته وشجاعته واقضى هذا اليوم على هذا الترهيب

-
- (1) كان السلطان بدمشق بذلك عند منتصف ذي الحجة 67 هـ ، راجع الفقرة السابقة
(2) واسم في ذلك أنه كان يجهر لعنه فراراً منه الملك السعيد على بيت الأمير سيف الدين فلاوي الألفي أما العُرس فتم بعد عام بدمهرة في 5 جمادى الأولى 675 هـ
(3) من أهم أعمال السلطان الظاهر كان تأسيسه لنظام مراسلة البريد منظم وفعال للعبية ، كان عماد اتصالاته السريعة وحركته الدائبة وفي كتاب «بائع البرهون في وقائع الدهور» لابن ياسين (1 308-342) وصف شقيق بلبيد في أيام الظاهر ، فليُرَ جمع
(4) لتتمة من «هدية الأرب في فنون الأدب» لسويدي ج 29 ، في نص «الروص الرائع» ذناه حُرْمَ محظوظة مكتبة المصحح باستاسول التي عتمدها حويطر في شرته ، مقداره ورقة واحدة على الأقل ولا استكمال انقص يعني الرجوع إلى «هدية الأرب»
(5) يردف المؤرخ هـ كل سارده يكتبها بأبيات شعر عت ، أسقطه كله

وفي اليوم الثالث ركب ولعب ورمى في القنوق ، واستلطان يطعن بالرمح
وفي يوم لأحد ترتب العسكر من جهير ، وصصم الخيش ، وبصاعب الفرسان ،
والستط سايرى تحر قد شوهد أولاً [شعر] وهو لا يسأم بكر وهر
وشهد نفس من هذا الستط ووده الملك السعد لأسد وشله ،
واسته ونصيه ، والرمح وسانه والكف سانه ، وانظرف واسانه ، واستشرت
بملك السعيد الأمم ، وحرى سعادته نعلم [شعر] وهو ثاني والده إذا كافح ،
وتبي عنه إن صدرد أو طريح ، ومبني بدائه إن دعى برا ، وهر نبي أمره إن تقوه
نفس يتهرت بالاحسان إلى من ساوقه ، ويتاعد عن سده [شعر]
وواصل الطعن بغير حراح ، ونحريت الاحساد ونحاسب الأرواح ، وكان
الرمح في أيديهم قد كرت عهده القديم من السريح بهوب الشسيم وصار الطعن
في هذا الميدان أكثر من الطعن في الحرب ، ولم بعدم في هذه الأيام من أيام المعارك
غير سفت السماء ونصرب الستط بين ملك الصقوف لا يحاف دركاً ولا
يحشى ، ولا مكيدة تعمل أو تش

وفي يوم الثلاثاء أعم على جميع أكبر دوتته من الأمراء والمقدمين والوراء
والقصة والكذب بالتشريف وكان على الستط شريف كامل شربوش⁽¹⁾ ،
أعم به على أمير سيف الدين قلاؤز لألفي ولعوا وكأتهم زهر الربيع ألواناً
مختلفة ، وزهر النجوم نواراً مؤتلفة [شعر]⁽²⁾

(لرّوص الزاهر ، 449-452)

(1) أي بري أو سمي لأمرء الممايك ، أما الشربوش فعمرة عسكرية رسمه لرّوص بلسها
استلطان والأمراء ، ويبدو أنها كانت مثنية الشكل وجر مرجع لألسه اسمك كتاب

المستشرق اسويسري ليو ماير : L. Mayer Mamluk Costume

(2) بعد هذا وصف متكلف متقعر للولائم والتقدمات يدعو لسأم فأسقطه

رحلة السلطان الأخيرة إلى دمشق ووفاته بها

[المحرّم سنة 676 هـ]

وفي الخامس من المحرم دخل السلطان دمشق ، وقد ترحّل لتصرف أعطائه وروى من دماء الأعداء أسيفه ، وقدّاهه مقدّموا التّار قد ركّوا نهم القيود عوص شهب الجيد ، وبعد أن كانوا مقرّبين صاروا مقرّبين في الأصعاد ونزل بقصره بالميدان الأحمر ، معتقداً أن الدنيا في يده قد حصلت ، وليلاد التي حلّها ركابه عنها ما عصفت ، وأن سَعده استخلص له الأيّم وأصعاه والممالك شرقاً وغرباً لو لم يكن بها غيره لكانها

وذا بامية قد أشبت أظفارها ، والأمنية قد وضعت حربها أوارها ، والعافية قد شمّرت الذّيل ، والصّحة قد قالت لصبيّه : «أهلك ولبّس» ورمّاح الخط وقد قالت لأقلام الخط «أصبت في سن الخداد من لمداد» ، والقلوب وقد قالت عند شقّ الحبوب «بحس أحقّ منك بهذا المراد» ، والخصّوص وقد قالت لقصره الأبيق : «ما كان بياؤك على هذه الصّورة إلا قالاً بما تسودّ الخدران»⁽¹⁾ به عن العجائع من السّواد⁽²⁾ .

وكان ابتداء مرضه ، اندي عتلّ به الوحود وتناشرت به الأكهم والمحدود ، ليلة السّتّ خمس عشر محرّم ، فانه ركب وقت العصر من يوم الجمعة رابع عشره ، وكأنه يودّع لأخذانه ورؤية موكنه وركوب حصانه وورل والناتّ حسمه تنك انذيلة بعض الالبياث . وقص الله روحه الركنية ، ورجعت إلى ربّها راضية مرضية ، وذلك بعد الزّوال من يوم الخميس سابع عشرين محرّم .

(1) في هذا كانه عن بء العصر الأبيق بحجارة سود وحجاره صُفر ، مداماً من هذه وخر من تنك وهذا القصر بناء الظاهر في عام 665 هـ وكان موضع تكية السلطان سليمان القانوني المعروف اليوم ، شرقي ميدان الأخضر الذي يكرر ذكره هـ حيث يجري نبع السكر والرمي على القيق وسيرد أدناه في نصّي الخميري واس فصل الله العُمري أقدم وصف لهذا القصر البادح ، اندي هدمه مع الأسف لطاغية تيمورلنك عام 803 هـ .

(2) يطيل مؤلف كثيراً هـ في سرده المتكلف لسجوع ، بما يصطربا إلى بعض اختصار

وكانت مدة مرضه قدس لله روحه - ثلاثة عشر يوماً ، وهي مدة مرض
الشهيد صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .

ذكر نقله إلى تربته المباركة

واستمر الشهيد بقلعة دمشق ، إلى أن انتاع ولده الملك السعيد ر العقيقي ،
وبناها له تربة^(١) ، ونفق عليها ربيع ملكه [شعر]

وحمل إلى تربته ليلة رعاث من رجب سنة ست مائة كورة ، وتولى حمله
الأمير عز الدين نائب السلطنة بالشام ، وعمر الدين الدوادار ، وصفي الدين جوهر
الهندي [شعر] ، وأخذوا نقاصي عز الدين الشافعي

(الرّوص الرّاهر ، 472-475)

(١) مقصود بها المدرسة الظاهرية محلّه باب السريد إلى الشمال الغربي من جامع الأموي
الكبير ، عمرها مئذنت سعيد في سنة وفاة أبيه الظاهر 676 هـ . ونقل حكمته إليها
وكانت دار الأمير أحمد بن الحسين العقيقي أحد أمراء سيف الدولة الحمداني . ثم
اشترها نجم الدين أيوب وأبدانها صلاح الدين ، حتى شترها لسعيد بمبلغ 48 ألف
درهم وبس فيها نفقة ودفن بها والده كما تقدم ، ثم دفن هو فيها أيضاً عام 680 هـ
والمدرسة إلى اليوم أحمل به مملوكي بدمشق تربتها واحدة رائعة يحمل اسم مهندسها
المُدع «إبراهيم ابن عثمان» ، ندي صمم عمارة القصر لألق أيضاً (برو ايه ابن صوبور
الصباخي) وبها فاعة مئة صمم صريحي لسلطان الظاهر والسعيد (انظر الصور) .
نكن النقش لدي حاكمها يحمل اسم الملك المنصور فلاور في عام 678 هـ

ملحق⁽¹⁾

حول رحلة السلطان الملك السعيد إلى دمشق

[دو الحجة سنة 677 هـ]

وفي يوم الثلاثاء خامس دي الحجة ، دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد رُيّت له وعُملت له قبابٌ طاهرة ، وخرج أهل البلد لتلقّيه وفرحوا به فرحاً عظيماً لمحتهم والده . وصلى عيد لتحرر الميادين ، وعمم العيد بالقلعة لمصورة ، واستوزر بدمشق الصّاحب فتح الدين عبد الله بن القيسري ، وبانديار المصرية - بعد موت بهاء الدين بن أحنّ - الصّاحب رهمان الدين بن الخضر بن الحسن السّحاري .

وفي العشر الأخير من دي الحجة ، جهّز السلطان العساكر إلى بلاد سبّيس صُحبة الأمير سيف الدين قلاوون الصّالحي ، وأُقيم السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والحاصكية والخواص ، وجعل يُكثر التردد إلى الرنقية⁽²⁾

وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من دي حجة ، جلس السلطان بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان حذره والده على بساطين أهل دمشق . فنصاعت له منهم الأدعية وأحوه لذلك حقاً شديداً ، فإنه كان أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وودّ كثير منهم لو حلّص من ملكه حُملة بسب ما عليه وفيها طُلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار صُرّبت أحرّة على أملاكهم مدّة شهرين ، وجُيئت منهم على القهر والعسف .

(الساية والنهاية ، 13 : 280)

* * *

(1) لا علاقة لهذا نصّ بكتب «الروص لرأهر» الذي يعدّ رحلات الظاهر ، بل ينقله عن

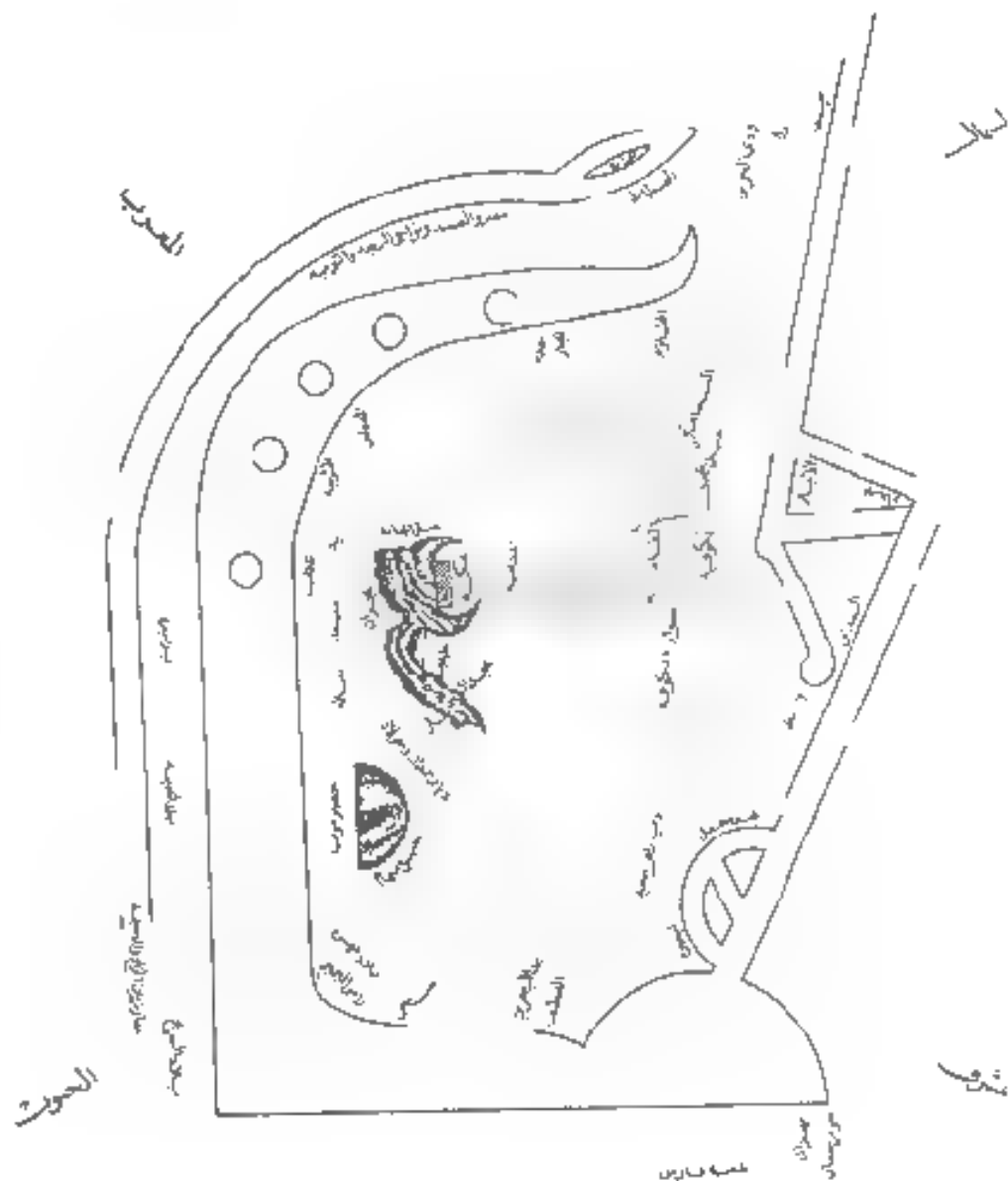
«الدية والنهاية» لابن كثير . نقلًا عن «المقتضى» لعلم الدين لُزرلي (665-738 هـ)

(2) سمية غربية لا ندري إن كانت صحيحة أم مصحّفة في طبعة «الداية والنهاية» النّسخة .

صُورَةُ دَائِيَةِ الْعَرَبِ

لأبي سعيد المغربي (٦١٠-٦٩٨هـ / ١٢١٤-١٢٨٩م)

تحقيق الدكتور أحمد مبروك



ابن سعيد الغرناطي

(توفي 685 هـ / 1286 م)

أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي الشهير بسعيد ، أحد كبار علماء الأندلس وأدبها في أقرار السابغ الهجري . كم كان عمه أيضاً من مشاهير الجغرافيين . ويعرف بابن سعيد الأندلسي عد لرحسن بن محمد ، صاحب كتاب «المعرب في حلى المعرب» ، توفي عام 617 هـ . ولد علي بن موسى في قلعة يحصب قرب غرناطة حوالي عام 610 هـ ، وتلقى العلم بإشبيلية ثم أمضى الحاب الأكر من حياته متنقلاً في طلب العلم ، فقد جال من المغرب الأقصى إلى اخلج العربي وانتقى بأكابر العلماء ودرس حيرة الكتب والتأليف

صحب أبه عام 638 هـ في رحلة إلى شمال أفريقيا ومصر ، التي بقي بها حتى عام 648 هـ ، ثم عادها إلى سام وأقام حياً ، الموصل وبعاء والنصرة ورار إيران . وقبل تدمير هولاء لعمداد (سنة 656 هـ) ما عودم قليلة حظي بسعيد بدراسة في مكباتها البالغ عددها 36 مكتبة ، ثم رحل إلى حب ودمشق بصحبة المؤرخ الشهير ابن العديم . كما حج إلى مكة ، وعاد إلى الإسكندرية وحب وأرميسا . وذكر بعض المؤرخين أنه توفي بدمشق في طريق عودته من رحله ، الأخيرة عام 673 هـ ، بينما يقول عموماً أنه توفي بتونس 685 هـ .

بما يهتم ها أنه كان ممن رارو دمشق ورأوها بأم العين ، وإر كان وصفها لها مع الأسف . لا يتجاوز التعداد الموح ، على ما هو مألوف في أسلوب المؤلفات الجغرافية العامة في عصره ذلك .

يُعدُّ من سعيد بصفة عامة من أخصب الكتّاب على الرغم من سفره الذي لم تقطع ، هذا إلى جانب ميوله نحو الأدب والشعر والتاريخ ، وأما في الجغرافيا فلم يصل إليها كنهه عن رحلاته الشرقية ، لكنه اشتهر بمحتصره كتاب بطليموس في الجغرافيا ، الذي سمّاه «كتاب الجغرافيا في الأقاليم السبعة» ، وهو يُعدُّ من الآثار الكبرى التي ظهرت في محيط الأدب الجغرافي العربي عقب العهد المغربي للمشرق الإسلامي .

وعلى الرغم من ، طابع النقل ، الذي يعكس على كتاب ، فهو مصدر عبيّ حافل وبخاصة عن آسيا الصغرى وسواحل أفريقيا ، وأوروبا العربية كفرنس وهنغار ، وحبوط إيطاليا وخرها مثل مثل سردس وكورسيكا ، كما عن أوروبا لشرقية والصقلية والروس وحيال القفقاس والصين .

قام بشر كتاب «الجغرافيا في الأقاليم السبعة» لمستشرق الإسباني خوان خيس V Gines ، ، تحت عنوان آخر : «بسط الأرض في الطول والعرض» ، وصدر عن معهد مولاي الحسن بنطواك عام 1958 ، ومنه أخذنا النص المتعلق بدمشق غير ، ، حيث استمعنا لغيري أثبت في نشرته لكتاب الجغرافيا (صدر في بيروت سنة 1970) أنه كتب آخر غير «بسط الأرض» ، وأن الثاني هو بمثابة مختصر للكتاب الأول ، وكلاهما لابن سعيد .

المصادر :

- الجغرافيا في الأقاليم السبعة لابن سعيد العرناطي ، مقدمة خيسيس
المعرب في حلي المعرب للعرناطي ، مقدمة شوقي صيف
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ، 1 ، 356 .
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمتحد ، 192
تاريخ السكر الاندلسي للمستشرق باسليا ، 247

دمشق

وتقع قاعدة لشبم دمشق حيث ، طول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون ، وفي لأصطرلاب ثلاث وثلاثون ، مثل بغداد وتوس ، وإنما كثر الثلج فيها من الجبال التي في جهاتها ، لا يبرح الثلج عليها⁽¹⁾ .

ويقال ، حال العانة أربع صغاً سمرقند ، وشعباً بؤال ، وبُلَّة البصرة ، وعُوط دمشق قد أنوبكر لحوارزمي . والعوطة تفصل على هذه الجهات الثلاث ، كما تفصل الثلاث على سائر جنان العالم

(الجغرافية في الأقليم السبعة لابن سعيد ، 85)

* * *

(1) المقصود بذلك حبس لشبم (حرمون) ، سمّاه جعفر بن القزويني «وسطى جبل الثلج» ، لأن الثلج عليه كاليدوم حقاً من عدم إلى شيء يليه ، حتى أنه كان «يدوم» كما يقول أهل القرى لما حمله له ، ويؤكدون ظهوره وود أبيض بداخه ، ويضيفون أن دودة الثلج توضع في كأس ماء فاتر وتلب رد وطعاً هذا خيل لكسا في عصر ما لم تشهد أبداً امتداد الثلج 2 شهراً ، بل يدوم بأسره بين شهري تموز وأيلول

محمد بن إبراهيم الوطواط

(توفي 718 هـ / 1318 م)

محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكندي جمال الدين المعروف بطواط ، أديب مترسل كتب من العلماء من أهل مصر ، ولد عام 632 هـ وكانت صناعته الوراقة وبيع الكتب صنف كتاباً منها «غُرر الخصائص الواضحة» و«مباهج الفكر ومباهج العبر» في الكيمياء والصبغة ، وقد صمته أموراً جغرافية كثيرة في ستة مجلدات ، و«الدرر والعُرر» ورسائل سماها «عين الفتوة ومرآة المروءة» . توفي بالقاهرة عام 718 هـ

أما كتابه «مباهج الفكر» فلم يرد مخطوطاً ، وفيه سذة يسيرة عن دمشق وبعض أوصافها . وقد نقل هذه السذة أستاذنا الحليل الدكتور صلاح الدين المحدث عن مخطوطة مكتبة كوبريني بإسطنبول ، رقم : 1170 . وقد نقلتها .

المصادر :

الوحي بالوقيات للصفدي ، 2 : 18 ،
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجد ، 94 .

دمشق

وأما جُند دمشق فممن به تسمى حِلَق . وهي مدينة أرلثة عادية سهينة حبله ،
رغم بعض المفسرين ملكتاب العزيز بها إرْم ذات العماد

ولها الجامع الذي هو أحد عجائب الدنيا ومنايها ، والنهر الذي سمع منه
عنه أنهار وهي نهر يريد ، ونهر دباس ، ومنه هذه البلد التي تحري في شوارعها
ودورها وقلعه ، ونهر دعبوات ويسمى عمود النهر برّداً ، ومنه من حيث
سبع شين العبجة ، وهي في وادي بين حبلين ، تكون مسافته من حيث ينسج إلى
حيث يصب في بحيرة المرح شرقي دمشق يومين .

ولدمشق من البلاد بعلبك ، وهي مدينة . . إلح .

(منايع الفكر للوطواط ، مخطوطة كوبرلي ، 1 . 444)

(.) هذا غير صحيح فبردى سمع الخاصر في سهل الرّيداني . وعين الفيح سمع الخاصر في
قربه تُعرف باسمها . لا أن مياه الفيحة كانت تنصبّ لخري بردى فيصبح نهرأ واحداً
قوي خريان ، لا كه هو يوم مجرد سافيه وأهيه . وكان مساته الصاخية بركوب في
أوسط القرن العشرين عمق نهر يريد (من غروب بردى) 3 أمصار في يساتين الصاخية
وعمق نورا (فرع آخر لبردى) ما يريد غنى لترب . لكن منذ أن ستمحل سرحان
الإسمب والاسفلت بدمشق منذ عام 960 فصاعداً ، فقدت دمشق بهاءها وجمالها
حتى أصبحت في أيامنا مجرد مدينة زهادية كخفة لا تثار بشيء ١

ابن رُشَيْد الفُهرِي

(توفي 721 هـ / 1321 م)

زار دمشق عام 684 هـ

أبو عبد الله محمد بن عمر الفُهرِي الأندلسي ، عالم أندلسي كبير برع في
الادب والحديث . ولد في سنة 657 هـ ، وتنقّى العلم في جامع
القرويين بمدينة فاس عاصمة بني مرين ، وأقام بها حياً ثم انتقل إلى المدينة البيضاء
الملاصقة لها التي أسسها السلطان يعقوب بن جرح من البرية لأداء فريضة الحج ،
فمرّ في طريقه بشمال أفريقية ومصر والشام . وبعد عودته اشتغل بالتدريس في
غريطة ، ثم أمضى بقية عمره بفاس إلى أن توفي بها عام 721 هـ .

إذا كان ابن جبير أول رحلة أندلسي كتب وقائع رحلته الحجازية ، فإن
ابن رُشيد بالمثل هو أول رحالة من الغدوة المغربية سجل انطباعاته برحلة حجازية
واشتهر عنه رحلته بصحرا أحبار جولانه في شرق ، أما الأولى فيصف فيها
طريقه في أفريقية ومصر والشام والحجاز ، وعنوانها : «مسلّ لغية تكّ جمع بعد
طول الغيبة في الوحاه الواحه إلى حرمين مكة وطية» ومنها أجراء محصوطة
في دير لإسكوريدن بسببا ، وأصلها في خمسة أجراء ، ومن المؤسف أن الجزء
الرابع الذي يذكر فيه دمشق وعمائه مفقود ، وكان زارها عام 684 هـ وأثناء عهد
عماليت في أيام السلطان المصور قلاوون . وفي الجزء الخامس يتحدث عن رأه
بعد خروجه من دمشق ، على أن المقرئ انتمساي توفي 704 هـ) حفظ لنا بعض
من رحلته تعلق بدار حديث الأشرفية ، وبعل الرسول التي كانت فيها

أما الرحلة الثانية فهيها عن علماء الأندلس ، فرع منها عام 689 هـ وعُتار
كتابات ابن رُشيد معرفة المعلومات التي جمعها عن الأحوال الاجتماعية لسلاط
التي ررها ، وخاصة مكة والمدينة والحدير بذكر أن في مكتت مكة المكرمة
عدة نسخ مخطوطة من رحلتي لفهري .

نقلت نص الفهري لمتعلق به مشق من «ملء العينة» عن أستاذي العلامة
صلاح الدين المحدث ، من مخطوطة لإسكوريال رقم 1736 ، والنص الذي ورده
أحمد بن محمد المقرئ في «فتح المتعال في وصف النعال» عن إسحق أيضاً من
مخطوطة مكتبة فاروجان سلاطيان الخاصة (من أ من دمشق) التي كتبت عام
1033 هـ ، مع معارضتها بطبعة حيدر آباد بالهند عام 1234 هـ .

كما أشير إلى أن حرثين من «ملء العينة» قد سُرا مؤخرآ ، وهما :

الجزء الثاني . توس عبد الورود ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوخة ، لدار
التونسية للشر ، توس 1982
الجزء الخامس . الحرثان المشرقيان ومصر والإسكندرية عبد الصدور ،
تحقيق محمد الحبيب بن الخوخة ، دار المعارف الإسلامي ، بيروت 1988

المصادر :

- الدرر الكامة لابن حجر ، 4 : 111
- تاريخ الأدب الجعالي العربي لكراتشكوفسكي ، 1 : 368 و 382
- مدينة دمشق عبد الجعافيين للمسجد ، 196 .
- الرحالة المعارية وآثارهم لعمد العاسي ، 4 .
- رحلة الفهري للماسي ، مجلة معهد المحفوظات ، مجلد 5 (1959)
- الفكر الأندلسي للمشرق الإسباني بالاثيا ، 318
- الرحلة والرحابون المسلمون لأحمد رمضان أحمد ، 343 .

ميدان الحصان بدمشق

ثم توخَّهنا من دمشق حماها لله إلى مدينة النبي ، أهل هلال شوال ليلة الجمعة عام 684 هـ ، وكان سحرنا من طهر دمشق من الموضع المعروف بميدان الحصان⁽¹⁾ عصر يوم الإثنين الحادي عشر من شوال . وعيناً في ذلك اليوم عند خروج الناس للودع ما يُسيل الدموع . فبنا تلك الليلة بالموضع المعروف بالقيسارية على صفة النهر . ورحلت سحر اليوم الثاني عشر . وركب مندرل بالطريق ، سلكين إلى مدينة بصرى ، وهي مدينة حوران . وصطَّ هذا الاسم بضم أوله وإسكان ثابيه ، وفيه يقول المثلثس .

نم تدر بصرى ع آلئت من قَسَم ولا دمشق إراديس نكراديس
أراديس ريع اكر ديس ، وهو موضع بدمشق ، وفيها يقول أيضاً .
فريد المشاي والمشارف دونه فروضة بصرى أعرضت فسيلها

ورأيت نداء مُحكم الأسوار قديم الآثار ، أبواب دُوره من محوت
الأحجار ولم سق بها أحداً من العلماء ، ومنه يتزوَّد الناس بالماء إلى
الموضع المعروف بوادي الأرق . ولقيت هناك الشتيحين الفاصلين عفيف الدين
عبد الرحيم بن بدر الدين الرحاح واس أخيه أبا لقاسم ، قدما من بغداد
(ملء العينة ، جره 5 ، مخطوطة الإسكوريال)

(1) ميدان حصان هو المعروف في أيام احتضاراً وتحديداً بحي ميدان ، وهو من أحياء دمشق الحوية على لطريق السلطاني متجه إلى حجر وعلطين ومصر . كان مبتدأ أمره بجمعاً سكاناً صغيراً شأ في أيام الفاطميين وعرف بالقيسات بقيام دور صغيرة ذات قباب طينية ، على نسق الموجود إلى يومنا في الشمان محافطتي حلب ودرل . ثم بما الحلي في عهد المماليك والشماسين إلى . ميدان النحتاني ولوسطاني والقوادي ، بأحياء وأرفه كثيرة (مها السلطاني والقروشي وأبو حنبل ولثرياً والقاعة واحرمانية والحقلية . وعُدَّت للميدان أصوله الخاصة في انترت الشعبي الدمشقي وتنافس مع حي الشاعور . وسأهى أنه بكرمهم وبحوبهم و«عزمتهم المدنية» . تعود أصول سكان الميدان إلى الأرياف الشامنة عموماً ، ومنهم من ورد من بلدان لمغرب العربي والعراق وسواها . وظهر منهم في العهد العثماني فئة من طبقة لأعوات ، كان العابد رستكر واهيبي

فعل الرسول بدمشق

وقبل المقرئ عن الرحلة فقال :

وقال ابن رُشيد في «مَلء العَيْنة» عند ذكره المدرسة الأشرافية "وَنَهَى حُدَى
لمدرس الخافيه ، مع عتو ساحتها وسنديد بيادها وبقدر أوثاقها ، ما عصته
وبها حدى عليّ سيّ صليّ الله عليه وسلم ، فقصدتها لتركها والشمع
من مرض أصابني ، فوجدت بركتها وهذه المدرسة ابتُني في قلبها بيتان
أحدهما عن يمين الحراب ، وأُضِعَ فيها سَحٌّ من مصحف ، والآخر عن يساره فيه
لعل كرمه ، فرة واحدة وعد وضع بهدائيت باب مصفح مصحف
لأصغر كنه صفاح ذهب ، وعُتِقَ عنه كل حرير ثلث حصص وحمراء
وصفراء ، ووُضِعَ لعل كرمه على كرسي من بوس ، ثم وُضِعَ على النعل
نوح من أبوس ، ونُفِرَ في وسط اللوح بمقدار ما ظهرت لنعل الكريمة محفصة عن
نوح بمقدار انقرا ولا شك نه بقي كنها تحت أطراف اللوح بمقدار ما نُتت نه
تحت النوح ، ثم حدثه بمسماير التي طوقت به ، فبدر المحيط بها كنه
مكوك بمسماير فضة ويُمَالُ ذلك يظهر منها اندي هو مقفور عليه بأواع
لصيب ، حتى اندي شمه يمرء فمه من طينها فإد أَرْدَأَ يحدو عليها
مثاب حاء بك عد ورق ووضع على مقدر النقر ، وحرّة بظهره فدر سم مقدر
لعل مثلاً وقد وُكِّلَ بها قيم ، به عيب مرتب بعد نه أربعين درهماً نصريّة ،
وأمر صبح يوم الإثنين ويوم الخميس للناس بتركها بثلثها .

فاتفق أبي حنّث إلى الشيخ ريس بديس القيا في سح مدرس هدي غير
هدير اليومي ، فألفته مريضاً بمرأش فنهق وأمر الحديم القيم بفتحها
بي ، فععل . وتمككت من لثما والتبرك بها

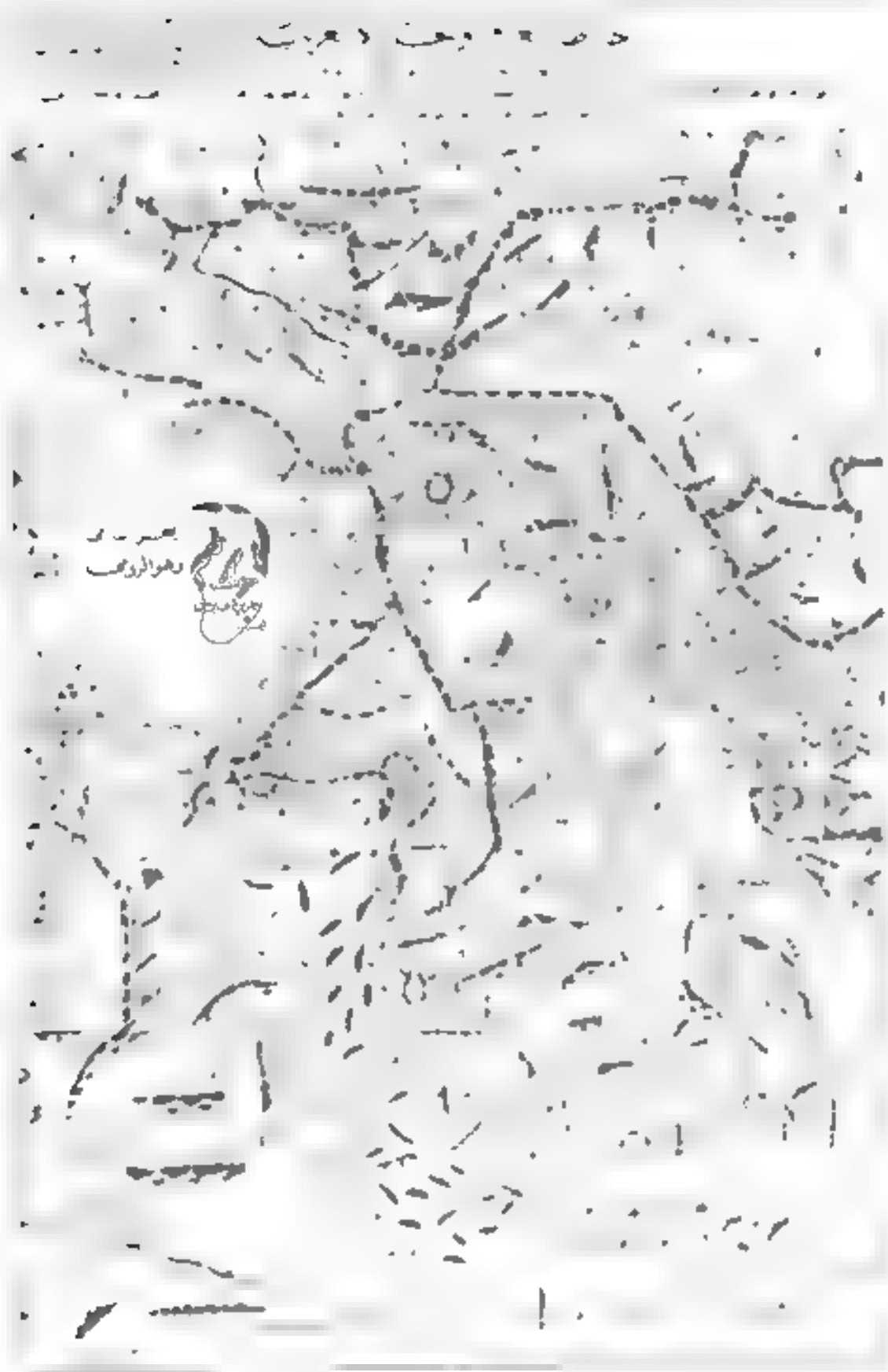
١ . حدثت لأشرفية بخرية في محلة بعصره بية ، بها بيت الأشرف موسى ابن الملك ،
لعدل أبي صلاح لدين الأيوبي عام 630 هـ . كان بها إحدى فردتي فعل الرسول ،
والأخرى في مدرسة لدين بة شمالها ، فأحدهما تيمورلنك عام 803 هـ

وكان من قصة هذه العن حسماً أخيراً به صاحب المقرئ أبو عبد الله محمد بن عيسى بن القصاب في الحادي والعشرين من شعبان المكرم عام سبعة وسعين وستمائة أن القدم التي فاس عليها كانت مما تصيرت ليمونه بنت الخارث اهلانية أم المؤمنين مما تركه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فتوارثها ورثتها من بعده إلى أن حصل بيد سي أبي الحديد . وله يرثها يتوارثونه إلى آخره موتاً ، فترك ثلاثين ألف درهم وترك ذلك القدم ، ووديعه فقال أحدهم للآخر : تأخذ المال أو تأخذ القدم ؟ فاصطلحا على أن أحد أحدهما بال والاخر القدم . فذهب به إلى أرض المعجم ، فكن يغدونه على الملوك يتركون به ، حتى رجع إلى بلاد خلاط . فعث به إلى الملب الأشرف ابن العدل يترك به . فطلب منه أن يقطع منه قطعة سرك بها . ثم إن الملك تفرغ عن ذلك ، فطلب منه أن يعوضه منه قرية ويعطيه إياه . وقال له : أنت شيخ كبير فما تصنع به ؟ فأجاب إلى ذلك

ثم إن الملك الأشرف ملك المماليك استوطن مدينة دمشق ، فأنسى دار الحديث الأشرفية ووقف بها وقفاً كثيراً . وجعل الحبيب الصبي بها مسجداً للصلاة ، وجعل شرقي مخروبة لتسبيح يمينه جعل المذكورة . فسميها بمساجير فضة على تابوت من أبوس . وجعل له قفلاً من فضة ، وأرحى عليه ثلاث سنور من حرير أحمر وأصفر ، كل ستر منها بحال ، وجعل له بياً كبيراً مصقلاً بالحاس ، كأنه الذهب . وجعل عليه فيما رتب له أربعين درهماً بصريّة ، ملعاً ثمانين درهماً من دراهم كل شهر ، يفتح في كل يوم ثمين وكل يوم خميس لمن يترك به .

(فتح المجال في وصف الحال للمقرئ)
مخطوطة فاروق سلاطيان ، نقل عن
المنجد . مع المقابلة على طبعة الهند)

* * *



خريطة العراق والحريرة العربية للشريف لإدرسي

شيخ الرَبوة الدمشقي

(توفي 727 هـ / 1327 م)

وصفه لدمشق بمطلع لقرن الثامن الهجري

شمس الدين محمد بن أبي طالب لأبصارى الدمشقي ، من علماء القرنين
السابع والثامن للهجرة . ولد بدمشق عام 654 هـ ، أي قبل سقوط بغداد بيد
الأتراك المغول ، وعاصر منذ بداية حياته موجة أحداث حاسمة عصفت بالعالم
الإسلامي ، كما تزامن ذلك مع قيام دولة المماليك الأولى (البحرية) في مصر
والشام .

أمضى الرجل معظم حياته مختبئاً رأسه بدمشق . وأم بمسجد الربوة غربي
دمشق ، ولآه عنده نائب الشام قوش الأرم (حكم بين 698-709 هـ) وكان يعتقد
فيه الفصل بمعرفة علم الكيمياء . ومن هنا علق عليه لقب «شيخ الربوة» كما
عُرف بالصوفي لبوئه لصوفية . ويبدو أن هذه الميول هي التي أدت إلى اعتزاله
العالم في أواخر حياته ، فقد أقدم بعض نواحي فلسطين مترهداً ، وعلق عليه
هناك لقب «شيخ حطين» إلى أن توفي بصفد عام 727 هـ ، أي قبل وفاة الخمرافي
أبي العلاء بحمسة أعوام . وكان في أواخر أيامه أصابه صمم وفقد إبصار إحدى
عينيه ، بانفصال الشكية كما يبدو .

كان شيخ الربوة ذكياً فطئاً حلوا الحديث متقشفاً صبوراً عسى المقر والوحدة .
يطعم اشتر ويصم في شتى المنوم مفرط دكائه ، وترك عدة مؤلفات من أشهرها
كتاب «السياسة في علم المراساة» ، اشتهر في حينه .

على أن سم شيخ الرتبة ، تط بكتبه نكور موعر في اشهير : «نحة الدهر»
 في عجائب ابر والسحر» ، وهو من أثمن الكتب واعررها مادة وطريقة نصيف
 لكتب تصق على صريقة ، قرويي بشكل عدم في كتبه «آثار البلاد وأخبار العباد» ،
 غير أن بعض المستشرقين اعتبره شيخ الرتبة دون قرويي وسواء بكثير ، إلا أنه
 يعصر كتاب أبي الفداء من حيث توب مادته وهو على كل حال يضم
 معلومات غير قليلة منتقدها في المؤلفات الأخرى ، وبخاصة فيما يتعلق بموطنيه
 لشم وفلسطين ، وتعد كتبه مصدراً أساسياً لخرافتهما وتاريخهما ، وبالتالي
 فهو من أكمل وأصط ما عُرف في هذا الصدد

و وصف دمشق وصواحيها وأنهرها ومسجدها يحتل أهمية خاصة بين ما
 كتب عن المدينة في عصر شيخ الرتبة بمطبع القرب الثامن للهجرة ، وذلك قبل قيام
 النهضة العمرانية والعمارية العظيمة التي شهدتها دمشق امطورية في ذلك القرب ،
 وبخاصة في عهد نائبها بكر 742 740 هـ بأيد السطان ملك البصر محمد ابن
 قلاوون ومن أجل ما حصل بصفته بعباده لتأدر لكور دمشق ووصفه بدقة
 لصاعه تفصيل اورد بها ، وأقرانه بذكر هوة شير منصور بترتداني

قام بشر كتاب «نحة الدهر» المستشرق لدايماركي ميرن A Mehren عام
 1866 م في سان بطرسبورغ ، كما صدرت له طبعه أخرى عام 1886 م ثم أعيد
 طبعه في دار أوتو هار سوفتس بلاينسيك عام 1923 بتحقيق ميرن أيضاً مع ترجمة
 فرنسية ، عن هذه الطبعة أخذت النص المتعلق بدمشق .

المصادر :

- نحة الدهر لشيخ الرتبة ، مقدمة ميرن بالفرنسية
- الذرة الكامنة لابن حجر العسقلاني ، 3 : 458 .
- تاريخ الأدب الجعراي العربي لكراتشكوفسكي ، 1 : 386
- مدينة دمشق عند الجعرايين للمسجد ، 202

كتاب

سعة الدمر في عجائب البر والبحر
تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة المتقن

الفاضل مراد دهره ووجوه عصره

مدرس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري
المؤيد القسبي شيخ الرواد

عنوان طبعة لايبتيك عام 1923 بتحقيق ميرزا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور^١ والأرض في كل سنة أمراء^٢
وأدبر الفلك ودور وعرس الأرض مهادًا وبعض منها رؤاس وأنهار ومن كل الثمرات حل فيها
روحين اثنين يغشى لكل النهار ومنّ بها من كل دابة ويبارك فيها وقد فيها أفونها ورقًا للإنسان
ومتاعا للحيوان وبعض منها مطلقا متعاطيات وحيات من أصاب وورث ومجلا صوت وغير صوت^٣
وصلى الله على سيدنا محمد محبوب إلى خلقه امرئته أمها وشوهد رُحماتها وعربها وندى من
ملك أمه ما روى^٤ من مشارق الأرض ومغاربها وأطعم منه الأشرع على مشكوك سموات والأرض
وأملأكها ومخائب وعبي الله القردة والكلام بطيس لأطهار وعبي أصنام الهدى مهدى بلصدي
بديهم في السر والظاهر ربهم سبحانه كقوله فيهم فيهم كتب اسمه منه بذكر في عجايب البر
والبحر بسبب على العلم بهمة الأرض وأفلسها وشجيتها وتعالى القدماء في ذلك وعلمانها ومعبودها
من البحار المتصلة والسمكة والبربر واللباس والأنهار^٥ البحار^٦ والآباء العظيمة والعبود^٧ المالبثات
ومسالكها والأمصار الكبار ورياساتها ولأئمة الفقيه والعائلة العظيمة والعبود والآباء والبنات^٨ العجب

^١ Voyage de Kerékoum, VI, p. 105. ^٢ Les dévotions passées contiennent comme empreintes au
Korad Nouf, LXXVIII, p. 8. ^٣ XII, p. 8. ^٤ II, p. 160. ^٥ XII, p. 8. ^٦ dans les manuscrits de St
Petersbourg, et de Leyde; celui de Londres est le plus ancien. ^٧ les plus anciens, etc. dans les manuscrits de St Petersbourg
et de Leyde et de Londres.

الفصل التاسع

في وصف فلسطين والأردن

والى حدود ساحل البحر الرومي بالشام

قلوا سُمِّيَ الشَّامُ شاماً لشَمَاتٍ في أرضه يبيض وسُودَ ، ولأنه في جهة
الشَّمال من حَريرة العرب ، أو لأنَّ سمّاً بن نوح بُرأ فيه وإِما أُبدلت السين شيئاً
للتماثل .

وحده الأول طرلاً من ملطية ولى العريش ، ومسافته سبعة وعشرون يوماً ،
وعرضه الأعرص من منبج ولى طرسوس . وكان مقسوماً في أيام الروم بأربعة
أقسام : قسم قصته دمشق ، وقسم قصته طبرية وتسمى الأردن ، وقسم قصته
حمص ، وقسم قصته إيلب وتسمى فلسطين . وكان لهم في كل عمل بطريق من
الطَّارِقة يحفظه . فلما جاء الإسلام وأراد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أن
يفتح الشام بعث إلى كل عمل جنداً وأمر عليهم أميراً ، فبعث إلى حمص أب
عبدة بن الحراح ، وإلى دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وإلى الأردن شرحبيل ابن
خسبه ، وإلى فلسطين عمرو وأبن العيص وعلقمة بن مخرم ، وأمره إذا فرغ من
ترك علقمة بفلسطين ، فتركه وتبار إلى مصر .

وسُمِّيَ هذه الأعمال يومئذ أجاداً ، وكانت قنسرين مضافة إلى حمص .
إلى أن ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة ، فقصده أهل العراق فاتوا عليه فأنزلهم
قنسرين والعواصم والشَّعُور وصيرها جنداً وأفردها عن حمص . وبقي الأمر على
هذا إلى أن ولي الرشيد الخلافة ، فأفرد العواصم والشَّعُور وجعلها جنداً واحداً ،
وذلك في سنة سبعين ومائة . فصار لشام مقسوماً إلى ستة أجاد ، ثم قسَّم الشام
في الدولة التركية^(١) إلى تسعة أقسام ، منها قسم ملكوه نزار والارمن والروم .
وافصل عن الشام وسُمِّيَ رُوماً .

(نُحة النهر ، ص 192)

(١) المقصود بالدولة التركية دولة المماليك البحرية الذين كان أكثرهم من التُّرك

دمشق

والقسم الأول من أثمانه منه دار لامرأة الكسرى في عصر دمشق ،
 وتسمى حلق الخصر ، والعوطة ودات العمد ، هي مدينة عذبة أليّة سهلة
 حبيته من نردبلا الأرض ، طيبها وحسها ونهجها ، وبها الخمار المتفرق
 حُسْن والحَمَل والكَمال ومن أعاجيب الدنيا تُوقَد فيه في ليلة النصف من
 شعبان ثمان عشر ألف قنديل بحمسين قطاراً دمشقيه رب الرُيتون غير ما يوفد
 من سائر المدن والبلدان والنجار والحداد والبرصايات والبرصايات من
 عجب شيء به لاسر ، ولرحم في سائر حيطانه ، وفوق الرحم تعصص
 شجر الخراج والصنوع والذهب والفضة والبرصايات وهو ملء الخمار من
 داخل حيطانه

وسائر مقوش بتلك الأصابع على صور الأشجار والمدن والحصون
 والبحار وكل ما يمكن تصويره من غير المحرم منه ويُقبَل من عند العرير
 ما ولي خلافة في سائر عظماء هذا العنيفة يردف أعين عليه قدعته
 والموقوف على رحنه في أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان أربعون صدوقاً من
 الذهب الأحمر ، غير الكرخاء والبناء للقديم

وسعة جامع طولا من الشرق إلى المغرب مائة وثلاثون وثمانون ذراعاً
 وعرضه مائة وعشرة أذرعاً وعلى سطحه لرحم ص ألواح مفروشة بدلاً من
 الخشب ، كل لوح نحو من نصف قطار دمشقيه من دونه ومن حصائمه أنه
 لا يوجد فيه عسكوب أصلاً ، لا في سقوفه ولا في حيطانه ، ولا يفرح فيه عصفور
 مع كثرته فيه ولا يعيش فيه ، ولا يوجد فيه ورعة وشهرته تُعني عن وصفه

ودمشق مقسومة ثلاث قسمت : قسم مشوث العمارة في عوطتها ، هو
 جامع بكن مدينة عظيمة من بين جواسق وقصور وقاعات وإسطلات وطواحين
 وحمامات وأسواق ، مدارس وترب وجوامع ومساجد ومشاهد ، غير التري
 وصناعات الامتهات ، وهذا الذي ذكرناه لا يوجد غيرها أصلاً

والقسم الثاني . تحت الأرض منها مدينته أخرى من مُتصرفات المياه و لقيت
وجداول ومسابر ومحدرن وقنوات تحت الأرض كلها ، حتى لو حفر الإنسان
أين ما حفر من أرضها وجد مجرى الماء كمنه مشتكة طبقات يمنية ويسرة ، شيئاً
فوق شيء

والقسم الثالث مُسَوَّها وما فيه وحوله من المغمور . وكأنما هي في
وصفها طائر أبيض في مرج احصر يرتقب بصل منه من الماء أولاً فاولاً
ومن حصائص دمشق أيضاً أن حيت لا بدع داخل سورها أبداً ، ومن
قليلات الوحود فيها وفي عوطتها وبواحي أرضها

وعدد بساتينها مائة ألف وأحد وعشرون ألف بستان تُسقى بماء واحد يأتي
إليها من أرض الزبداني . ومن وادي بردا عين سحدر من أول الوادي ومن عين
الفتح ، وينبعث نهر أو واحداً يُسمى بَرَد . ثم يتفرق سبع فرقات ، كل فرقة نهر
يُسمى باسم . منهم . نهر يزيد : فتحه يزيد بن معاوية فُسِمِي به . ونهر ثور .
فتحته ملك من ملوك الروم اسلمه ثور فُسِمِي باسمه . ونهر بانياس : فتحته
بانياس الحكيم اليوناني فُسِمِي باسمه . ونهر السموت ، وكلاهما يجري إلى
داخل مدينة ويتفرقات في المصارف والبرك ، ولقيت وأحمامات والطهارات . ونهر
مرة . منسوب إلى قرية تُسمى المرة . وكان اسمها المَرَّة لها من صحة الهواء
وصفاء الماء وحسن القصور وطيبه الثمار وكثرة أرهور ونور ، وسخراج الماء منه ،
حتى أن حرارته تُدقى على الطرقات وفي دروبها وأرقعتها كالمرايا فلا يكون لرائحته
بظير ، ويكون ألذ من المسك إلى مدة انقضاء النور^(١)

ثم نهر داريا سدس لنهور ، وهو أرفعها محرقاً وبعدها مقسماً وداريا
قرية عظيمة المثل والأرض ، ربه قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان
الداراني .

(١) يريد بذلك نهر بانياس والقنوب اللذين يجريان داخل دمشق بقديمة ضمن سور

(٢) يذكر المؤلف صفه بظير ماء نورد بدمشق ، لكسي أو حررته إلى خدام لصل

وتما ورحه لمؤرخون في سنة تسع وتسعين وستماية⁽¹⁾ - الرزاع ررغوا
المناطق برآريين ووصف برر بطيح أصغر ، ثم أصاب البرد فأهلكه ، واستأنفوا
ررعه مثله برراً وحصر ذلك مشهد الشام بلسان⁽²⁾ الحوكندر الذي كان نائب قلعة
صند ، أخبر به وورج عنه .

وسانع ليهو نهر الردا الحاري في قارة الوادي ، ولا يقبل إلا لارتفاع من
محراه ، منه تقسمت الأنهار المذكورة ثم يقسم من هذه لأنهار فرق وحداول
وتعرف مشعنه بأراضي نعوطه ، حتى لا يبقى منها بقعة يمكن وصول الماء إليها
إلا وبصل ويركبها سفله بحساب وتسقيط معلود في الليل والنهار بساعات
معلومة لا تزيد ولا تنقص ثم حرج عمود بعد ذلك ويسعث في جهة الشرق
وسقي قرايا وصياغاً وأراضي مريحة وصحراوية ، حتى يصب آخره في بحيرة
شرقي دمشق بأرض عدر ، يست بها القصب

وهذه البحيرة⁽³⁾ يصب فيها نهر آخر يسمى الأعوج ، يجتمع عند تحلل
الثلج ومن عُصارات المياه والمواصي فيكون نهراً كبيراً

(حبه الدهر ص 197-198)



(1) بذل هذا الترخيع أن تأليف شيخ الرتبة لكتابه نسخة الدهر إنما كان في مطلع القرن الثامن
بعيد عام 700 هـ ، فهو يذكر سنة 699 هـ كتاريخ مصر لا يطبق على أيامه

(2) في المطبوع - بلسان ، بصحيف وترجمه ابن حجر في الدرر الكامنة ، 1 493 بلسان
الحوكندر كان من المماليك لقدماء ، ثم ترقى إلى بولي نائب صند سنة 699 هـ ، ثم
ولي نيابة قلعة دمشق وشد الدواوين بها قبل ذلك ، ثم نيابة حمص ومات بها سنة 706

(3) هذا غلط نستعربه من شيخ الرتبة المعروف بطوغرانيه دمشق والمعروف أن نهر بردى يصب
في بحيره لعشبة أم الأعوج وهي بحيره الكرخ (النهجانه) ، وليست بحيرة واحدة

[أقاليم دمشق]

ومن الأقاليم والكُور والأحوار والرساتيق لدمشق تسعون إقليمًا ، وهي بالغُوطَة . إقليم داريًا وإقليم بنت لَهيا وإقليم المزة وإقليم لرتار وإقليم بَرزة وإقليم العُوطَة وإقليم المرح وإقليم الحُبَّة وإقليم سَبر وإقليم لُندن وإقليم انقرا .

رحول ذلك - وادي السِّيم وحُبَّة عسال وقارَى والبيك والقُطَيْقَة وصَدَد ومهين ووادي بَرَدَا والكُهور والصُّحرا وبيت جَبَا⁽¹⁾ والعجر⁽²⁾ واجولان وعُقربا والحيْدُور حول ذلك - وتَوَى والشُّعرا من اللِّجاة ، والسَّماوَة وبوارش ويقاع العريز ويقاع بعلبك⁽³⁾ وباديال لُسان مدينته كَمِد⁽⁴⁾ ، وهو عَمَل من أعمال بعلبك ، وكسروان من عمل بعلبك ، والجُرد والصَّة وحل الصَّتين .

ومن أعمال دمشق أيضًا شُوف الميادنة⁽⁵⁾ وشُوف العدسي وشُوف الخطي وشُوف الخُروب وشُوف الشُّومر وإقليم التِّمَّاح وإقليم العيشية وجبل الظِّية وجبل عاملة وجبل البَقعة من صَفَد وحصن البَصِيَّة من عَمَل دمشق ، وجواره مدينة بانياس ، ومدينة زرع ومدينة أذرع⁽⁶⁾ ومدينة بَطْرِي ومدينة حُوران وقلعة صَرْخَد ، ولشَّنة من عَمَل أذرع ، ومدينة عَمَّان وعَمَلها البَلقاء ، ومدينة مَرِد وعَمَلها السَّواد ، وإقليم جَرَش ومدينة عَمَجَلون ، وإقليم بيت رأس وإقليم سُوْسِي ، وإقليم ساعرة ومدينته بابل⁽⁶⁾ . وإقليم فِحل والْعُور لأعلى والقَصير ومدينة نَيْسان والغُور مقسَّم ثلاثة أقسام . الأعلى هذا ، والأوسط غُور حمقا وأريحا ، والأسفل غُور زغر ومدينة زغر .

(١) يعني بلدة «بيت جَن» في اللحوف الشمالية لحس الشيخ ، وهذا الصحيح في نطق لاسم الأرامي **جنا** **جنا** الذي يعني : موضع البساتين والرياض (جمع **جنا**)

(2) كذا بالأصل ولعلها مصحفة عن : العَجَم ، أي إقليم وادي العَجَّة جنوب عربي دمشق وهو الذي تقع به بلدة قضا المعروفة . وما يليها جنوباً .

(3) بعد ذلك تمتد جنوب ما في بعلبك من آثار ، تشوش انسياب النصر فطرحناها .

(4) هي بلدة كامد للُور المعروفة في البقاع تسع حب جنين

(5) بنقل العفريت ها أيضاً بحتصار ، لاسحلاص أسماء الأقاليم دون تشويش المعنى

(6) يفصل شيخ الربوة هنا بذكر بابل وأهميتها التجارية ، لكسي أسقطت ذلك

ومن أعمد دمشق أيضاً كُورة بيت جبريل وكُورة عمواس وكُورة سي عطية
ولند الحبل ، وعور مدينة عمتا وعور دامية ، ومدينة السلط ولها عمل كبير
كدرّقا والصويت وجبل بني عوف وجبل بني هلال .

ومن أعمال دمشق وحدها أيضاً الست المقدس بمدينة القدس ، وأرضها
الأرض المقدسة المبارك حولها ، حدود الأرض المقدسة طولاً من أديان جبل
السنر - وهو جبل شلح شمالاً عند مرج عيون وإلى آخر جبل الحدين عليه
استلام وول الله ، وعرضها من الأرض إلى البحر الرومي غرباً ومن مدن
الأرض المقدسة مدينة الرملة ونابا ومن المدن أيضاً مدينة سسطينة ومها طالوت
وكالك عين خالد واسمها عين حائلوت

ولدمشق أيضاً من المدن الساحلية بروت وصيدا ، ثم مدينة عسقلان
وقسارية ونايف وهي حوز القدس بيت لحم وبيت حالا وما معها ومن جهة
قيلة دمشق حترص وعمهنا ، ونسويد وحسار ومن مدينتها شي في جهة
المشرق الرجة بقراتية وعرض ⁽¹⁾ ويندمر والسحنة ⁽²⁾

(أحبة الدهر ، ص 198-202)

ن

* * *

1- يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (4 03) عرض بلندي بركة لشام مدخل في

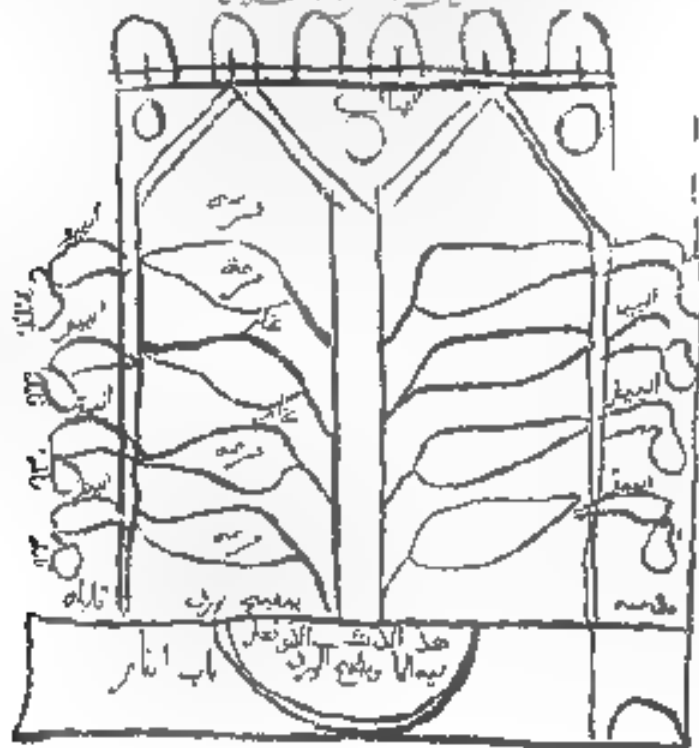
أعمال حلب ، لار ، وهو بين تلهم والبرصافة اعشامة

2- مدثرأ مدخلها مختصر ، لاستخلاص أسماء الأليم والكور والأحواز والبرساتين
والمدن التابعة لدمشق بغير أوصاف أو تفاصيل

[نقطير ماء الورد بدمشق]

وصفة إجرحه في الكركت وهو أن السائين يحسرون في الأرض حفيرة قدر برعين ونصف في مثلها ، ويعقدون عندها بطوب أرجل له باب من جهة ومُقَسَّس بهواء من جهة ، وله معس من أعلاه يصعد منه بعض بخار ، ثم يصعدون دست كبير فوق الأرح ويوقدون تحته حرجل الحطب ، وسور على الدست طيراً كصورة حراة الحمام ارتفاعه نحو نصف ذراع ، ثم يرصون فوقه من القصب العارسي الحي القوي العبط نيكاً مُحَكَمًا ، ثم يصعدون فوق القصب المشتك القرعيات الرجاج ويحسرون حلقوقها وأفواهيها إلى خارج

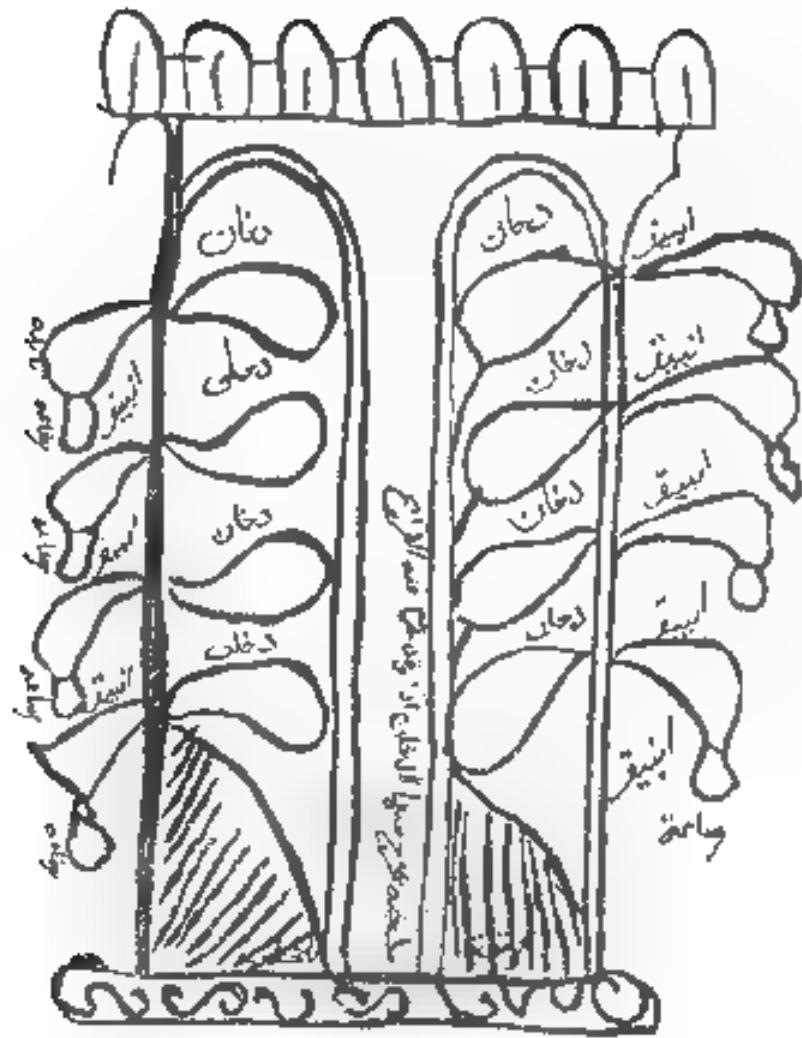
في إذا روي دورة وكمل دورها بسوا على الطر مشه مرفعين فيه إلى أب يرفع نحواً من أربعة أصابع مطوقه ، ثم يرصون قصاً قصباً قصباً ثانياً نه فرعيت كذلك ثم يسور عندها فوق لظاً مرفعين انشاء كذلك إلى أن يشرف بناء على طول قمة الإساب ونصف فامته ، ساقاً قرعيات في ساقاً قصباً شاكاً ويكون في الوسط قد أقاموا عمود من الخشب قائماً من وسط الدست إلى أعلى انشاء مسقوف عليه سقف قبته كهذه الهيئة ، فاعلم بذلك أن شاء الله تعالى وبه التوفيق



ثم يعلقون الموايل ، وتُسمى الرِّصَاعَات ، وذلك بعد حشو القراع من
الورد أو مثله مما يُستخرج ماءً ، كلما ملئت رصاعة فرغت في وعاء كبير زجاج
يُسمى قرابة ، أو في وعاء كبير من نحاس يُقال له قُمُقم :



وعبر هذه الكرّة كرّة أخرى يُستخرج منها الماورد وغيره من الماء بلاماء
بوقود الخصب وذلك بعد حشو القراع بالورد ولسان الثور وبرهر التوفر أو البان
ورهر التارنج والشقبة والهدبا ، أو بورق القرنفل المزروع بدمشق ، وهذه
صورها ، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى وبه التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل



وهو أنهم يسون أزجاً أتوناً موقداً مجموعاً في صورة بئر مقلوبة ، يصعد فيه
 اللهب والدخان كالمدخنة ، ويحيطون عليه بسور مسي مثله كهيئة الدائرتين ، ثم
 يصعدون القراع المرجحة بين السور وبين البئر ، أسفلهم إلى البئر وخلقهم
 خارجات من السور . ويحشون بين القرعيات في البئر أبحاشاً يحرق مهمل الحمو
 والدخان ، ويدور تحت القرعيات فيحمين بهن مقدار الحاجة

ثم يرفعون البناء من البئر والسور والقراع أبداً كذلك ، بمقدار أن يكون
 البناء أزيد من قمة إسدان ، ثم يسقفون ما بين البئر والسور وصبقون رأس البئر
 الذي هو المدخنة ويوقدون بالخطب الجزل دون غيره .

وأما الذي يحرق من الماء اليتوسي فإنه في تنور النور وفي الملقى الرصاص
مسي مثل حرج ،صغير طقتين - لاوسى فيها نار ،محم يدق وغيره واخطب
الحمل ، والثاية للحصب من فوقه ، وهي محشه لصعود يدخان منها واخررة
إلى القراع ، وهو من الاربعة إلى الثلاثة عمادونها

وأما الملقى برصاص فيه شحسكأ في قوالب من ثوب فإيا جعل فيها
كان كهذه الصورة :



ويُسمونه اليونان شحس ، وله عطاء وهو يبيعه وقد يكون العطاء راحاً
وقد يكون رصاصاً فإما حرّ ، وعمله جعلوا تحته فرشاً من الملح والطوب ، ثم
يوقدون النار من تحت ذلك فيقطر ماءؤه معتدلاً حسن النور والصبح والرائحة
وأما لروح الحكي فيه من آلات النور وأهل الحكمة ، والاستفطار فيه
لا يكون لا ينحر الماء معني تحمه وهذه صورة مشبه كم برء



(1) لم نجد في يونانية لا بلفظ ααα ولا ααα

ويُحمل لورد المُسحَرح بالمرّة إلى سائر البلاد الخويّية^(١) ، كخحر وما وراء ذلك ، وكذلك يُحمل لورد المرّي إلى الهند وإلى بلاد أسند وإلى انصيين وإلى وراء ذلك ، ويُسمّى هاك أبرهر^(٢)

ومّا أَرَحوه أنه كان لقاضي قصّة الخفيّة^(٣) ولأخيه الحريري قطعة بأرض تُسمّى «شُور الرّهر» طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة ، أدع منها عشرين قطاراً بثين وعشرين ألف درهم ، ودلّل ستة خمس وستين وستمية . وهذا لم يسمع مثله !

(نُسخة النّهر ، ص 195-198)

- (١) كتب من فصل الله العمري - اندي يرد نصّه أدناه - في كتابه المشهور «مسالك الأبطال» «ويأتي وردّها وبفسجها انبانه حتى أنه عطل وردها وما يُسحَرح من مائة ما كتب يذكر من جورري نصيين . وماء الورد يُنقل إلى غالب البلاد»
- (٢) كم يؤلّف هذا الوصف ، فعند أن كاتب دمشق جثّه اندي نصيغها وأثّره ورومها ، صارت ليرم كلاً فيجثّه من سرطاب لإسبب ولاسبب تمثّل السّموم وتنعكس حرارة محرقة . ورحم الله امرأة لمدنّة ورهره وماء ورده ، لم يبق من ذلك كله إلا هذه لصفحات . وداعاً يا دمشق !
- (٣) هو قاضي قصّة الخفيّة شمس لدين محمد بن عثمان بن أبي الخمس بن عبد الوهاب لأنصاري المعروف بابن الحريري (653 728 هـ) ولي قضاء دمشق سنة 699 هـ . ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ، 4 ، 42 ، وابن حجر في الدرر الكامنة ، 4 ، 39 ، وابن طولوت في شعر السّام ، 193 . أما رواية شيخ الرّيوة في عام 665 هـ فإنّما أنها صحيحة أثناء صعوده شمس الدين وتكون أخيه أكبر منه سناً أو أن نصيحياً رقع في السّح ، والله أعلم

من الفصل الثالث من الباب الثالث

في ذكر الانهار الجرارة

والعيون والآبار ويسابيعها المحتلثة

ونهر دمشق ، وسيأتي وصفه عند وصفها⁽¹⁾

واسعائه من مرج بردي ومن عين الددة⁽²⁾ من فوق الربداني ومن عين
البيحة ومن أعين في طول وادي برد ، وأصل عين بردا من تحت جبل في مرج
الربداني بجنب قرية يقال لها لسقيرة⁽³⁾ .

وفي هذه الحس هوة عظيمة⁽⁴⁾ لم يعلم لها قرار ، بل يؤخذ حجر عظيم
يحملة رجلان أو ثلاثة فيلقى في هذه الهوة لم يسمع له حس ، ومن عجزه أنه
إذا طلع من الهوة بحار ولو كان في أيام الصيف ، تخرج اسحب وتُمطر ، وهذا
صحيح مجرب

(نُسخة الدهر ، ص 114)

* * *

(1) قدّم ذلك أعلاه بوصف دمشق ونهرها

(2) ما رآلت عين الددة معروفة بالاسم ذاته شمالي بلدة الربداني قرب سرعيا ، بحري ماؤها
يحمل اسم (نهر الددة) ، انظر لريف السوري لاجم ووصفي ركريا 2 208

(3) لا وجود لقرية فعلية بهذا الاسم في أيام ، إلا أن هناك تلاً باسم (بل السقيرة) جنوب
غرب الربداني ، على الطريقة الآخذ إلى مع بردي

(4) بمراد شيخ الروم ، ذكر هذه الهوة العجيبة التي يحلو من ذكرها جميع المصادر المعروفة
بالتاريخية القديمة والمعاصرة أيضاً وهي ما نزال ماثلة في إحدى ظهرا جبل الشير
مصور ويعرف موقعها باسم (نهر الهوة) تصدر كثب شاقولي مهو عمق جداً

57 متر حتى فعره ابرئي يضاف إليها حوالي 300 متر وصولاً إلى حوض الجوفي
سبع بردي) وهذه الهوة من أعماق آبار الكرسية الطسعة في سورية ، يليها في ذلك
هوه مصبا (حوالي 300 متر) وكنا قد لما باستكشاف هاتين الهوتين ورواهم مراراً في
السواب السبع الماضية مع أصدقات في الجمعية الجغرافية السورية

من الفصل الرابع من الباب الثالث في وصف الأعين والمنابع وذكر بقاءها العجيبة وخواصها وما فيها من العجائب

وشية لعقاب من أرض دمشق ، بأعلى الشية ، كهف معبد فيه نُقْرة منقورة
بقدر الطاسة الكبرى لا نزل ملائكة ماء لو أحد منها ألف رجل ذرّت مما يكفيهم ،
وإذا تُركت كن مائها واقفاً لا يريد ولا يقص ولا عمق ولا خرق فيها سوى
أن تُنفرة مخلوءة ماء⁽¹⁾

(نُخب الدهر ، ص 120)



(1) هذا الموقع الأثري لا يُعرف في أيامنا ، ولا ذكره في أي مرجع جغرافي أو أثري . وكنا
بحشد عنه ملياً أثناء قيامنا بجمع موسوعتنا التي لم تر النور بعد «ريف دمشق» ، ما بين
1996-2001 ولم نظهر بأية نتيجة . قبلنا كـ العلامة السائح الكبير أحمد وصفي
ركرياً ذكر في كتبه «الريف السوري» ، 74 وقد سألتُ أحد معلمي المطبعة وكبيرها
في سنة 1930 عن هذه النقرة فلم يعرفها ولم يسمع بها ، فمن أين أتى شيخ الرتبة بهذا
الخبر ؟

قلت لا شك بدقة كلام شيخ الرتبة وصدقه ، لكن أحرم بأن الموقع الأثري (المعبد كم
يذكره) قد زال واستعملت حجارتها لبناء بعض لأسنة الأخرى عبر القرون لسعة التي
تفصل بين عصر المؤلف وعصر ركرياً

COLLECTIO EDITIONUM RARIORUM
ORIENTALIU

NOVITER IMPRESSARUM

II

ED-DIMICHQUI

NUKHBAT AD DAHR FÎ 'ADSCHÂ IB

AL BARR WAL BARR

COSMOGRAPHIE

POUR L'ART

A. Mehren

OTTO HARRASSOWITZ, LEIPZIG
1998

محمد بن عبد الله الحميري

(توفي غالباً في 727 هـ / 1327 م)

محمد بن عبد الله بن عبد المعمر الصنّهبجي الحميري ، يُكنى أبا عبد الله ويُعرف بابن عبد المعمر . من أهل سَنَّة مَناخَر ، الأستاذ الحافظ . كان صالحاً عبداً كثير الأورار ، قرأ كبيراً وسنة تيف على سبع وعشرين . أحد يلمه عن عدد من العلماء كالغافقي وابن الشَّاط ، وقدم عرناطة مع انوفد من أهل يلمه عندما صارت سَنَّة إلى إيدنة الملوك من سِي نَصْر عام 705 هـ .

لا يُعرف تاريخ ولادته أو وفاته بِنَصْب ، يذكر ابن حجر وفاته في 727 هـ ، بعد يرعم حاجي حليفة في «كُشف الطنون» أنه توفي عام 900 هـ ، وهذا غلط يُر مردّه ثبوت هذا التاريخ على إحدى نسخ كتاب الحميري ، وطه حاجي حليفة تاريخ وفاته . ولأستدنا د . إحسان عباس آراء أخرى بهذا الشأن

للف الحميري معجماً جغرافياً كبيراً سَمَّاه «الرَّوض المِعْطَر في خَر الأقطار» ، ذكر فيه معلومات جغرافية وأخباراً تاريخية . والمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسل يذكر أن المؤلف جمع كتابه عام 866 هـ ، بدلالة ما جاء في حاشية إحدى النسخ المخطوطة ، روضح أن هذا حظ بحسب وفاة المؤلف في حدود عام 727 هـ . وكان القَلْقَشَنْدي المتوفى عام 821 هـ نقل عنه في كتابه «صُحح لأعشى» الذي فرع من تأليفه عام 814 هـ ، كما أن لمقريري المتوفى عام 845 هـ اختصره في كتاب سَمَّاه «جَنِّي لأرهد من الرُّوض المِعْطَر» ، مه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم 458 جغرافياً .

ويور من بشر نصاً من «الروص المعطر» كان ليفي بروفسال ، لدى اتقى
 منه ما يتعلق بمدى الأندلس ، وضعه مع ترجمة فرنسية ومقدمة واسعة بعنوان
La Péninsule Ibenique au Moyen-Age «تسه حريرة ييسر» في لقرون الوسطى»
 ووسعه بالعربية «صفة حريرة لأندلس» ، صد بالقاهرة عام 937 .

ثم قم بشر بكتب كاملاً أستلها لكتو بحسن عأس - رحمه الله
 وصدر ببيروت عام 1975 في مشورات مكتبة لبنان .

* * *

أما ما كتبه حميري عن دمشق فقد نقل عنه عمر سبعة من الخرافيين
 والرحبين ، وخاصة من «ترهه المشتاق في احتراق الافاق» بشرىف لإدرسي .
 ومن رحمه ابن حنير الشهيرة (الذي رار دمشق عام 580 هـ ، في أيام الناصر صلاح
 الدين الأيوبي) . وكان هذا نقل عن صوة أو ترتيب ، بل أرف بعصه بعض
 فحاء متفصلاً حياً .

غير أن الحميري مع ذلك أخصه بعوائد جديدة تترد لدى سواه كسميه
 باب توم «باب المصرفة» ، وتخصيه بتدريجاً بوصف مشابك العصر الأتلق
 (وهو أقدم من وصفه وذكره بدير مؤرّن وعربه قصر بن طوبون . وهذا أمر
 كان يعط فيه مؤرخو دمشق لعرب السبع وثمن بالهجرة (ذبي شامه وابن
 فصل نه) فيصون ب لدير كان عند مدرسه المعظميّة بالسفح (بأعلى حيّ حير
 تونة فوق مو حير بالصخرة) ، وإك كان هناك دير سمع ب وهذا ما ستوسع
 في بحثه أدناه ، في التعليق على نصر ابن فضل الله العمري

أما قصر حمرونه بن أحمد بن طوبون فله ذكره أحمد بن مؤرخي دمشق
 وسدييه ، كخفاص ابن عساكر (توفي 57 هـ) وعمر الدين ابن شداد (684 هـ)
 وابن طوبون الصلحي (953 هـ) فيما نقل ابن نعري برّري في «استحوم البرأهرة في
 مدون مصر والقاهرة» أن حمرونه بن قصر أسفح فاسوب أسهل دير مؤرّن يشر ب
 فيه أحمر ، وفيه ذبح سنة 282 هـ

بالإجمال ، يقدم لنا الحميري نصاً فريداً ومعلومات جديدة مهمة عن دمشق بالإضافة إلى قصص ومواد أخرى لا عدها نكتة لدى سواء وما وصفه به بعض الحثيث - كأستاذنا الدكتور صلاح الدين محمد - من كواب نصه مفعولاً برئته عن المصادر المعروفة ، لا نرى فيه نصيباً كبيراً من الصحة

برغم ذلك كله ، لا نستطيع أن نحرم بأن الحميري رار دمشق ، كما يت في تعليقات أدباء بكر بعض ملاحظاته بديعه في وصفها بدل عسى أنه نقل عن رآها رأي العين وخبرها بدقة ، بيد أن مصدره هذا يفتي مجهولاً ، وإن كنت أظنه من بعض رجلي المعارضة أو فلاح احتمال الآخر الوحيد هو أن يكون نقل عن نسخة كمل تماماً يدسا من «مرقة المثنق» للإدرسي (توفي عام 560 هـ) ، فمن خلال مقارنة بسيطة نجد أن الحميري ينقل عبارات هذا الأخير ، ويضيف إليها عبارات وتفاصيل أخرى لاندري مصدرها أما وصفه الأنيق للقصر الأبلق فم مصدره فيه ، طالما أنه بُني عام 665 هـ بعد وفاة الإدرسي وابن جبير^{١٢}

أما فرصة المذكور إحصاء عسس حول احتمال وقوع وفاة لرحل بحدود عام 749 هـ في واء (موتان) ألم بالمعرب ، فقد يؤيدها ما يذكره الحميري أدباء عن إصابة الأموي بحريقين اثنين «فأدركه الحريق مرتين» ، فأما الحريق الأول فهو بلا مراء الذي وقع عام 461 هـ ، لكن هل يكون الثاني هو حريق عام 740 هـ وهل كان الحميري حياً آنذاك ؟ أسبعد ذلك ، والعم عبد الله وحده .

المصادر :

- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، 4 ، 32
- صفة جزيرة الأندلس ، مقدمة بروثسال بالفرنسية
- الروص اعصار للحميري ، مقدمة إحصاء عباس
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ، 447
- مدية دمشق عند الجغرافيين للمجد ، 294 ، وفيه عن بعض المؤلف

كتاب
الروض المعمار
في خبر الاقطار

(معجم جغرافي مع مسرد عام)

تأليف
محمد بن عبد المنعم البخيري

مراجعة
دكتور حسن عباس

مكتبة دار
الشيخ دباس المصطفى
منشور

عنوان كتاب «الروض المعمار» تحقيق أستاذ الرأجل إحسان عباس

دمشق

هي قاعدة شتاء ودار مُلك بني أمية ، سُميت باسم صاحبها الذي بناها .
وهو دمشق بن قايي بن مالك بن أرفحشد بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل
سُميت بدمشق بن عمرو بن كعد ، قال عياض هي بكسر الدال وفتح الميم .
ومنهم من يكسر الميم وهي ذات العمد ، في قول عوف بن خالد وعكرمة
وعيرها ، وقيل غير ذلك

قال مؤرخو أخبار أعجم : في شهر ثيار بني دمشوش الملك مدينة جلق ،
وهي مدينة دمشق ، وحرر نهر بردى ونهره في الجبل حتى جرى إلى المدينة
وحُكي أن دمشق كانت دار نوح ، ومن حل لُبن كان مبدأ بسفينة . واسسوب
عنى أجودي قبل قردى ؛ ولما كثرت وسده نربوا بابل السواد ، في مُلك عمرو دابن
كوش أول ملك كان في الأرض .

سور دمشق ثراب ولها أربعة أبواب الباب العربي وهو باب الحايمة ،
والباب الجنوبي ويسمى باب توما ويقال له ليوم باب المصادمة⁽¹⁾ ، والباب الشرقي
وهو باب العوطة ، ومن الباب الشرقي دخل خالد بن الوليد ومنه فتح دمشق ،
والباب الشمالي هو باب الفرائيس ، وهو باب كيسان⁽²⁾

ونهرها يحيط بمدينة من كل ناحية حتى يلتقي من جهة العوطة ، وفي باب
توما أربعة أنهار نهر برة ونهر ثورا ونهر يربد ونهر الفناء ، وسير في مدينة
دمشق حتى تنتهي إلى باب الفرائيس ، مقدار ميل إلى دير مُرن⁽³⁾ ، وهي ثلاث
ديارات ، وقصر ابن طولون⁽⁴⁾ إلى جانبه .

-
- (1) بل انساب إلى الشمال الشرقي ، ولتسمه عربية ينهرد بها خميري لكنها قد تكور تصحفاً
(2) هذا غلط ، فاب كيسان في تراوية اخوية الشرقية من سور المدينة ، وكان مسدوداً
(3) بالأصل عين حران ، والصواب ما أنشأ وقوه 3 ديارات يقدم جديداً أما قوله
مقدار من فقلاً عن الإدريسي باب الفرائيس ودير مُرن معايله يظه عند المعطمة
(4) إشارة بكرة لقصر حمرويه بن أحمد بن طوسون اندي كد بالذواسة (أعنى حديقة تشرين
في يامنا ، تحت دير مُرن (عد قصر تشرين ليوم) ، لا راب أنذر حجاره يارة

ومما يلي الباب العربي - وهرب باب الحنية المصلى ، وسير من المدينة في
سنتين إلى باب صغير وعليه خمس صوامع للرهبان^(١) .

وفي سور دمشق فتح كلابواب ، تدخل منها لأنهار إلى المدينة وهي تجري
داخل المدينة وحرق دورها ونسوقها ، والأسواق كلها مسقفة على هيئة سقوف
المسجد الجامع بها ، وأرضها مفروشة .

ومسجد جامعها باب الويد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين ، وهو داخل
المدينة ، وليس على وجه الأرض مثله بناء ولا أحسن صفة ولا أنقى إحكاماً ولا
أبدع منه تميعاً ، بأواع لفصوص الدهة ولا حراً محكواً ، وانمر مر لمصقون . ومن
حاء من ناحية باب جيروا صعد إليه في درج رحام نحو من ثلاثين درجاً ، ومن
قصده من ناحية باب الريد ونقطة أحصره باب الفراديس كان مدخله مع
الأرض يمر درج ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت ، ولا يدخله
نطائر المعروف بالخطاف .

وفيه آثار عجة منها أحرار ، ونقبة السي فوق المحراب عند المقصورة .
يقال إنها من سوء الصائفة ، وكان مصلاً لهم بها ، ثم صار في أيدي اليهوديين فكانوا
يعظمون فيه دينهم ثم صار بعدهم لعناد الأوثار ، فكان موضعاً لأصنامهم
ثم انتقل إلى اليهود ، فقتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريا فُصص رأسه على باب
المسجد المسمى باب جيروا . ثم تغلب عليه النصارى فحولته بيعة يقيمون بها
دينهم .

ثم فتحها المسلمون وتحدوه حامعاً ، فلما كان في أيام الويد بن عبد الملك
بن مروان جعل أرضه رحاماً ومعاقدر رؤوس أساطيه ذهباً ، ومحرابه مذهباً
وسائر حيطانه مرصعة بأشياء الجوهر ، والسقف كله مكّتب بأحسن صفة وأدهع
تنميق . وأُعمق في هذا المسجد خراج الشام كله ستين .

^(١) : أظنه يريد الأبره والكثس التي كانت خارج السور بظاهر الباب الشرقي وباب كيسان ،
وما يليها من جهة المقابر لمسيحية ، أي في عصرنا تجاه الطائفة والدويلعة

وكان بعث إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص النسي عشر ألف صانع من جميع بلاده ، وتقدم إليه بالوعيد في ذلك ، أن يوقف عنه ، ومثل أمره مدعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك

فشرع في بناءه وبلغ العتبة في التأنق فيه ، وأبرلت جدره كلها بمقصوص القسطنطية وحلقت بأنواع من الأصعدة الغربية ، وقد مثلت أشجاراً وقرعت أعصافاً مطومة بالمقصوص بدائع من الأصعدة الغربية ، فجاء يمشي العيون وميصاً وكان مبلغ النفقة حسبما ذكره ابن المعلق الأسدي في بيته أربعمائة صدوق ، في كل صدوق ثمانية وعشرون ألف دينار ، فكان مبلغ الجميع أحد عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار .

والوييد هو الذي أحد نصف الكنيسة البقية منه في أيدي النصارى وأدخلها فيه ، لأنه كان قسمين فسمياً للمسلمين وقسمياً للنصارى ، وهو العربي ، لأن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد من الجهة العربية ، فأنهى إلى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح به وبني البصري ، ودخل خالد ابن الوليد رضي الله عنه عتوة من الجهة الشرقية وانتهى إلى النصف الثاني ، وهو الشرقي ، فاحتاره المسلمون وصيروا مسجداً .

وبني النصف لمصالح عليه ، وهو العربي ، كنيسة بأيدي النصارى ، إلى أن عوصهم منه الوليد ، فأبوا ذلك ، فاستزعه من أيديهم قسر وطلع لهدمه نفسه ، وكانوا يزعمون أن الذي يهدم كنيستهم يجر ، فإذ الوليد وقال : أنا أول من يجر في الله تعالى ، وبدأ بالهدم بيده فإذ المسلمون هدمه واستعدوا عمار ابن عبد العزيز رضي الله عنه أيام خلافته ، وأخرجوا اليهود التي بأيديهم من نصحابة رضي الله عنهم في إبقائه عندهم ، فهم بصرفه إيهام فأشعق المسلمون من ذلك ، ثم عوصهم عن ذلك بمال عظيم رصاهم به فقلوه

ويقال إن أول من وضع جداره القلبي هو دُعبيه إسلام ، وفي أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة .

ودرعته في الطول من المشرق إلى المغرب مائة خطوة ، وهما ثمانمائة ذراع .
وعرضه من اقصاه إلى الشمال مائة خطوة وخمسة وثلاثون خطوة ، وهي مائة ذراع .
فيكون بنسبته من المراحع اربعة وعشرين مرجعاً ، وهو تكبير مسجد رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم عشرين الطول في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من القبلة إلى الشمال .

وبلاطاته المتصلة مائة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى المغرب ، سعة كل
بلاطة ثمان عشرة خطوة ، والخطوة ذراع ونصف . وقد قامت على ثمانية وستين
عموداً ، منها أربع وخمسون سارية وثماني رجل حصية واثنان من حمة منتصف
معها في الحدار الذي يلي الصحن ، وأربع أرجل من حمة أبعاد ترقيم مرصعة
مقصورة لرحم ملونة في طمعت حواتيم وصورت محراب وأشكالاً عربية قائمة
في البلاط الأوسط ، دور كل رجل منها ثمان وسبعون شهراً .

وستدير بالصحن البلاط من ثلاث جهات الشرقية والغربية والشمالية
وسعة الصحن حاشا المستقيم القبلي والشمالي مائة ذراع ، وعدد شمسيات جامع
المحاجية المدهة الملوحة أربع وسبعون وفي جامع ثلاث مقصورات مقصورة
الصحابة رضي الله عنهم ، وهي مقصورة معاوية رضي الله عنه ، هو أول من
وصعها . وبأرض محرابها باب حديد كان يدخل منه معاوية إلى المقصورة ، وبأرض
محرابها مصلى أبي الدرداء رضي الله عنه ، وحلقها كسار معاوية رضي الله
عنه ، وهو اليوم سمط عظيم بلصقارين بطون حدار الجامع القبلي

وفي الجامع عدة روايا ، يتحدث الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن
الجامع ليس ، وهي من حمله مرافق الطلبة . وفي اجدار المنصل بالصحن المحيط
ببلاطات الصلبة عشرون باباً قد علها قسي حصية كنها محرمة على شبه
اشتباب⁽²⁾

(1) يقصد بذلك الأروقة المعمدة portiques الثلاثة ، والتعبير ذاته ورد في نص ابن بطوطة
(2) هذه الاوصاف تنطبق على الجامع الأموي قبل حريق عام 740 هـ ، وهي طبعاً تختلف عما
هو قائم بعصرنا ، خاصة بعد حريق 1893 م المدمر

واللجامع ثلاث صوامع⁽¹⁾ : واحدة في الجانب الغربي ، وهي كالروح المشد ،
تحتوي على مساكن متسعة ورواق فسحة يسكنها أقوام من الغرباء أهل الخير ،
وبها كان معتكف أبي حامد بغرلي ، [وثنية بجانب الشرقي] ، وثالثة بالجانب
الشمالي . والجامع مع مال عظيم من حراشات ومستعلات تيسف على الثمانية
آلاف دينار في السنة .

وكان هذا الجامع ظاهر وباصاً مرئياً كله بالمصوص المذهبة ، مزخرفاً
بأبداع رخارف الباء ، فأدركه حريق مرتين⁽²⁾ فتهدم وجُدد وذهب أكثر رحامه
واستحال رونقه

ومحاربه من أعجب المحاريب الإسلامية حسناً وعراة صنعة ، يتقددها
كله . قد قامت في وسطه محارب صغار ، وفي لركس الشرقي من لقصورة
الخديثة في صف المحارب حربة كبيرة ، فيها مصحف عثمان الذي وجه به إلى
الشام ، وتفتح حراة كل جمعة إثر الصلاة فيترك أساس بلمسه وتقييده ، ويكثر
الرحام عليه . وهناك مشهد كبير حصيل كان فيه رأس الحسين بن علي ، رضي الله
عنهما ، ثم نُقل إلى القاهرة

وعن يمين الخارج من باب جيروب غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقار
صُغر ، وقد فُتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودُبرت تدبيراً هندسياً ،
وعند انقضاء ساعة من النهار سقطت صحون من صُغر من قسي برين مصورين
من صُغر قائمين على طاس صُغر تحب كل واحد منهما ، أحدهما تحت أول باب
من تلك الأبواب ، والثاني تحب آخرها ، ولطسان مثقوبان

(1) المراد بهذه الصوامع مدن الأموي الثلاث العربية والشرقية والشمالية (العروس) ، علماً
أن العربية كما ذكرها المؤلف أعيد بناؤها فيما بعد ، عام 893 هـ بممر لسلطان قيتبي
سنعصل في ذكرها بالخرء الثالث عند الحديث عن لوحة سفير البندقية .

(2) كتب لأول مرة عام 461 هـ في قتال بين المصريين ومعدنه أيام البطانيين . راجع نص ابن
فصن لله لعمرى أدبه . أم الثانية فلعنها حريق 562 هـ أو 570 هـ أو 646 هـ و 681 هـ
لكن أشهر حريق كان عام 740 هـ ، بمحو له بيته قدم بها بعض الفرنجة ، راجع خبرها في
آخره الثالث من كتاب هذا . غير أن المعترض أن الحميري لم يدرك هذه الحادثة !

ويستدير بالجمع أربع سقايات في كل جانب سعديه واحدة منها كالدر
لكبيره مُحَدَفَه بالبيوت و بناء يجري في كل بيت ، وإحدى هذه السقايات في دهليز
باب حيرون وهي أكبرها ، فيها من البيوت يَف على ثلاثين ، والبند كنه سقايات
قل ما تخلو سكة من سككه أو سوق من أسواقه من سقية .

قالوا . ورأس يحيى بن زكريا ، عليهما السلام مدفون بالخامع في السلاط
بقلي قدة الركن الأيمن من المقصورة لصحابة ، وعده ثابوت حشب معترض
من الأسطوانة إلى الأسطوانة ، وفوقه قنديل كأنه من بلور محوَّف ، كالقدح
الكبير

وفي الجهة الشمالية من البلد وعلى ممدار فرسخ منه^(١) ، عدرٌ مستطيل صيَّو
قد بُني عليه مسجد كبير مربع مقسم على مساحد كثيرة كالعرف المطلَّه ، وعديه
صومعه عديه . ومن ذلك العار رأى إبراهيم الخليل صلي الله عليه وسلم
نكوكب ثم القمر ثم الشمس ، حسما ذلك مذكور في لكتاب العرير . ذكر ذلك
ابن عساكر وهك معارزه صلى فيها إبراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب
صلوات الله وسلامه عليهم وكل مشهد من تلك المشاهد أوقف معية

وهناك الربوة مداركة التي أوى إليها المسيح عليه السلام وأمه ، وهناك بيت
يقال به مصلى خضر ، وهذه الربوة رأس يساتين لبلد ، ومنها يقسم الماء على
سبعة أنهار ، وبهذه الربوة أوقف من يساتين وأرض بيضاء

وعربي البلد حنَّاه تعرف بعبور الشهداء ، فيها كثير من قبور الصَّحابة
والسبعين والأئمة الصالحين ، فمنها قبر أبي الدرداء وروحته أم الدرداء رضي الله
عنهما ، وقصانه بن عبيد ، وسهل بن الخطلبة ، ومعاوية بن أبي سفيان وأخته أم
المؤمنين أم حبيبة ، ووائلة بن الأسقع ، وبلال بن رباح مؤذن رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، وأويس القرني ، وحلفاء بني أمية رضي الله عنهم .

(١) يعني بذلك مقام إبراهيم الخليل بقرية يرره شمال شرق دمشق . راجع كتابي ، «وصف
دمشق في القرن السابع عشر» ص 62

ودمشق ثمانية أبواب^(١) باب شرقي . وهو شرقي [المدينة] وفيه مباركة
يصفاء يقال ان عيسى عليه السلام نزل فيها كما جاء في الأثر أنه ينزل في اسرة
ابيصبء شرقي دمشق ، ويلى هذا الباب باب توما ، ثم باب السلامة ثم باب
عرو دس ، ثم باب الفرج ، ثم باب النصر ، ثم باب الحايكة ، ثم باب الصغير

والأرباصر تطيب بالسدك ، إلا من جهة الشرق ، مع أنه يتصل بأقلية
يسيراً وله أربعين كشرة ، والبلد ليس بمعمرط الكبر وهو مائل للطول وفي دخل
البلد كنيسة لها عند الروم سائر كسر تعرف بكنيسة مريم ، ليس بعد بيت المقدس
عندهم أفضل منها ، وهي بأيدى الروم لا عرس عليهم فيها .

وبالبلد نحو عشرين مدرسة ومارستان ، أحدهما حاربه في نيوم نحو
الخمس عشرة ديناراً ، وله قومة يرسم الموصى والفقة التي يحتاجون إليها في
الأدوية والأعدية ، ولأطباء يكررون إليه كل يوم ويأمرون بإعداد ما يصدقهم من
الأدوية والأعدية وفيه محبين يغمضون لهم ما يحضهم من العلاج ، وهم في
سلاسل مؤثوب ، يعود بانه من البلاء .

ومن أعرب أحاديثهم أن رجلاً كان يعلم القران ، وكان يقرأ عليه صبي من
أهل البلد اسمه «نصر الله» ، هم به لمعلم ورد كلفه به حتى أحل عقله وأوى
إلى المارستان ، واشتهرت عنه وفصحته بالصبي ، فقبل له . أخرج وعُد إلى ما
كنت عليه من القران . فقال متمجاً : «أي قراءة بهيب لي» ما بقي في حفظي
من القرآن شيء سوى : «إذا جاء نصر الله والفتح» . فصحت منه . سأل الله
العافية . وما زال هناك حتى مات ، كلف الله به .

وأما رباطات الصوفية التي يسمونها الخوانق فكثيرة ، وهي قصور مزخرفة .
في جميعها ماء نظرد . وهناك دير موقوفة لقراءة كتب الله تعالى يسكنونها .
ومرافق العباء أكثر في العدد من أن تحصى . لاسيما حفظ كتاب الله تعالى
والمتتمين للطلب .

(١) أصل أبواب دمشق سعة من أيام الرومان ، زيد عليها ٦ السلامة والفرح والنصر

وبهذه السدة قلعه يسكنها أسلطان⁽¹⁾ مُحاربة في جهة العربية ، وهي براء
باب الفرج ، وبها جامع لسلطان . وبهذه السدة قرب مائة حمام ، وفي أرباصها
بحو أربعين داراً للوصوء يجري الماء فيها كلها . وهي أحسن البلاد للعرب لكثرة
المرافق ، وأسواقها من أحسن سواق البلاد وأحسن انتظاماً ، لا سيما قيسريتها

وأهل دمشق عشور أمد الحدة بقرآن بقرآن القرآن بأصوات شجية وبلاحين
مُكيه برفيع أصواتهم ، وكدهم بمسور وأيديهم بلى حلف ، قابضين بأواحدة
على الأخرى ويركعون للسلام على تلك الحالة . ولحشهم مهم من يسحب
أذياله على الأرض شراً وضع حلقه اليد الواحدة على الأخرى ويستعملون
لمصافحة إثر الصلوات لا سيما إثر صلاة الصبح وصلاة العصر .

ودمشق جامعة لصفوف المحاسن وصروب الصاعقات وأنوع الثياب الخريز
كاخر والديباح النعيس ويتجهرون بى جملة الألق وفي داخل دمشق [و] على
وديتها أرحاء كثيرة جداً⁽²⁾

وبها من الخلاوات ولا يوحى بغيرها ، وأهلها في حصص أمد . وهي أعز
لبلاذ الشامية وأكملها تحسباً⁽³⁾

وكان موليد فرش داخل المسجد بالرحم الأبيض المحشم بالارورد محتشماً
من داخل من أصل خلفه ، وحيطار المسجد بالمسبساء وسقفه لا حشبه فيه وهو
مذهب كنه ، وله ثلاث ممرات . ممره الواحدة نتي في مؤخر المسجد [واثنان في
عربه وشماله] مذهب كنه من أعلاه إلى أسفله دهباً وفسبساء

1، لا يعني بل أن أسلطان . مبركي كان يقسم بدمشق . من يبرل بها أو بالقصر الأبيض
(موضع النكة اليوم) أو بدار الذهب (موضع قصر لعظم اليوم) بدار المدينة (كربار
السلطانين الفاهر وقايساي) . فدمشق لم تكن في عهد المماليك قعدة بسلطه . ومنذ
أن أسس السلطان الناصر صلاح الدين دولة بني أيوب في عام 570 هـ جعل عاصمتها
لهاجرة ، وبقيت كذلك إلى نهاية عهد الدولة الأيوبية عام 648 هـ ، وقدم السلطنة المملوكية
في أعقابها ثم سمرت أبصار بني سقوط الدولة المملوكية في عام 922-923 هـ

2، كما في بحث «حفظ ريف دمشق» اكتشف مجموعه من الطواحين يعود عهد اسمليك

وفي صحن المسجد قبة قد أحكمت صنعها وأتقنت أشد الإتقان ، فيها
فؤارة من نحاس محكمة العمل يقور منها الماء ويرتفع نحو القامة ثم ينزل في
حوض رحام بديع . ويستدير بهذه انفة شاك من حديد ، وسطح الفؤارة
فسيفساء ، فيه صور غزلاب وغيرها من الحيوان ، فإذا أشرقت على الفؤارة وهي
مملوءة ماء رأيت منظراً أيقناً

وعند الباب الشرقي من المسجد قبة في أعلاها قناة رصاص ولها أنبب من
نحاس قد أخرجت من حدود بقعة توقد فيها السرج . وفي حيطان المسجد قنات
للماء ، بأقوال يرل ماؤها في حياض رحام في وسط كل حوض عمود من نحاس
يدفع منه الماء مرتفعاً علواً .

وفي أعلى مسجد دمشق قبة خضراء مشرفة جداً . وجبانة دمشق في الجنوب
منها ، يكون طولها ميلاً في مثله .



قالوا : ومرا أوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق برحل ثم يعمل في
المسجد وهو يركي ، فقال : بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

يا أمير المؤمنين كنت رجلاً جميلاً فلقيني رجل فقال : أتحمطني إلى مكان
كذا وكذا ؟ ، موصعاً في البرية ، قلت : نعم ، فمأ حملته وسرن بعض الطريق
التفت إلي فقال لي :

إن بلعت لموضع ردي ذكرته بك وأن حي أغنيك ، وإن مت قبل بلوعي إلى
فاحملي إلى الموضع الذي أصبت لك ، فإن لم تقصراً خراباً ، فإذا بلعته فامكث
إلى صحوه النهار ثم عدّ سبع شرافد من القصر . واحفر تحت السابعة على قدر
قدمه فإليك ستظهر لك بلاطة فقلعها فإليك ترى تحتها مغارة فدحها ، فإليك ترى
في المغارة سريرين على أحدهما رجل ميب ، فاجعلي على أحد السريرين ومدني
عليه ، وحمل جمالك هذه وحمرك مالاً من المغارة وارجع إلى بلدتك .

قد فمات في الطريق ، ففعلت ما أمرني به وكرت معي أربعة حمائل
وحملهن ، وأوسقتهن كهنه ما لأمن معارفهن ، وسرت بعض الطريق وكنت معي
مخلد فسيب من أملاك من رثت مني وداخلني أشرفه ، ففعلت سور حجب
لأملاك هذه المخلد ، ففعلت ركب الحمائل وخميرهن في الطريق ، فلم أحده
مكر مني حجب منهن ، ففعلت ركب الحمائل وخميرهن في الطريق ، فلم أحده
لحماء مني حجب منهن ، ففعلت ركب الحمائل وخميرهن في الطريق ، فلم أحده
فجئت إلى دمشق وقد رعت الجمال والحمار فلم أحصل على شيء

وَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَعْمَلَ كَلِمَةً فِي سَبْرِ ابْنِ مَرْثَدَةَ، أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِكَ نَارٌ تَلْقَى فِيهَا سَبْرًا».

بئر عري . مسو لاقل من مـ منها قصر الإمارة ، وهي مدينة مسو ،
وبها باب كبير ، يسمى ، جدهم بئر البؤة والثاني باب حو ، وسهم
أواب كثيرة تسمى أخو حـ ، وفيها مسجد جامع متين لانه لا يسع ،
مسجد مدينة الكبر ، وفيها سوق كثيرة ، وبين قصر الإمارة ومدينة بـ
وأبهار حابة ، وعلى قصر الإمارة قبة حمراء مشرفة ، ويحيط بقصر الإمارة نهر
من جميع حوايه

وَحُلَّ لِلْكَوْمِ^(١) حَسَّ شَاهِقٍ لَاصِقٍ عَمْدِيهِ دَمِشْقُ ، وَسَهْمٌ يَهْرُ عَلَيْهِ نَظْرَةٌ
ظَفِيرُهُ ، وَهِيَ تَسْمِي سَائِرِ أَعْوُطِهِ رُشِيَّةُ الْعُقَابِ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ مَدِينَةِ دَمِشْقِ
تَسِيرُ مِنْ أَسْفَلِهِ فِي قَرَى التَّصَارِي حَتَّى تُفْصِي إِلَى بَابِ تَوْمَ .

واخصراً من دمشق كان يزورها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

(٢) هذه غلط في التكم (الأفوس) من جمال ساحتل و تصورات حمل فاسيور المعروف من
سبسته حب سبير أم النشبة فهي المعروفة بـ «ظلوع اشيا» على طريق حمص

ومُرَابِطُ أَهْلِ دِمَشْقِ بِيْرُوتَ ، وَهِيَ مَدِيْنَةٌ عَلَى شَاطِئِ لِبْحَرٍ ، وَفِيْهَا كَانَ
أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَفُتِحَتْ دِمَشْقُ فِي رِمَانِ عُمَرَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، سِتَّةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ ، بَعْدَ أَنْ
لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ الرُّومِ مَمْرَحَ لَصْقَرٍ عِنْدَ طَاحُونَةِ الْمَرْحِ فَهَرَمَتْ لِرُّومٍ وَيُقَالُ إِنَّ
الطَّاحُونَةَ طَحَنَتْ فِي ذَلِكَ أَيَّامٍ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَهَرَبَ هِرْقْلُ ابْنِ أَيْطَاقِيَّةَ ثُمَّ إِلَى
الْقِسْطَاطِيَّةِ^(١) .

(الرُّوضُ الْمَعْطَرُ ، طَعْنَةُ بِيْرُوتَ ، 237-241)

* * *

بِرْدِي

يَهْرُ يُقَالُ لَهُ بِالْمَعْرَسَةِ يَهْرَدَانُ^٢ وَكَهْوُهُ يَهْرُ دِمَشْقُ يَبْعَثُ مِنْ حَالِهِ ،
وَحَارَهَا فَيَقْسِمُهَا ، وَيَشُقُّ غُوطَةَ دِمَشْقِ ثُمَّ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ وَيَأْيَأُ عَنْ حَسَّانٍ فِي
قَصِيدَتِهِ ابْنِي يَمْدَحُ فِيْهَا أَنَّ حَقَّةً ، يَقُولُ فِيْهَا :

لِلَّهِ دَرُ عَصَابِيَّةٍ نَارَتْهُمْ	يَوْمًا بِجَلَّقٍ فِي الرِّمَانِ الْأَوَّلِ
يُغَشُّونَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَانُهُمْ	لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِصْرِ الْوَجْهِ كَرِيْمَةٍ أَحْسَابُهُمْ	ثُمَّ الْأَنْفُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
بَسْفُوفٍ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيضَ عَلَيْهِمْ	تَرَدَّى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ اسْتَلْسَلِ

(الرُّوضُ الْمَعْطَرُ ، 89)

* * *

(١) يَلِي هَذَا النَّصُّ أَشْعَارَ مَطْوَلَةٍ حَدَفْتُهَا لِعَدَمِ حُدُودِهَا .

(٢) تَسْمِيَةُ عَرَبِيَّةٍ لِيَهْرٍ يَمْرُدُ بِذِكْرِهَا الْحَمِيرِيُّ لِكُنْ لِصَحِيحٍ أَنَّ اسْمَ بَرْدِي أَرَامِي الْقَلْبِ
وَالْمَعْنَى : هَذَا ، النِّهَرُ الْبَارِدُ ، وَمِنْهُ نَحْنُ التَّرْدُوبُ فِي رِحْلَةٍ ، بِالتَّصْنِيرِ وَالْجَمْعِ

برزه

مدينة باشام من عمل العوطة . كان من أهلها رجل صالح وكان أعور .
 قال لراوي قلت له : « ما سبب ذهاب عنك ؟ » . فقال : « أمر عجيب » ،
 وامتنع أن يحكي شهوراً ، ثم حدثني قال حائي وأب شاب رحلار ، فدفع
 لي ثمن عوارة قمح وقال : « اعش لنا كل يوم ربعا ، وأنقوا لنا خمسة دراهم في
 لحم وشيء من الحلوى »

فأقما عدى خمسة ثم فإلاني « في قرية برز ، واد » . فقلت : « نعم » .
 فخرجنا إليه نصف سبيل وأحداني متبهما وبرلا إلى الوادي ، وكانت معهما دابة
 محممة . فحطوا عندها وأخرجنا حمس محمر وأوقد فيها ناراً وجعلوا فيها حوراً
 كثيراً ، وأمسلا يعرفان وأحييت ثقل بينهما من كل مكان فلا يعرفان إليهما ، إلى
 أن جاءت حنة نحو دراع عبيها تقدر مثل النار فلما رأياها استشرا ، وفلا
 « الحمد لله . من أحدهما حنة من حراس »

ثم قصص عليها . ثم أرحلاني في غيبها مبالاً واكتحلا به . فقلت لهما
 « أكتحلاني كما اكتحمتما » ، فقالا : « ما يصح لك » . فقلت : « لا بأ من ذلك »
 فالأ : « هدا مانت فئده فيهم » فقلت : « والله لا ريلتكم أو تكحلاني ، أو
 لأصرخن بالوادي حتى يخرج [من فيه] فيؤخذ كل ما معكما » .

فلما لم يريا لهما مي محمداً قالوا : فكتحل عيناك الوحدة ، فكتحلا عيني
 . يميني ، فحين وقع ذلك في عيني نظرت إلى الأرض حتي مثل المرأة ، أظرت تحتها
 نما تؤذي المرأة ثم قال لي سر معنا قليلاً ، فسرت معهما وهما يتحدثاني .
 حتى إرا بعدنا عن القرية كنهاني . ثم أدخل أحدهما إصبعه في عيني فقلعها ورمى
 بها وتركاني ملقى ومصباً ، فكان آخر العهد بهما . ولم أرل مكتفاً إلى الصبح ،
 حتى حائي نهر من الناس فحلوني فهذا ما كان من حبر عيني^(١)

(الروض المعطر . 87)

(١) رواية الرجل يصعب صديقها ، وانظر أنه من لطيفات أهل المطالب (لكور)

العوطة

فيل هي قصبة دمشق ، وقيل هو موضع متصل بدمشق من جهة باب
العراديس ، جدار ومزارع^(١) وطول العوطة مرحلتان في عرص مرحنة ، وبها
صبيح كالمند وجامع قريب الشبه بجامع دمشق^(٢) والعوطة أشجار وأنهار ومياه
مُحدقة تشق البساتين ، وبها من أنواع المواكح ما لا يحيط به تحصيل ، حصباً
وطيباً .

وفي الخبر أن معاوية رضي الله عنه لما رأى القتل في أهل الشام يوم صفين ،
وكلب أهل العراق عليهم ، نجَّهم لثُعمان بن جندب السَّوخي ، وكان صاحب راية
قومه من نوح وبهراء ، وقد له ، « والله لقد هممتُ أن أولي قومك من هو حيرٌ
ميت مداماً وأصبح حياً » فقد له لثُعمان « يا لو كان يدعو إلى حيسى مجموع
لكان في أرحال بعض الأبناء ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ورُدِيَّة
شارعة ، وقوم ذوي بصر نمر مافده » والله لقد بصحتك على نفسي ، وأثرتُ
مُلكك على ديسي ، وتركتُ لهُلاك أرسك وأنا أعرفه ، وحدثُ عن الحق وأب
أبصره ، وما وفقتُ لرشدِي حين أقاتل عن مُلكك ابن عم رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، وأول مؤمن به ومهاجر معه ، لتوا أعطيناه ما أعطيناك لكنا أرف
بشرعيه ، وأجرل في اعطية ، وكنا قد بدنا بك أمراً لا بُدَّ من إتمامه ، عياً كان أو
رَشْداً ، وحاشا أن يكون رَشْداً . وسقنت عن تين عوطة وريتوبها إد حُرْمَد ثمار
الحنة وأنهارها » . وخرج إلى قومه وصمَّ للحرب .

(١) هذا دليل واضح على أن مؤلف لم يرد دمشق أصلاً ، فكلمة « قيل » أولاً تعيد بذلك
صراحة ، ثم قوله إن العوطة جدار ومزارع يدل على أن من مدَّه بوصف دمشق كان
يجهل طوعه العوطة ، التي تمتد بسهل تحفي مسطحتي كفاف البادية . أما إن
كان في قومه إشارة إلى أرياص دمشق الشمالية ، من بساتين شرقي الصالحية (أبو جرش
في أيامنا) وما ، الإله كبره وحرمة ومغزياً إلى مس والبل ، فهذا لا يدخل في حدود
العوطة أصلاً . ويذكر اندري ، لاحقاً في كتابه هذا ، أن بساتين شرقي الصالحية كانت
تُعرف في ذلك العصر باسم : أراضي المزارع .

(٢) بلوح لـ ب المقصود به إما مسجد دوم أو عرين المشهورين مد تقدم بـ كبرهما

ويحرج ماء مغوطة من عين سحط من 'على الخيل' كالنهر العظم ، لها
صوت هائل ودوي عظيم يُسمع على بُعد

(الرّوض المعطار ، 431)

دير سمعان

سواحلي دمشق^(١) حواله قصور ومترهات وبساتين لسي أمية . وهالك قبر
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، توفي سنة إحدى ومائة . وكان قد انتقل إليه
واشترى موضع قبره من سمعان صاحب الدير بثلاثة دنانير ، وقيل بدينارين .

وقال رجل يرثيه :

قد سبّوا في صريح نثر وصرع
من لم يكرهه عيأ يفحريها
أقول لما أتاني ذكر مهلككم
ولا النخيل ولا ركص لبراذين

وكان معاوية وحه ابنه يزيد سخر لروم . فأقام بدير سمعان ووحه الحبور
فأصابهم الوباء^(٢) ، وتلك غروة الطّوانة . فقال يزيد :

أهول عني مما لاقت جموعهم
إذا تكأت على الأنكح مرفعاً
يوم انطواء من حصى ومن موم
بدير سمعان عدي أم كُثوم

(الرّوض المعطار ، 251)

(١) العبرة مغوة عن الأبرسي حرفاً . لكن عين الفجوة تسع على مستوى محقق
(٢) ثمة التباس حول دير سمعان ، ومن الواضح أن المقصود هنا بس دمشق ، بل دير سمعان
بأنقرة . انظر ما سيره أدناه في نص ابن فضل الله العمري
(٣) ياله من قائد عظيم يمدد بجوده إني المحرب والوباء ويصمد هو بلحمر و ساء



منهم على لدمشق من قسطنطينية من القرن سابع عشر ، عام 1873



أبو الغداء صاحب حماة

(توفي 732 هـ / 1331 م)

أنتم كتبه عام 731 هـ

تتبع أبو الغداء ، عماد الدين إسماعيل بن عسي ، إلى فرع ذوجه غريفة هي أسرة بني أيوب بني أسنيد اسبطار ناصر صلاح الدين ، والتي تولت رمام الحكم في الشرق بالقرون الوسيطة لبف وثماني عام (569-652 هـ) ، وامرد بين سائر أمراء أسرته في كونه مؤلفاً كثيراً خلف مصنفين كبيرين وهما في التاريخ و جعفر فيا كما نظم الشعر والمرشيد وبرع في علم الهيئة

وبدأ دمشق عام 672 هـ حيث سافر دونه بعد فرارهم من وجه المعول كان حدة أميراً على حلب ، واستعادت أسرته مجدها في عصر السلطان المملوكي الملك ناصر محمد بن قلاوون ، الذي نصب أبو الغداء ملكاً للمسكة حماة ولقب بالملك المويذ وأقام على ذلك 12 عاماً وكان قد شارك سد بعومة أصفاره في مجده مصنيين ، وعندما توفي الملك ناصر المذكور السلطنة لم يترك أبو الغداء حملة من حملات الشاميه التي خرجت لمحاربة ترؤم والمعول إلا اشرك بها .

أدى انتماء أبي الغداء إلى الأسرة الحاكمة في مدينة حماة إلى سهولة انحراطه في طبقه شغف واهتمس على أبدي كبر المؤرخين ، فترك عدة مؤلفات منها «تاريخ الدولة الخوارزمية» و «نوار العلم» و «نكاس» و «المواري» هذا فضلاً عن كثرة رحلاته ، ومصاحته لسلطان الناصر في رحلات الصيد والقنص ، وكان الناصر يحبه وأقامه في حماه سلطاناً مستقلاً بس لأحد أن يدرعه السلطنة

وهكذا تبوأ أنو جل مركزاً أمكته من أن يصبح أحد أهم كتاب عهد المماليك ،
 مسجل لما دار في أيامه من أحداث سياسية وعمرية في الشام ومصر وغيرها في
 كتابه شهير «المختصر في أخبار البشر» الذي يعرف أيضاً باسم «الريحاني»⁴¹ ،
 وقد جعله ديبلاً على باب من لأثير مشهور ، ثم نقل عليه من هذه النسخ
 المعروفين الدين عمر بن الوردي

في نسخة واحدة من نسخة نسخة . خلاصة حالات الكثرة
 ، صلاح على مذهب كتب جغرافية ووضع كتابه شهير «تقوية البصر» الذي لا
 يقل أهمية وشأناً عن مؤلفه تاريخي الألف الذكر ، وأنت عام 721 هـ وقد عدت
 تسر من المستشرقين ، انتهاء عصره مؤرخ جغرافي في عصره على الإطلاق لأهميته
 كتابه وسمو به ، عنه ، خصوصاً حديثه عن لقطار غير الإسلامية في كل من آسيا
 وأفريقيا وأوروبا

في نسخة كتاب «تقوية البصر» ، المستشرقان الفرنسيان رينو ودي سلال بالفرنسية .
 سلال ، دي سلال ، وطبع في مطبعة ملكية بباريس (1841)

المصادر:

- 1. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ، 4 . 41
- 2. تقويم البلدان لأبي الفداء ، مقدمة رينو ودي سلال بالفرنسية .
- 3. الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، 1 : 371 .
- 4. تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ، 1 : 389 .
- 5. مدينة دمشق عند الجغرافيين للمسجد ، 207 .
- 6. أعلام التاريخ والجغرافيا للمسجد ، 7 : 56 .
- 7. دائره المعارف ، بإدارة فؤاد أفرام البستاني ، 5 : 27 .
- 8. الأعلام لمزركلي ، ط 2 ، 1 : 317

من فصل سادس الأقاليم العُرفية وهو بلاد الشام

دمشق • بكسر الدال وفتح الميم وسكون الشين المعجمة ثم قاف في الآخر
أما طول دمشق فلم يُحتكف فيه أنه عن إخراج الخالدات سبعون فقط ، وعن
الساحل ستون فقط من غير كسر ، وأما عرضها فقد احتكف فيه ، وأُنشأ في الحدود
ما صيغ عندنا^(١) .

ودمشق مدينة أولية مشهورة ، وهي قاعدة الشام ، وعُوطتها إحدى الحِبان
الأربع المصنعة على مترها بالارض ، وهي عُوطَة دمشق ، وشعب بَوَّال ، ونهر
الأُبلة ، وصغد سَمَرْقَنْد . وقد فصلت دمشق على الثلاث المذكورات .

وفي شماليها جبل يُعرف بجبل قاسيون ، يُقال إن عمه قتل قبيل حاه
هايين ومن مُترهاها المشهوره الرتوة ، وهو كهف في فم واديها الغربي اسدي
عده تنقسم مياهها ، يقال إن به مهة عيسى عليه السلام

(١) تقويم البلدان ، ص 252-253



(١) أثبت أبو العلاء ذلك في جداوله الدقيقة لمرتبة على اسحر التالي
لعول : درج : س ، دقائق : هـ .
العرض : درج : ل ، دقائق : ل .
الإقليم الحقيقي : من آخر الثالث . لإقليم العربي : قاعدة الشام

من فصل ذكر الشام

قارة

ومن الاماكن المشهورة قاره . وهي قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق . وهي سرية للقوقل ، وغالب أهلها نصارى . وهي عن حمص على مرحلة ونصف ، وعن دمشق على مرحلتين .

(تقويم البلدان ، ص 229)

* * *

قال ابن حوقل ومحروغ نهر دمشق من تحت كيسة يقال لها الفيحة ، وهو أول ما يحرق منه ريدع درع في عرص ذراع ، ثم يجري في شعب يتفرع منه لعيون . ثم يجمع من نهر نفا ، به بركة ويسخر من ذلك سائر أنهار دمشق .

وبها مسجد لس في الإسلام أحسن ولا أكثر بقاء منه ، وأما الحداد والقبنة التي فوق الحراب عند المقصورة فمن بناء نصيبين وكان مصلاتهم ثم صارت لليهود عبدة لأوثان ، فقتل في ذلك الزمان يحيى بن زكرياء عليه السلام ، ونُصب رأسه على باب هذا المسجد المسمى باب جيرون .

ثم عُلقت عنه التصاري وعصموا ، حتى جاء لإسلام ، فصار للمسلمين مسجداً . وعنى باب جيرون حيث نُصب رأس يحيى بن زكرياء ، نُصب رأس الحسين بن علي ، رضي الله عنهم . ولما كان في أيام الوليد بن عبد الملك عمره ، فجعل أرضه رُحاماً موشى ومعاقدر رؤوس أسطبه ذهب ، وسطحه رصاصاً ويُقال إنه ألق عليه خراج الشام .

قال المُهلبي، به وُحد في رُكن من أركان الجامع بدمشق مكتوب: «سَي هدا
 ابيت دَامَسَقْيُوس على اسم ألله رِيُوش» قال . ودَامَسَقْيُوس ' اسم الميث
 الذي بناه ، وريوش تفسيره بالعربية المشتري
 (تقويم البلدان ، ص 230)

مرح راهط

ومن الأماكن المذكورة مَرَحُ رَاهِط⁽²⁾ قال في المُشترك⁽³⁾ : وهو في غوطة
 دمشق من ناحية اشرقي ، وبه كانت الواقعة بين اليمامية والقَيْسِيَّة ، وكانت لعلبة
 فيها لمرور وليماميه ، وانهزمت لقيسِيَّة واستفرأمر مروان بن الحَكَم المذكور في
 اختلافه . وكان ذلك في سنة أربع وستين للهجرة . وأكثرت الشعراء ذكر هذه
 الواقعة وفتح راهط .

(ص 231)

(تقويم البلدان ، ص 230-231)

-
- 1) دَامَسَقْيُوس هو اسم دمشق باللاتينية Damaseus وباليونانية Δαμασκος ، نقلاً عن
 اسمها الآرامي لقديم ~~و~~ (دَمَسَق) ، أي الأرض البريئة أم ريوس فهو أبو
 الآلهة الإغريقية Zeus ، ولدى الرومان Jupiter ، أي مُشتري ولا شك أن هذه
 لكتابة لقديم باليونانية كانت تُكرس معبد دمشق الوثني لزيوس
 2. يُعرف اليوم اختصاراً باسم لمرح ، وهو يقع بين احياء الشرقي من قرى النعومة بما يلي
 الشامية ، ويضم قرى كثيرة ، منها دير سلمان والكهين وجران العوامد وجديدة
 الخاص والهيجانة والعبادة وسكا واندسة وعسّون والعرلانية وقرحتا
 (3) هو كتاب «المُشترك وصعاً والمصري صعاً» ، ليعقوب الحموي الرومي صاحب معجم
 البلدان الشهير (توفي 626 هـ)

كتاب تقويم البلدان

تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل بن الملك الأفضل
نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر
ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب جماعة

قد أتمنى بتخصيصه وطبعه البلدان المشتهرة إلى الله
ربناود مدبرها العزيم
والهارون ماك كوكي ديوان



طبع في مدينة باريس المطبعة بخار الطباعة السلطانية
سنة ١٢٦٠

عنوان كتاب «تقويم البلدان» لأبي الصفاء ، طبعة باريس 1840

شهاب الدين التُّوِيرِي

(توفي 733 هـ / 1333 م)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القُرشي التُّيمِي الحكري التُّويري ، عالم بحانة واسع الاطلاع ، سته إلى تويره في مصر العليا ، ولد بقوص عام 677 هـ وشأ بها ، وكان من المهريين إلى السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، لدي شمل أب العدا المؤرخ والجعراي المشهور برعيته وكله السلطان بعض أموره ، وتقلب في المناصب الدبوانية ، فباشر نظر اخيش في طرابلس الشام ثم نظر لديون بالدقهية وارتجيه بمصر .

كان التُّويري أديباً وله نظم وشعر حسان ، ويعد حير مثال مؤلفي عصر لموسوعات العلم والأدب والجعرافية في بدايات العهد المملوكي . أشهر آثاره على الإطلاق موسوعته الكبيرة «نهاية الأرب في فنون الأدب» ، وهي موسوعة عامة كبيرة جداً في 30 مجلداً ، أشبه بدائرة معارف لما وصلت إليه العلوم عند المسلمين في عصره . ويشتمل الكتاب على خمسة فون ، كل فن يتمتع إلى خمسة أقسام يحتوي كل منها على عدد من المصول : فالفن الأول مقرر للسماء والأرض ، أما الفن الثاني فن الإنسان ، والثالث للحيوان ، والرابع للنبات ، والخامس للتريخ . أما القسم الجعراي من الموسوعة فيشمل القسمين الرابع والخامس من الفن الأول ، وفيه فصل التويري في خلق العالم والأرض وأبداها والأقاليم السبعة والحال والحر والحر والأهبار والمحيرات والبلدان والمدن وسكانها وآثار المارل والمحاج .

وفي الكتاب معلومات دلت أهمية كبرى عن شمال أفريقية والأندلس وعن
 تحرير صقلية . نقلها عن مؤرخين قدماء فقدت كتبهم ، مثل ابن الرقيق وابن
 رشيقي وغيرهما . كما بنيت أبحاث المستشرق الألماني تيزنهاورل Tiesenhausen
 والمستشرق الروسي فاسيلييف Vassiliev .

وقد قامت بشر الكتاب دار الكتب المصرية بطبعة فاحرة ، بدءاً من عام
 923 وفي القسم الجغرافي من الكتاب ذكر التويري دمشق ومسجدها جامع
 وعُظمتها . وبدأنا ذلك من طبعه دار الكتاب . لكن من الوصح أن المرجح أن أورد
 معلوماته عمداً على أنقل عن السابقين . وكان هذا أنقل عن مراجع قديمة لا
 تقدم فكرة عن دمشق في لعصر دته الذي عاش به التويري . يعني عصر سلاطين
 لماليك وهو في ذلك يشابه إلى حد ما ما فعله من بعده القنقشندي ، وإن كان
 هذا أنقل عن خيرة مصادر عصره : الحمري في مسالكه

المصادر

- 1- لشر الكامنة لابن حجر عسقلاني ، 97
- 2- الدية وسهانه لابن كثير ، 14 : 64 .
- 3- النجوم والرهرة لابن تعري بردي ، 9 : 249
- 4- تاريخ الأرب الخعراي العربي لكراتشكو فسكي ، 1 : 408
- 5- مدينة دمشق عبد الجعرافي للمنحد ، 209 .
- 6- مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عمار ، 62 .

مسجد دمشق

الذي ما عُمِّرَ على وجه الأرض مثله ، وكانت عمارته في سنة ست وثمانين ،
عمره الوليد بن عبد الملك . ووقع الحريق فيه في سنة إحدى وستين وأربعمائة .
فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة

وعن قتادة قال : أقسم الله بمساحد أربعة . قال «والثين» وهو مسجد
دمشق ، «والزيتون» وهو بيت المقدس . «وطور سينين» وهو حيث كلم الله
موسى ، «وهذا البلد الأمين» وهو مكة . وقال محمد بن شعيب سمعتُ غير
واحد من قدمائنا يذكر أن النبي مسجد دمشق ، وأنهم قد أدركوا فيه شجرة من
تين قبل أن يسيه الوليد .

وعن هشام بن عبد الملك قال : لما أمر الوليد ببناء مسجد دمشق وجدوا في
الحائط لقلي من اسجد لوحاً فيه نقش فأتوا به الوليد ، فبعث إلى الروم وغيرهم
فمن يستخرجوه ، فدلَّ على وهب بن مسه فبعث إليه ، فلما قدم أخبره بموضع
ذلك اللوح ، فبدأ الحائط الذي وجد فيه بناء يهود عليه السلام .

وعن زيد بن واقد قال : وتكثرت الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ،
فوجدنا فيه معارة ، فعرفنا الوليد ذلك فمأكس الليل وفي يديه الشمع ،
فمرل فإدا هي كيسة لطيفة ثلاثة أسرع في ثلاثة أدرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح
فإذا فيه سقف ، وفي السقف رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب عليه .
«هذا رأس يحيى بن زكريا» ، فأمر الوليد فردَّ إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود
الذي فوقه مُعَيَّراً من الأعمدة ، فجعلوا عليه عموداً مُسَقَّطاً لرأس وكانت
البشرة والشعر على رأسه لم تتغير .

وقال أبو زرعة : مسجد دمشق خطه أبو عبيدة بن الخراح ، وكذلك مسجد
حمص . وقبل لما قدم المهدي يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ومعه أبو
عبد الله الأشعري كاتبه ، فقال : يا أبا عبد الله سَقَّ بهو أمية بثلاث . قال : وما
هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت (يعني المسجد) ، لا أعظم على وجه

لأرض مثله ، وبئس المواشي فير لهم موسى ليس بما مثلهم . ويعمر بن عبد
لعرير . لا يكون والله في مثله أند ، ثم أتى بيت المقدس فدخل بصخرة .
فقال . يا أبا عبد الله وهذه رابعة ١

وحكى عمر بن مهدي الأصبهاني ، قال : حسنوا ما أنفق على الكرم
التي في قصة مسحد دمشق . وقد هو سبعون ألف دينار . وقال أبو قصى : أنفق في
عمارة مسحد دمشق أربع مائة صندوق . كل صندوق أربعة عشر ألف دينار
وقال بعض شعراء المحدثين في وصفه .

وما حوثه ربي مراعها	دمشق قد شاع ذكر جامعها
يذكر كنه أطراف من بدائعها	بدعة المذنب في الكرم ما
بليمن والسعد أخذ صانعها	طيسة أرضها مكرمة
فقتله المذنب في حومها	جامعها جامع نحاسر فند
أحب صدق راقب سامعها	تذكر في فضله وفعت
فعمرت به سائر بلادها	قد كان قبله خريق مدهشة
فليس يرحى إيات راجعها	وذهب بالخرق بهجته
فيها تيقب حديق وأصعها	بدا هكرب في لفصوص وما
لا تهرب الریح في مدفعها	أشجارها لا تزال مثمرة
في أرض برعشى بدفعها	كانها من ممر عرس
ويسر يحشى فساد ناعها	فيها نمار نحالها بيعت
الأيدي ولا تجتنى لبائعها	تقص بالخط لا بجارحة
لا قطع الله كف قاصعها	وتحها من رحامه قصع
بان عليها إحكم صانعها	أحكم ترقيمها المرحم قد
وسقعه براحذق رافعها	وإن تهكرت في قاصعه
تحسب اللب في أصلعها	وإن تبيئت حسن قنه
عصف فتقوى على دعرعها	بحرق في مخرمها

وَأَرْضُهُ بِالرُّحَاءِ قَدْ فُرِشَتْ
مَحَالِسُ بَعْلَمَ فِيهِ مُوَيْدَةٌ
وَكُلُّ نَابٍ عَلَيْهِ مَطْهَرَةٌ
يَرْتَفِقُ الْخَلْقُ مِنْ مِرَافِقِهَا
وَلَا تَزَالُ أَسْبَهُ حَارِسَةٌ
وَسُوقُهَا لَا تَزَالُ أَهْلَةٌ
لِمَا يَشْتَدُّونَ مِنْ فَوَاقِهَا
كَتَبَتْ حِسَّهُ مُعَحَّلَةٌ
دَمْعُ بَرْغَمِ الْعَبْدِ مُسَلَّمَةٌ
يَنْفُحُ بَطْرَفُ فِي مَوْصِعِهَا
يُشْرِحُ الصَّدْرُ فِي مَجْمَعِهَا
قَدْ أَمِنَ النَّاسُ رَفْعَ مَانِعِهَا
وَلَا يُصَدُّونَ عَنْ مَافِعِهَا
فِيهَا لَمْ تَشُرْ مِنْ مِشَارِعِهَا
بِزْدَحَمِ النَّاسِ فِي شَوَارِعِهَا
وَمَا يَرِيدُونَ مِنْ بَصَائِعِهَا
فِي الْأَرْضِ لَوْلَا سُرى فُجَائِعِهَا
وَخَاطِهَا اللَّهُ مِنْ قَوَارِعِهَا

وقال عبد الله بن سلام : بأشأَمَ من قبور الأنبياء أنفا قبر وسعمائة قبر ،

وقبر موسى بدمشق معقل أناس في آخر الزمان

وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما أمه طاب . من أراد أن ينظر إلى الموضع
الذي قال الله عز وجل فيه : ﴿ وَأَوْدَعْنَاهَا فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ ذَابِقًا قَرِيرًا وَمَعِينًا ﴾ فليأت
أشرب الأعشى بدمشق بين تكهين ، وليصعد بعدد في حن قاسيون فليصل فيه .
فإنه بيت عيسى وأمّه . ومن أراد أن ينظر إلى إرم ، فليأت بهراً في دمشق فيمال له
بردى . ومن أراد أن ينظر إلى مقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون ،
فليأت مقبرة الفراديس .

ومن حصائصها انتفح الذي يصرب به المثر في الحُسّ والطَّب ، وقد
يُحْمَلُ مِنْهُ إِلَى الْخَلَفَاءِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثُونَ أَلْفَ تَفَاحَةٍ .

وبها لغوطة ، وهي أحد مسرّدت لدب لأربعة ، وهي أحلّها . وسندكر
وصفها في باب الرِّبَاصِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(نهاية الأرب سوري ، 1 : 328)

* * *

غُوطَة دَمَشَق

غُوطَة دَمَشَق الَّتِي هِيَ شَرَكُ الْعُقُولِ وَقَيْدُ الْخَوَاطِرِ ، وَعَقْدُ الْمَوَاسِمِ وَبُرْهَةِ
الْمَوَاطِرِ ، حَلَّحَتِ الْأَنْهَارَ أَسْوَاقَ أَشْحَارِهَا ، وَجَسَّتْ أَسَاءَ خِلَالِ دِيَارِهَا .
وَصَفَحَتْ أَيْدِي السَّمَمِ أَكْفَ عُدْرَانِهَا ، وَثَلَّتْ فِي بَطْنِهَا مَوَئِيسُ أَعْصَابِهَا .
يَحَالُ سِنَكُهَا ابْنُ الشَّمْسِ قَدْ تَرَتَّ عَلَى ثَوَانِهِ دَسِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبِصَهَا بِيَدِهِ ،
وَيَتَوَقَّعُ الْمُتَأَمِّلُ شَمْرَ هَذِهِ أَنْهَا أَشْرَبَةُ قَدْ وَفَّقَتْ بَعِيرَ أَوَانٍ فِي كُلِّ أَوَانٍ . فَيَا لَهَا مِنْ
يَاصٍ مِنْ بَطْفِ نَزَرِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُلِقَ فَقَدْ قَصُرَ . وَمِنْ عِيَاصِرٍ مِنْ مِمَّ يَشَاهِدُهَا
فِي إِبْنِهَا فَقَدْ فَتَنَتْهُ مِنْ عَمْرِءٍ لِأَكْثَرِ

(نَهاية الأرب لسويري ، 11 ، 261)

GEOGRAPHIE D'ABOULFÉDA

TEXTES ARABES

PAR

D'APRÈS LES MANUSCRITS DE PARIS ET DE LÉYDE

ET CORRIGÉS

PAR M. REINAUD

CHIEF DE BUREAU AU MINISTÈRE
DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE

M. L. B. MAUGUIN DE STAMP



PARIS

PAR LA MAISON DE LA LIBRAIRIE DE LA RUE DE LA HARPE

À L'IMPRIMERIE ROYALE

M D C C X L

رامور طبعة كتاب «تقويم البلدان» لأبي العلاء، طبعة باريس 1840 م



مدخل المدرسة الطهرية ومقرصاته الرائعة ، أهم وأجمل مبني مموكي بدمشق



تفصيلة من مقربص المدرسه الطاهرية
تحمل اسم معمارها ابن عمائم المهندس



رست لمبت أناصر لوج من برقوق عى
قطرة الباب الشمالى للقلعة مع كتابات



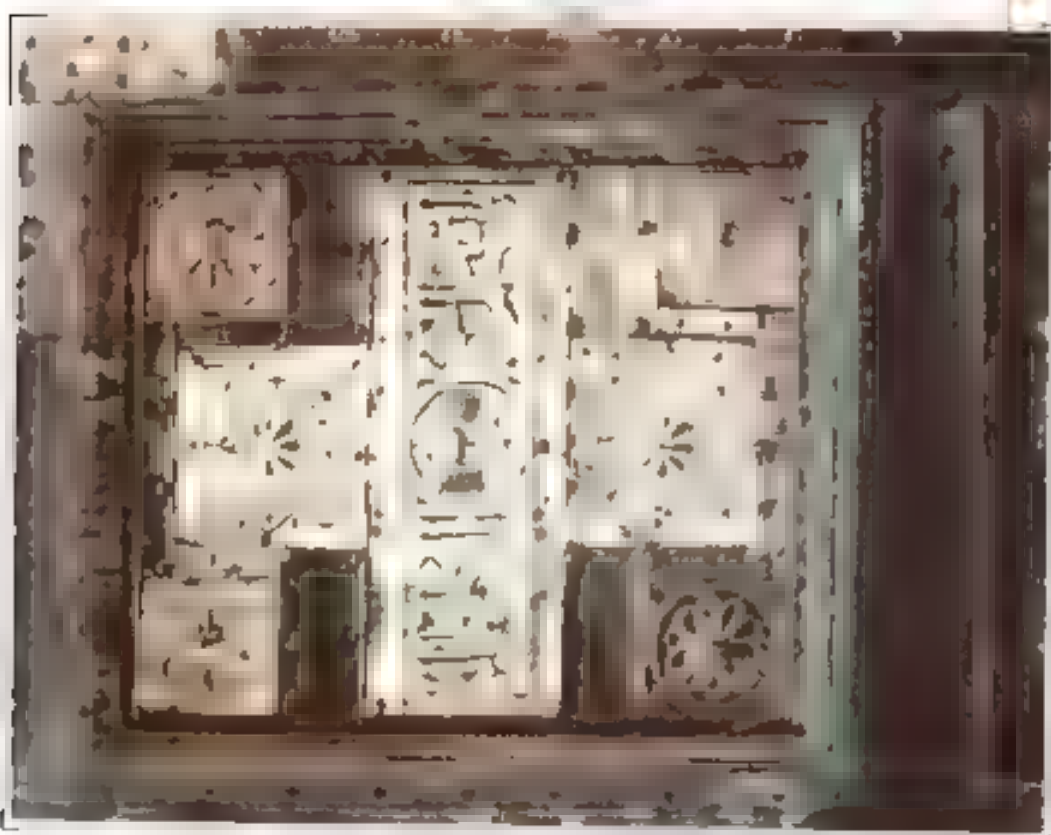


صورة من قنصوة العود





نقش الارض من اوتة ب شخصيه محرمه ذموى ، يحملان اسم الملك الناصر و - - - - -





تفصيل لأعلى منبره جامع تنكر، إحدى أهل أربع مآذن بدمشق المملوكية



مشهد من الأعلى لصحن جامع تدمر ومئذنته القديمة ، بني عام 718 هـ



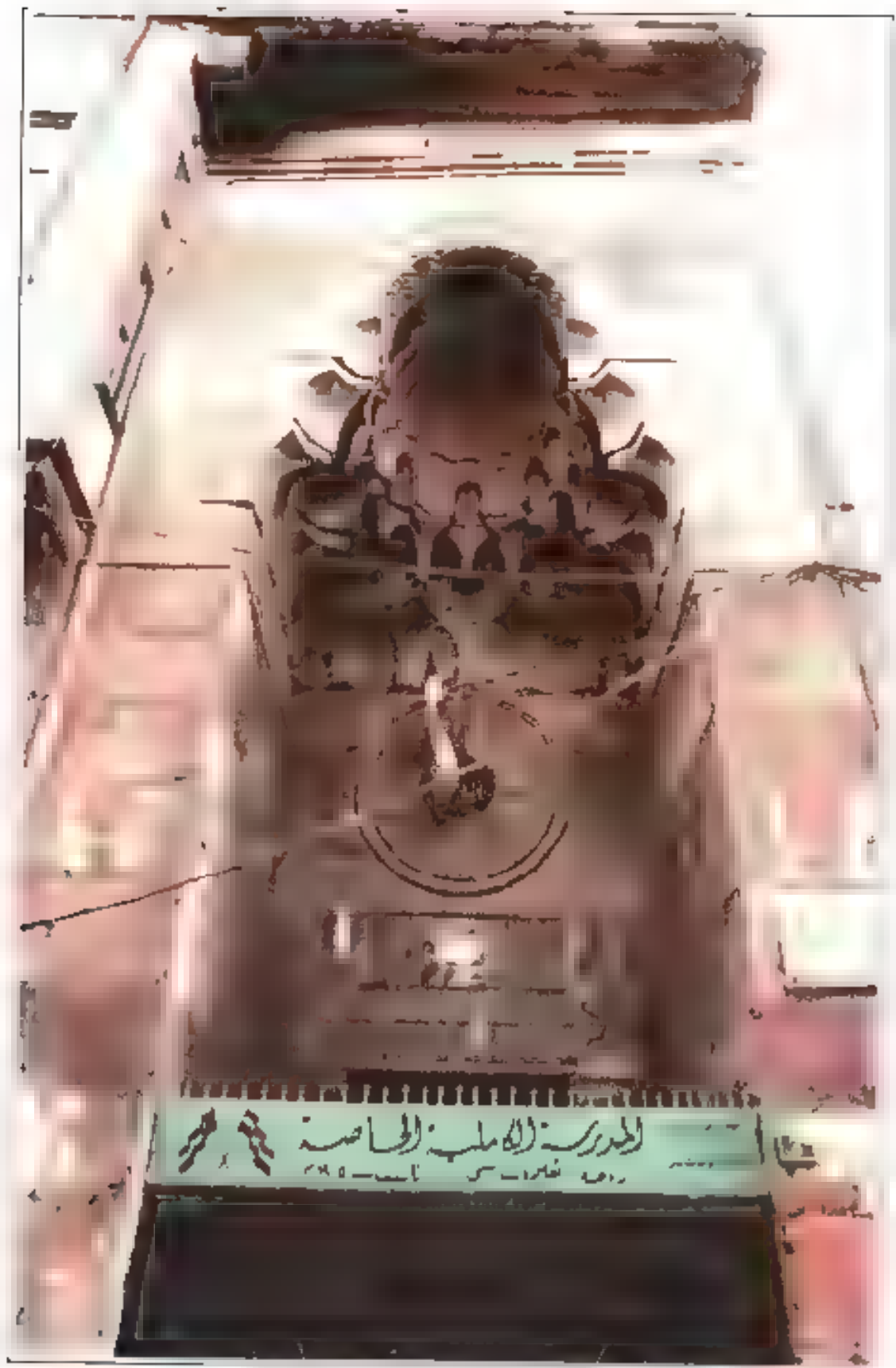
تغصیل لأعلى مثلثة جامع تنكر، إحدى أهر أربع مآذن دمشق المسوکیة



منارة جامع بصرى بصفحة الساعة في الجهة الجنوبية من الجامع



در انفراد واحد یت الکریم شرقی سوق سروریه ، نست عم 739 هـ



دار القرآن والحديث الشكرية شرقي سوق البورقية، بُني عام 739 هـ



طاحون لأمر سيف الدين منحت عربي قرية انكسوة على فرع نهر الأعوج



تفصلة قنطرة عقد فوق فرع النهر ، منها يدخل الماء إلى أحالون



تفصله للكنيسة السامريّة لكنيسة التي تميزها بصعوبة اسم الأمير منجك



تفصله بين ركن الأمير منجك عن الصالحين ، شكل سقف معبد



فصل الله العمري شرفي، مملوكة لزوجته، موصعة الحلي المحدد



فصل الله العمري، مطر، واجهته بعمرنة والعقد الزاكب على الدرب

صَفِيّ الدّين البغدادي

(توفي 739 هـ / 1338 م)

عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله البغدادي الحنّلي ، أبو الفصائل صفيّ الدين ، ولد بعدد عام 658 هـ . شيخ العراق في القرن الثامن الهجري ، ارتحل إلى دمشق ومكة ومصر وسمع الكثير من علماء هذه الأقطار فضلاً عن العراق ، مهر في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والمساحة . له مؤلفات كثيرة في الفقه ، وختصر كثيراً من الكتب الفقهية ، وكذلك اختصر تاريخ الطبري المشهور .

وتمّ اختصاره أيضاً كتاب «معجم البلدان» لدائع أصبّ ليافوت الحموي ، وسمّاه «مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع» . وقد فعل ذلك بعد مئة عام من تأليف ياقوت لمعجمه ، هذا رغم أن ياقوتاً حذّر في مقدمته من أن يختصره . أحد بقوله «ولقد التمس مني الطلاب اختصار هذا الكتاب مراراً فأبيت . ولي على ناقل هذا الكتاب والمستفيد منه أن لا يصيغ نصيبي ونصيب منسي له ونعي ، بتهديد ما جمعت وتثبتت ما كُتبت . فإن أحببني فقد برّرتني ، وإن خالفني فقد عففتني ، والله حسبك في عقيب الدار!» .

وأول من نشر «مراصد الاطلاع» كان المستشرق الهولندي تيودور يوبول T. Juynbol. في لايدن بهولاندة عام 1850 م . وصدرت هذه الطبعة في ستة أجزاء . حظها ناشرها بكثير من العناية والاهتمام . ويوم صدرت أنارت في الأوساط العلمية بأوروبا حدلاً كبيراً بحصر من يستنها إلى مؤلفها . فقد وضع استشرق

الفرنسي Renaud ذلك ثلاث فرصات فيما أن يكون المؤلف صهي
 لذين ، أو حي ياقوب صه (وهذا مما يستبعد حكماً لنسب الذي ذكره آنفاً) ،
 أو للمؤرخ السيوطي المشهور غير أن هذه الفرصات كلها تلاشت مع الأبد ،
 وانتبت في عُرف الباحثين يوم أن مؤلف «مراصد الاطلاع» ما هو إلا صاحب
 البعادي دأته

هذا وقد صدرت في القاهرة طبعة أخرى بكتاب ، بعناية علي محمد
 السخاوي عام ١٩٥٤ ، وعنها نقلت النص الحاضر بدمشق ومن الواضح أنه نص
 مبتور لا يعني شيء ، ولولا قصد الجمع لكنت أهملته أصلاً

المصادر .

- مراصد الاطلاع للبعادي ، بمقدمه استاذي
 الدرر الكامنة بلخسفلاني ، ٢ / ٤١٨
 شذرات الذهب لاسماعيل الحسي . ٦ / ٢١ .
 تاريخ الأدب الجعري ، لكراتشكوفسكي ١ / ٣٤٣
 مدينة دمشق عند الجغرافيين للمخد ، ٦ / ٢

دمشق

دمشق : بالكسر ثم لفتح وشين مُعجمه وآخره قاف ، ابلده اشهورة
وقصة الشام هي جنة الشام الحُسْن عمارتها ويُقَعَتها ، وكثرة أشجارها
وفواكهها ، ومياهها المتدفقة في مساكنها وأسواقها وحامعها ومدارسها

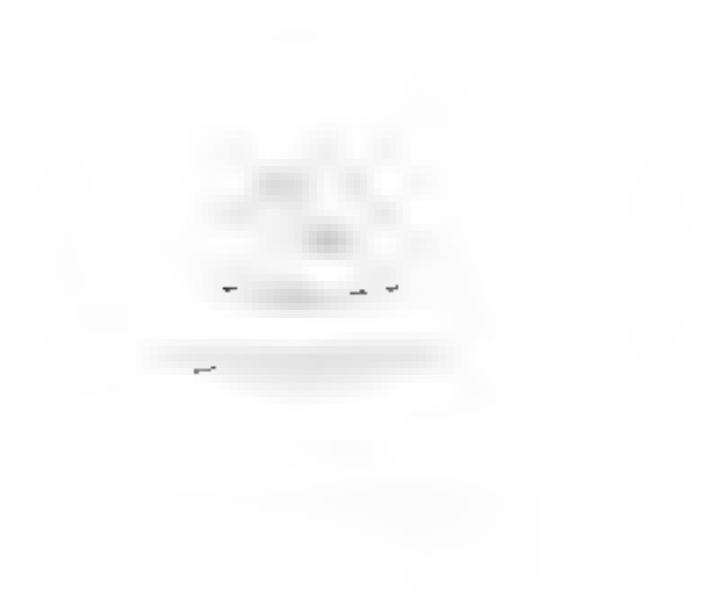
قيل : سُميت بذلك لانهم دَمَشَقُوا في بنائها ، أي أسرعوا . وقيل هو
اسم واضعها . وهو دمشق بن كنعان وقيل غير ذلك وهي مشهورة

(مراصد الاطلاع للجنادي ، 2 : 534)

* * *



منظر من داخل قصر العظمى



ابن فضل الله العُمري

(توفي 749 هـ / 1349 م)

وصفه لدمشق بين عامي 738-749 هـ

أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمري الدمشقي ، كاتب كبير عاش في العهد المملوكي بدمشق ، ومولده فيها عام 700 هـ . نشأ في أسرة علم عشت في ظل السلاطين ، ونال ثقافة رفيعة أفردته في عصره . وتولى كتابة أسرار السلطان في مصر ثم كتابة الأسرار في الشام ، برأى وسمع وعرف ما لم يره أو يسمعه أو يعرفه غيره . أوتي ثقافة واسعة في الشعر والتاريخ ومعركة الممالك والمسالك والأقاليم ومعركة الأسطرلاب ، وحل التويم وصور الكواكب . شهد براعته كثيرون ، وعلى رأسهم صلاح الصمدي ، وقال ابن شاكر الكتبي ممتدحاً كتابه «مسالك لأبصار» : «كتاب حافل ما أعظم أن لأحد مثله»

صنف العُمري كتاباً هاماً في أصول كتابة الدواوين ، سماه «التعريف بالمصطلح الشرف» ، وهو مصدر هام للتاريخ والجغرافيا التاريخية . أم كتابه «مسالك لأبصار في ممالك الأمصار» ، فهو من نواذر تراثنا العربي وأكثرها مادة وأوسعها أطرافاً ، وهو من أضخم وأحسن الموسوعات الجغرافية والكورموغرافية الشاملة للمعارف العامة التي شاعت في العهد المملوكي إبان القرن الثامن الهجري ، فقد فاق به اليعتوق في «مناهل العُكر ومناهل العُبر» ، والتويري في «نهضة الأرب في فنون الأدب» ، على اختلاف في مادة كل كتاب . ولا ريب أن هذا يرجع إلى بيئة العُمري التي عاش فيها وثقافته التي اكتسبها وإساصب التي تولّاها .

فكان كتابه بحكم ذلك كله عيباً حاداً ، يمتد بسعة اداة ودقة الملاحظة وحسن الاحتير ويدو فيه جناً رأي المؤلف وجهده وشخصيته فهو لا يكتفي بالجمع بل نجد فيه أثر ثقافته واصحاً

والمؤسفة أن أثر غمري الكبير «مسالك الأبحار» الباع في مخطوطاته لأصلية 27 مجلداً (وفي بعض نسخ 32) لم يُشر نشره كمله إلى يومنا هذا ، خلا الجزء الأول منه فقط الذي نشره بالقاهرة أحمد ركي باش عام 1924 ضمن مطبوعات دار الكتب المصرية . وعدا ذلك ظهرت منه قطع متفرقة نُشرت و نُقلت إلى الفرنسية والإنكليزية والألمانية ، وغالب ما نُشر أو نُقل إلى هذه اللغات يتعلق بالبلدان ، دون سواها من مواد الكتاب

ولقد كتب عنه كل من كاترمير وأماري وتيريهورن وشيفر ونشره حسن حسني عبد نوح اب بتونس عام 921 ما يخص أفريقية والمغرب والأندلس . ونشر فرائس تيسر بلايتسيل عام 929 ، قسماً يتعلق بمملكة الأتراك ، ونشر كلاوس ليح في أدب عام 1968 قسماً يتعلق بممالك بيت جسيك خان ، ونشر أيمس فؤاد سيد في القاهرة عام 1984 قسماً يتعلق بمملكة مصر والشام والحجاز واليمن ونشرت دوروت كرافولسكي قسماً عن قبائل العرب في بيروت عام 1984 ، أنعمه بدرسة وإهمية بعنوان «مسالك الأبحار - دولة المماليك الأولى» مع نصوص من أصول الكتاب المخطوطة ، صدرت في بيروت عام 1986 .

ثم قام الباحث التركي فؤاد سرگين بنشر نسخة مصورة من مخطوط الكتاب الأصلي المحفوظ بمكتبة قصر طوب دابي سراي بإستنبول في 27 جزءاً ، أصدره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت عام 988-1989 وفي أيامه يقوم بإعادة نشر الكتاب المجمع النهائي في دوة أبو طسي ، وسنظر أن يتم كاملاً بطبعة عمية مسوونة على عرار ما سبقه إلى النشر من موسوعات عصره ، مثل «نهاية الأرب في فنون الأدب» لمؤيري ، و«صُبح الأعشى في صناعة الإنشا» لعلفشندي ، و«استلوك لمعرفة رُؤل الملوك» للمقري ، وغيرها .

شهد الصمدي بأن ابن فضل الله كان إمام رفته في معرفة المالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان ، وهذا يبدو أوضح ما يكون فيما كتبه عن مصر والشام وما عقده من مورثة بينهما . فقد أتيح له أن يعيش فيهما رماً يطلع نصف قرن بين 700-749 هـ ، فتحدثت عنهما حديث المشاهد ووصفهما وصف العارف وتحرى في كل ما كتبه الصحة كما قال : « لكوني من أهل هذه البلاد وتحت ظل ملوكها ، ورستُ أن وأبائي في بعم سلاطنها . فمعاذ الله أن أقول إلا حق ، أو يسطر عني غير الصحيح ، لا سيما فيما يتحدث به جيل بعد جيل » .

شرح العمري في تأليف «مسالك الأبصار» لما عثُر وصُور ، أثناء الترسيم (أي الإقاعة الحرة) الذي فرضه عليه السلطان الناصر محمد ابن قلاوون بمصر عام 738 هـ ورام حتى عام 740 هـ . واستمر يساع تأليفه في داره بدمشق بجسر النحاس على نهر بريد ، فمات كهلاً عام 749 هـ في طاعون دمشق دون أن يتعمه وجعله في قسمين : الأول في الأرض والثاني في سكان الأرض .

ووصف العمري لدمشق جاء في فرة شهد فيها المدينة ذروة بهائها وغناها العمراني ، و انتشار الرخاء والأمن ، خلال عهد الناصر وبائه بادشام الأمير سيف الدين نكر الناصري ، الذي ولي بالمدينة بين 12-740 هـ وكان من أدنى مقربي السلطان . ثم تغير عليه الناصر وأمر بإعدامه في عام 740 هـ ويتضح من خلال نص ابن فضل الله ، أنه قد كتب بعضه أيام تولي سكر ، بدلالة قوله : «وقد بقي في هذه السنين نائب لسلطنة بها على الشرف الفبي منها جمع بديعاً تليه تربة صخنة ، ودرأ ملوكيه» أما النقص الآخر فقد أثمه بعد مقتل سكر ، فهو يذكره في أواخر نصه عن الشام ثم يردف بقوله : «رحمه الله»

ذكر العمري دمشق موضعه لأم في أماكن عدة من كتبه ، أبرزها ما تحدث به عن مسجدها في الجزء الأول ، ثم ما تحدث به عنها مقابلاً بإياها عصر . فعند ذكر القاهرة وأمورها وما فيها من وظائف وروع وأنهر ورياحين ومباني ومدرس وما يتداول فيها من نقد ، نجد كلاً ما ذكر ما في مصر رده بما كان في الشام .

وهذا الفصل من كتبه هام لدراسة الشام ومصر في النصف الأول من القرن
الثامن الهجري ، إبان دروة لهصة الحصارية لمصر و نشم في عهد دولة المماليك
الحرية . وبخاصة عهد السلطان الناصر محمد ابن المنصور قلاوون ، الذي
سقط بولايته الثالثة بين 709 - 74 هـ . وعلى ذلك فهو أول نص مفصل عن
القطريين في دولة المماليك الأولى يصلنا من كتاب معاصر لها .

ثم إنه عند كلامه على الشام ومُدنُها تحدث عن دمشق ، وهذا الفصل من
أحسن ما وصفت به المدينة في القرن الثامن ، فقد فاق ما كتبه عنها ذلك التويري
في «بهاية الأرب» ، وشيخ لرؤوه في «نحة الدهر» ، وأبو لمداء في «تقويم
المدائن» ، وابن عبد الحق العدادي في «مرصد الأطلالع» . بل هو فاق ما كتبه
ابن بطوطة في نقرن عنه من بعض التوحي ولا يصارعه في جمال صورته
وأدبه عارته إلا ما كتبه أبو ابقاء الدردي عن دمشق في القرن التاسع

ونقل العمري عن تقي الدين في كتابه «سرور النفس» بعض ما يتعلق بتدريج
دمشق . غير أن نص تقي الدين نفسه مذكور عن ابن عساكر ، ولا بدري لما لم
يقول عنه . أما ثم أضيف إلى ذلك مواداً من عنده هي ثمرة معرفته وملاحظته
الخاصة ، فذكر ما فيها من الوظائف ، وحزائن السلاح ، والصناع ، ووصف
الماني ، والمدبار ، والسائقين ، والحواسر ، والأنهار ، والبقعة وكذلك حصر
فحصر لأبلق الذي شده لملك الطاهر بيرس بوصف دقيق ، ووصفه لشقيق هذه
يعد - من بعد وصف الحميري - أهم وثاني أقدم ذكر له

هذا ويسرى أنه ما أن لقلقيشاي نقل عن العمري عاب وصفه بدمشق
بمقطه ، ولم يصف إليه شيئاً د شأن رآه هو بنفسه ، رغم أن وفته تتأخر عن
العمري بما يعرف من سبعين عاماً . وعلى هذا فإن كثيراً مما ذكره القلقشدي عن
بلدن في صُحُح الاعشى لا يمثل عصره بتماماً ، لأنه نقل عن سبفه ولم يصف
شيئاً جديداً . يه يرى انوصف الذي كتبه العمري عن دمشق ولم يبقه عن غيره ،
عياً صادقاً وأصيلاً ، بل من فيه لدقة كما تظهر لنا فيه شخصية كاتبه

اُحترت من «مسالك الأبصار» ما يتعلق بوصف دمشق ، ورحلت في ذلك إلى شرة أستاذي صلاح الدين المسجد لصادره في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، المجلد لثالث 1957 ، ص 113-117 وصححتها على طبعة سرگين المصورة من مخطوطة طوب قاين (رقم 2797) ، وعلى ما نشرته كرافولسكي من المتن ، بالترجوع إلى مخطوطتي آيا صوفيا (رقم 3416) وطوب قاين وفي النص لتاني ، دمرت بالحرف (ص) لترقيم نسخة آيا صوفيا ، الجزء 3 ، أما لترمز (ط 2) فيعني نسخة طوب قاين ، الجزء 2 من المخطوط

ثم نقلت بعد ذلك ما جاء في وصف الجامع الأموي وديارات دمشق ، عن الجزء الأول من الكتب ، طبعة أحمد ركي پاشا بالقاهرة ، 1924 .

المصادر :

- مسالك الأبصار للعمري ، الجزء الأول طبعة دار الكتب المصرية ، 178-203
 مسالك الأبصار للعمري ، طبعة سرگين المصورة عن مخطوطة طوب قاين
 وصف دمشق في مسالك الأبصار للمسجد ، مجلة معهد المخطوطات ، محمد 3
 مسالك الأبصار دولة المماليك الأولى لكرافولسكي ، 91-170 ، .
 التعريف بالمصطلح الشريف ، مقدمة الدروبي .
 البدايه والنهاية ، لابن كثير ، حوادث 739-768 هـ .
 الذرر الكامنة للعسقلاني ، 1 : 331 .
 الوافي بالوفيات للصعدي ، 8 : 252
 فوات الوفيات لابن شاكر ، 1 : 157 .
 تاريخ ابن قاضي شهبة الأسدي ، 1 : 570
 تاريخ الأرب الخمرافي العربي لكر تشكوفسكي ، 1 : 410 5 4
 مدينة دمشق عند الخمرافيين للمسجد ، 218 .
 دائرة المعارف ، بإدارة هزاد أفرام البستاني ، 3 : 430

دار الكتب المصرية

أحياء الآداب العربية

مسالك الأبيات

في

ممالك الأمصار

لابن فضل الله العنبري

محقق

الأستاذ أحمد زكي ناش

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٢ هـ - ١٩٢٢ م

نموذج الطبعة الأولى للجزء الأول من «مسالك الأبيات»

من الباب السادس في مملكة مصر والشام والحجاز

قلتُ : وأما الشتاء فيُزرع عابه على المطر ، وهو من جميع ما ذكر في مصر من الحبوب ومنه ما هو على سقي الأنهار وهو قنبل ، وبها أنواع لأشجار وأجناس الثم [ط 2/382] من التبر ، والعب ، والرمث ، والسفرحس ، والسبح ، والكمثري ، والأجاص ، والقراصيا ، والتوت ، [ص 128 ب] والفرصد ، والمشمش ، والرعوور ، والخوح ، وهو المسمى عندهم الدرقس ، وأجلها بدمشق من غالب ذلك على أنواع موعة وأجناس متعددة شتى

ومنها فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالتمرجل ، والتفاح ، والرمثان ، والعنب ، وبها الخوز ، واللوز ، ولقسط ، والندق . وبها الليمون ، والأبرج ، والسارج ، وكند ، والمور ، وقصب السكر من أعوارها يُجعل إليها من نحو يومين وزيد . وبها يطبخ الأصغر والأحضر على أنواع ، والخيار ، والفت ، والبقطين ، واللقب ، والحرر ، والقسيط ، والهلبيون ، والدنجل ، والملوحة ، ولقنة اليمامية ، والرجلة ، وغير ذلك من أنواع الخضروات المأكولة

وبهردمشق اخاص به «بردا» ، وبها عبره من البناسم والأنهار ادة ليماء حولها .

وبها الإوز ، والدجاج ، واحمام وكثير من أنواع الطير . ولا تكون لغراريج إلا بحصانة لا كما يُعمل في مصر . وبها ذكر أنه جاءها شخص من مصر في زمن المصيف وعمل بها في حاصرة العقبيّة معمل الغراريج ، وطلعت به الغراريج . فلما أتى زمن الخريف لم تطلع معه وحسر وترك ذلك وعاد إلى مصر . وأسعار اللحم أرخص من مصر . وأما الدجاج فطيرها ، وأما الإوز فأغنى

وبها يعمل متوسط ، ويُعمل بها السكر ومنه المكرر ، وهو يأخذ من سعره بمصر ، ولا يكثر .

() والت في ذلك بالطبع أن معدل درجات الحرارة في إقليم الشام أحمض شتاء من مصر

وبها أنواع للرياحين - الآس ، والورد ، والنفسح ، والتيلوفر ، والخلاف ،
والترحس ، والمنشور ، والياسمين ، ولترجيزن ، والمرنجوش ، وانمّام .
وتسريز - وإلى وردها وبمسجها الهدية ، حتى أنه عطل وزدّها وما يسحرح
من مائه ما كان يُذكر من حوري بصير - وماء الورد يُقلّص [ص 129] إلى غالب
السلاسل

وبشام سريّون أكثر ، ومنه يُحصّل إلى كثير من السلاسل - وبها أشياء كثيرة
خاصة بها .

وعلى مدي الشام بالبحر ، ودورها أصغر مقادير من دور مصر - وكما
أريد رحره منها - وبها كان الرُخمة بها أقل وإما هو أحسن نوع - وعناية أهل
دمشق بالماني كثيرة ، وبهم في سببتهم منها ما تفوق به [ط 2، 383] وتحسن
أوصاعه - وبها كتب حلب أجل بناء عديتهم بالبحر ، فدمشق أرين وأكثر روناً
تحتكم الماء على مدنتها ونسبلة غير جمع واهيه

وبجمع الشام وحولها خير كثيرة ، من المدارس ، والخوانق ، والربط
والرؤوب للرحا والساء - والناز مشاب - وأوقاف البر والصدقات على اختلافها ،
وخصوصاً دمشق فإنه لا يُطوّل في ذلك باعها ولا يُحاول في هذه العناية ارتماعها
فأما مسجدها الجامع فهو الفارق بينها وبين ما سورها ، والناق بحسنه على كن
المدي

وفي هذه المملكة مصر والشام من محسن الأشياء ولطائف لصايع ما
كهي شهرته - وبها من أنواع الصبّاع في الأسحج ، والعماش ، والزرّكش ،
والمصنوع ، والكفت ' وغير ذلك كما يكاد يُعَدّ تفردها به ، والرمّاح التي لا يُعمل
في الدنيا أحسن منها .

(1) لتكعب من صنائع دمشق لمخصوصة السبعة ، يتم تشطيب سطح المشغولات المعدنية ، ثم
تطيرها بحيط نضّة أو الذهب الخالص عن طريق الدق - وانتقلت الصبغة إلى طليعتها
بالأندلس باسم Damasquinados وفي الفرسية تسمى Damasquinage

ذكر المملكة الثانية

وهي مملكة الشَّام

وقاعدتها مدينة دمشق وكنت شَّام يقال بها رص كنعان ، ثم جاء بنو إسرائيل فقتلوه به ونفوههم عنها ، وبقيت الشَّام لبني إسرائيل إلى أن غلبت عليهم الروم وانتزعوها منهم ، قال التيماشي في كتاب «سرور القصر» ،

قال الشريف الإدريسي في حدود الشَّام : إنها من المشرق الحريرة بيسه وبين العراق ، وسميت الحزيرة لأنها بين بهري دجلة والفرات ، وهي أدنى الأرض التي ذكر الله عز وجل في سورة الروم ومن بلاد الحزيرة بسوى مدينة بوس عليه السَّلام ، وقاعدتها ليوم الموصل ومنها الرقة وبصيين وريار ربيعة وبسي تعب والحزيرة هي التحوم الفاصلة بين الشَّام والعراق ، وحدها تَهْران : دجلة والفرات . وحدود الشَّام من الجنوب وادي القري ، ومن الغرب عسقلان والحاحر لذي بين البحرين حيث مداخل لوط عليه السَّلام وطوله أكثر من شهر وبحوء ، بعضه في الإقليم الرابع وبعضه في الثالث والتوجه في قلته إلى الميراب إلى الركن الشامي من جهة الشرق ، وأكثر أهله يمر ، وفيهم معدية

ثم قال . اص 158 ب أروى الخاطب بن عساكر أبو القسم عبي بن الحسن في «ريح لَشَّام» بسنده إلى شعبي قل لما هبط آدم من الجنة ونشر ولده رُح بنوه من هبوط آدم . وكان [ط 2/ 429] ديث التَّاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرَّحو بمبعث نوح حتى كان العرق فهلك من كان على وجه الأرض فلما هبط نوح وُرَيْته وكل من كان في السفينة إلى الأرض . قسم الأرض بين ولده أثلاثاً فجعل بسام وسط الأرض ، فيها بيت المقدس ، والليل ، والفرات ، والدجلة ، وسيحان ، وحيحان ، وذلك ما بين قُسيون إلى نهر دجل ، وما بين منحر الريح الجنوب إلى منحر الشمال . وجعل لحام قسمة عربي الليل فما وراءه إلى منحر ريح الدبور وجعل قسمة يافث في قُسيون فما وراءه إلى منحر ريح الصَّبا . ثم تفرَّق بنو نوح من بابل إلى سائر جهات لأرض ، فلحقَّت كل طائفة منهم بجهة

وفي رواية الخافظ من طريق آخر عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

كان الذين عقد بهم الألوية ، يعني ودسوح عبيد السلام ، فنزل بسوسم
لمحمد سرّة الأرض ، وهو ما بين سديلم إبي لبحر ، وما بين البصر إلى الشام
وجعل الله السوءة ، والكتاب ، والحدس ، والأرمة ، والناصر فيهم .

ونزل بسوحام محري الحبوب ، ونسور ، ويقال لتلك الناحية الداروم
وجعل الله فيهم أدمّة وببصاً قليلاً ، وأعمر بلادهم ، ورفع عنهم الطغور ،
وجعل في أرضهم الأثل ، والأراك ، والعُشُر ، والعدر ، والنحل ؛ وحرب
الشمس والقمر في سمائهم .

وبويافث الصقور مجرى لشمال [ص 159 أ] والنصبا ، وفيهم خُمرة
وسبّ ، وأحلا الله أرضهم ، فاستدبردها ، وأحلا سماءهم فليس يجري فوقهم
شيء من الحجوم لسعة الخارية لأنهم صدروا تحت سات بعش ، ولحدي
ولمرقبين ، واستنوا باطاعون .

ثم لحقت عدد بالشجر فغلبهم فهلكوا بوز يقال له معيث . وخفت عييل
موضع يثرب ، ولحقت العماليق بصعاء قبل أن تسمى صعاء ثم انحدر بعضهم
إلى يثرب فأخرجوا منها عيلاً وبروا موضع الخُحمة ، وأقل سبل فاحتجبتهم
فذهب بهم سميت الخُحمة . وخفت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم وخفت
طسم وجديس بليمامة ، وإعاسميت البمامة بمرأه منهم ، فهلكوا [ط 2/ 400]
وخفت أميم بأرض أن فهلكوا بها ، وهي بين ليمامة والشجر ؛ ولا يصل اليوم
إيها أحد ، غلب عليها الحنّ ، وسُميت أدر بأرض أميم . وخفت بسويقص
ابن عابر باليمن فسُميت اليمن حين تيامنوا إليها

ولحق قومه من بني كنعان بن حدم بالشام فسُميت الشام حين تشاءموا إليها
وكانت الشام يقال لها أرض كنعان ثم جاء بني إسرائيل فقتلوه بها وبموهم عه ،
وكانت الشام لبني إسرائيل . ووثت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم وأجلوهم
إلى لعراق إلا قليلاً منهم . وحاءت لعرب فغلبوا على الشام

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأسارى : لشام فيه وجهان ؛ يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشؤمى وهي اليسرى ، ويجوز أن يكون فعلى من العلوم ويقال أنجد ؛ أتى نجداً ، وأعرف ؛ دخل العرق ، وأعمس ؛ أتى عمداً ، وأشام ؛ أتى الشام [ص 159 ب] ، ومَصْر ، وكَوْف .

وفي التريل العرير . «وأصحابُ المشأمة» ، ورجلُ شَم من أهل الشام وسُميتَ ديمس لأنها عن يمين الكعبة ، وسُميت الشام لأنها عن شمال الكعبة قيل : كان اسم الشام أول الأمر سُورِيَّة⁽¹⁾ .

* * *

(1) هذا تحوُّلٌ علمي طُبِّح من المؤلف ، فهو يعم بفتح تـ بـانـهـدـهـمـسـأـلة لاهمة حول اسم سورية antiquum . وإن كان كتاب العربية على امتداد العصور قد اقتصر وأعلى سم (الشام) فقط للإقليم الجغرافي الطبيعي ذاته ، الواقع في أقصى غرب قاره آسيا ، شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط ، والذي يضم سورية ولبنان وفلسطين والأردن أم حول اسمية القديمة (سورية) ، فأول من تطرَّق إلى بحثه في عصره كان المنشرق الألماني الشهير ثيودور نولدكه Theodor Nöldke في عام 1871 م ، وهو يرى أنها تسمية يونانية Συρία ، أطلقت بالأصل على بلاد آشور (آشوريا باليونانية) ، ثم انتقلت للدلالة بعد سقوط بيسوى لآشورية عام 612 ق م وتوسعت جغرافياً لتشمل المنطقة المتاخمة لها عربياً (أي قلم سورية الطبيعية)

واعتبر المؤرخ الإغريقي الكبير هيرودوتس التسمية شمن سائر مناطق بلاد الشام كالتالي سورية الداخلية الشمالية سورية الساحلية (بيضة) سورية الحوية (فلسطين) وفي وصفه لوفد الحرب الفارسية - اليونانية الثانية (480 - 479 ق م) ، أورد في تاريخه الشهير (الكتاب السابع ، 63) في وصف حدود لآشوريين ، مؤلفين من مختلف شعوب الإمبراطورية الفارسية «وكان اليونانيون يسمونهم سوريين ، والرايرة آشوريين» هذا ما أراد الأصوب في اشتقاق اسم سورية ، برغم تعدد الآراء العلمية وتباينها الكبير

ذكر دمشق وبنائها

روى عن كعب الأحبار قال : أول حائط وُضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل . وفي رواية أخرى أن نوحاً لما نزل من الجبل أشرف فرأى تل حران بين نهري حناب وديصان فأناه فبنى حائط حران ثم سار فبنى دمشق ، ثم رجع إلى بابل فبناها .

وفي رواية أخرى ، أن حيرون بن سعد بن عاد بن عُوص بن دمشق وبنى مدينتها وسماها حيرون . وهي «بَرَم دَت العمد» ، وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها دمشق . قال الخياط : وجدت في بعض نكتب أن حيرون وبريد كانا أخوين وهما بنو سعد بن لقمان بن عاد وهما اللذان يُعرف حيرون وباب الريد بدمشق بهما .

وفي رواية عن وهب بن منبه قال : ودمشق بناها اعمار عظام إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، وكان حشيشاً [ط 2 / 411] وهه به عمرو بن كنعان حين حرق إبراهيم من اسار . وكان اسم لعلام دمشق ، وكان متصرفاً في جميع مال إبراهيم .

وروى الخياط أنه وجد في كتاب أبي عبيدة ابن المشي المسمى بـ «قصائل قرس» أن بيوراسب الملك الكرمي بنى مدينة بابل ، ومدينة صور ، ومدينة دمشق .

[ص 60 أ] قال الخياط : بلغني من وجه آخر أنه لما رجع ذو القرنين من أشرف وعمل سد بين أهل خراسان وبين يأجوج ومجوج⁽¹⁾ سار يريد المغرب ، فبنا مع دثام وصعد على عتبة دمر ، بصر هذا الموضع الذي فيه اليوم مدينة دمشق . وكان هذا الوادي الذي فيه نهر دمشق غيصة أرز ، قيل إن الأرز انني وُجدت في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة من بقايا تلك الغيصة .

(1) هو السد المذكور في الفراد الكريم (الكهف 94) ، ومن خلال الشائع لدى الجغرافيين العرب في القرون الوسطى - كالعمرى - نجد أنهم ربما يسووه بسور الصين العظيم ؟

فلما نظر ذو القرنين إلى تلك العيضة ؛ وكان هذا الماء الذي هو في هذه الأتجار اليوم مفروقاً ؛ مجتمعاً في وادٍ واحد ؛ فأخذ ذو القرنين يمشي كيف يشي فيه مدية ، وكان أكثر فكره فيه ؛ فعجبه منه أنه نظر إلى جبل يدور بذلك الموضع وبالعاصمة كلها . وكان له علام يُقال به دمشق على جميع ملكه .

وذكر في القريين من عفة دمر ، سار حتى برز في موضع القرية المعروفة ببلدا من دمشق على ثلاثة أميال ، فأمر ذو القرنين أن يُحفر له في ذلك الموضع حفيرة فعمدوا ذلك ثم أمر برد التراب الذي أُخرج منها فلما رُدَّ التراب لم تمتنع الحفيرة ، فقال بعلامه دمشق : رحل فإني كنت بويت أن أؤسس في هذا الموضع مدينة ، فأما إني لبي منه هدم فما يصلح أن يكون هاهنا مدينة . قال . ولم ؟ قال ذو القرنين : إن بني هاهنا مدينة فإنها لا يكون رعيها يكفي أهلها .

قال ثم رحل ذو القرنين حتى وصل إلى أنشية وحواران [و] أشرف على تلك استعته ، ونظر إلى تلك التربة الحمراء ، فأمر أن يُسول من ذلك تراب ؛ فمما صار في يده أعجمه لأنه نظر إلى تربة كأنها ألوان حمراء . فزل هناك ، وأمر أن تحفر حفرة [ص 160 ب] فحُفرت ، وأمر برد التراب إلى المكان الذي أُخرج منه فملاؤه وفصل منه تراب كثير ؛ فقل ذو القرنين لعلامه دمشق : إرجع إلى ذلك الموضع الذي فيه الأرز . فاقطع ذلك الشجر ، واجز على حافة الوادي [ط 2/ 432] مدينه وسمها على اسمك . فهناك يصلح أن تكون مدينة ، وهذا الموضع منه قوتها وعليه ميرتها .

قال الخلف . وعلامة صحة ذلك أن أهل عوطه دمشق لا تكفيهم علائقهم حتى يتكفوا من البشيرة وحواران .

فرجع دمشق وبنى المدينة ، وعمل لها حصناً ، وهي لمدينة الأتلة وعمل لها أربعة أبواب : جيرون ، مع باب لبريد ، مع باب الحديد في سوق الأساكمة ، مع باب المراديس الداخل . هذه كانت المدينة ، إذ أُعلقت هذه الأبواب فقد أُعلقت المدينة ، وخرج هذه الأبواب كان مرعى

فبها دمشق وسكنها ومات فيها . وكان قد بنى الموضع الذي هو الآن
مسجدها الجامع كنيسة بعد الله فيها إلى أن مات

وروي أن بني دمشق بنوها على الكواكب السبعة ، وأن المشتري كان صانع
بساتنها . وجعل لها سبعة أبواب وصور على كل باب أحد الكواكب السبعة ،
وصور على باب كيسان صورة رُحُل ، فحرب الصور التي على الأبواب كلها إلا
باب كيسان فإن صورة رُحُل باقية عليه إلى الآن⁽¹⁾ .

وروي حافظ عن أبي الفاسم تمام بن محمد قال : فرأت في كتاب عتق
باب كيسان برُحُل ، باب شرفي للشمس ، باب توما للرُهرة ، باب الصغير
لمشتري ، باب الخاوية للمريخ ، باب لهرديس [ص 16 أ] لعطارد ، باب
لهرديس الآخر المسدود للقمعر .

وروي حافظ عن أبي مسهر قال : إن ملك دمشق بنى حصن دمشق الذي
حول المسجد داخل المدينة على مساحة مساحتها المقدس ، وحمل أبواب
مسجد بيت المقدس فوضعه على أبوابه ، فهذه الأبواب التي على الحصن هي
بواب مسجد بيت المقدس



(1) إن ما رآه ابن فضل الله على باب كيسان ، في الرواية الجنوبية الشرقية لسور المدينة ، وخطه
صورة الرمز الملكي بكونك رُحُل ، ما هو في نظري إلا شعار بوس (صليب وحرف P)
بشراذمة مسيحية في أوروبا ، والذي أتى دمشق في حوالي عام 37 م ، فحرب له بها
وقد نزع شهيرة ثم هرب من مدسة عبر الباب المذكور . فربطت الحادثة بأذهار مسيحي
دمشق ، ولعنهم جعوا على الباب صليب بوس الذي يحمل حرف P باللاتينية في أيام
الروم البيزنطيين قبل الفتح الإسلامي . وفي عصرنا في عام 1939 لما قام المعمار الفرنسي
أوتاش دُوريه Eastache de corey ببناء كنيسة داخل الباب تحليلاً للحادثة . قام بوضع
الصليب المذكور على البناء الخارجي للباب ، وهو مائل إلى أيامنا

أسماء بعض جهاتها

حَرْح الحافظ مرفوعاً ، أن إسماعيل بن إبراهيم ، عليهم السلام ، ولد له ثمان عشر وبدأ فسمي منهم دوماً وبه سُميت دومة الخندل . وفي رواية أخرى أنه كان للوط أربعة بين : ابتار ، ماب ، اعمان ، وحلان ، ومكان ، واسات رُغَر ، ط 2 [433] وأربعة فعمان مدينة اللقاء سُميت بعمان ، ومُآب من سائر اللقاء سُميت بمُآب ، وعين رُغَر سُميت برُغَر بنت لوط ، والرُّبة سُميت بالرُّبة

قال الشرقي ابن الفطامي : وسُميت صيدا بصيْدون بن صيدوقا بن كنعان ابن حام بن نُوح ، وسُميت ربحا بربح بن ماريك بن أرفحند بن ساد بن نُوح ، وسُميت اللقاء بألق بن عماد بن لوط ، لأنه ملكها وسكنها . قال : وقيل إن الكسوة سُميت بذلك لأن عسات قتلت بها رُسُل ملك الروم ، قدموا عليهم في طلب الحرية فقتلوهم وأخذوا كسوتهم . هذا آخر ما نقله الثعشعي

قلت : وبدمشق منهم عسي عليه السلام ، وهي فسطاط المسلمين يوم ملحمة الكرى ، وقد تقدّم القوي في الخوارزمي قال : طُفِتْ جَوَاسِبُ الْأَرْضِ لِأَرْبَعَةٍ ، فكان فضل عوصة دمشق عليها كفصلها على غيرها ، كأنها الجنة صُورَتْ [ص 161 ب] على وجه الأرض .

وَأَمَّ وَصَفُهَا فَكَثِيرٌ حَدّاً ، يَعْحِي مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَنَيْنَ (مَنْ الطَّوِيلُ) :

دَمِشْقُ فَمَنْ شَوَى إِلَيْهَا مُرَحٌّ	وَأَلْحَ وَأَشْ أَوَّالِحَ عَدُولُ
بِلَادُهَا الْخِصَاءُ دُرٌّ ، وَزُرِّيْهَا	غَيْرٌ ، وَأَعْمَاسُ الشَّمَلِ شَمُولُ
تَسْسَنُ فِيهَا مَاؤُهَا وَهُوَ مُطْلَقُ	صَحَّ سَبْمُ أَنْرَوْضٍ وَهُوَ عَلِيلُ

وقول عرقلة (من البسيط) :

مَا بَيْنَ سَطَرٍ وَمُقَرَّى حَنَّةٌ عَرَضَتْ	نَهَارُهَا مِنْ خِلَالِ الْأَسِّ وَالْبَسَانِ
يَطْلُ مَشْوَرُهَا فِي الْأَرْضِ مَشْوَرًا	كَأَنْتَ صَبِيْعٌ مِنْ دُرٍّ وَمُرْجَدِ
فَالطَّيْرُ يَصْدَحُ فِي أَغْصَانِهَا سَحَرًا	هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ مَدْنِي

وكذلك قول ابن عيينة وقد نفي منها (من الكامل) :

فسقى دمشق وواديها والخصى	متوصل الإرعاد مُعصم العرى
حتى سرى وحة لأرض بعاصم	نحوى ووجه الذّوح أرهر نير
وأعاد أياماً قصعتُ حميدة	ما بين حرّة عالقين وعكبرا
[434/2] تلك المنزل لا أعقة عاصم	ورمال كاطمة ولا وادي القرى
أرضٌ ذا مرتب بهارٍ رخ اصّا	حمص عن الاعصاب مسكاً ذفرا
فأقنها لا عن رصى وهجرتها	لا عن قللى وحلب لا متحررا

وقول البحتري (من البسيط) :

العيش في ظل دارك ذا برداً	والراح نمزجها بالراح من برداً
إذا ردت ملأت العين من برد	مستحسب ورمال يشبه اللباد
أما دمشق فقد أهدت محاسنها	وقد وفى لك مطربها بما وعدا
يُمسي لسحاب على أجبلة هرق	ويصبح الثبت في صحرائها بددا
فست نصب إلا وادياً حصراً	ويأبى خضلاً أو طائراً غردا
كأنم البسيط ولّى عند حيثة	أو انزعج أتى من بعدم بعدا

ومدامتها هي الموصوفة في الأفاق ، المعروفة في معارسها بكرم الأعراق ،
تشر كاساتها لوية حمراء ، تتوقد في صفحات الخرد حمرًا ، فمن حمراء كنار
تتلهب ، ومن صفراء كالزجاج المذهب ، ومن بيضاء كنبها نقطة عدير ، أو قصة
طامت بها قوارير ، أو وردية تتصاحف في الشفاء للفس ثعورها لمعترة ،
ويخالطها الصقار كحدأبيض تشرب بحمره ، تصبى في دحى الليل مصباحاً ،
وتؤدي إلى الخلساء برينها تفاحاً

وببلاد «الشوف» منها ما يرق عن الرّحاح ، ويخف عن مخالطة لامتراح ،
فيعشق فوق لواء عنى الأقداح ، وتعلّى حمرة عليه كاشفق على المصباح ،
يطير عليها الشعاع ، ويطيب إلى قهقهة قيدها السماع

و«صَيْدَايَا»⁽¹⁾ معدن ذهبها ، وأفق كوكبها ، وإليها أشار ابن عَنِين بقوله
(من لكمل) :

ومُدَامَةٌ مِنْ صَيْدَايَا شَرُّهَا مِنْ عَنِينٍ وَقَمِيصُهَا مِنْ صَدَلٍ
مَسْكِيَّةُ التَّمَحَاتِ يَشْرَفُ أَصْلُهَا عَنْ بَلٍ وَيَجْلُ عَنْ قُطْرُبَلٍ

وقد خالف الفاصي العاصل الناس حيث قال يدم دمشق :

«ودحلبُ دمشق وأدا [ط2/ 435] مُلْتَاثٌ لَتَعَيَّرَ مَانَهَا وَهَوَانَهَا وَأَسْبَتَهَا وَأَبَائَهَا
وَأُودِيَتَهَا ، وَمَنْ لِي بِمَصْرِ فَإِنِّي أُبِيعُ بَرْدًا بِشْرِيَّةٍ مِنْ مَانَهَا ، فَالْطَّلَلُ [ص 62 ، ب]
هَدِيلٌ وَلَا طَائِلٌ ، وَمَا سَمِعْنَا مِنْ نَلْتِ الْفَصَائِلِ مُتَصَائِلِ»

وقال فيها وقد وقع عليها الثلج «وأما دمشق فأدرها اليوم لثلج قوالب ،
وقد أخذ في أن يذوب ، فالشوارع تحتاج إلى مراكب»

وبدمشق من كن ما في مصر من الوظائف وليس هذا في بقية بلاد الشام ،
مثل قصاء القصة الأربعة من المداهب الأربعة ، وفاصي عسكر ، وخرابة تخرج
مها الإنفاقات والخنج ، وحرث السلاح وبردخابت⁽²⁾ ، وبيوت تشتمل على
حاشية سلطانية محتصرة ، حتى لو حضر لسلطان إليها حريدة ، وجد به من كن
الوظائف القائمة ببلوته

وكن أمير فيها أو في غيرها من الشام ، أو أولي رب وطيفة من عادة متوليها
أن يحلج عليه ، أو خدّم أحد خدمته في مهم من المهمات ، أو أمر من الأمور
يسترحب عليه خبذة أو نعاماً ، ولم يحلج عليه من مصر أو لم يُنعم عليه من
مصر ، كان من دمشق خلعتُه ونعامُه

(1) بلدة معروفة في حصه القلمون ، إلى الشمال من دمشق بـ 32 كلم . ذكر ياقوت : هند من
أعمال دمشق مشهور بكثرة الكروم والخمر العاتق معجم البلدان 3 ، 438 .

(2) حول وظمة قصاء القصة انظر صبح الأعشى 4 : 34 ، وحول قصاء العسكر 4 : 36 ،
وحول خرابة خاص (للإنفاقات) 4 : 31 ، وحرث السلاح 4 : 32 ورجع

Gaudefroy Demombynes. La Syrie a l'époque des Mamelouks Paris 1923

ومها تخرج 'عمالام الأمراء وطلائعهم وشعار لطلحات و في حرائر
استلاح بها يعمل المحارب والاستلاح والزرزخات ويحمل إلى جميع اشام وتعمر
به بلاد وبقلاع ومن قنعتها يجرّد الرجال وأرباب الصبح إلى جميع قلاع
الشم ، ويتبد في التحريد والمهمات .

وهي مدينة حليله . وفلعتها مَرَحَلَة على الأرض ، يحيط بها وبالمدينة
أسوار عليّة ، يحيط بها حديق يطوف الماء من القنعة ، وإذا دعت الحديقة أُطلق
على جميع الحديق المحيط بالمدينة فيجمعها

وهي [ص 163] في وطأة مستوية من الأرض ، مارة عن الوادي
سحط عن منتهى دين حسن ، مكشوفة ، حواء لممر الهواء . إلا من لشمال فإنه
محجوب بحل قاسيون ، ويهد تغاب وتُسبب إلى لوحامه ، وتولا حلها العربي
المش بالثنوخ صعباً وشاء لكن أمرها في هذا أشد وحار سكنه أشق . ولكنه
درباق ذل السم ، ودواء ذلك الماء

وهي مدينة حسنة ترتيب ، جليلية الانسة [ط 2، 436] بالحجر والخشب
والأحمر مُصنَّع بين مداميك بيضاء بحسب المنس وأخشابها من حير أحشاب
الأرض سمي الخو . تُصن في سديها ويرى ويقطع في تنهائه يعطي الليان .
فاد يكسر عود منها يبقى في مكانه مما سكا عدة سنين وأكثر . ولو أنه متعلق
بقدر شعرة واحدة

ولهذه المدينة خواصر فسحة من جهتها لأربع ، وادء حاكم عليها من
جميع نواحيها باتقان مُحكم . على ما يذكره في صفه نهر هـ وهذه المدينة
مقسمة على جوانب الجامع بها ، لا على نه واسطتها من كل الجهات . فإن ما
سه وبين نهاية المدينة من القلعة . وما بينه وبين نهاية المدينة من الشرق ، أوسع
مدى من به إلى نهاية المدينة من احبابي لأحرار شمالي والعربي وأشرف
هذه المدينة ما قُرب إلى جامعها

١٠١ في على مستوى أ ص مدينة لا بعداد وجود بل تقوم عليه مثلها في ذلك قلعة بصرى

وبها الديار الخليفة ، المذهبة استغوف ، المفروشة بالرخام ، ومهام هو
مورر ، محيطا بالرخام لموع الفصل بالصدف والذهب ، وبرك الماء حارية . وقد
يجري الماء في الدار في أمكن⁽¹⁾ وبها الطباق اربعة ، والأفنة [ص 163 ب]
الوسعة ، والأسواق المليحة التريب ، وقياسر الحصبة

وبها لصناع المهرة في كل فن من السنين ، وصنع اسلح ، والمصوغ .
ولزر كش ، وعرب لك . وتفن بها لطائف الأعمال من كل نوع . وصناعاتها
تفخر على بقية صناعات هذه المملكة إلا فيما قل ، بمصر والشام والعراق والروم .
فتستمد من لطائفها خصوصاً في لقي ، والنحاس المطعم ، والزجاج المذهب
وجلود الخرف مذبوغة بالقرط المصروب بها المثل

وهي إحدى جات الدنيا لأربع دار [أبو بكر] اخوارمي رأيت جات
الدنيا الأربع ، وكان فضل عوطة دمشق عليها كفضلها على سواها ، كأنها الجنة
على وجه الأرض . حسبما ذكرناه

وبها السنين لأبقة تسلسل حداثتها ، وتفيء دوحاتها ، وتمايل
أعصابها ، وتعد طيرها . وفي بساتين الشرب بها العمارات الضخمة ، والخوسق
العلية ، والبرك العميقة ، والبحيرات [ط 2 / 437] الممتدة ، عليها العرش لمده
المطلية ، تتقابل بها الأرواق والمجلس ، وتحف بها العرس والصرب المطرزة بالسرو
الملف الرود ، والخور المشوق القدود ، والرياحين المتأرجة الطيب ، والفواكه
الجنية ، والثمار الشهية ، والدائع التي تعيها شهرتها عن الوصف

(1) لم يبق بدمشق دور من عهد لمانيك ، لكن الوصف سطق أيضاً على ما بقي بعد في العهد
لعثماني ، بطرار العمارة والإكساء ولزخرفة دم بدمشق متورثاً . ودور دمشق القديمة
تعود إلى القرنين الثامن عشر والسبع عشر . لكن ثمة أمثلة بقيت بها أحزاء مملوكية . دار
أردش من مطلع القرن السادس عشر ، أطها دار سعيد باشا بقونسي في الكلاسة ، دار
لعقاد بسوق الصوف ، دار بقصر حجج ، دار ابن فضل الله السبي دكرب أدب ، دار
الكمال الحمراءوي (دار الأسطوري اليوم) ، تعاميل بقصر اعظم ، وسقف خشبي قديم
مملوكي بدير عطة . وكذلك ثمة ماثار هام وفريد على عطف يشه عمارة العصور الخاصة
بدمشق في عهد لمانيك . سوح في عمارة المدرسة الحفصية الرابعة بأدقتها

وبها في سفح قسيون الصالحية ، وهي مدينة ممتدة في سفح الحبل بئر ،
 المدينة في طول مدى داب بيوت ، وجنائس ، ومدارس ، [ص 164] وربط ،
 وشرب حليلة ، وعمائر ضخمة ، ومارستان ، وأسواق حافلة بالبز وغيره
 وبأعلىها من دبل الحبل بقصر العامة وجميع الصالحية مشرف على دمشق
 وعوطتها ، وكل سائنها ، شرقها وميدنها ومجرى واديها وبجانبها القرى
 وبجانبها العربي كان دير مرآة المشهور . ومكانه الآن من مدرسة المعظمية
 إلى قريب عقبة دمر . ومنه هناك بقايا آثار

وما حواصر دمشق . فهي كما قدمنا نقول حليلة من جميع جهاتها ،
 وأحلها ما هو في جانب العربي والشعالي فأما العربي ففيه قنعتها وحت
 القلعة ساحه فسيحة بها سوق الخبز ، على صفه إوادى ، ويخرج إليها من
 جوانب المدينة من أمتعة الجبل ، فتعاقب أيام الموكب بها ، وتنتهي فيما يليها من
 إوادى إلى شرقين محيطين به قبله وشاماً ، في دبل كل منهما ميدان أحصر
 بالنحيل ، والوادي يشق بينهما



وفي الميدان القلبي منهما «القصر الأبلق»⁽¹⁾ ، بناء الملك لظاهر بيبرس
 الشافري الصاخي . مبني من وجه الأرض إلى نهاية أعلاه بالحجر الأسود
 والأصفر ، مداماً من هذا ومما كان من هذا . تأليف عربي وإحكام عجيب
 ويخرج من ذركاه له على حصر ركباً يعقد على مجرى الوادي إلى أبواب براسي
 يطل على الميدان القلبي ، ستجد أقوش الأفرم زمان يابته بها . ثم يدخل إلى
 انقصر من دهبير فسيحة ، تشتمل على قاعات ملوكية تستوقف الانصار ،
 وتستوهب الشموس من أشعتها الأنوار ، بالرخام الملوك ، قائماً وبائماً ، في
 ممرشها وصدورها ، وأعلىها وأسافلها ، موهبة بالذهب [ط 2/438] والارزوراد
 والفص بالذهب ورر من الرخام إلى سقف السقف

(1) بني القصر بين 663-668 هـ . وفي عهد الملك مراد رسمياً للفرانيين من السلاطين
 والأمراء إلى أن أحرجه لمولود 863 هـ ، ثم بُنيت موضعه تكة السلطان سليمان القانوني
 عام 967 هـ . راجع ما شرته من الجزء الثاني من مملكة الخلافة لابن صوبون ، 32

وبالدار الكبرى بها إيوانان متقابلان تطلّ شبايبكُ شرقيهما على الميدان
الأحصر الممتدّ ، وغربيهما على شاطئ الوادي المخضّر ، والنهر به كأنه ذائب
مفصّة . وله الرّقارف العالية المدعية للسحب ، تشرف من جهاتها الأربع على
جميع انديسه والعوطة . والوادي كامل المافع بالبيوت الملوكيّة والإسطبلات
اسلطانية ، والحمام . ولندفع الكلمة سائر الأعراض .

وتجاء باب القصر باب يتوصل من رحته إلى الميدان الشمالي ، وعلى
الشرفين المقدم ذكرهما أبيّة جليلة من بيوت ومناظر ومساجد ومدرّس وربّط
وحوائق وزوايا وحمامات ، ممتدة على جانب ممتدّين طول الوادي⁽¹⁾ .

وقد بنى في هذه السنين نائب السلطنة⁽²⁾ بها على الشرف لقبلي منها جامعاً
بديعاً ، تليه ثرية ضخمه ، وداراً ملوكيّة . ومدّ قنالة الجامع سوقاً لطيفاً وحماماً
فاتقّراد المكان حساً على حُسّ ، وإبداعاً على إبداع

وأما حضرته الشمالي ، ويسمى العقبة ، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات
جوامع ومساجد ومدرّس وربّط وحوائق وروايا وأسواق حليلة وحمامات .
وبها دير كثيرة للأمراء والجنود

وأما نهر دمشق ، وهو بردّا ، فمجره من عينين ، العيدة منهما دون قرية
تسمى الرّيداني ، ودونها عينُ بقرية تسمى العبيجة بذيل جبل عرّبا ، والماء خارج
من صدع في نهاية سهل الجبل ، وقد عُقد على مخرج مائه قبور رومي البناء⁽³⁾ ، ثم
ترفده منابع في مجرى النهر .

(1) انظر ما تقدّم أعلاه من وصف هام للقصر الأبلق في صرّ الجعّيري وكذلك وصفه ابن
طولون في « ذخائر القصر » (مخطوط) ، والأيوبي في « الروض المعاطر » (شرفاء منه) .

(2) أي سيف الدين تكرر الناصري ، نائب دمشق بأيام الناصر محمد ابن قلاوون ، تولى بين
712-740 هـ . الوافي بالوفيات للإصلاح الصفدي 15 423 : الدرر الكامنة لابن حجر
العسقلاني 1 : 55 . بنى جامع عام 718 هـ ، بقي منه مثله البديعة ومحاربه والنسبة

(3) هذا صحيح ، فالباء بـيرطبي وفيه اسم لإمبراطور مرقيانوس (حكم 450-457 م) ، كما
قرأته منقوشاً باليونانية بداخل حرم البيع ، وأوردته في بحث « خطط ريف دمشق » .

ثم يُقسم سهر أربعة أناس عن اليمين وثلاث عن الشمال مرفوعاً على مجرى النهر في قراره الوادي ، دائمة مُقسم معلوم

وسميه ألف اسبدين خمسة من اخبدين ، التي نُسرت على المكان اسفلى بالربوة وقد بنى الملك لعاذل الشهيد نور الدين محمود بن بكري ، رحمه الله بها امطاراً بعد وف كهد عيسى بن ابراهيم بن مريم وابنه بولدها عيسى عليه السلام ، وإن هذه الربوة هي المعنية بقوله تعالى : ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

ومطر هذا هو الذي رُصد في 434 من أعجب المطر سر كم لطر وابتداء ، وطلال الشمس والهواء ووراش من الحقل فيه في أرضه يسفح ، تحت الأشجار المنهية على حصون من ، تفتح بينهم حدود نورد ، وتقر ماسم من ، وبنو لوس بنو سوس ، ويحيط فيها هدر الماء والحمد ، [ص 165] من وبنو لافى حيون ، سمين ، مطر من لشمال على مات اشح ، ومن العدة على الملك نق لصح

وبنى حاب هذا الوادي في فسته شمال سطح² عند على طهر مارة في قصعة فيه ، مقعر من به سح ، المقصوم وتلاعب بها لصا بالو عروب بصحة نهر ، وفصح القصب ، قطب به ما حورها ، وصح لأخيه ف قاربها

كم لغمرى مهد عيسى بن عبد الله في جزء الأول من كتابه ، 206-208 ذكر به نهر من هذا على عهد من قصر على بنو عبد الله بن وصف ، وانظر حلة ابن بطوطه من وهو مع صر بعمري ، لإشارته إلى معرفة انريارات الهري ، 11 رده . . . صح به موعج سيم أهل دمشق في مصابر العهد المملوكي بالقرب من الثامن وبنائه بعمرة . . . صح به صبي شهنة ويوميات الشهاب ابن طوق وكتب ابن صوبون يكنى بأبى كمال منهم . . . صح به بعمري هذا . . . مكتب خمسة بعمرة لاوى . . . سرى مرة بعمرة كدشمر سيم . . . مشى لوسه وسدحه ابورده وور حرس سح سح ومسد الطريق لأخيه بنو بوستر . . . وقر سوسه جنوباً ، وإلى تحت شرقاً ، وألاحظ بوصح أربعة مرة بعمرة تحفص فعلاً عن هذا السطح

ثم يعود إلى ذكر النهر ، وتسمى الأنهار السبعة مجرى لودي واسنة
المقسومة . مجرى الوادي برداً ، فاق عليه هذا الاسم لا يعرف غيره . وعلى
سمت برداً في الجانب العربي الأعلى الأحـد قبلة نهر دريا ، ودونه المـرة ودونه
نهر لقنواب ، ودونه نهر باناس . وعلى يسره برداً في الجانب الشرقي الآخر
شمالاً نهر بريد ، ودونه نهر نور .

وأما قنوات وبناس فهما نهر المدينة . حكمت عليها ومسلط على
ديرها . بدخل باناس لقلعة بها ، ثم يقسم قسمين . قسم للجوامع وقسم
للقلعة ، ثم يقسم كل قسم منهما على تقسيم تنفرق في المدينة بأصابع مقسومة
وحقوق معلومة . وكذلك يقسم القنوات في المدينة ولا مدخل له في القلعة ولا
جامع

ومجرى الماء في قبة مدفوعة في الأرض ، إلى أن يصل إلى مستحقاتها وتنسـع
في منافعها . ثم ينصب فصلاب الماء والبرق ومحاري [ص 166 أ] لمصارف
والترفقات إلى قبة وتفتح معقوفة تحت أرحاب أبناء الشروب . ثم تتجمع ونهر
وتخرج إلى طاهر لمدينة لسمي لعيطان

وأما منه الأنهر ، خلا محر برداً ، فيها تنصرف إلى السدين ولعيطان
وعليها القصور وأبواب حصوفاً ثوراً ، فبته بيل مشق ، عليه أحل ما بينهم وبه
منبرهاتهم ، وإليه أكثر سائرهم وتوختاتهم ، بحاله من يراه مُردّة حصراء
لراكم الأعباء عليه ، رستماف الشوح من حـه

ويجري [ط 2 440] يري في دين مصالحية يشق خطاً في عمارتها

وأما محر برداً ، فيه تنفرق منه فرقة بجانب المدينة تدخل إلى داخل سورها
وتدور به أرحاؤها ، وينصب فيها في مجرى الوادي ، إلى أن يخرج من حدود
العمارة والأرحاء منصوبة عليه إلى تمة الوادي ، تحف به لعياص شكائفة من
اسفرحس والخور ، ولساتين . ثم يرمى إلى طاهر فرى دمشق يسمى ف يحكم
عليه ، ثم ينصب في بحيرة هالك متصلة بالرية .

هذه أمّيات لأبهار من برد وما يقسمه⁽¹⁾ على أن كل نهر من هذه
 لأبهار تنقسم منه أنهار كبار وصغار وتشتعب من سدك الأنهار حدارن ، ثم
 تتفرق في الأساتين والعيصن سقي أراضيها وريارة أرحائها مما لا يكاد يعدّ كثرةً
 فأه مسحدها الخامع فصبت⁽²⁾ أثر في الأدب كان هيكلاً لعقاد لكونك ،
 ثم كنيسة للتصاري ، إلى أن فتحت دمشق على أيدي عبيد ابن رص 66 هـ [ب]
 الخراج وحالدين ابوييد ، رضي الله عنهم فجرى عليه حكم الماصصة ، فوقع
 نصه الشرفي للمسلمين وفي نصه العربي بأيدي الروم ، لي خلاف توليد ابن
 عبد الملك ، فاستخلصه وأتمه جامعاً للمسلمين .

فهو بيت عبادة من قديم ، وقد ذكرناه فيما تقدم⁽²⁾

(مسالك الأبصار ، مخطوط متحف
 طوبطوبى ج 2 ، ق 3 ، 428-440)



(1) وصف العمري لأبهار دمشق هدم جداً على ختصره ، ويحاصه ما به ذكره عن ثور ، أما
 حول اشتقاق أسمائها يقول : ترى بالأرامة حواء ، دويناس ، بأن حواء وبأناس
 حواء نهر الحمام ، ونور بالهوا الثور ، وقواب صالماً ، القصب والنقي . وهذا خلاف
 المشتهر بالمعروف ما يريد فيه معروفة والمروي ولداني نسبة إلى المرأة ودارياً
 (2) أعود فيما يلي فأقول هذا النص لتصيلي عن الخامع الأموي ، الذي كان ذكره ابن فضل
 الله في الجزء الأول من كتابه مسالك الأنصار غير أنني لم أستفص في بداية النص نقل
 النصوص لفظونه التي نرى بها المؤلف عن المصادر المسالمة ، كتاب ربيع مدينته دمشق لابن
 عساكر ، وذكر لزوبت والأساطير القديمة بل أقيمت علي ما له صلة بالساربع
 العمري والآثري للجامع ، وعلى ما له صلة تشاهدات العمري الشخصية كحالته
 وجغرافيه ، يصف ويكتب عما يراه بعينه

مسجد دمشق

مسجد عظيم ومعد قديم لا يُعرف على حقيقة بانيه ولا زمن بائه ، فتح مسلمون الشام ، وهو كنيسة لأهل دمشق يُعبد فيها ، زمن الروم . وقد كان قبته معبداً للأمم مختلفة وتزعم الكلدانية أنه من نائهم ، وأنهم بنوه مما بنو من الهياكل السبعة التي احذوها للكواكب السعة . جعلوه بيتاً للمشركي قالوا . وبهذا استمر التعبد فيه ، إذ كان المشتري طابع الدينار و لتأله هذا ما رعموه^١

وقال أحمد بن ابرهيم بن هشام سمعت أبي يقول ما في مسجد دمشق من الرُحام بشيء ، لا رُحاماً لمقام الغربي فإنه يقال إنهما من عرش ساء ، وأما ان في كنيسة مَرَمَر . المقام هو مقصوره لخطابة ولرُحامتان هما السماقي والبراق ، لا يُدرى ما قيمتها

قلت . قوله في ذلك مردود

فقد أجمعت الحكماء على أن الرُحام هو الأبيض فأما الملون فكله حجارة . ومسجد دمشق من الرُحام الأبيض وغيره من الإبل . وإن كان ، ثاني رُحاماً بزعمه ، ففيه من الملون كعربي والمقط والمشحم والأخضر والسماقي غير اللوحين شيء كثير . والسر تطلق على كل ذلك اسم الرُحام

وقد استجد شيء كثير منه في الحائط الشامي ، جددته الطاهر يثربس واستجد بعد ذلك كثير

وقوله المقدم العربي إشارة إلى محراب مقصورة الخطبة . فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي في ذلك الوقت لا هذا المحراب ، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة

(١) هذا صحيح ، فأقدم ما يُعرف عن تاريخ دمشق ومعدده يعود إلى ملكه آرام قبل 25 قرناً وكان المعبد للإله بعل حد (حدّ) الآرامي ثم إلى الإغريق زيوس ، ثم أصحى في عهد الرومان 64 ق.م - 395 م للإله جوبيتر Jupiter ، وهو المشتري

قلتُ . وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد البجلي الحرّاني
 لكتاب الجُود ، وكان يشرّبه بعض العمائر أنه فُتح في حصنه الشرقيّة المعروفه
 تحت السّاعات لكشف قبياء ، فإذا تحت السجّاء أقباء معقوده وعمد مصوبة
 يفرق بينهما عصائد محكمه ، قد أحكم ببارده ، وشُدّت في سلاسل الأسس
 معاقدها قد بُيت ، صفّاح وعمد ، واساء الذي ما هو في قدرة أحد قال
 ودخلناها وحنا في جوانبها

وحكى لي معتمد علي بن محمد بن التقي المهندس ، قال : حدثني أبي عن
 أبيه قال كان لهذه الكنيسة رواق يُحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة
 في كل جهة باب فشرقي باب خيرور ، وكان الباب العربي تلفء ، وراء
 الشرورية ما بين العسرويه وبهـ وبقي إلى ركن العادل أبي بكر ، فسكّه لما
 عمّر القلعة . ونقل حجرته وعمده إليها

قال : وكان في هذا الرواق قُلاليّ وصوامع

فت ومن آخر ما يُقص منها أبي وما يحاوره براس انقافيين ، مما يلي
 عنقه الكتّار وبني منه مندره المذبح الشرقيّة ، بعد الحريق الكائن سنة أربعين
 وسعمائه و ثم بقي من سور باب الرواق باب قديم ، موحود بين مدرسة
 انثورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام .

قال أحمد بن ابراهيم : وحدثنا أبي أن المأمون لما رحل مسجده دمشق
 ومعه المعتصم ويحيى بن أكنه قال ما عجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم
 دعه ويقاؤه فإن مدعته في قصورها فلا يمضي عليه عشرون سنة حتى يغير قال
 ما ذاك أعجسي منه فقال يحيى بن أكنه تألف رُخامه ، فإني رأيت فيه عنداً
 ما رأيت مثلها قال ما ذاك أعجسي قالا بما هو ؟ قال ثيابه على غير
 مثال متقدّم

() حيث كان منه باب حروب أساطير كثيرة وأرى به أرامي حنا (جرونا) بالنصير
 ويعني المشرق (وهو الباب الشرقي للمعدن) ، أو حنا (جرونا) المسلة .

وقد الشافعي : عجائب الدنيا خمس ، مارة دي القريين ، والثابتة أصحاب الرقيم بالروم ، والثابتة مارة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة ، د عاب الرحل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها ، يدور صاحبهم من مسافة مائة فرسخ ، ورابعة مسحة دمشق ، والخامسة الرخام والفسيفساء ، فإيه لا يدري به موضع قت . وكذا ذكره الخطوط أبو لقاسم ابن عسكر .

والفسيفساء مصنوع من رخام يُدهَّب ثم يُطوى عليه رخام رقيق . ومن هذا النوع المسحور وأما الملبون فمعجور وقد عمل منه في هذا الرمان شيء كثير برسم الجامع الأموي ، وحُصِّل منه عدة صديق ، وفست في الخريف نواقع ستة أربعين وسعمائة . وعمل منه قبل للجامع النكري ما على جهة الخراب

غير أنه لا يحيى تماماً مثل المعمول بقديم في صفاء اللون وبهجة المنظر والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعه متناسعة على مقدار واحد ، والجديد قطعه مخنعة وبهذا يعرف الجديد والقديم

وروى لوليد بن مسهم عن ابن ثوبان قال ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقاً إلى أخته من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجده .

وروى حمد بن البرامي بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال : سمعت الأعراب وهم يدورون لمسجد ، يقولون لا صلاة عد القليلة فقيل له رأيت القليلة ؟ قال نعم وهي تصي مثل أسراج قلت من أحدها ؟ قال أما سمعت المثل ؟ «منصور سرق العلة ، وسُيِّمَن شرب المرة» ، منصور الأمير وسليمان صاحب الشرطة ، يعني صاحب شرطته وذلك أن الأمين كان يحب سُلُور فكتب إلى صاحب شرطة متولي دمشق أن يُنفذ إليه القليلة فسرقها ليلاً ، وبعث بها إليه فلما قتل الأمين ردَّ المأمون القليلة إلى دمشق ليُسَّع بها على الأمين .

١. الفسيفساء يونانية Ψηφιδωτον سيميدوتون ، ومنها Ψηφωσις سيموسيس . رقم

وكانت في محراب الصحابة . فلما ذهبت حمل موضعها برثة راح
رأيها ، ثم انكسرت ، فلم يجعل مكانها شيء .

وقد علي بن أبي حملة كذا ستر مسجد دمشق في الشتاء بلُؤد حسة ،
فدخلته الرّيح فهرّته ، فسار الناس فخرقوا اللّؤد

قلبُ ه أم ساؤد ، فهو وثو اب ، ستة الهاء ، قد بُني بالحجر وانكس
إلى منتهى حوائطه ، وشرف بشرف في أعاليه ، ويحده به ثلاث مائر
اثنتان في جناحي قلته ، شرقاً وغرباً ، والثالثة في شامه وتعرف بدروس

وتدخل منه من ستة أبواب ، منها أربعة أضواء ، اثنتان مستحذات
والأضواء لريادة ، وهو في حائطه الصبي ، واثنتان ساعات ، وهو في حائطه
شرقي ، يفضي إلى حصرة لساعات المعمولة لمعرفة الأوقات ، تُدار بالياء ،
وعنقها أبواب لساعات ، وحده في حائطه العربي ذات سريد ، وهو أشهر من
الشمس في الآفاق ، وأكثر دكرامر «ذكرى حبيب وعرب» لرفق ، وهو حص
مسجده في حايه حو بيت لمؤد و ينبع ولعصر والشراب والصاب مأكل
بها أضي من يد حارة توفه عليها مصباح الليل فيموء لماء شعاع ،
تُصرب أسبوعاً مدة يداعها وتربع ذات الطافين ، وهو في حائطه
لشمالي ، تلاصقه الحائفة الشيطانية ، وتقاربها الأندلسية .

واما ذات مستحذات ، فهما ذات سدفة إلى الكلاسة وذات الهدى
لكمليه . وهما جناح باب الطافين

والمسجد ذو صحن تصاف ذات الطافين ، قد فُصّصت حو نصه
بالصيفساء الرومي المذهب والملون بغرائب الأشجار والصبغة .

وبسور به روق قد أُررت حارم وسور به بالرخام المنوع وعُقدت رؤوس
عممه وسور به بهاطر وحمل على فطرة منها طقات صعد ، يفصل بين كس
اثنتين منها عمود رخام أو سارية

وفي قبلته ثلاثة أروقة ، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر : قد عُقدت على
لحراب الكبير الذي يصلي به خطيبُ جامع وعامةُ الناس ، ومقصوره الخطابة
وبها الميزب ، وأمامه سُدَّة لأذان .

وإلى حاشه الأيسر المصحف العثماني بحضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ،
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وفي شرقي هذه المقصورة للحراب المعروف بحراب الصحابة . وهو محراب
المسلمين الأول . وبه تصلي المالكبة الآن .

ثم يليه باب الزيادة ، ويليه من لغرب محراب تصلي به الخبابة .

ولكل من هذه المحاريب ثلاثة إمام ومؤذن ، وقد وقف في كل محراب
مها وقف على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة كل طائفة في
محرابها .

وكل أروقة بالعمد والعصائد عليها طاقات القضاة المعقودة بعصص على
بعض وقد أُررت حُدُر هذه الأروقة بالرخام الأبيض والمجرع والأحمر لمقط
والأحمر المرشوس والأسود العربي والأبقع والفضة والأزرق

وأما أركان القبة الأربعة وجناح النسر لقصي وإنشأه من الرخام إلى أعلى
الحجر والأركان معمول بالصين ، مسقوف بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد
والزهر والإسباج ولأصابع الخالص من نور ومركبة من لوني

وقد جُعل في أركان المسجد الأربعة أربعة مشاهد أُتخذت على أسماء
الصحابة الأربعة ولشرفي بقبله على اسم أبي بكر ، وبه عدة خزائن كتب وقف
وشاميه مشهد على اسم عبيد الله والغربي بقبة مشهد على اسم عمر ، ويعرف
الآن بمشهد غروة ، وبه شمع حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث ،
بوقف مستقل ، وعدة خزائن كتب وقف وشاميه مشهد على اسم عثمان
وبه يصلي نائب السلطان في شأكه والحاكم الشافعي إلى حاشه

وبها أشك يحكم الحاكم بعد الصلاة ، كأنه كرسي ملكه

وبها شهد تُعقد محاسن الحكام الأربعة ، وتعلم القصص القصص العصلة
لن لا يفردها حاكمه فجمعوا من رائب السلطان ويطروا في بيت
الحكومة وبحكمون فيها بأجمعهم .

و داخل مشهد علي مشهد لطيف يُعرف باسمه يقال إنه سُجنية ريس
لعمدين حين أفند على بريد و حور في . وفي البروق الشامي شرقي باب سد
لن الكملية مقصورة قد حو بها جماعة من لفراء وتعرف بالحفلة وبها
حرارة كتب وفتاب .

وفي كل من بيت إمام يؤتم به . ومؤثر مهم الصلاة ويُباع

وفي هذا المسجد رددات في شعله أسع بها فدوة ، ومسحت ر حذوة : منها
لراوية حلقة مذكورة في أو . حدة الشمالي من الشرق ثم دربة الكملة .
الهي مسجد به إمام ومؤثر ، وكلاهما وبها إمام ومؤثر

وفي شامها ، لأشرفية والدراسة العريية يُعد إيهما ، ولكل مهم إمام
ومؤثر : حو له رسة العريية التريو الاختلاجية من عربها هذا إلى عده
أثمة يقوم فيه حسب

وقد قرش مسجد بالمرمر ، ومقصعه من حبل المرء ، وعمد فائمه سر حرام
الملون والمنقوش المذهب

وكذلك عُمدة عصاة ر دُف فواعد عُمدة ورؤوسها وأحري الماء في
صحن عُمدة عليه قبة في صحته ، وفي صحن في كن السر من داخل بروقي .
وفي جميع مشاهد ورر نه وفي ميصاه تُجحت سُفل بارة الشرفية منه هد
ما في حصره باب البريد والريادة وحت الساعات من مياه جارية ، وأسواق قائمة
وسرُح تُقد بيلاً كلاً لهم ويوت باب ماطر تملأ عين ماطر الموسم

(1) أي تربة سلطان ناصر صلاح الدين ، وشرقيها العريية ثم لأشرفية د سنا كلاهما

فأما انقبة فما لا يحول مثلها في طر، ولا يدور في فكر قد تعلق روفرها بالعمام عذباً، وحلق صدرها إلى أخويه النسرين يعني أن يكون لهما ثلثاً، قد سبت على قاطر ممتدة على قاطر بعقود محكمة وقطع صحور مطمة، إلى سقوف مذهب، ومحاسن موحرة مسهبة، وعلى رس نقه هلال عال في أبويه طول الترمح قد عنت هي وكل الأسطحة والرصاص وحكمت مياريه، وجمع فيه من كل حس غريب.

قال أبو محمد ابن ربر انقاصي سمي باب الساعات، لأنه عمل هناك بيكر الساعات، يعمم بها كل ساعة تمضي عليها عصاير من حس، وحية من حس، وعراب من حس فإذا غاب الساعة حرجت احية، وصفرت العصاير، وصباح الغراب، وسقطت حصاة في الطست.

وكان في الجامع قل حريقه طلسمات لسائر الحشرات، معلقة في السقف فوق الطائر ولم يكن يوحد في جامع شيء من الحشرات قبل الحريق. فلما احترقت السطحات وحده وبما كان فيه طلسمات لصنونات لا تعشش فيه ولا يدخله غراب، وطلسم للفار، وطلسم للحجرات والعقارب وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفار. وقه طلسم للعنكوت^(١)

وكان حريق الجامع في نصف شعب سنة إحدى وستين وأربعمائة^(٢) وكان سبه أن أمير خيوش بدر الجمالي وزير من مصر، بنى دمشق في هذه السنة فلما كان بعد عصر يوم نصف شعب، وقع لقتال بين المشارقة والمعدية، فصرخوا داراً كنت محاورة للجامع بالنار فدارت إلى الجامع وكانت العدة تدار المعاربة، فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع فجعل الأمر وعظم، فجعلوا يهتفون ويتصرعون.

(١) راجع وصفه في قصة هذا الحريق في دليل تاريخ دمشق لاس الفلاسي، 96 وقد وصف الجامع قبل حريقه عام 46 هـ، بأو حر العرب برابع ابرحانه الكبير الشاري مقدسي في «أحسن التيسيم إلى معرفة لأقاصم»، لابن 56، 60. ثم وصفه الإدريسي بعد الحريق، عام 510 هـ في «برهة المشتق في أخبار الأفاق»، وابن خبير عام 580 هـ

ووصف العماد الكاتب هذا الحريق في كتاب فقال : وفي النصف من شعبان
 هذه السنة ، احترق جامع دمشق ، ففُجِعَ للإسلام تمصيه ، وصلت النار في
 محرابه ، واشتعل رأس القبة شيئاً شتت ، وكنت اناراًم الليالي منها ما ريت ،
 وطر انسرجناح نصرام ، وكذا يحترق عليه قلب بيت الله الحرام ، فكأن
 الحميم اسجار به فمسك بديله ، وكأن لهار ذكر ثراً عده فمط على
 بيله .

فوهاً له من مسجد أحرقه فحات أنفاس الساجدين ، وعلمت فيه لفحات
 قلوب الواحدين ، ثم تذكره الله بالانطاف والاطفاء ، وأره بالشقاء بعد الاشتقاء
 وقال حسه صطلاء و صطلاماً . وحقق فيه قوله : **فُلُبا يا اَرُكُوسِي برُداً**
وسلاماً ﴿

وقال ابن العن زُرني في الحريق المذكور :

لَهفَ نفسي على دمشق التي تُحترق	نت جمال الآفاق والأقطار
وعلم ما أصاب حاميه الحبا	مع لمعجات والانار
إد أتسه التير ان طو لَهفَ من صا	جر يمين من قُطره ويسار
ثم مرت على حقائق تُخل	فإذا احمر موضع الحمار

قال لحافظ أبو القاسم بن عساكر أقيم القبة الرُحْم اشي فيها فواره الماء
 في ستة سبع وستين وثلاثمائة قال . وقرأت بخط ابراهيم بن محمد احتاي
 أنشبت لعوارة المحدرة^(١) في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة و أمر بحر
 انفصعة من ظاهر قصر حجاج لى حرو و أخرى ماءه الشريف فحجر الدولة
 حمرة بن الحسن بن العباس الحُسيبي

وتحتة بقط محمد بن أبي نصر الحميدي . وسقطب في صفر سنة سبع
 وخمسين وأربعمائة ، في حمال تحاكت بها . فأشئت كرة أخرى

(١) ذكرنا سابقاً أنها هي التي تُعرف في عصرنا بمحلة التوتوة عند باب جيرون شرقي الجامع

قال ابن عسكراً . ثم سقطت عمدها وما عيها في حريق اللادين وروق
دار الحجارة ودار خديجه ، في سنة اثنين وستين وخمسمائة .

قال الخافض أبو عبدالله الذهبي : لم عمل لها لشاذروان ، في آخر دولة
الملك اعدل سنة ثمان عشرة وستمائة

قال . ورأيت القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة حيرون وفي
رئاسها الأرسط ست أنابيب صغار ، تصدر حوب المورة ، وعليها درابريانات
فما احترقت للادين سنة إحدى وثمانين وستمائة ، تلفت هذه القصعة وبني
عوضها هذه البركة المشمة . ويسع الماء في هذه البركة من قناة دفنت إليها من مكان
مرتفع فيعلو بها الماء بحوقامة . وسعة المورة أعظم من مرآها ، واسمها
أجل من معناها

قلت . ولم وقع الحريق سنة أربعين وستمائة^(١) بسوق الذهب ولطرافيين ،
وتشعت وجه الحدار الذي للمشهد المعروف برأبي بكر ، وتعلت شرور النار حتى
وصلت إلى دائر المارة الشرقية وتغير عوا في إصلاح ما وهى من ذلك ، وحدوا
أعلىها متداعية ، وحجارتها من حجارة فطرية

فوقف عليها الحكام وقامب البينة بالضرورة الداعية إلى بقض المارة وتجديد
سائنها فقضت جذرها لأربعة إلى حد أوسار الرواق القبلي ، ونقص الحدار
القبلي والحدار الشرقي إلى الأرض ، وحُفرت بين الحدار في وسط المارة عدة
قامات . وبني ذلك لبنة واحدة ، ونُسبت المارة سناً حسلاً لم ين من زمن الوليد
أجل منه ولا أوثق .

(١) يريد واقعة حرق الخامع ، الاموي عام 740 هـ على أيدي عميلين فرنجيين . وفي مصر ابن
فصل الله هذا فوائده حول إعماده إعمار ما بحرب ، وبخاصة أساره الشرقية وذكر
ابو قعة الحافظ عماد الدين أبي كثير في البداية والنهاية ، بمصنع حوادث سنة 740 هـ كما
أن مؤرخ مصر الكبير نقي الدين المقرئ ذكر ولانها في موسوعته التاريخية ، لإدارة
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، 2/2 ، 496 . وسأقدم في الجزء الثالث من كتابي هذا
بحثاً مفصلاً لهذه الواقعة ، مع محضر رسمي كتب عنها في حينها .

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء بصدي . من مقامة أشها في
الحريق المذكور ، من فصل يعلن بالجامع

لسأت الحبر عن شر ، فهد إا لحريق وقع قريباً من جامع ، وانظر
لو شبح حركت تشتت فيه عقائق الذهب الالامع ، فادرت لى صحبه
واسس فيه قطعه لحم ، واللوب دته تلت لب كما يدوب الشحم ورأيت
لر وفه شر في حد ، اطلام معصراب دوانها وصعدت لى السماء
عذبات دوائها :

دوائ لحيت في علو كائما نحاو نأراً عند بعض الكواكب

، علت في احو كائما اعلام ملائكة تنصر ، وكان الواقف في اسد براها
وهي «ترمي سراً كاعصر» . فكم «رمر» أصبحت ليلت «الدخان» «حائية»
وكم نفس كانت في «سار عاب» «يحيي تلو» «هل أذاك حديث العاشة» ! ولم
نزل النار تأكل ما يليها ، وتفي ما سقمها ويعليها ، إلى أن ارتفعت إلى اسارة
لشرقة^١ . ولعت ألسنتها السوداء في عرصر أحشها الهية وثارت بيه من
لأرض لأخذ لنار . وأصبح صجره كم قالب احساء «كأنه عثم في رأسه بر»
فكست وكاب لفو حيد سة ، وبعد المطرب شبة ، وبني رأسها من الهدم
والدرب شقيقه . ودار الحريق على دائرها رحيقه :

وب لأرض من حها صفرة فم سب لأرض إلا نهرا

وأصبح «باب السعد» وهو من يات الساعة ، وحلت «مصطب
الشهود» من السنة والجماعة ، وعادت «الدسة» ، وقد آن أمرها إلى موحشة ،
وحسها الديق وقد ثنت النار عرشه كأن لم أر بها سميراً ولا شاهدت من
بنائها وفما شها جة وحريرا

(١) من خلال وصف ابن كثير من قاضي شبة حريقها في سنة 740 هـ وترميمها ، تأكد لنا
أن نقتنم اليوم بثل 90 / من هذا الترميم المملوكي ، فيما خلا رأس المذبة كما يبدو في
موجة المسام السدقي عام 1511 م . ومجمتها السادسة عصر زخرفي لا أكثر

وقد جمال الدين عمادته بن عديم من كتاب عن كفل الشَّام يُنكر (رحمه الله) إلى نائب طر بلس في هذه الواقعة .

وأصحى فم «العوارة» يُصاعد جمرات أفسس ، و «سوق التحاسين» ، يرسل منه إلى سور الجامع «شوطاً من بار ونُحس» وأُقيع «بيت الساعات» إلى قيام الساعة ، ودُخل إلى باب جامع بكر لعير طمعه ، وكاد يُصلى من به يصنّي ، ويُقبل على صف العساكر فيولي . واهترت المأذنة بحمى باعض ، وتشعث وجه المشهد الأبي بكري . فكأذ أصابه عين ابرو افض ، وترقرت عيون العساكر من الألم ، ورقّ صحن الجامع لما تم هذاه الساحدين من المأذنة ببر على علم ؛ ومرت مرآة اللهب حتى حوت النار ، وصف بعد ذلك في صحن الجامع ما فصل عن أكل النار .

قلت . وهذا المسجد معمورٌ بالناس كلَّ النهار وطريق الدين ، لأنه مرّ المدرس والبيوت والأسواق . وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء ، ومشايخ العلم والإقراء ، ووجوه أهل التصدير والإفتاء ، ووظائف الحديث وقراء الأساع ، والمجاورين من ذوي الإصلاح .

ولا تزال أوقاته معمورة بالخير ، أهية بالعادة قل أن يخدو طرفه عين في بيل أو نهار من مصر ، أو جالس في ناحية منه لاعتكاف ، أو مرّتل لقرآن ، أو رافع عقيرته بأذن أو مكرر في كتب علم ، أو سائل عن دين ، أو باحث في معتقد ، أو مقرر لمذهب ، أو طالب كل مشكل . من سائل ومُسئول . ومُفتٍ ومُسْتَفْتٍ .

هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأسخ الحديث . أو مرتقياً لقاء أح ، أو متفرحاً في قصاء صحبه ، وحُسْ مرأى لقمر والحووم ليلاً في سمائه . هذا إلى قُسحة القصب وطيب الهواء وبرد أوقاته أوقات الهجير ، وحُسْ مرأى ما يريه أحبار المطر ، وفي كل ناحية من وجهها قمر .

وعلى هذا لجامع من الوظائف المترتبة ما لا يستقل به - يسوان ملك - وعليه
جلائل الأوقاف - إلا أن الأيدي العادية قد استوت على كثير منه لسبب الأكار
والمناصبات ، وغير ذلك مما عمل عليه على سبيل النصبات

وقد أصيب إليه وف المصالح ، وقد كان أفرد زمن بور انديس رحمه الله
وهو لا يحور سعين ألفاً في السنة ، جعل لها مصارف أخذ بححتها كل ما
لمسجد ، وعمل بالباطل ورُبَّ منه لغير ذوي الاستحقاق وحمل حتى كل مطاء ،
وأخذت حتى قصرت خطاه .

وها هو الآن قد اختلت أحواله ، وأكلت وشربت أمواله ، أصبح نهياً
مقسماً ، وسوماً صيح في حجرته ، وآل حال مشأه إلى أسوأ الحال ، وشراً
المال

وكانوا سيئات ثم أصبحوا رية ألا عظم تلك الزايا وجلت

وقد اتفقت كمة السفار في الأفان على أنه فرد في محاسنه ، بديع في
نظرته^(١)

١ - (مسالك الأبصار ، طعة أحمد
ركي پشا ، 1 ، 187-203)



(١) بعد ذكر جامع الأموي ساورد أدناه خصوصاً نادرة من آخره الأول من «مسالك الأبصار»
بص ، حصها لعمري بذكر نهر بردى وبعض قصور الشام ودياراتها وحناتها القديمة
وصحتها مشاهدات ورويات شخصية هامة فيها ما يشوق ويغنى

نهر بردى

ويخرج من عين في صحراء الرّيداني بين بعلبك ودمشق ، ثم يمده نهر
يخرج من جبل الممتد على الشام من مكان يُعرف الآن بالفبيجة ، تحت حصن
عَرْتَا^(١) ، ويمد إلى دمشق وينقسم قراها وبعدها أنهاراً ، يعم دورها ويساتبها ،
ويسقي قراها ومزارعها ، ثم يُخرى صل مائه شمالي العُوطة في بحيرة هناك

(مسالك لأبصار ، 1 : 81)

* * *

(١) عَرْتَا اسم آرامي - خُصداً بالنصب وتشديد الزاي ، أي الأرض لغزية ، وهي الأرض
الطبية لبعده عن ماء وبنوخم . ومن نافع القول أن أسماء الأرضين والمياه بدمشق وما
حولها آرامية صرفة قولاً واحداً لا يفتوره شك ولا انتاس .

قصر هرقل

وهو مشرف الأعشى بشالي ويعرف في ما يقصر رثاء الملوك⁽¹⁾
 ولم يبق منه اليوم إلا حوض والخمام والجوسق الآن حانقاه للمعراء⁽²⁾ ومن
 رمل مبرلاً لمسوا ومزها لأهل ملك لإشرافه [على] هريرى والوادي
 وبرله السلطان صلاح الدين .

وحكى بن طرفة قال دخل أبو حنيد بن صغير القيسري على أمير تاح
 الملوك «بوري» بن طعتكير صاحب دمشق ، وبين يديه بركة فسيحة الماء صحيحة
 الماء ، قد راو مدوها وصفا ، وحر التسميم مارق من أدباله وصفا ، وهو نارة
 يرشم رصيدها ويحصد ثيابه ، وتارة يسكب مزرده ويحسبها مشرباً ، فأمرو
 بوصفها ، فقال .

أو ما تدرى طرب السيب	ثم إلى الغدير إذا تحرك ؟
برو رأيت الماء يد	عب في جوابه لسرك !
ويدا نصا فنتعشبه	أناك في ثوب مقرر ³

سورة (مسالك الأبحار ، 1 : 249-250)

بهرار بن فضل له بوحه لإطلاق يذكر سمي «قصر هرقل» هذا أما قصر شمس لموك
 الذي أدركت حوسقه وحنامه فهو ثريه يشهد الأمير السلجوقية صفوة الملك لابها دفاق ابن
 تشن المتوفى سنة 497 هـ ، ومن بعده سنة 504 هـ ، ثم ذهب احتار بكورة فيها (س)
 جاب إليها سنة 513 هـ ودفاق من موك السلاجقة دمشق حكم بين 488-497 هـ
 ثم تولى الحكم من بعده أديبه طعتكير طر تارح مشق لابن عسكر 2 89
 (2) مع الأربة كانت حانقاه للصوفية ثم قبة تعرف بمكة العلواريس وبها كتابات كوفية ورحدف
 حصنة رائعة ، شربها صو ، صاحب العرسي جاب سونجده في آخر الأول من كابه
 Les Monuments Avyoubiues de Damas «الأثر لا يويه بمشق» في عام 938 ، ثم تم
 مدم بقية¹ وموقعها اليوم عند معهى الهافان والسي العربي وسيف الأهرام فيما يشيع
 اسمها بالعبط على المسجد المقابل لها (الطاووسية) ، وهو حانقاه البوسنة
 (3) يعلط الباحثون يطق اسم هذا الأمير ، فهي في لركنة القديمة Bori بوو أي دلب
 وكنت حرمه فاعنه فيها وأو حر الكلمات ترسم ألعا مقصورة على وجه لإصلاح

دير صليبا^(١)

ويُعرف بدير السائمة ، وهو بدمشق مُطلٌّ على القُوطَة . ويكنى من أبوابها باب القُرَاديْس . نزل دُونه خالد بن الوليد ، أبم مُحاصره دمشق . وهو في موضع بُره ، كثير البساتين ، وبؤه حُسْنُ عجيب . وبنى جانيه ديرٌ للنساء ، فيه رهبان ورواهب . وإياه أراد جريرُ بقوله :

إذا تدكَّرتُ بالديرين أرقسي صوتُ الدَّجاجِ ونُزعُ بلنواقيس

قال الخالدي . وتما يدلُّ على أنه يلي باب القُرَاديْس ، قول جرير في هذا الشعر .

فعلتُ للركبِ ردَّ حدَّ النِّجاءِ بهم يا بُعدَ يسيرٍ من باب القُرَاديْس

وأشدُّ فيه قولُه [الآخر] ، وهو :

يا دَيْرَ بابِ القُرَاديْسِ المُنْحَلي كالأبلا بقلاليه وأشـحـره
لو عشتُ نَسعينَ عما فيك مُصْطَحاً كَمَا قَصَى مَثَ قَلْبِي بَعْضَ أَوطَارِهِ

وحكى أن الوليد بن يزيد كان كثير المقام في هذا الدير ، يخرج إليه ومعه حُرْمه استحساناً له ، وثمة كان يجلس في أبياء مقامه فيه في صحته كل يوم ساعة من النهار ، ثم يأكل ويشرب في مواضع منه طيبة حسنة

وحكى الخالدي عن أحد من كان سادمه ، أنه : دعا يوماً بطعامه ، وأمرني بالعداء معه . وحضر لدموه ، وكأ بهم حين اغتني . فنحن على المائدة ، إذ قال له : يا حنين ! غنّني الباردة في آخر المجلس - وقد أخذ لشراب مني - بشعر صاحبكم ، عيسى بن يزيد ، فلم أسكمل الضرب ، لأجل سُكري^(٢) . فأعده عيسى الساعة . قال : فأخذ حين رفقته ، ووقع عليها وغنى

(١) لاسمه سرياني واضح معناه ومعناه . ربحته (يتسكن الصد) ، ويعني الصليب

(٢) يرى القارئ لهذه الحكاية - [صحت - ما يدعى به الخيل بار بصدر عن خليفة .

بِأُيُوسِي وَقَدِي الْآرَا إِنَّمَنْ نَهَوَيْنَ قَدْ جَارَا
رُبَّ رِبَّتٍ أَرْمَقُهَا تَقْصِمُ الْهَدْيَ وَالْفَارَا
عَدَهَا طَلِي يُؤْخِئُهَا عَاقِدِي الْخَصِرِ زُجَارَا

قال فطرب طرباً عظيماً ، وأخذ رفاقه وهم وترك لعداء ، وجعل يقر
عليها مع حُين ، وأخذ كل من على يدئده يرققه ، وجعلوا يقررون عليها مثله
ومضى يطلب باب الدهليز ، وحير وأندماء حوته ، والخاص قد جلس ينظر
جلوسه ، وقد حصر وجوه العرب

هنا رآه الخاص على تلك الحال ، صاح بالناس : الحرم . الحرم .
انصرفوا انصرفوا ! فخرجوا فقال له : يا أمير المؤمنين ! وفود العرب تنتظر
جلوسك ، وأنت تخرج إليهم على تلك الحال ؟ فقال : ثكلتك أمك ! أرسل
ودعه ليرطل فحلف أنه ما دافعه فصر فقال والله لتشربن معي حتى أسكر
ولم يرل يسقيه حتى مات سكرًا ، ونصره محمولاً

قُتِلَ - وهذا الديار السود لا عين له ولا ثمر ، وإنما صار دُوراً وأمية
ومسجد ومدافن وهي ناحية محلّة حمام النحاس⁽¹⁾ ، والله أعلم وبهذه
الحلّة داري التي بنيتها ومساكني⁽²⁾ ، وهنتها

(مسالك الأبصار ، 1 : 349-350)

(1) سُمِّيَ اليوم «جسر نحاس» شرقي محلة الركبة (حي ركن الدين) يستها عماد الدين
ابن لنحاس (توفي 654 هـ) أنشأها مسجداً وقبره وحماماً الدارس للعلمي 2 441 .
(2) حدد موقع دار ابن فضل الله لاحت المحيد لأسناد رهبر صطا ، قيد كرايس كثير وفاته في
اسدييه وإنهاء (حوادث 749 هـ) «وعمر داراً هائلة سمح قاسيون بالقرب من الركبة
شرقيها ، لبس بالسفح منها» بدر ذلك أن القصر لقديم القائم شرقي الركبة اليوم
على نهر بريد (دار الملاطية في اليوم) كان أصلاً قصر العمري ، تنص به بيت وبيت
أميري (حاكوره «حمو نبي») وأروقه تنصي ردهتها في قاقين ، وفي حصه كان مسجد
صائوت الذي ذكره ابن عبد الهادي (تعار المقاصد 130 ، 149)

دير يُونَا^(١)

وهرب جانب غُوطَة دمشق ، ليس بكبير ولا رُهبانه كثير ، ولكنه في رياض
مُشرقة وأبهار مدققة ويُقال به من قدم ديرة التصري ، بُني بعد المسيح عليه
السلام بقليل .

واجتار به لوليد بن يزيد ، برأى حُسه وطيبه ، فأقام فيه أياماً في تخرق
ومُجون ، وقال فيه^(٢) :

حَذا يومٌ يدبر يوتَ حيثُ تُسقى براحه وتُفنى !
واسنهاً بأناس فيما يقولو نِدا حُبروا عما قد فعلنا^(٣)

قلتُ وهذا لدير اليوم لا وجود له ، قد أقُرب لأرض منه من رُسم
وطلل ، ومضى وحادث كل دير بعده جَلَل^(٤) .

(مسالك الأبصار ، 1 : 351)



(١) في الأصل : دير يوتَ ، وهم العمري بصطه كما وهم باقوب وابن شداد ، والسمة صيغة
يونانية واصحة لاسم «يوجنا» ، مما يدل على أنه كان من أديرة الروم الملكيين

(٢) في ذكر ثلاثة من هذه الأديرة هنا بعد ذكر قصص سُجون لوليد بن يزيد . كذلك راجع ما
ورد أعلاه في نص الحميري عن أبيه يزيد بن معاوية وتعلقه عن حرب الروم في عراة
الطوائف ، ليعاقر الحمرة مع النساء .

(٣) لا يعني كلام ابن فضل الله بتحديد موقع الدير قديماً ، فقد نقل أخباره من كتب السابقين
دون أن يعلم موقعه . والمؤسف أن خبر هذا الدير ساقط من مخطوط كتب «الديارات»
اشهير للشهابي (المتوفى ١٨٨ هـ) في نسخة برلين . ولا بد من أن كان مذكوراً في نسخ
كتب الديراب للأصمعي والحلي . لكن به ذكر في معجم اسد بن لياقوت (2 : ١٩02)
ولأعلاق الخطيرة لاس شداد (ص 2٩) ، ولما حدث الدمشقي حبيب الريات بحث عنه
في محلته الخربة لشرقه وكتبه «الديارات النصرانية في الشام»

دير سمعان

قد الخالدي هو بسواحي دمشق ، بالقرب من اعوطة على قطعة من
خيل ، يصل عليها ، وحوله بنايين وأبهار ، وموصعه حسن جداً ، وهو من كبر
لأدبرة ، وعنده دفن عمر بن عبد العزيز بطاهره

قلت : وهذا خلط من الخالدي وهكذا ذكره أبو الفرج ، وغلط أيضاً ،
فإن هذا الدير في قرية تُعرف بالبقره ، من قلبي معرفة انعمان ، وبه قبر عمر بن عبد
العزيز ، مشهور لا يُنكر وليس يُسمع بدمشق لهذا الدير تابهة ، ولا يُعرف لمكانه
في غوطتها حصراً ولا يابسه⁽²⁾

(مسالك الأبصار ، طبعه أحمد

ركي باشا ، 1 : 520)

(1) يعني أبو الفرج عداس بن حسين الأصماني (توفي بعد 362 هـ) ، صاحب الديوان الأدبي
القيس الدائع الصيغ «كتاب الأعني» به مؤلفات أخرى ، منها كتابه «الديب»
الذي كان بحكم بنفقود ، عني فيه بعد ذلك لأخيه المشتهرة في زمانه في بلد ورياضها وفي
العلوات إنانيه ، بالعراق والشام وفلسطين والجزيرة وغيرها ، مع ما يتعلق به من الأخبا
والأشعار والملح والنوادر الأدبية وأخص ما ظهر من هذه المؤلفات في القرن الرابع
الهجري أثناء كتاب الأصماني هذا ، وكتاب لدير بلسانيشي (توفي 488 هـ)
هذا ومع بصل من كتاب الديب اب سوي تفت متفرقة في كتب الأدب قام بجمعها
حليل العظيمة مؤخراً ، وصدرت عن دار رياض نجيب الريس بلندن [1991

(2) تابع لعمر بن بعد ذلك أحبا لدير ، لأخر معرفة العمار بكت بؤكده وحو . دير كـ تُعرف
بدير سمعان بدمشق (ذكره ابن طولون في القلائد الجوهريه ، 33) ، كتاب بصفه
قاسيوس شمامي المدرسين العريزيه والعظيمة أي ما يطق في أياما على مقبره الخرش
بأعلى حي بير التوتة الواقع شمالي القو حبر) وسرى أن ابن فضل الله أراه ظر موضع
دير مر ب في هذا الموقع ، وهو غلط شاع في عصره كما يلوح ، فيذكر أنو ربح بدمشقي
بوشمة المقدسي بأواسط القرن السابع (ريل التومسين ، 200) «عصره المعظيمة بدير
مرأ» هذا رُعم أن بر موقع المعظيمة بأعلى حي بير التوتة اليوم) ودير قرن بيو حي
فصر ششرين) مسافة كبيرة بشغلها حي لهاجرين بأكمله ، من شوري شرد إلى ساحه
آخر بخط عرباً وسأقر لأديره قاسيوس السردانية القديمة الأربعة بحثاً خصاصاً

ديبر مَرَّان

وهو بالقرب من دمشق على تل في سفح قاسيون ، ويؤد بالحصن الأبيض ،
وأكثر قرشه بالبلاط الملون . وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني . وقلاييد
دائرة به ، وأشجاره متراكبة ، وماؤه بتدفق

وحكي عن الميرد أنه قال :

واقبت الشام وناحدث في جماعة أحدث لأكتب لحديث وأقوى أهل
العمم فحرب دبر مَرَّان ، وأحب النظر إليه ، فصعدته فرأيت منظر حَسَن
وإذا في بعض بيوت كهن مشدود حسن بوجه ، عليه أثر النعمة قد نوبت له
وسلم عليه فرد السلام ، وقال : من أين أسم يا فتيا ؟ قلنا : من أهل العراق .
قل : يا بني ما الذي أقدمكم هذا البلد العليظ هواؤه ، انقيس ماؤه ، لحماة
أهله ؟ قلنا : طلب حديث ولأدب فقال حنَّدا : أنشدوني أم أشدكم ؟
قلت : بل أنشدنا . فقال :

الله يعلم أنني كمسدد	لا أستطيع أثبت ما أجدد
روحاً لي روح نفسيها	بلد وأخرى حارها بلد
وأرى لقيمة ليس يمعها	صبر رليمن يصونها جكد
وأطر غاشي كشاهدتي	ممكنها تجد الذي أجدد

ثم أغمى عليه ، فأفاق ، فصاح به فقال : أنشدوني أم أشدكم ؟ قلت
بل أنشدنا . فقال :

لما أباحوا قيس الصبح غيرهم	ورحلوا فتادت بالهوى الإبل
وأبرزت من خلال السجف باظرها	يرئو إلى ودمع لعين مهن
فودعت بيان جعله عمم	فقلت : لا حملت رجلاك يا حمل
وبني من النير ماد حل بي وبها	من يرح الوحد حل البين فارتحوا
إني على العهد لم أنقض مردتهم	فيت شعري بطول العهد ما فعلو ؟

فقال له فتى من المُحِبِّين الذين كانوا معي ماتوا ، قال : وأموت ؟ فقال
له : مُتْ ! فتمطى وتعدَّد . وما برحنا حتى دهَّاء !

* * *

وللصَّوْبِري فيه من شعري قوله .

وأجعلُ بيتَ لَهوي بيتَ لَهيب	أمرُ بدير مُرَّارٍ وأحيَا
فليسُ يريهِ غيرُ دَمَشقَ دُنيا	صَفَتْ دُنيا دَمَشقَ المِصْطَفِيهِ
وأصْرُفي بو طرب واهيَا	مُضِلَّةُ فَوَاكِهِهِرِ أبهى
ومن رُمَاةٍ لم تُعدُّ دُنيا	فمن تُفَاخِةٍ لم تُعدُّ حدَا

* * *

وقد ذكره أبو القَرَّح ، وقال :

هو علي بلعة مشرفة على رعموانك ورياض حساب ، ورله لرشيد وشرب
فيه . ورله المأمور بعده . وكنت يحسب من الصحاك مع الرشيد بأمره ، فأمره
أن يقول شعراً ، فقال : *مررت*

ب - يرمُ مُرَّارٍ لا عُرِّيْتُ من	قد هجئتُ لي حُرماً يا دير مُرَّان
حُبَّ لُدَامٍ فَإِنَّ الكَأْسَ مُتْرَعَةٌ	فما يَهِيحُ دَوْعِي الشُّوقُ أحيَا

وأمرَ عمرو بن بابة ، فغنى فيه كحسين

* * *

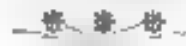
وحكي عن إبراهيم الموصلي أنه قال - مرَّ الرشيد بدير مُرَّان^(١) ، فاستحسسه
ورله . وأمر أن يؤتى به طعام حصيف . فأُتي به فأكل . وأُتي بالشراب
والسَّمَاء والمُغْنَيْنِ

(١) اسم لدير سرياني وأصبح عباءة ومعناه - قُصِي (موران) ويعني سُدَّ ، لَهْد - من اسم
قُصَا : السيد ، الرَب ، بإضافة نون المتكلمين

لخرج إليه صاحب الدّير ، وهو شيخ كبير هَرَم ، فوقف بين يديه ودّعه ، واستاده في أن يأبى شيء من طعام الدّيرت . فأدرك له ، فأبىه بأطعمة طاف ، وإدام في نهاية الحُسْن والطّيب فأكل منها أكثر أكل ، وأمره بالجنوس ، فجلس معه يُحدّثه ، وهو يشرب .

إلى أن جرى ذكرُ بني أمية ، فقال له الرّشيد : هل نزل بك أحدٌ منهم ؟ قال نعم . نزل بي لوليد بن يزيد . وأخوه الغمّز ، فجلسا في هذا الموضع ، فأكلا وشربا وعُتيا . فلما دبّ فيهما السُّكر ، وثبّ الوليد إلى ذلك الحُرّ ، فملاّه وشربه ، وملاّه وسقى أحده الغمّز . فصارا لا يتعاطيان حتى سَكرا ، وملاّه لي دراهم .

فنظر إليه الرّشيد . فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يُقلّه ، ولا يقدر على أن يشرب ملاه . فقال : أبى بو أمية . لأن يسقوا إلى اللذات سَبَقاً لا يُحاربهم أحدٌ فيه . ثم أمر برفع الثّيد ، وركب من رفته



قلتُ : والنّاس في اختلاف أين كان دير مُرّان . فمن فاض إليه كان بمشارق سَمْع ، بواحي بَرز . والأكثر على أنه كان بمعاريه ، وأن مكانه الآن المدرسة المُعظمية⁽¹⁾ . وأما الذي كان بمشرق السّمع ، فهو دير السّائمة المُسمّى دير صَبيا وقد ذكرناه .

(مسالك الأبصار ، : 353-356)

(1) ذكر المؤرّخ الدمشقي أبو شامة مقدسي بأواسط القرن السابع (دليل البرّوضتين ، 200) : «المقرّة المُعظمية بدير مُرّان» . رغم أن المترصّن أن المدرسة المُعظمية كانت تحت دير سمعان وبس مُرّان . فالمعروف عنيه لدى الباحثين بشار دمشق أن دير مُرّان القديم كان يقع على إحدى اتّلاع بحريه بماسبون عند عمدة دُمر . تحت القبة التي قامت عليها قبة السّيار . وفي مدهوم عصرون إلى الجنوب الغربي من ساحة آخر الخط ، عند موقع قصر تشرين ، بأعلى حديقة تشرين . وكذا أثبت دهمان في محفظه لصلالحية . وراجع قرن العُصري المتقدّم : ومكانه الآن من المدرسة المُعظمية إلى قريب عقبة دُمر .

دير صيدباي

وهما اثنا

أحدهما يقصده أنصاري ياروق^(١) ، هو في دمنة القرية

والآخر على بُعد منها ، مُشرف على الجبل ، شماليها بشرق . وهو دير
مار شربين^(٢) ، ويقصد لشرع ، من بناء الروم بالحجر الأبيض وهو دير
كبير ، وفي طهره عيون ماء سارحة وفيه كُوى وطفت تُشرف على غوطة
دمشق ومايلها ، من قسبتها وشرقيها وفيه ما يطل على ما وراء ثيابه العُقب
ويمتد النظر من طاقاته الشمالية إلى ما أخذ شمالاً^(٣) عن بعلبك

وأمم^(٤) ، وهي في القرية^(٥) ، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضاً ، ويُعرف بدير
لستيمه . وله بُسْتَن . وله ماء جار . في بركه عُميت به وعليه وقاف كثيرة ،
وله معلات واسعة ، وتأتيه دُور وفيرة وطوائف أنصاري من بفرج تقصد
هذا الدير وتأتيه لزيارة



وكتب^(٦) راهم يسأول السُّلطان في أن يُمكنهم من زيارته ، وإذا كُتِبَ لهم
زيارة قُمامه ولم يكتب معها طينة باية ، يُعاودون السؤال في كتبها لهم وبهم
فيها مُعَقَّد

(١) أي دير السيد الشهير ، كما سيأتي أدناه

(٢) مع الدير فوق صيدباي على إحدى قمم سلسلة القنموب الأعلى ، على ارتفاع حوالي
١٥١٠ متراً عن سطح البحر . كان في عصره حراباً ساب ، إلى أن تم عادة إعماره بهو آخر
اقرب العشرين . وهو يقصده أنوار من أنحاء سورية ، وموقعه رائع جداً والطريق
الصعب جداً فيه شاق ، وقممه تروى من أكثر أنحاء ريف دمشق ، عبري وسلسلة حبال لبنان
سُمي اليوم «دير اشيرويه» من الأراميه «كروبيم» כְּרוֹבִים . كان للملائكة كس هذا
يسمى اسمه لأصلي بل ما كان على ألسنة أناس دير شربين

(٣) بل الأصح : إلى الشمال الغربي

(٤) في الأصل لمخطوط وفي قرنة صيدباي دير . وقد كتب المؤلف فوق الكلمتين الأولىين
كلمتي «ما لهي» لصحيح السياق المتقدم ، ولكن فاته أن يصوب على تلك الكلمات
لأربع

والنصري ترعم أن بها صندعاً بقطر منه ماء ، يأخذونه للترك ، ويدعونه
 في أوام طاف من لرحاح ، ويكوبها من فاخر الثياب ، ولهم فيه أقوال كثيرة
 وسمعت نصريّة⁽¹⁾ كانت معروفة بينهم بالعلم ، تقول : إن ذلك الماء إذا أخذ على
 اسم شخص وعلّق في بيته ، ثم ردد مقدار عده عما أخذه ، رلّ على ردة ماله
 وجاهه ، وهذا قص ، دلّ على نقص ماله ورحمه وقرب أوام موته

ورأيت هذا الماء وله ذهية تشبه الشيرج أو الرت الصافي ، وليس بهما
 وجاءت مرة كتب ريدفرس وكتب الأدفوش⁽²⁾ ، على أبدي رسلهم
 ومث سألوا فيه تكين رسلهم من تتوجه إلى صيدنا سرّك بها فأجاب الأسطان
 سؤالهم ، وحمل الرسل على حيل البريد إليها

ومث قلته فيه -

في حب الديار مراد	ومهر عبد به هل
وشادن قد جاءنا اختور	في كعب كأس له تشعل
وروصة تشرق أنهارها	قد شقها في ونطها حدول
ومطرب تطرب الحاشه	كأنه إسحق ورلر
مدونك لراخ ممي ، لها	شهد وفي اطعم بها قلقل
وامي بها في الكأس لكتها	عدراء من خطاياها تحجل

(مسالك الأبصار ، 1 - 356-357)

(1) لاحظ أن مصادر النصري كانت متنوعة ومباشرة ، وبعضها بالمشافه مع أبناء النواحي
 (2) ريدفرس أي ملك فرنسا . Ro: de France أب الأدفوش فهو من إسبانيا القوسو ،
 واسمه عند الإسبان : lldfonse .

دير شق معلولا

وهو باطل حبة غَسَّال ، وهو بَاءٌ رُومِيٌّ بحجر الأيصر ، معنق سُقيف
وبها صَنَعَ فيه ماءً يَقُطُّ^(١) ، نحو الذي بصيدرب ويأخذه انتصارى للترك ،
مُعْتَقِدِينَ فيه نحو اعتقادهم في الآخر وإنما الاسمُ للذي بصيدربيا

(مسالك الأبصار ، 1 : 3٩8)

* * *

دير بلودان

وباءؤه فديمٌ سبيعُ الحُس^(٢) ، وافرُ العَلَّة . كثير الكُروم وانفواكه والماء الحار
بقرية بلود^(٣) ، وهي مُحَادِيهِ لِكُفْرٍ عَامِرٍ تُظَلُّ من مُشْرِفِهَا عَلَى حِجَّةِ الرِّبْدَانِي .
بلاد دمشق وبه رُهْبانٌ بَطَفٌ ، وَغُلَمَاءٌ من أَبْنَاءِ النِّصَارَى طُرَافٌ

(١) المقصود دير ماغلا *ayna @kalla* من أوائل شهداء القرن الأول
(٢) هذه إشارة أدركه بصره بها "مُزَيَّ حول «دير مار جرجيس» للروم الأرثوذكس في قرية
بلودان ، وهو حرب في أسبند إلى لا تراوان أطلاله وآثاره ماثلة قرب كنيسة الروم حانية
(بُست عام 1924) ذكر حبيب البزيات (مقالته دير مار جرجيس بمحلت الخرابه اشرفه)
أنه بدأ حرابه في القرن الثامن عشر ، نحن بعيت بعض حداراه وأبوابه ماثلة حتى مطلع
القرن العشرين ، وكان قوم في مودان يدُكروُن أبوه لسعه وقد قُدمت عنه راسه
وإليه في موسوعة «حفظ ريف دمشق» (لم تنشر)

(٣) نلاحظ أن المؤلف علق الاسم بالذات ، على طريقه لغة السريانية المحكية ، وهذا دليل
على أن أهل بلودان في عصره كانوا لا يزالون يتحدثون السريانية أما في عصرنا ، فلا
تحدث بها إلا في ثلاث قرى من المقصود معلولا ، حديدس ، بَخْعَة وهؤلاء
يعطون سريانية هي لأورب إلى الآرامية القديمة ، ويختلف في مساهم ومطهر عن
الكندانية الشريفة والسريانية العربية بشمال سورية كالفامشلي غير أن السريانية
مركبت آثاره الواضحة في اللهجة العربية العامية بالمدمون بأسره ، وبخاصة بهجة
صيدرب المحكية أما بلودان اليوم أو سطقها بالذات ، فهي من المصائب الشهيرة ، تقع
على السفوح الغربية لجبل اشرفي انطل على نردسرى تدعى 1٩00 مرأ

مررتُ عليه ، ونزلتُ إليه ورأيتُ به علماً ي فوق الطيِّ حساً^(١) ، ويشه
 البدر أو أسي . بحصر بحيل وطرف كحيل قد قطع الزنار بين حصره وردفه
 وتمت السحر بين جفنه وطرفه ثم ما كان بأعجل مما استر بدره ، ولا ح ثم
 حمى فجره فقلتُ فيه

حبذا الدَّيرُ من بلودان دارا	أي دبر و أي نصارى
فيهم كل أخور الطرف أحوى	فائق الحس في حياء العذرى
وعُلام رأته كهلل	ما بدا للعيون حتى تنورى
نقوام دا نعايل نشوا	نأ فالخاض مقلتيه سُكرى
باحن الخصر حل عقد اصطاري	عندما شد خصره زنار
قبل رؤياه ما رأيت عزلاً	بات يسمي من مرشميه لعقار

(ممالك الأبصار ، 1 : 358)

(١) ست المؤلف كان استعص في وصف اندر في أيامه بدلاً من التشيب بالعلماء ، وهو
 الوحيد الذي ذكره في ذلك لعصر ، ولو فعل لكان أفادنا أي إمددة ، لكن قاتل الله المحزون
 وأهليه

حانة هُشِيمَة^١

وكانت دمشق ، وكانت تحدم الوليد بن يزيد في شرابه وتتولى اتحاده له
وكان يُقار به له يُر أعرفُ مهابه ولا أنصف آلة وصعة ، ولا أسق في الخدمة .

وقد ذكرها يزيد في شعره ، إذ قال

قد شرب و حُت الرُمّاره	وسقي يد يدح بالقرقاره ^١
من شراب كأنه دم حشف	عنقنه هُشِيمَة الحماره ^١
اسقي ، اسقي ، فإن ذنوبي	قد أحاطت فمالها كفاره ^١

وعُمرت حتى أد كب الرشد وماتت في أيامه ، ماتت يوم مذب ، كسائي
التحوي والعاس بن الأحف الشاعر ، فصلّى لأمون عليهم^(٢) .

(مسالك الأبصار ، ١ ، 398)



١ لا يعني بقدر أن فصل به لهذا الخبر أنه سرور الحانة في أيامه بل بقدر أنه من مسكنها
لتعبد كل ما أورد في «مسالك الأبصار» من فوائد في حطط دمشق ، أي في طبعها وجمالها
التاريخية . وهذا هو آخر خبر يرد في الجزء الأول من الكتاب .

(٢) نظر كتاب « لا عني » لأبي الفرج الأصبهاني (٥ - 254) حول موت إبراهيم الموصلي
والكسائي التحوي والعاس بن الأحف وهشيمة الحماره ، والرواية الصريحة حول أمر
الرشد للامون بالصلاة عليهم



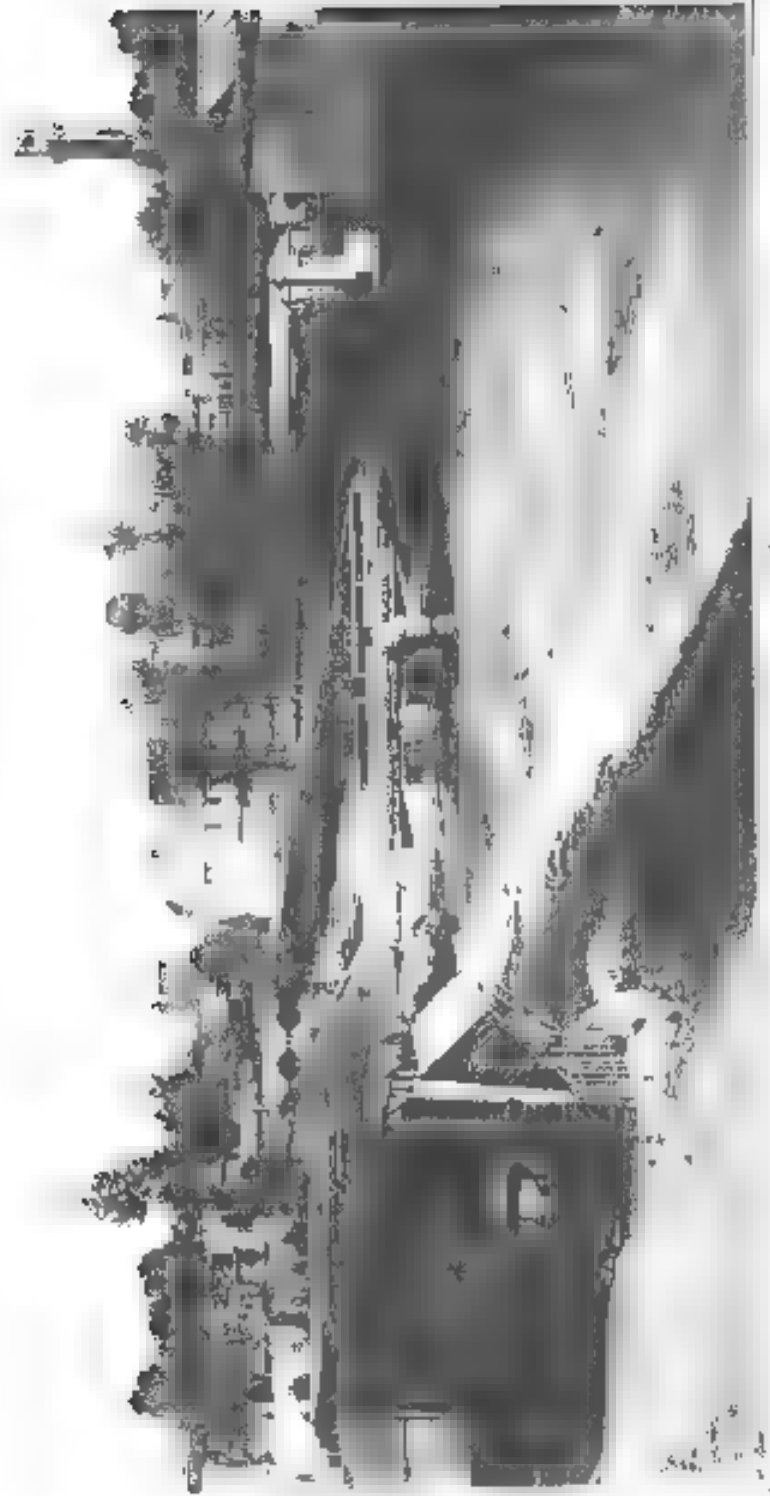
قبة المدرسة الظاهرية وخلفها تبدو أسوار القلعة ، مُقيشة من القرن التاسع عشر



صورة فوتوغرافية قديمة لبويعس عام 1868 . تدور فيها في المدرسة عظمرية



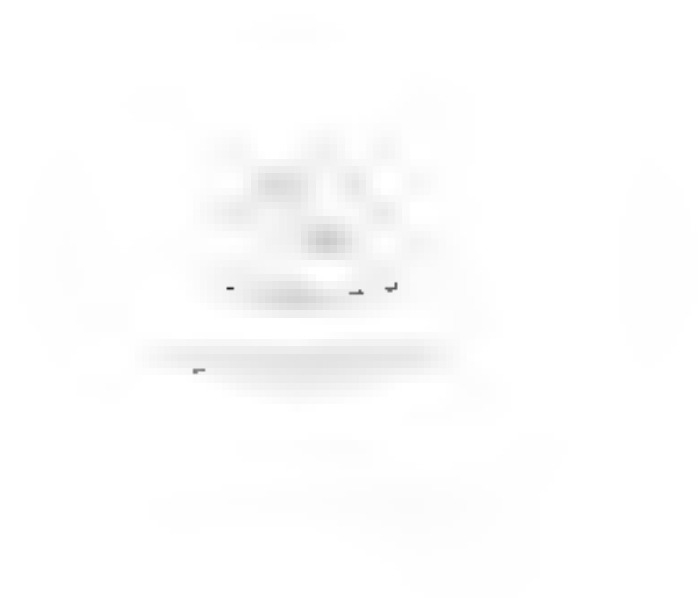
صورة فوتوغرافية بانورامية لساتين النيرب الفوقاني
 وفي مقدمتها تربة السّلعان الملك العدل كُبُغا المنصوري (اترة العادلية البرآنية)
 تصوير : فيلهلم هامرشميت Wilhelm Hammerschmidt حوالي عدم 1870
 وموقعها اليوم ضمن حديقة المالكي ، كان يسميها أهل المنطقة : ستي خيتونة



منطقة المرحه المذكورة كثيراً في العهد المملوكي ، صورة لبومبيس حوالي عام 1870



محموعة الكية السليمانية ومدرستها ، قامت كوصيع ، بقصر الأتلي
صورة قديمة من كتاب *L'amasius de isumische stadi* ، برلين ١٩٢٤



ابن بطوطة المغربي

(توفي 770 هـ / 1368 م)

زار دمشق عام 726 هـ وعام 749 هـ

نُعدّ ابن بطوطة ، بلا شك ، أعظم الرحّالين لمسلمين قاطبه وأكثرهم تطوّفاً في لآفاق ، وأوفرهم نشاطاً واستيداباً للأخبار ، وأشدّهم عناية بالتحدّث عن الحياة الاجتماعيّة في البلاد التي يحول فيها . وحديث رحلاته الطويلة عني بالأحداث يشعّ بالحياة ، يشهد أنه كان من المعاصرين الذين لا يقرّ لهم قرار ، ومن الذين بدّعهم حبّ الاستطلاع ، ارتعبه في الامتصاص بالحياة إلى ركوب المحاطر والصّعد

ولد محمد بن عبد الله النّواتي الشهير بابن بطوطة في مدينة طنججة بمغرب عام 703 هـ لأسرة بربرية فجة لقدر ، أتيح لكثير من أبنائه الوصول إلى المناصب العُلى في القضاء والفقّه . غادر وطنه عام 725 هـ لأداء فريضة الحج ، وكـ فتياً بين 22 عاماً ، فطن حوالي 28 سنة في أسفار متنصّة ورحلات متعقّبة وألقى عصا التسيار أخيراً في مدينة فاس ، وتصل سيطاه بي عمان لمريسي . وأعجب هذا لسطاف بما كان ابن بطوطة يقصّه من أحداث أسفاره ، فأمر كاتبه محمد ابن جرّير لعروطي الكلبي أن يدوّن ما يلقه عليه الرّحالة الكبير

تولّى ابن جرّير رواية الرّحلة وبلحيصه وترتيبها وإضافة بعض الأشعار إليها وتحقيق أجزائها ، مُستعيب بكتب الرّحلات المعروفة في عصره ، ولا سيما رحلة ابن حبير . وسمّاها «تحفة الطّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» .

و فرغ ابن حُرَيّ منها عام 757 هـ ، و حتمها بعدة أحجار إليها الشيء على ابن
طوطه ، و لم يسر مولاه السلطان ، فافتحربا أن ذلك أرحالة العظيم إن حتر
لا استقرار في ديرة دون غيرها

غير أن شيئا من الاضطراب في حق الرحلة يراء الفدري رتب كان مرجعه
بأن أنه لم يدون أحد رحلته بنفسه ، وأن ابن حُرَيّ عدت في بعض أحوالها و غير
فيها بأحد و لإضافة حتى ، ت بعض الأحرار حيدة عن الدقة ، ولا سيما
حارثه عن مصر ، مما حذر بعض سافدين إلى اتهامه بأنه لم يصل إلى تلك
بلاد كم عم في حبه و يرى كراشكوفسكي أن حبه عن مصر لا يريد
ثيمته عم جاء في سفر السندباد ، و أحداث بهد « سررل بن شهرير

عذر ابن بطوطة بلاد المغرب الأقصى عام 725 هـ إلى الأراضي الحجازية ،
فمر ببلاد الحرائر و تونس و طرابلس ، ثم وصل إلى الإسكندرية و القاهرة و منها
إلى البحر الأحمر و عيذاب ، ثم عذر إلى أسطاط القاهرة و رحل عنها إلى انشام
مر ببعض مدن فلسطين و بلاد سورية ، حيث كان في نيته أن يتابع طريقه إلى
الحجاز مع ركب الحج الشامي

و تنقل ابن بطوطة من مدن الشام نقلاً يسيراً غير منظم في أحوال رحلته ،
و وصف عرة و بيت المقدس و انتقل إلى وصف صور و طرابلس الشام و حلب ،
و سرد بعض الأحداث التاريخية المتعلقة بأمر عدت لمشجرة بين السلطان المموكي
الناصر محمد بن قلاوون و دولة يبلخاندت المعول بالعراق .

دخل ابن بطوطة دمشق عام 726 هـ ، في أيام الملك الناصر و كان كاهن
انذاك الأمير سيف الدين بكر باصري ، الذي و لها بين 712 - 740 هـ ، و كان
عهده من أهى و أنهى معهود بني شهيد دمشق ، فربل بها كما ذكر في مدسة
الملكية المعروفة بأشرف شنة ، بني كات داخل باب الحصة (في المنطقة المعروفة
نيوم بالحريقة) و أسهب في الحديث عن دمشق ، فوصف مسجدها الجامع
وصفاً دقيقاً ، و نقل الكثير عن سابقه ابن جبير الأندلسي .

ثم عدّ ما بالبلد من أوقاف عامة لمختلف الشؤون الاجتماعية . كما عني بالكلام على ما يلقاه المغاربة من الإكرام وحُسن الوفادة بدمشق ، فلا يحتاج أحد منهم إلى سر وجهه في السؤل وبخمله أَوْض في ذكر قصائد أهل دمشق

أدّى ابن بطوطة بعد ذلك فرصة الحج ووصف منسكها ، وتحدّث عن الحجاجيين وعدائهم وأحوالهم الاجتماعية . ثم غادر الحجاز عام 726 هـ مع الركب العراقي وعُرج عني واسط والبصرة ، ثم رار بعض المدن في غربي إيران ، مثل بستر وأصبهان وشيراز وكارون ، ثم رجع عقب ذلك إلى العراق فأقام بالكوفة وبعدها .

وقام ابن بطوطة برحلات من بغداد إلى تبريز والموصل وبغية وسنجر وماردين ، ثم رافق ركب الخاق العراقي إلى الحجاز فأدى الفريضة ثانية ، وأقام بدرّس بمكة سنة كاملة ثم حج ثالثة ، وركب البحر ماراً بسواكن ، وزار ريداً ودخل بلاط سلطان اليمن في صنعاء ، وسافر إلى عدن وبلاد الريلع بالصومان ومقدشو وجال على الساحل الشرقي ^{الأفريقي}

ثم عاد إلى بلاد العرب طائفاً حول سواحل الجنوبية والشرقية ماراً بمدينة طُهر ، ثم مرّ بمر وسيراف والبحرين ، وعبر الخليج الفارسي إلى القطيف في إقليم البصرة ، وسحر منها إلى مكة وأدى الفريضة مرة رابعة وشاهد بها السلطان المملوكي الناصر محمد ابن فلاوون .

ثم رعب في أن يُبحر إلى اليمن والهند . ولكنه عاد إلى مصر وسافر إلى اشام ثم اللاذقية ، وطاف بعدها في بلاد الأناضول قبل أن تدخل في سيطرة بني عثمان . وبعدها أبحر إلى شبه جزيرة لقرم وكانت تابعة للسلطان المعولي محمد أوربك خان ثم انتقل إلى القوقاز ، ومنها اصطحب دليلاً إلى مدينة ألتغر على نهر إنل (القولف) ، راغماً بالصعود شمالاً لزيارة أرض الظلمة اسييرين وشمالاً (روسيا) . ولكنه أحجم لعدم المؤونة ولصعوبة السفر في البرد القارس وارتفاع الكلمة .

عاد ابن بطوطة بعد ذلك إلى بلاط أورك حاكم في لقوقاز ، وعادته إلى
القسطنطينية برفقة روجه السلطان ، وهي به الإمبراطور البيزنطي . ودخل ابن
بطوطة بمرصنة فبقي فيها من حماوة الفيصر وكرم الاستقبال ، ما اعتاد أن يلقاه من
سلاطين المسلمين .

وسافر بعد ذلك إلى شرقي إيران وتركستان وأفغانستان ، فرار حوارزم
ونجاري وسمرقند وترمد وبنج وهرات وطوس وبسبور وبسطم وغزنة وكابل
ثم دخل بلاد الهند عام 734 هـ ، وولي بها منصب انقضاء في دهلي التي أقام بها
حوالي ثمانية أعوام ، وترك في رحلته وصفاً كثيراً عنها وآثاره وحياتها وأمراء
المسلمين فيها ، وفصل في ذكر عادات اليهود وأحوالهم لاجتماعية ، فوصف
مثلاً كيفية إحراق نساء الهندوس أنفسهم لدى موت أرواحهن

ولما أراد سلطان دهلي محمد شاه ابن تغلق إرسال وفد إلى الصين ، عيّن
لرأسه ابن بطوطة لما علمه من حبه للأسفار والمعامرات . غير أن حالته لم يشأ
بعودة بعد هذه الزيارة إلى **سلطان دهلي** ، بل تنقل بين الساحلين العربي والشرقي
لشبه القارة الهندية واز جريفة سلال ، ثم سافر إلى حرائر ديسة المهر (المديف)
وتولى انقضاء فيها ، وترك فيها 4 نساء

وعرج ابن بطوطة على سوميطرة وأرحيل الملايو ، واستأنف أسفاره إلى
البحر العربي والعراق ثم وصل إلى دمشق لدمره الشدة وكانت مدة عيسه عنهما
عشرين سنة كاملة ، وكان قد ترك فيها روجة له حاملاً . وقال إنه علم ببلاد الهند
أنها ولدت ولداً ذكراً فعبد وصوبه بدمشق في هذه الكرة ثم بكر له هملاً
السؤال عن ولده ، فعلم أخيراً أنه توفي منذ 12 سنة ورأته توفي منذ 19 سنة ،
وأن أمه ما زالت على قيد الحياة في طليحة

وكان ابن بطوطة بدشام حين انتشر الطاعون في مدنها عام 749 هـ ، فخرج
عنها إلى مصر والحجاز ثم فلسطين وعاد إلى القاهرة ومنها بحر إلى تونس عام
750 هـ ووصل إلى فاس وطنجة موطنه الأصلي

غير أن نفس ابن بطوطة ذهب إلى أن رحلته من حديد ، فقام برحلة ثانية إلى الأندلس عام 75 هـ ، وبعدها عاد إلى فاس عاقداً العزم على السفر في رحلة ثالثة بيزور بلاد المسلمين في السودان لعربي عام 753 هـ ، فوصل إلى مالي ونهر السينجور ووصف أحوال سلطنة مالي وعذبت حيواناتها وحياة سكنتها عموماً ، ثم عاد في العام التالي إلى مدينة فاس وقام بها حتى وفاته عام 770 هـ

ومما من شئت في أن رحلات ابن بطوطة تحس موقع الصدرة المطبقة بين مصادر تراث الأدبي لخير في ، وهي من أكثرها أهمية وفائدة وصرافة وإمتاعاً . وأكثر ما يميزها أن صاحبها لم يكن دافعاً عن غيره فيما كتب بل كان يصف ما رآه بأم عينه في محيط أسفاره الواسعة التي تجورت 179 ألف ميل ، أي أكثر من محيط الأرض بأربعة مرّات ونصف . ومما يتجور ابن جُري الصواب عندما وصف ابن بطوطة بأنه «رحال لعصر» ، سيما يرى كراتشكوفسكي أنه كان احمر جغرافي عالمي من الناحية العلمية ، وأنه يعتبر المفلس الأبرر معاصر الرُحالة البغدادي ماركو پولو الذي طبقت شهرته الآفاق

وأحسن تصوير لأهمية رحلات ابن بطوطة الثلاث ما رواه العلامة الكبير ابن خلدون في مقدمته بأو حُر قرن النّص للهجرى ، إرفاق .

«ورد بالمغرب ، عهد السلطان أب عدل ، من مولد بني مريس ، رجلٌ من مشيخة طنجة يُعرف بابن بطوطة ، كان رحل من عشرين سنة قبلها إلى لشرق ، وتقلب في بلاد العراق وليس والهند ودخل مدينة دهلي ، حاضرة ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه ، وكان به منه مكبر ، واستعمله في حطة القضاء بدهلي المالكية في عمله» .

«ثم انقلب إلى المغرب وتصل بالسلطان أبي عثمان ، وكان يحدث عن شأن رحله وما رأى من العجائب بممالك لأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ، وبأتي من أحواله بما يستغرب به السامعون ، مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى أسفر ، أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء ولولا أن ،

و فرص لهم رزق ستة اشهر تُدفع بهم من عطائه وأنه عند جوعه من سفره يدخل في يوم مشهور ، يزر فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ، ويطوفونه ويصب أمهه في ذلك الحقل محفقت على انظر ترمي شكائر أد هم والدناير على الناس ، إلى أن يدخل إيوانه ومثل هذه الحكايا ، فساحي الناس بتكديبه ا»

وقد كتب أولرح ستر شين Ulrich Jasper Seetzen ، الرحلة الألماني المشهور في مطلع القرن التاسع عشر ، بشأن رحلات بن بطوطه

«أي مسافر أوروبي في هذا العصر ، يمكنه الافحار بأنه حصص قدره ، الرمس ، سدي يبلغ نصف حصة الإنسان ، في سبيل اتيار مثل هذا العدد من بلدان لقاصيه ، وذلك شجاعة لا يرعرعها شيء ، وسحمل المشقة العديدة ؟ بل أية أمة أوروبية كان يمكنه خمسة عروب حلت ، إخراج مسافر يجرب المناطق الأحسة ، مثل هذا الاستغلال في حكم ، وتمثل هذه المصرة على اوراقه ، وتمثل هذه اسقة في كتابة الملاحظات التي أنصف بها هذا الشيخ اراكشي المشهور ، في المجلدين من كتبه»

«إن معلوماته عن شير من مصعدب الأفريقية المجهولة ، وعن نهر اتيحر وعن بلاد الرّج (البحر) ، إلح لا تقل فائدة عن معلومات ليون لأفريقي أما جعفره بلاد العرب ونجاري وكابل وفندهر فبالها تستفيد كثيراً من كتبه ، حتى أحده عن لهند وسيلاب وسومطرة وانصين ، وبه من لواحق عمو بكبير هذا أن يقرأوها باهتمام خاص» .

أما استشرق الهولندي زيهارت دوري Reinhart Dozy ، فلقد حملة إعجابه بدقة بطوطه على أن يعته بعبرة ، «هذا الرحالة الأمين ا»

() في كتب رحلاته الشهير :

Seetzen, U J Reisen durch Syrien, Palästina, Phönicien, die Transjordan Länder Arabia Petraea und nter Agypten. Berlin, 1854- 859 4 Bände)

هذا ، ومن المصد للعدة مقارنة أقول ابن بطوطة وصدق أقواله . عفايتها
 نصوص الرحالين الأوروبيين معاصرين له ، وهؤلاء لم يقلوا عنه ولا اظنوا
 حتى على كته . سكر منهم خاصة لرحالة العلورنسي بيوناردو فريسكو بالدي
 L. Frescobaldi (يرد في الجزء الثالث) الذي رار مصر عام 1384 م . أي بعد ابن
 بطوطة نحو 60 سنة ، وروى عنها أشياء مشابهة تماماً لأقوال رحالنا

* * *

وأول طبعة للرحلة صدرت في باريس مع ترجمة فرنسية بأربعة أجزاء ،
 على يد استشرقين ديفريميري وسانغويستي ، بين عامي 1853-1858 :

C. Defrémery et B. R. Sanguinetti *Voyage d'Ibn Batoutah*, 4 volumes,
 Paris, 1853-1858

صدر في القاهرة طبعتان نقلاً عن طبعة باريس . إحداهما عام 1322 هـ
 ثم شرابستشرق غيب Gibb ملخصاً لها بالإنكليزية ، وصدرت عن در بشر
 Route edge بلندن عام 1929 . وصدرت طبعة جديدة بار صادر ببيروت عام
 1960 . ثم أعد شره علي المنصر بكتاني مؤسسة الرسالة بيروت عام 1972 .
 وهي طبعة نحارية سقيمة لم تأت بحديث لكن أحسن بشرة برحله هي التي
 أصدرها للعلامة المغربي عبد الهادي لثري في الرباط عام 1997

أما دمشق ، فقد رارها بن بطوطة كما يذكر في مصه مرتين الأولى عام
 726 هـ . في عهد ثائها لملوكي سيف مدين تنكر ، والثانية عام 749 هـ ، في عهد
 ثائها أرغون شاه . ويرى بقرئ في مصه وصفاً دقيقاً وحيّاً جميلاً للمدينة إن .
 دروة بائها في العهد المملوكي ابدال ، وهو يعيدنا بالترغف إلى بعض الدقائق
 النطقة في حياتها الاجتماعية ، وحسن تئلاف أهلها وعديتهم بالصيف والغريب
 وبخاصة من المغاربة ، ولا رب أن ما ذكره عن قصة الملوك والصحن المكسور .
 وعن تسبق الدمشقيين إلى دعوة الفقراء للإفطار في رمضان ، بما يعتبر نهاية
 بعده نهاية في التواحم والتكافل الاجتماعي .

وفد أفادنا الرحالة الكبير عموماً ببعض وصف شامل لمدينة في انصف الأول من القرن الثامن الهجري ، وطعم ذلك بعض المشاهد الغربية التي أبدى رآه فيها ، فستحس تارة واستكر تارة أخرى . يبدو أن مذهب الشيخ ابن تيمية الذي كان يدمشق آنذاك لم يرق له ، وكان شهيد بدمشق يدرس ويحطب . وقد كتب الشيخ محمد بهجة البطار عن هذا الموضوع مقالة طريفة في مجلة «دمشق» ، لعدد 10 (سنة 1940) ، ص 3-11 .

هذا ولقد رجعتُ في نص الرحلة إلى طبعه دار صادر ودار بيروت للنشر .
المقولة عن طعة باريس ، والصادرة ببيروت عام 1960 .

المصادر :

- رحلة ابن بطوطة ، طعة دار صادر بيروت
 رحلة ابن بطوطة ، طعة المكتبة الشريفة
 رحلة ابن بطوطة ، طعة الدري بالربط
 الدرر الكامنة لاس حيدر اعلماني ، 480
 ابن بطوطة ورحلاته // حسين مؤنس ، 164 .
 تاريخ الأرب الخصري العربي لكراتشكوفسكي ، 1 . 421-433
 مدينة دمشق عبد الحميد المصحد ، 248
 الرحالة المسلمون في العصور الوسطى لركي محمد حسن ، 136-171 .
 رواد الشرق العربي لزيادة ، 80-192
 الرحلة والرحالة المسلمون لأحمد رمضان ، 369
 الفكر الأندلسي بالمستشرق بالسيا ، 319 .
 دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد افرام الستاني ، 2 . 367
 Ga lent, Guillermo *El viajero infatigable Ibn Batuta*. Tetuan, 1950
 Gibb, H A R *Travel of Ibn Batuta*, Routledge, London, 1929
 Janssens, H F *Ibn Batuta Le Voyageur de l'Islam*, Bruxelles, 1948

دمشق

ووصلتُ يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين
إلى مدينة دمشق لشم . هزلتُ منها بمدرسة المانكية المعروفة بالشرابيشية⁽¹⁾

ودمشقُ هي التي تفضلُ جميع أبلاد حساً ، وتقدمها جمالاً ، وكلُّ
وصف وإبر طال فهو قاصرٌ عن محاسنها ، ولا أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير
رحمه الله تعالى في ذكرها ، قال⁽²⁾ :

حنّة المشرق ، ومطعمُ حُسسه المؤنق المشرق ، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي
استقر بها ، وعروس المدن التي أحسبها ، قد تحلّت بأزاهير الرياحين ، وتجلّت
في حللٍ سندسية من الساتر ، وحلّت من موضوع الحسن بالمكان المكين ،
ونزيت في منصتها أحمل برين ، وبشرقت بأن أرى الله تعالى المسيح وأمه ،
صلى الله عليهما ، منها إلى ربوة ذات قوادر ومعين

ظلّ ظليل ، وماءٌ سندسيل ، تساقبُ أمّاه أسياح الأراقم بكل سبيل ،
ورياض يُحيي النفوس سيمها العليل ، تشرح لتأطرها بمجلى صقيل ، وتناديهم .
هلمّوا إلى معرّس للحسن ومقيل . قد سُميت أرضها كثرة الماء حتى اشتاق إلى
الظمء ، فتكد تدبّك بها لصم أصلاب . «رُكّص برحليّك هذا مغسل برد
وشراب»

قد أهدت السانين بها إحدائق الهالة يا قمر ، واكتفتها اكتساف الكمامة
للرّهر ، وامتدّت بشرفيتها عوطتها الحصراء امتداد البصر ، فكل موضع لحظه
بجھتها الأربع نضرته أمانة قبل انظر ، ولله صدق القائلين عنها : إن كانت الحنة
في لأرض فدمشق لا شئ فيها ، وإن كانت في اسماء فهي بحيث تُسامتها
وتحاذيها

(1) أوقفها حوالي عام 670 هـ الشاعر علي شرابيشي داخل باب الحابة ، رالت بحريق 1925 .

(2) راجع رحلة ابن جبير ، طبعة دار صادر بيروت 1964 ، ص 234-231 وشرحتُ عنها

وصفه لدمشق في كتابي هذا أعلاه (رقم 37)

قال ابن جزي . وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال .

بَنُ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ بِأَرْضِ	دِمَشْقُ وَلَا تَكُنْ سِوَاهَا
وَتَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ عَلَيْهَا	قَدْ أَبَدَتْ هَوَاهَا وَهَوَاهَا
لَمْ طَيْبٌ وَرَبُّ غَمُورٌ	فَاغْتَمَهَا عَشِيَّةٌ وَصُحَاهَا

وذكره شيخ المحدث ابن حبان شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حبيب ابن
حسن القيسي الودي أشبه بريل توسر . ويقع نص كلام ابن حبيب ثم قال .

وقد أحسن فيما وصف بها وأحاد ، وتوق الأنس للتطلع على صورتها
بما أفد هذا وإن لم تكن له بها إقامة ، فغيرت عنها حقيقة وعلامة ولا
وصف دهيات أصيها ، وقد حان من الشمس عروبها ، ولا زمان جملها
لمواعات ، ولا أوقات سرورها ، المنهات ، وقد احتصر من قال ألفتها كما تصف
للأنس ، وفيها ما تشتهي الأنس ، وتلد لأعين

قال ابن جزي . ولدى قسنته شعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر
كثرة . وكان والدي رحمه الله كثير ما يشد في وصفها هذه الأبيات ، وهي
شرف لدين بن عتيق ، رحمه الله تعالى .

دِمَشْقُ بَشَوٌّ بِهَا مَرَحٌ	وَأَسْحٌ وَشَوْ أَوْ لَسَحَ عَدُولٌ
بِلَادُهَا لَحْصَاءُ دُرٌّ ، وَتُرُهَا	عَبِيرٌ ، وَأَعْيَاسُ الشَّامِ شَمُورٌ
تَسْلَسِلُ فِيهَا مَاؤُهَا وَهُوَ مُطْلُورٌ	وَصَحْحٌ سَيْمُ الرُّوسِ وَهُوَ غَسْلٌ

وهذا من النمط العالي من الشعر	وقد فيها عرفة الدمشقي الكلي
لشام شامة وجنة الدنيا كما	إسان مقلتها العضضة خلق
من أسبها لك جنة لا تنقضي	ومن السقيف جهنم لا تحرق

(1) هو أبو الخامس محمد بن نصر بن عيسى الأنصاري الدمشقي ، بشر ديوانه بدمشق حبيب
مردم بك ، في مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق عام 94هـ ص 68

وقال أيضاً فيها :

أما دمشقُ فحنّاتٌ مُعجّلةٌ	بطابين بها الولدُ والحُورُ
ما صاح فيها على أوتاره قمرٌ	لا يُعنيه فمريٌّ وشحرورُ
يا حَبْدًا ودوْعُ الماءِ تنسجُها	ساملُ الرّيحِ لا تهاوُرُ

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك .

وقال فيها أبو الوحش سَبْعُ بنِ خَلْفِ الأسدي :

سقى الله دمشقَ عَيْشاً مُحسناً	من مُستهلٍّ ديمةً دهاقها
مدِينةٌ ليس يُصاهي حُسبُها	في سائر الدُّنيا ولا آفاقها
تودُّ رُورُءَ العراقِ أتْها	منها ولا تُعري إلى عراقها
فأرضُها مثلُ السماء بهجة	وزهرُها كالزُّهر في إشراقها
سبِمْ رَوْضُها منى ما قد سرى	رَقَبَتُ أَخا الهُجُومِ من وثاقها
قد رَتَعَ لربيعٍ في رُبوعها	وسبقتُ لدنيا إلى أسواقها
لا تسأله العيونُ ولا أسوفُ من	رؤيتها يوماً ولا استشفقها

وتما ياسب هذا للقاضي عبد الرحمن النسابي فيها من قصيدة ، وقد
نُست أيضاً لابن المُكَبَّر :

يا برق هس لك في احتمال تحية	عَدْتُ فصارب مثل مائك سلسلا
يا كبر دمشق بمشق أقلام الحبا	رهرارٍ بض مُرصعاً ومُكلّلا
واجرر بجيرون ذبولك واختصص	معنى تأزّر بالعلی وتسرّلا
حيثُ الحيا الرّسميُّ محلولُ الحيا	والوابلُ الرّسميُّ ممریُّ نكلا

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغنسي العربي ، المدعو
نور الدين :

دمشق منزل حيث النعم بدا
القصب راقصة والطير صادحة
وفد تحلت من اللذات أوجها
وكل ووده موسى يحجره
مكملاً وهو في الأفق مختصر
والرهر مرتفع وباء محذر
نكتها بظلال الدوح تستر
وكل روص عسى حفاته الخصر
وقال فيها أيضاً :

حيم يجلس بين الكأس ولوثر
ومتع الطرف في مرأى محاسنها
وانظر إلى بهيات الأصيل بها
وقل لمن لام في لذاته بشرا
في حنة هي ملء لسمع والنصر
وروص الفكر بين الروص والنهر
وسمع إلى نعمات الطير في لشر
دعني فبك عندي مر سوى الشر
وقال فيها أيضاً :

أما دمشق فحسب
لله أيام السنين
أنظر نعيمك هل تبرى
في موص على الحمام
وغدت راهر روصه
بنسى بها الوطن لغريب
ت بها ومطرها العجيب
إلا محسباً أو حسب
به على رقص القصب
نحتال في مراح وطيب

وأهل دمشق لا يعمدون يوم السبت عملاً ، إنما يرحلون إلى المنزهات ،
وشطوط الأنهر ، وروحات الأشجار ، بين البساتين الصغيرة ، والمياه الجارية ،
فكمنون بها نومهم إلى الليل وقد طالت نكلام في محاسن دمشق ، فلرجع
إلى كلام الشيخ أبي عبدالله

(1) كتب الباحث الدمشقي الشهير حبيب الريات عن أيام السنين بدمشق مقالة شائقة طرقة
في مجلته الحرائة الشرقية ، 1 : 24

ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية

وهو أعظم مساحد الدنيا احتمالاً ، وأتقنها صناعة ، وأبدعها حساً و بهجة
وكمالاً ، ولا يُعلم له نظير ، ولا يوجد له شبيه . وكان السي تولى بناءه وإتقانه
أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان . ووجه إلى ملك الروم بقسطنطينية
بأمره أن يعث إليه الصنّاع فبعث إليه اثني عشر ألف صانع

وكان موضع لمسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق ، دخل خالد بن
الويعد رضي الله عنه ، من إحدى جهاتها بالسيف ، فانتهى إلى نصف الكنيسة ،
ودخل أبو عسدة ابن الجراح رضي الله عنه من الجهة العربية صلحاً ، فانتهى إلى
نصف الكنيسة ، فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجداً ،
وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة .

فلما عزم لوليد على ردة الكنيسة في المسجد ، طلب من الروم أن يبيعوا
منه كنيستهم تلك بما شاءوا من متعوض ، فأبوا عليه ، فانتزعها من أيديهم
وكانوا يرغمون أن الذي يهدمها يحسن ، فذكروا ذلك للوليد فقل أنا أول من
يحسن في سبيل الله . وأخذ لقأس وجعل يهدم به نفسه . فلما رأى المسلمون ذلك
تتابعوا على الهدم ، وأكذب الله زعم الروم .

وزين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالمسيفساء ، تحالطها أنواع
الأصعدة العربية الحُسن وذُرْعُ المسجد في الطول من اشرق إلى الغرب متتاً
خطوة ، وهي ثلاث مئة ذراع وعرضه من القلعة إلى الخوف مئة وخمسين
وثلاثون خطوة ، وهي متتاً ذراع . وعدد شمسيات الزجاج الملونة التي فيه أربع
وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطبة من شرق إلى غرب ، سعة كل بلاط منها
ثمان عشرة خطوة ، وقد قامت على أربع وحمسين سارية ونماهي أرجل جصية
تتخللها . وست أرجل مرحمة مرصعة بالرُخام الملون قد صور فيها أشكال
مخاريب وسواها .

وهي تقرب فة الرصد من التي أمام المحراب المسماة بقبة السر ، كأنهم شبهوا المسجد بسرا طائر أو بقبة رأسه ، وهي من أعجب مباني الدنيا ، ومن أي جهة استقيمت إندية ، مدت لك فة تسر داهنة في الهواء ، مبيعة على جميع مباني اسلد .

وتستدير بالصحن بلاط ثلاث من جهاته الشرقية والغربية وخوابه ' .
سعة كل بلاط منها عشر خطاً ، وبها من السواري ثلاث وثلاثون ، ومن الأرحل أربع عشرة .

وسعة الصحن مئة ذراع ، وهو من أحسن أساور وأجمل حساً ، وله يجتمع أهل المدينة بعشاش ، فمن قارىء ومحدث ودهب ، ويكور انصرافهم عند بعشاء الأخرى . وقد لقي أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحباً له أسرع كل منهما نحو صاحبه وخطاً رأسه

وفي هذا الصحن ثلاث من القباب إحداها في غربية وهي أكبرها ، وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين ، وهي قائمة على ثمانين سوار من الرخام من حرفة بالفصوص والأصعدة المنونة مسقفة بالرخام ، يقال إن ما الجامع كان يخرس بها

وذكر لي أن فوئد مسجلات الجامع ومحاييه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهباً في كل سنة

والقبة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها قائمة على ثمان من سواري الرخام ، وتسمى قبة زين العابدين .

والقبة الثالثة في وسط الصحن ، وهي صغيرة مشتمة من رخام عجيب مُحكم الإلصاق ، قائمة على أربع سوار من الرخام اسابع ، وتحتها شباك حديد في وسطه أبواب نحس يمح ماء إلى علو ، فيرتفع ثم يشي كأنه قصيب حين وهم يسموهم فقص ماء ، ويستحسن الناس وضع أفوههم فيه للشرب

(1) يريد بهذه البلاطات الأروقة المعمدة وقوله الجوفية ، يعني الشمانية

وفي الجانب الشرقي من الصحن ، باب يقضي إلى مسجد بديع لموضع ،
يُسمى مشهد عتي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويقابل من الجهة الغربية حيث
يتقي السلاطان الغربي والجوفي ، موضع يقال لب عائشة رضي الله عنها ، سمعت
الحديث هنالك .

وفي قبة المسجد المقصورة العظمى التي يؤمُّ فيها امام الشافعية ، وفي الركن
الشرقي منها إراء المحراب حرانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وحّه أمير
المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام^(١) ، وتفتح تلك الخزانة كل يوم
جمعه بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم ، وهناك
يحلف الدس غرماهم ومن ادّعوا عليه شيئاً .

وعن يسار المقصورة محراب الصحبة ، ويذكر أهل التاريخ أنه أول
محراب وُضع في الإسلام وفيه يؤمُّ إمام المالكية وعن يمين المقصورة محراب
الجمعة وفيه يؤمُّ إمامهم ، وبليه محراب الختلة وفيه يؤمُّ إمامهم .

ولهذا المسجد ثلاث صوامع جداها بشارقيه ، وهي من بناء الروم وبانها
داخل المسجد ، وبأسفلها مطهرة ويسوت ليو صوء يغتسل فيها المعتكفون
والملتزمون للمسجد وتوصأون ، والصومعة الثانية بغريه ، وهي أيضاً من بناء
الروم ، والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين .

وعدد المؤذنين به سبعون مؤذناً .

وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء ، وهي لطائفة الريانة
السوداء ، وفي وسط المسجد قبر كرتاً عليه السلام وعليه تابوت معترص بين
أسطوبين ، مكسو بثوب حرير أسود معلّم فيه مكتوب بالأبيض . وإباركنا
بشرك بعلام اسمه يحيى ، وهذا المسجد شهر الفصل .

(١) هذا المصحف كان أصلاً في طبرية فأتى به إلى الخامع الأموي بدمشق ، لكنه احترق
عندما دمر المعون مدينة عام 803 هـ فحلب آخر من بصرى ، فاحرق أيضاً في كارتة
حريق الأموي الكبير في 4 ربيع الثاني 13 هـ ، الموافق 5 تشرين الأول 893 م

وقرئتُ في فضائل دمشق عن سُفْيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق ،
بثلاثين ألف صلاة . وفي الأثر عن النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قال : نُعَدُّ
لَهُ فِيهِ بَعْدَ خُرَابِ بَيْتِ الرَّبِّ سِتَّةَ وَبِشْرَ إِذَا الْخَدِرَ الْقَلْبِي مِنْ وَصْعِهِ بَيْتُ اللَّهِ
هُوَ دَعْدَةُ السَّلَامِ . وَإِنْ قَبْرُهُ بِهِ . وَقَدْ أُبْتُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَدِينَةِ طُفَرٍ لِمَنْ ،
مَوْصِعٌ يُقَالُ لَهُ الْأَحْقَافُ بُنِيَتْ فِيهَا قَبْرٌ مَكْنُوبٌ عَلَيْهِ . هَذَا قَبْرُ هُودِ بْنِ عَابِرٍ ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يحلوا من قراءة القرآن والصلاة إلا قللاً من
زمران كما سذكره . واناس يجتمعون به كل يوم ثلث صلاة نصبح ، فيقرأون
سُبعاً من القرآن . ويحتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرأون فيها
من سورة الكوثر إلى آخر القرآن . وللمحتمعي على هذه القراءة مرسات تحرى
هم . وهم نحو ست مئة إنسان ، ويدور عندهم كاتب أعينة فمن غاب منهم قطع
له عند دفع المربى بقدر غيبته .

وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يحرجون منه . مصلون على
الصلاة والقراءة ولذكر لا يصرون عن ذلك . ويتوصأون من انبساط التي بداحس
الصومعة الشريفة التي ذكرناها . وأهل البلد يعيرونهم بالنطاعم والملابس من غير
أن يسألوهم شيئاً من ذلك .

وفي هذا المسجد أربعة أبواب :

باب قلبي يعرف باب الرادة ، وبأعلاه قطعة من الرَّمْعِ الذي كانت فيه
رأيه جند بن توليد رضي الله عنه . ولهذا باب دهب كبير متسع فيه حوايت
السقاطين وغيره ، ومنه يذهب إلى دار الخيل ، وعن يسار الخارج منه سماط
الصقارين ، وهي سوق عظيمة ممتدة مع حدار مسجد القلي ، من أحسن أسواق
دمشق . وموضع هذه السوق كدّة دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور
قومه ، وكنت تسمى الخصراء فهدمها أبو لعاس رضي الله عنهم وصار مكبها
سوقاً

وباب شرفي وهو أعظم أبواب المسجد ، ويسمى باب حيرون ، وله دهليز عظيم يُخرج منه ربي سلاط عظيم طويل ، أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طواب وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم ، كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه ويبرأه مسجد صغير يسمى عُمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، وبه ماء جار وقد انتظمت أمام البلاط درجٌ سُحدر فيها إلى ندهليز ، وهو كخندق العظيم يتصل بباب عظيم لارتفاع ، تحته أعمدة كخدوع طوال ، ويحاذي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستطيلة ، فيها حوانيت الخوهرين والكتيين . وصناع أواني الزجاج العجيبة .

وفي الرحبة المصلة بالسبب لأول دكاكين بكار الشهود ، منها دكان للشافعة ، وسائرهما لأصحاب المذهب ، يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول ، والعقد للأنكحة من قبل القاضي ، وسائر الشهود معترون في المدينة

وعقربة من هذه الدكاكين سوق الثور آقين الذين يبيعون الكغد ولأقلام والنداد . وفي وسط ندهليز المذكور حوض من السُحدر كبير مستدير ، عليه به لا سقف لها ملأها أعمدة رحام ، وفي وسط الحوض أبواب نحس يدفع الماء بقوة فيرتفع في الهواء ريد من قامة الإنسان يسقونه الفؤارة ، منظره عجب .

وعن يمين خارج من باب حيرون ، وهو باب الساعات ، غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيمان صدر مفتحة ، بها أبواب على عدد ساعات النهار ، والأبواب مصوغ باطنها بالخضرة وظهرها بالصفرة ، فإذا دهمت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر طاهراً ، والظاهر الأصفر باصاً ويقال إن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بينه عند مضي الساعات

والباب العربي يُعرف باب انيريد ، وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعة ، وله دهليز فيه حوانيت للشماعين ، وسماط يبيع الفواكه ، وبأعلاه باب يصعد إليه في درج له أعمدة سامية في الهواء ونحت للدرج سفائين عن يمين وشمال مستديرتان .

والباب الحوفي^١ يعرف بباب الناطعانيين ، وله دهليز عظيم ، وعن يمين
 الحاح منه حائقه يعرف بشيبيصايه ، في وسطها صهريج ماء ، ولها مظاهر
 تجري فيها الماء ، ويقال : إنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة در وصوء يكون فيها نحو مئة
 بيت تجري فيها المياه الكثيرة

ذكر الأئمة بهذا المسجد

وأئمة ثلاثة عشر إماماً ، أولهم إمام الشافعية ، وكوفي في عهد دحولي إليها
 إمامهم قاضي نقضه حلال الدين محمد بن عبد الرحمن انقروسي ، من كبار
 الفقهاء ، وهو الخفيف بالمسجد وسكانه بدار الخطية ، ويخرج من باب الحديد
 إزاء المقصورة ، وهو باب الذي كان يخرج منه معاوية رضي الله عنه وف
 نولي حلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد أن أدى عنه الملك
 المأمون نحو مئة ألف درهم كالمشقة بدمشق

وإذا سلم إمام الشافعية من صلاته ، أقام الصلاة إمام مشهد علي ، ثم إمام
 مشهد الحسين ، ثم إمام مشهد الكلاسة ، ثم إمام مشهد أبي بكر ، ثم إمام مشهد
 عنه رضي الله عنهم أجمعين ثم إمام المالكية وكان إمامهم في عهد دحولي
 فيها الفقيه أبو عمر بن أبي الوبيد بن الحاح النجاشي القرطبي الأصل العربي
 المولد بربل دمشق ، وهو يتناوب الإمامة مع أخيه ، حمهما الله ثم إمام الحنابلة
 وكان إمامهم في عهد دحولي فيها الفقيه عماد الدين الحفي المعروف بابن الرواحي ،
 وهو من كبار الصوفية ، وله شبة الحائقة الخاتوية ، وله أئمة حائقه بالشراف
 الأعشى ثم إمام الحنابلة ، وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكصف أحد
 شيوخ القراءة بدمشق

(١) من الواضح أن ابن بطوطه يعني بخوفي الشمالي ، فهو ما يذكر محلة لكلاسة شمالي
 الجامع الأموي وهذا من تعبيرات لغارية

ثم بعده هؤلاء خمسة أئمة لقضاء الفوائت ، فلا تزال الصلاة في هذا المشهد من أول النهار الى ثلث الليل ، كذلك قراءة القرآن ، وهذا من مفاسد هذا الجامع المبارك .

ذكر المدرسين والعلمين به

ولهذا المسجد حلقات للتدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كرسي مرتفعة ، وقرأ القرآن يقرأون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساءً .

وبه جماعة من المعلمين يكتب الله ، يستند كل واحد منهم الى سارية من سوارى المسجد ينقل الصياح ويقرئهم ، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى ، وإنما يقرأون القرآن تلقياً . ومعتم الخط غير معتم القرآن ، يعلمهم يكتب الأشعار وسواها ، فيصرف المصنف من التعيم الى التكتيب ، وبذلك حدد خطه ، لأنه المعلم لخط لا يعلم غيره .

ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح برهان الدين بن الفرقان الشافعي ، ومنهم العالم الصالح بدر الدين أبو اليسر ابن الصايغ من المشهورين بمفضل ولصلاح ولما ولى القضاء بمصر جلال الدين القزويني ، وجه الى أبي اليسر ابن الصايغ الخبيرة والأمر بقضاء دمشق ، فامسح من ذلك .

ومنهم الإمام لعالم شهاب الدين ابن جهل من كبار العلماء ، هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من قصده خوفاً من أنه يقلد القضاء ، فانصل ذلك بالناصر فولى قضاء دمشق شيخ الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي ، وهو من كبار الفقهاء .

ومنهم الإمام الفاضل بدر الدين عبيد الله بن أبي السخاوي الحنكفي ، رحمة الله عليهم أجمعين .

ذكر قصاة دمشق

قد ذكرنا قاضي القصة الشافعية به جلال الدين محمد بن عبد الرحمن لفرويسي وأب قاضي لذلكه فهو شرف الدين ابن حطيب لميوم حسن لصوره و بهينة من كبار رؤساء ، وهو شيخ شيوخ الصوفية ، والثابت عنه في نقضاء شمس الدين بن القفصي ، ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصمية

وأما قاضي قصاة الحمية فهو عماد الدين الخوراني ، وكان شديد السطوة وإليه يتحاكم النساء وأواجهن وكان الرجل إذا سمع اسم القاضي الحتمي يصف من نفسه قل لوصو ، الله وأما قاضي الحنابلة فهو الإمام لصالح عز الدين ابن مسلم ، من حذر لعصاه يصرف على حمار له ، ومات بمدينة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما توجه للحجاز الشريف

حكاية

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير شام ، يتكلم في مصوب ، إلا أن في عهده شيئاً ، وكان أهل دمشق يعظمونه شدة التعظيم ويعظمهم على المير

وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهرة وجمع القصة ولفقها بمجلس الملك الناصر ، وتكلم شرف الدين الرواوي المسكي وقال إن هذا الرجل قال كذا وكذا ، وعدداً نكر على ابن تيمية ، وأحضر العقود بذلك ، ووضعها بين يدي قاضي القضاة .

وقال قاضي القصة لابن تيمية : ما تقول ؟ قال لا إله إلا الله وعدد عليه ، فأجاب بمثل قوله فأمر الملك الناصر بسجنه ، فسُجن أعواماً .

(١) يدور أن ابن بطوطة ، المالكي المذهب ، لم يحجه مذهب ابن تيمية الحنبلي الأسلمي ، فكذب به هذا الكلام . ولقد اتعلماء الأعلام أصولاً تُشع غير هذه !

وصف في السحر كذاباً في تفسير القرآن سماه بالحر المحيط في نحو أربعين
مجلداً ثم نأته تعرضت للملك الناصر وشكت إليه ، فأمر بإطلاقه ، إى أن
وقع منه مثل ذلك ثانية

وكتبُ إذراك بدمشق ، فحضرته يوم الجمعة وهو يعطى ساس على مسر
الجامع ويدكرهم ، فكان من حملة كلامه أن قال . إن الله ينزل لى السماء الدسب
كسرولى هذا . وسول درجة من درج المبر . تعارضه فففيه مانكى يُعرف ببن
الرهره ، وأكر ما نكلّم به . فقامت العامة الى هذا الفقيه وضربوه بالأدي
والعباء صرباً كثيراً حتى سقطت عمامه ، وطهر على رأسه شائنية حرير .
فأكروا عليه ببسها واحتصوه الى دار عز الدين بن مسلم قاضي الخناينة ، فمر
بسجنه وعزّره بعد ذلك .

فأكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعذيبه ، ورهبوا الأمر بى ملك
الأمراء سيف الدين تنكر ، وكان من خيار الأمرء وصلحائهم ، فكتب اسى الملك
الناصر بذلك ، وكتب عمداً شرعياً عيسى بن تيمية بأمر مؤكرة منها : أن المطلق
بالثلاث في كسمة واحدة لا ندرمه إلا طلق واحدة ، ومها أن المسافر الذي ينوي
بسمه زيارة القصر الشريف (راده الله طيباً) لا يقصر الصلاة ، وسوى ذلك مما
يشهه ، وبعث انعقد الى الملك الناصر ، فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة ، فسُجن
بها حتى مات في السجن .

ذكر مدارس دمشق

اعلم أن للشافعية بدمشق حملة من المدارس أعظمها العادليه ، وبها يحكم
قاضي القضاة . وتقابلها المدرسة الطهرية وبها قر الملك الطاهر وبها جلوس
نواب القاصي ومن بوايه حجر بديس القبطي ، كان والده من كتاب القسط
وأسلم ، ومهم جمال الدين بن حمسة ، وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك
وعزّل لأمر أوجب عزله .

حكاية

كان به مشق الشيخ الصباح طهیر الدین العجمي وكد سيف لدين تنكر
ملك الأمراء يتنمده ويعظمه ، فحصر يوماً دار العدل عند ملك الأمراء ،
وحصر العصاة الأربعة ، فحكى قصي القضاة جمال الدين بن جمعة حكاية ،
فقال به طهیر لدين كدست . فأنف القاضي من ذلك ، وامتعض له ، فقال
بالأمير كيف يكسبي بحصرتك ؟ فقال له الأمير : أحكم عليه ، وسلته إليه ،
وطه انه يرصى بذلك ، فلا يئانه بسوء .

فأحضره القاضي بالمدرسة العادلة ، وضربه مئتي سوط ، وطيف به على
حمام في مدينه دمشق ، وماد ينادي عليه ، فمضى فرغ من مدائه صربه على طهره
ضربة ، وهكذا العادة عندهم .

فدع ذلك ملك الأمراء . فأكره أشد لإبكر ، وأحصر القضاة والفهاء
فأجمعوا على خطأ قاضي ، وحكموا بحجر مدهه . فإن التعرير عندنا شعبي لا
يلع به أحد . وقال قاضي قضية المالكية شرف الدين قد حكمت بتسفيه

فكتب إلى الملك أن أحضره في دار العدل

وللحفية مدارس كثيرة ، وأكره مدرسة لسطان نور لدين ، وبها
يحكم قاضي قصاه الحفيه . وبها فعوده للأحكام . والمدرسة النورية عمرها
لسطان نور الدين محمود ابن رنكي .

وللمالكية ثلاث مدارس إحداها الصمصمية ، وبها سكن قاضي قضاة
مالكية ، وعوده للأحكام . والمدرسة الشرايشية عمرها شهاب الدين الشرايشي
تاجر

وللحابلة مدارس كثيرة أعظمها المدرسة النجمية .

ذكر أبواب دمشق

ولدت في دمشق ثمانية أبواب منها باب الفرديس ، ومنها باب الحاية ، ومنها باب الصغير ، وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد احم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد بن حريّ : لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله :

دمشق في أوصافها جنة خلد راصيه
لما نرى أبوابها قد جعلت ثمانيه

ذكر بعض المشاهد والمزارات بها

فمنها بالمقبرة التي بين البابين باب الحاية وانباب الصغير ، قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية ، وقبر بلال مؤذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورصي الله عنهم أجمعين ، وقبر أويس القرني ، وقبر كعب الأحبار رضي الله عنهما .

ووجدت في كتاب لمعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي . أن جماعه من الصحابة صحبهم أويس القرني ، من المدينة إلى الشام ، فتوفي في أثناء الطريق في ربة لا عمارة فيها ولا ماء ، فتحبرو في أمره ، فربوا وجدوا حوطاً وكفناً وماء ، فعجوا من ذلك وعسلوه وكفّوه ، وصلّوا عليه ورموه ، ثم ركبوا ناقار بعضهم ، كيف ترك قبره بغير علامة ؟ فعدوا للموضع فلم يجدوا للقبر من أثر .

قال بن حريّ : ويقال إن أوساً قُتِلَ بصفيّ مع عليّ عليه السلام ، وهو لأصح إن شاء الله تعالى .

ويلي باب بخية باب شرقي عنده حانة ، فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وفيها قبر العبد الصالح رسلان المعروف بالدر الأشهب .

حكاية في سبب تسميته بذلك

يُحكى أن شيخ أولي أحمد الراعي صي لله عنه ، كان مسكبه بأُم
عبدة مقربة من مدينة وسط . وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدس شعيب من
الحسين وبينه مؤخاة ومراسلة ، ويقال . إن كل واحد منهما كان يسلم على
صاحبه صباحاً ومساءً ، فبردة عليه الآخر .

وكان للشيخ أحمد تحلات عند رايته . فمما كان في إحدى السنين
حرره على عذته . وترك عذقا منها وقال . هذا يرسم حي شعيب

فتح الشيخ أبو مدير تلك لسة ، واحمعا بالموقف الكريم معرفة . ومع
الشيخ أحمد خدمه رسلان . فتفاوض الكلام ، وحكى الشيخ حكاية بعدد
فقال له رسلان . عن أمرك يا سيدي نيه به فأذن له ، فذهب من حيه وأناه
به . ووضع بين أيديهما فأجر أهل الرويه أنهم رأوا عشيبة يوم عرفة برأ
أشبه قد انفص على الرحلة فقطع دمه بعدد . وذهب به في الهواء

* * *

اعود على ذكر المشاهد والزيارات

وبعربي دمشق حنانه تعرف بقبور الشهداء ، فيها قبر أبي الدرداء وروجه أم
بداء ، وقبر فضاله بن عشد . وقبر ائمة من الأسقع . وقبر سهل بن حطنة من
لدين بايعوا تحت الشجرة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وبقرية معروف بالمبيحة شرقي دمشق . وعلى أربعة أميال منها ، قبر سعد ابن
عبارة رضي الله عنه . وعليه مسجد صغير حسن البناء ، وعلى رأسه حجر فيه
مكتوب . هذا قبر سعد بن عبادة . رأس الخرج صاحب رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم تسليماً .

وبقرية قبلي البلد . وعلى فرسخ منها : مشهد أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ، ويقال : إن سمعها رنبت وكنها النبي صلى الله عليه وسلم - أم كلثوم ، لشهدها بحالتها أم كلثوم بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعليه مسجد كريم ، وحوه مسكر ، وله أوقف ويسميه أهل دمشق قبر بنت أم كلثوم ، وقبر آخر يقال إنه قبر سكتة بنت الحسين بن علي عليه السلام .

وبجامع التبر من قرى دمشق في بيت شرقيه قبر يقال إنه قبر أم مريم عليهما السلام .

وبقرية تعرف بدايا عري البلد وعلى أربعة أميال منها قبر أبي مسلم الخولاني ، وقبر أبي سلمان الداراني رضي الله عنهما .

ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجداً الأقدام . وهو في قبلي دمشق على مبين منها على قارعة الطريق الأعظم ، يأخذ إلى الحجاز الشريف واست لمقدس وديار مصر . وهو مسجد عظيم كثير البركة ، وله أوقف كثيرة ، ويعظمه أهل دمشق تعظيماً شديداً ، يؤلف الأقدام ، التي ينسب إليها هي أقدام مصورة في حجر هالك ، يقال إنها أثر قدم موسى عليه السلام .

وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه ، كان بعض اصحابه يرى المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، في النوم فيقول له : ها هنا قبر أخي موسى عليه السلام .

وبقرية من هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الأحمر^(١) ، وبقرية من بنت المقدس وأريحا موضع يعرف أيضاً بالكثيب الأحمر ، تعظمه يهود .

(١) للمؤرخ النعشقي ابن طولون عنه : تجمة الحبيب في أخبار الكثيب (مخطوط في لايدن)

حكاية

شهدت أيام لطاعون الأعطى بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة
نسع وأربعين ، من عظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يحب به وهو أن ملك
الأمراء نائب سبط أرغو ، شهد¹ أمر ماديأ ينادي بدمشق أن يصوم الناس
ثلاثة أيام ، ولا يطبخ أحد السوق ما يؤخذ بهاراً ، وأكثر الناس بها إنما ياكلون
انصاع الذي يصح بالسوق

فصام^٢ من ثلاثة أيام متوالية ، كان آخرها يوم الخميس ، ثم اجتمع
الأمراء واشرفاء و غصاة والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها في جامع حتى
عصر بهم ، وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصل وذاكر وداع

ثم صموا^٣ صبح وحر حو جميعاً على أقدامهم وأيديهم المصاحف
والأمراء حفاء ، وحر ح جميع أهل البلد ذكوراً وإناثاً صغيراً وكبيراً ، وحر ح
اليهود توراتهم ، وانصاري بأحبارهم^٤ ومعهم لساء و تودان وجميعهم باكون
متصرعون متوسلون إلى الله^٥ ، وقصدوا مسجد الأقدم

وأقاموا في مصر عنهم ودعائهم إلى قسطنطين والوعادوا إلى البلد ، فصلوا
الجمعة وحقق الله تعالى عنهم ، فانتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد ،
وقد انتهى عددهم بألفه مائة ومصر إلى أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد

وبساب شرقي من دمشق مائة بيضاء ، يقال إنها التي يرسل عيسى عليه
لسلام عندها ، حسماً ورد في صحيح مسلم

١ ، هو نائب دمشق الأمير الكبير سيف الدين أرغو شاه ، تولى دمشق 748-750 هـ ، وعمر
بها مسجده المعروف بانه القلعة ، وهو يعرف اليوم بجامع الاستعداد اجع لبداية
ولنهاية لابن كثير ، وقدير ابن قاضي شهبة ، وإعلام الوري لابن طووس 20

ذكر أرياض دمشق

وتدور بدمشق من جهاتها ما عند الشرفة أرياض فسيحة المساحات ،
دواخلها أملح من داخل دمشق لأجل الصيول الذي في سككها .

وبحده الشمالية مهارب الصالحية ، وهي مدينة عظيمة لها سوق لا
تطير لحسنه وفيها مسجد جامع ومدرستان ، وبها مدرسة تُعرف بمدرسة أبي عمر
موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري بهم
ولمن يعلمهم كفايتهم من التأكل والملابس .

وبداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجأ .

وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه

ذكر قاسيون ومشاهده المباركة

وقاسيون جبل في شمال دمشق .. في الصالحية في سمحه وهو شهر البركة
لأنه مصعد الأسياء عليهم السلام ومن مشاهده الكريمة العار الذي ولد فيه
ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهو صار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله
صومعه عالية ومن ذلك العار رأى لكوكب ولعمرو والشمس حسمت ورد في
الكتب العزيز . وفي ظهر العار مقامه الذي كان يخرج إليه .

وقد رأيت سلا العراق قرية تعرف برُص ابصم الباء الموحدة وأحرها صدد
مهملة) ، ما بين الحلة وبعداد ، يُقال إن مولد ابراهيم عنه اسلام كان بها ، وهي
بقرية من بني دي تكمن عليه السلام ، وبها قبره

ومن مشاهده بالعرب منه معرة النعم ، ووقوفه بخبل دم هابيل بن آدم عليه
السلام وقد أبقي الله منه في الحجارة أثراً محمراً ، وهو موضع الذي قتله أخوه
به وجنّره إلى المعرة ويُذكر أن تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى
وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين .

وعليه مسجد متقن ، بناءً يُصعد إليه على درج ، وفيه يسوت ومراحق
للسكر ، ويُفتح في كل يوم اثنين وحُمس ، والشمع والسُرح توقد في المغارة
ومنها كهف على الخيل ، يُنسب لادم عليه السلام ، وعليه بناء

وأَسفل منه معارة الخوع يدكر أنه اوى ليها سبعون من الأنساء عندهم
السلام ، وكان عندهم رعيه فلم يرل يدور عندهم وكل منهم يؤثر صاحبه به
حتى ماوا جميعاً صبي به عندهم ، وعلى هذه المفرة مسجد مسي ، والسُرح
تَقْدُ به ليلاً وبهراً .

ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معية .

ويذكر أنَّ عيم بين باب امرايس وجبل قاسيون ، مدفن سبع مئة سي ،
ويعصهم يقول سبعين ألفاً

وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الأنساء والصالحين وفي طرفها ما
يُسمي السانين أرض مخصصة عذب عليها الماء ، يقال إنها مدفن سبعين نبياً ، وقد
عادت قراراً للماء وترهب من أن بدفن فيها أحد

ذكر الرُّنوة والقرى التي توالها

وفي بحر جبل قاسيون أربعة اساركة ، المذكورة في كتاب الله ذات القرار
والمعين ، وموى المسيح وأمه عندهم السلام وهي من أحمل مناظر نديب
ومسرتها ، وبها القصور المشددة والمسي شريفة ، والسانين لندبة

والموى السرك معارة صغيرة في وسطها كاسيت الصعير ، وها بيت يقال
به مصنئ المحصر عليه السلام ، يادر لدس إلى الصلاة فيها وللمأوى باب حديد
صعير والمسجد بدور به ، وله شوارع دائرة ، سفينة حسنة يرل لها الماء من علو
وينصب في شاروان في اخدر ينصب بحوص من رخام ، ويقع فيه الماء ، ولا نظير
به في الحسن وعمرانه الشكل ونهت ذلك مظاهر للوصوء بحري فيها الماء

وهذه الرِّبوة المباركة هي رأس سساتين دمشق وبها منابع مياهها ، وينقسم الماء الخارج منها على سعة أنهار كل نهر أخ في جهة ، ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم .

وأكثر هذه الأنهار أنهر المسمى بتورة ، وهو يشق تحت الرِّبوة ، وقد نُحِت له معبر في الحجر الصلد كالعدركبير^(١) ، وربما أحسن ذو الجسرة من العوامين في النهر من أعلى للرِّبوة ، ويدفع في الماء حتى يشق مجرى ويجرح من أسفل الرِّبوة ، وهي مخاطرة عظيمة .

وهذه الرِّبوة تشرف على سساتين الدائرة باللد ، ولها من الحُس واتساع مسرح الأبصار ما ليس لسواها . وتلك الأنهار السعة تذهب في طرق شتى فتحار الأعين في حسن اجتماعها وفراقها واندفاعها واصحابها . وجمال الرِّبوة وحسبها لثم أعظم من أن يحيط به لوصف . وبها لأوفاف الكثيرة من المزارع وليسابيل ولرباع تقدم منها وظائفها للإمام والمؤذن والصادر والوارد .

وبأسفل الرِّبوة قرية البر ، وقد تكاثرت بساتينها ، وتكاثفت ظلالها ، وتدللت أشجارها ، فلا يظهر من بينها إلا ما سمارتعاها . وبها حمام ملتح . ولها جامع بديع معروس صحبه بمصوص لرُخام ، وفيه سقاية ماء رائقة الحس ، ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء .

وفي نقبي من هذه القرية قرية المرة ، وتعرف بمزة كلب نسبة إلى قسلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن خفاف بن قضاة . وكانت إقطاعاً لهم ، وإليها يسب الإمام حافظ الدنيا جمال الدين يوسف بن اركي الكلسي المزني . وكثير سواه من العلماء ، وهي من أعظم قرى دمشق . بها جامع كبير عجيب وسقاية معينة

(١) هذا النص مأخوذ برقمته من رحلة ابن خبيرة لأندلسي ، الذي رده دمشق عام 580 هـ في أيام السلطان المنصور صلاح الدين . راجع رحلته أعلاه . أما عن العدركبير (المبيضة) ، فنؤجل لبحث إلى نصي ابن الوردي وأبي البقاء السدي أدناه .

وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد بجمعة والأسواق ، وسكانها
كأهل الحصرة في مناحيهم .

وفي شرقي البلد قرية تعرف بيت لهما ، وكانت فيها كنيسة يقال إن أُرر كن
سحت فيها الأصنام فبكسرها الخليل عليه السلام . وهي الآن مسجد جامع مع بدع
مربى عصوص الأرحام لمؤنه اسطمة بأعجب نظام وأرض التثام

ذكر الأوقاف بدمشق

وبعض فصائل أهلها وعوايدهم

والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها . فمنها أوقاف على
العشرين عند الحج ، يُعطى من ربح عن ارجل منهم كفايته ، ومنها أوقاف على
تجهيز سائر بني أرواحهم ، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهم على تجهيزهن

ومنها أوقاف لفقراء الأيتام ، ومنها أوقاف لأبناء السبيل ، يعطون منها
مما يأكلون ويمسحون ويتروون بلادهم . ومنها أوقاف على تعديل الطرق
ورصفها ، لأن رفق دمشق نكل وحاسنها رصيفاً في حياء ، يمر عبيهم
المتحنون ، ويمر الركبان بين ذلك .

ومنها أوقاف سوى ذلك من أفعال الخير

حكايه

مررت يوماً بعص أرقه دمشق ، فرأيت به مموداً صغيراً قد سقطت من يده
صحفه من الفجار صربي . وهم يمضونها الصحن فتكثرت وأصبح له من .
فقال له بعضهم : اجمع شفعها واحمها معك صاحب أوقاف الأواني
فجمعها وأهد ارجل معه إليه ، فأراء إليها ، فدفع به ما اشترى به مثل ذلك
بضحن .

وهذا من أحسن الأعمال . فإن سيد العلام لابد له أن يضربه على كسر
الصحن أو بهره ، وهو أيضاً يكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك ، فكان هذا الوقف
حزراً للقبوب ، جرى الله حبراً من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا

وأهل دمشق يتنافسون في عمرة المساجد والروايا والمدارس والمشاهد

وهم يحسسون الطرب بالمعارية ، ويظمتنون إليهم بالأموال والأهلين
والأولاد ، وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق ، لا بد أن تأتي له وحده من
عاش من مائة مسجد ، أو قراءة لمدرسة . أو ملازمة مسجد يحيى إليه فيه
ورقه ، أو قراءة القرآن ، وخدمة مشيد من لمشاهد الماركة أو يكون كجُملة
الصوفية بالخواصق ، تجري له الثقة والكسوة .

فمن كان بها عرساً على حبر ، لم يزل مصوباً عن بدل وجهه ، محفوظاً
عما يرري بالمرء . ومن كان من أهل المهنة والخدمة ، فله أسباب آخر من
حراسة سنان ، أو أمانة طاحون ، أو كماله صبي يقدو مدهم إلى التعليم وبروح .
ومن أراد طلب العلم أو استفرغ للعبادة ، وجد الإعانة التامة على ذلك .



ومن فضل أهل دمشق أنه لا يمطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده
أنة ، فمن كان من الامرء والقصة والكبراء ، فإنه يدعو أصحابه والفقراء
يفطرون عنده . ومن كان من التجار وكبار لسوقه صنع مثل ذلك ومن كان من
الصنعة وابدية ، فإنهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم ، أو في مسجد ، ويأتي
كل أحد بما عنده فيفطرون جميعاً

ولما ورد دمشق ، وقعت بي وبين نور الدين السجاي مدرس المدنية
صحبة ، فرعب مي أن أفطر عنده في ليالي رمضان ، فحضرته عنده أربع ليالٍ .
ثم أصبني لحمي فعبت عنه فعبت في ظلي . فاعتربت بالمرض ، فلم يسعي
عذراً ، فرحعت إليه وبنت عنده .

فَمَا زِلْتُ الْأَصْرَافَ بِبَعْدِ مَعْنَى مِنْ ذَلِكَ ، وَفِي لِي أَحْسَبُ نَارِي
كَأَنِّي دَارًا ، أَوْ أَرَأَيْتَ وَأَحْيَدًا وَأَمْرًا بِأَحْصَارِ طَبِيبٍ ، وَأَنْ يَصْغَعَ لِي
بِدَارِهِ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ الطَّبِيبُ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ عَدَاءٍ .

وَأَقَمْتُ كَذَلِكَ عِندَهُ إِلَى يَوْمِ الْعَيْدِ ، وَحَصَرْتُ أَنْصَبِي وَشَقَائِي بِهِ عِندَ
أَنْصَبِي . وَقَدْ كُنْتُ مَعْدِي مِنَ الْقَفَّةِ بَعْدَ فَعْلَمِ ذَلِكَ فَانْكَرْتُ لِي حِمْلًا
وَأَعْطَانِي الرَّادُّوسُ ، وَرَأَيْتِي دَرَاهِمَ وَفِي نِكْوَالٍ عِشَى أَوْ بِعْتَرِيفٍ مِنْ
أَمْرِ مُهْمٍ . جَرَاهُ اللَّهُ خَيْرًا

وَكُنْتُ بِدَمَشَقٍ فَاصِلٌ مِنْ كِتَابِ اسْتِثْنَاءِ النَّاصِرِ ، يُسَمَّى عِمَادُ الدِّينِ الْقَبِيصِرِيِّ ،
مِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ مَتَى سَمِعَ أَنَّ مَعْرِيًّا وَصَلَ إِلَى دَمَشَقٍ ، يَحْتَثُّ عَلَيْهِ وَأُصَافُهُ وَأُحْسِنُ
إِلَيْهِ . فَإِنْ عُرِفَ مِنْهُ الدِّينُ وَالْفَصْلُ ، أَمْرُهُ عِلَالِيَّةٌ . وَكَانَ يَلَامُهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ
وَعِشَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَيْضًا ، كَتَبْتُ السَّرَافِصَ عِلَاءَ الدِّينِ مِنْ عَامٍ ،
وَجَمَاعَةٌ غَيْرُهُ .

وَكُنْتُ بِهَا فَاصِلٌ مِنْ كَرْنَاهُ ، وَهُوَ الثَّضَائِبُ عِزُّ الدِّينِ الْقَلَّاسِيِّ ، لَهُ مَأَثَرٌ
وَمَكَارِمٌ وَفَضْلٌ وَإِنَارٌ ، وَهُوَ دَوْمَانٌ عَرِيضٌ . وَذَكَرُوا أَنَّ اسْتِثْنَاءَ النَّاصِرِ قَدِمَ
دَمَشَقَ أَصَافَهُ وَحَمِيعَ أَهْلِ دَوْلَتِهِ وَمَحَالِيكَهُ رَحَصَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَسَمَاءُ بِدَدَاكَ
بِالنَّصَاحَةِ .

وَعِنْدَ يَوْثَرٍ مِنْ قِصَصِهِمْ أَنَّ أَحَدَ مَلُوكِهِمُ السَّلَافِيْنَ مَا بَرَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، أَوْصَى
أَنْ يُدْفَنَ بِقَبْلَةِ الْخَمْعِ الْمَكْرَمِ وَيُحْفَى قَبْرُهُ ، وَعَيْنَ أَوْقَافٍ عَظِيمَةٍ لِقَرَاءِ يَفْرَأُونَ سُغَا
مِنْ الْفَرَافِ لِكَرِيمِهِ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، إِنْ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، بِأَخْطَةِ لَشَرْقِيَّةٍ مِنْ مَقْصُورَةٍ
بِصَحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، حَيْثُ قَبْرُهُ . لَصَرَتْ قِرَاءَةُ نَعْرَافٍ عَلَى قَبْرِهِ لَا تَنْقَطِعُ
أَبَدًا ، وَبَقِيَ ذَلِكَ الرَّسْمُ الْحَمِيلُ بَعْدَهُ مُخْلَدًا

ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد ، أنهم يخرجون من بعد صلاة العصر من يوم عرفه ، يحملون مصححون المساحد كبيت المقدس ، وجامع بني أمية وسوها ، ويقف بهم أئمتهم كاشفي رؤوسهم ، داعين حاصعين ، خاشعين ملتصين البركة ، ويتوحدون الساعة التي يصف فيها وفد الله تعالى وحجاج بيته بمرقات .

ولا يرايون في خصوع ودعاء وانها ، وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته ، لى أن تعيب الشمس فيفرون كما ينهر الحجاج ، باكين على ما حرّمه من ذلك لموقف الشريف عرفات ، داعين إلى الله تعالى أن يوصلهم إليها ، ولا يحلّهم من بركة لقون فيها فكلوه

ولهم أصناف في تناع الحائر رتبة عجيبة . وذلك أنهم يمضون أمام الخنارة ، والقرء يقرأون القرآن بالأصوات حسنة وبالأصوات المكبة التي تكاد الفوس تطير بها رقة .

وهم يصلّون على الحائز بالمسجد الجامع قُدنة لمقصورة ، فإن كان الميت من أئمة اجماع ، أو مؤذنيه ، أو حُدّامه ، أدخلوه بانقراءة إلى موضع الصلاة عليه ، وإن كان من سواهم قطعوا انقراءة عند باب المسجد ، ودخلوا بالخنارة وبعضهم يجتمع له باللاط العربي من الصحن ، بمقربة من باب الريد ، فيجلسون وأمامهم ريعات القرار يقرأون فيها ويرفعون أصواتهم بالبداء لكل من يصل للبراء ، من كبار البدة وأحيانها ، ويقولون سم الله ، فلان الدين ، من كمال ، وجمال ، وشمس ، وبرد ، وغير ذلك

وبدأتوا انقراءة . قام المؤذنون فقولوا ، فتكروا وعثروا ، صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ، ويصنونه بصفات من الخير ، ثم يصلّون عليه ، ويذهبون به إلى مدفنه .

ولأهل الهند رتبة عجيبة في الحائز أيضا رتبة على ذلك ، وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثلاثاء من دونه ، وتفرش الروضة بالشيب الربيعية ،

وكسى اقبر بانكسى الفاحرة ، ويوضع حوله اترياحين من الورد ، والسرين ،
والبسمير ، وذلك اسوار لا يقطع عددهم ، ويأبون بأشجار اليمون والأترج ،
ويحعلود فيها حوبها ، ثم تكن فيها ، ويجعل صيوار يطلل لناس نحوه

ويأتي لقصة والأمر ، ومن يماثلهم فيقعدون ويقبلهم القراء ويؤتى
الربعات للكره ، فيأخذ كل واحد منهم جزءاً فدايت القراءة من القراء
بالاصوات بحسان ، يدعو لقصي ، ويقوم قئناً ، ويحطب حطبة معدة لديه ،
ويذكر فيها الميت ويرثيه بأيات شعر ، ويذكر أقاربه ويعربهم عنه ، ويذكر
السلطان داعياً له ، وبعد ذكر السلطان ، يقوم اساس ويحطون رؤوسهم إلى
سمت الخه التي بها السلطان .

ثم يقعد القاصي ويأتون بماء لورد ، فيصب على رأس صبا ، تبدأ القاصي
ثم من يليه كذلك ، إلى أن نعم رأس أجمعين ثم يؤتى بأواني لسكر وهو
لحلات مخلولاً بماء فيسهر من فيه ، ويسأون القاصي ومن يليه ثم
يؤتى بالتسول ، وهم يعظمونه ويكرمونه ثم تأتي لهم به فبدأ أعطى لسلطان
حداً منه ، فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع ، ودامت الميت ، لم يأكل أهله
تسول إلا في ذلك اليوم ، فيأخذ القاصي أو من يقوم مقامه أوراقاً منه ، فيعطيهما
ولي الميت فيأكلهما ، وينصرفون حينئذ

ذكر سماحي بدمشق ومن أجازني من أهلها

سمعت بحامع بني أمية ، عمّره الله بذكره ، جميع صحيح الإمام أبي
عبد الله محمد بن اسماعيل الحفصي للحارثي رضي الله عنه ، على الشيخ المعمر
رحلة الافاق ، ملحق الأصغر ، الأكابر ، شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن
أبي نعم بن حسن بن عيسى بن بشار الدين ، لمقرئ الصالح المعروف بابن
شحنة الحارثي ، في أربعة عشر مجلساً ، أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر

مصعب المعظم سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وأجرها يوم الإثنين الثامن
وعشرين منه . فقراءه الإمام الحافظ مؤرخ الشام علم لدين أبي محمد القاسم
بن محمد ابن يوسف البراني لأشلي الأصل لدمشقي . في جماعة كبيرة كتب
أسماءهم محمد بن طهريل بن عبد الله بن العرال الصيرفي

سماح الشيخ أبي العباس الحجاري ، لجميع الكتاب من الشيخ الإمام
سرح الدين أبي عبد الله حسين بن أبي بكر المارك بن محمد بن يحيى بن علي ابن
لمسح بن عمران الربيعي العدادي الريدي الحبيبي في أواخر شوال وأوائل دي
لقعة . من سنة ثلاثين وست مئة . بالحمام لمطيري بسبع جبل قاسيون طاهر
دمشق . .

* * *

وعن أجزئي من أهل دمشق إجازة عامة :

لشيخ أبو لغاس الحجاري المذكور ، نسق إلى ذلك وتنقظ لي به .

ومنهم الشيخ الإمام شهيد الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد
لقدسسي ، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

ومنهم الشيخ الإمام نصالح عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن عبد
لرحمن النجدي

ومنهم إمام الأئمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الركي عبد الرحمن
بن يوسف المري الكسبي حافظ الحفاظ .

ومنهم الشيخ لإمام علاء لدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله
لش فعي ، وشيخ الإمام الشريف محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العلوي

ومنهم الشيخ لإمام لمحدث محمد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله
بن المعلّى لدمشقي ، ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

ومهم الشيخ الإمام العالم شهاب ندر حمد بن إبراهيم بن فلاح ابن
محمد الإسكندري .

ومهم الشيخ الإمام ولي الله تعالى ، شمس الدين ابن عبد الله بن قنم ،
والشحات الأخوان شمس الدين محمد ، وكمال الدين عبد الله أساء إبراهيم ابن
عبد الله بن أبي عمر المقدسي . والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهره
بن سدم الهكادي ، والشحة لصالحه أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم ابن
سلامه الحراشي ، والشيحة الصالحة رحلة الدنيا ريب ست كمال الدين أحمد ابن
عبد الرحيم بن عبد الواحد أحمد المقدسي .

كل هؤلاء أجازني إجازة عامة . في سنة ست وعشرين بدمشق^(١)

(رحلة ابن بطوطة ، طبعة بيروت)



(١) في سنة 72 هـ وقد كتب أن ابن بطوطة رار دمشق مرتين مرة في عام 726 هـ باسم نائبها
سيف الدين تندر والأخرى في عام 749 هـ أيام نائبها سيف الدين أرغون شاه . كما
سبع ادب في رحلته الثانية لدمشق ، قادمًا من بغداد ثم هيب والحديثة وعائنه . فرحلة
والشحة ثم تدمر فدمشق

ابن بطوطه بدمشق ثانية

[في عام 749 هـ]

ثم سافرت إلى تدمر ، مدينة بني الله سيمان عليه السلام ، التي بنتها له الجن ، كما قلنا التابعة . «يبور تدمر بالصفاح والعمد» .

ثم سافرت منها إلى مدينة دمشق الشام ، وكانت مدة مفيتي عنده عشرين سنة كاملة . وكنت تركت بهار وحة نبي حاملاً ، وتعرفت وأنا ببلاد الهند أنها ولدت ولداً ذكراً ، فبعثت حينئذ إلى حدة للأُم . وكان من أهل مكناسة لمغرب ، أربعين ديناراً ذهباً هدياً .

فحين وصولي إلى دمشق في هذه الكرة ، لم يكن لي هم إلا السؤال عن ولدي⁽¹⁾ . فدخلت المسجد . فوفق لي نور الدين السخاوي ، إمام المالكية وكبيرهم ، فسلمت عليه فقم بعرضي ، بعرفته بمسي وسألته عن الوعد . فقال . «مات منذ ثنتي عشرة سنة» . وأخبرني أن قبورها من أهل طحجة يسكن بالدرسة الظاهرية ، فسرت إليه لأسأله عن والدي وأهلي . فوجدت شيخاً كبيراً ، فسلمت عليه وانتسبت له . وأخبرني أن والدي توفي منذ خمسة عشر سنة ، وأن الوالدة بميد الحية .

وأقمت بدمشق الشام بقية العام ، والغلاء شديد والخُر قد انتهت إلى قيعه سبع أواق بدرهم نقرة ، وأوقيتهم أربع أواق مغربية .

وكان قاضي قضاة المالكية بذاك حمار الدين المسلاتي ، وكان من أصحاب الشيخ علاء الدين الفونوي ، وقدم معه دمشق فعرف بها ثم ولي القضاة وقاضي قضاة الشافعية تقي الدين ابن السكي . وأمير دمشق ملك لأمرأء أوعون شاه .

(1) ومادا عن روحه المسكينة التي تركها حاملاً وعاب عنها 20 سنة ؟ ليته كان كُف خاطره مجرد السؤال عنها ، أو على الأقل ذكر ما آل إليه أمرها هـا . غير أن أخبار رحلانه استعرفت كما يبدو مجمل اهتمامه ، حتى سي أن يترجم في هذه النسخة عن ولده الذي مات بعمر 8 سنوات ، ولم يكن حتى يعرفه . فها للعجب

ومدت في تلك الأيام بعض كُتراء دمشق ، وأوصى عبد المساكين فكان
 المتولي لإمداد الرصّة يشتري الخُمر ويُفرقه عندهم كل يوم بعد العشاء ، فاجتمعوا
 في بعض البيدلي ونراحموا ، واحتفظوا الخُمر الذي يُفرق عليهم ، ومدوا أيديهم
 إلى خبز الخُبارين

ولمخ ذلك الأمير أرغون شاه ، فأخرج ربيته ، فكانوا حيث ما بقوا أحد
 من مساكين قلوب له «تعد لأحد الخُمر» فاجتمع معهم عدد كثير ، فحسبهم
 تلك المدينة ، وركب من العدة وأحصرهم تحت لقعة ، وأمر بقطع أيديهم
 وأرجلهم ، وكان أكثرهم براءً عن ذلك

وخرج طائفة الخو فشرعوا بدمشق ، فاستبقوا إلى حمص خدمة وحب
 وذكر لي أنه لم يعيش بعد ذلك إلا قليلاً ، وقُتل .^١

(رحلة ابن بطوطة ، طعة بيروت)

* [*] *

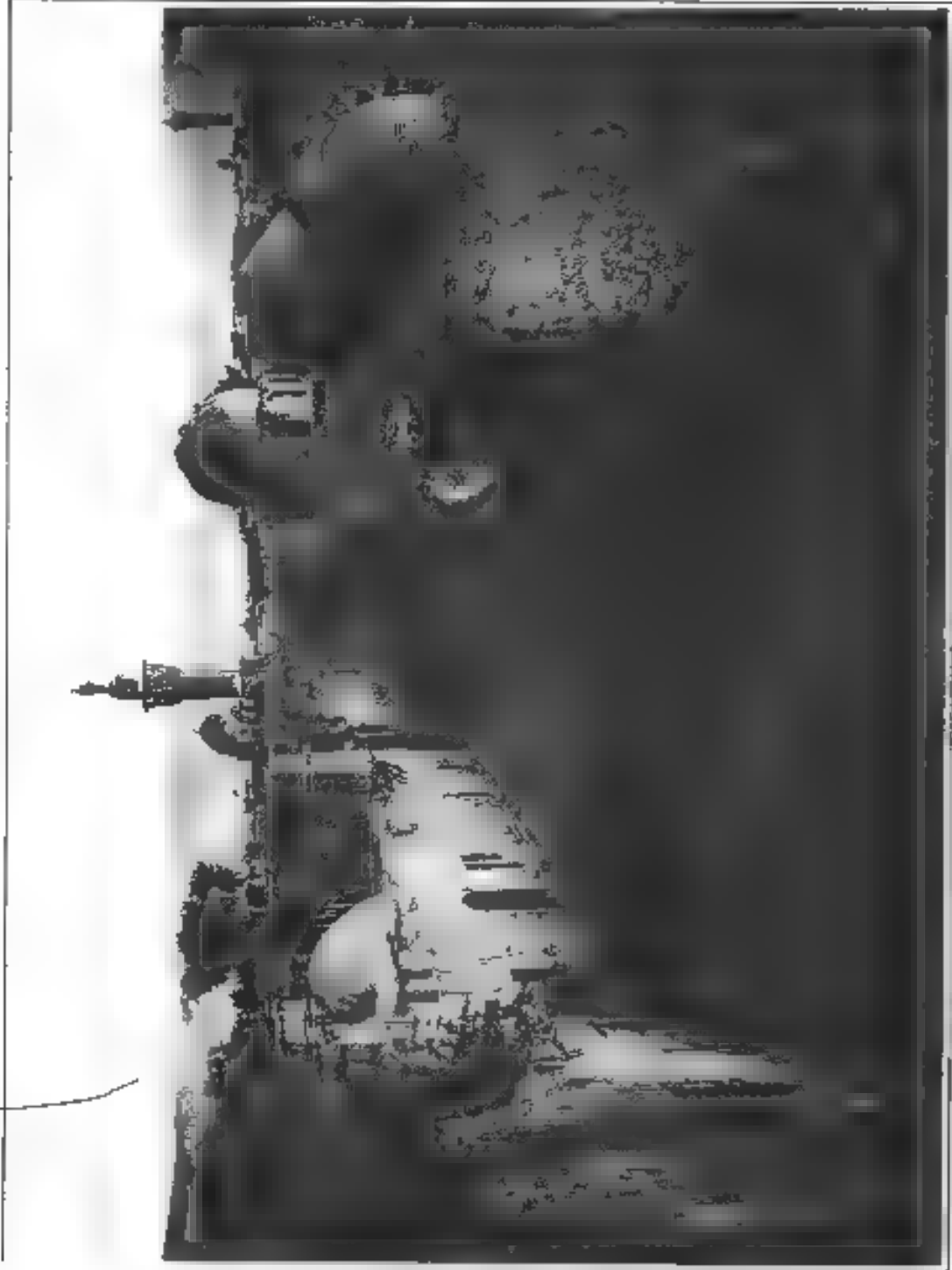
١ - عن ابن خلدون ، م. تالي مدبوحة ، على يد نائب طرابلس سيف الدين حسن
 منصري ، ناصر بن السلطان الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون . رجع أخيراً
 لرقعة في بداية وبنهاية لاس كثير ، وهو مدعصر بها (في خوارق) . مع لاول ٦١ هـ .
 وشملت في تاريخ ابن خلدون شهنة ، 1 : 664



در افران اصفهانیه - تصویر لصور فرسی مجهول ، عام 1887



مسجد أم سيدان جنوبي السودان وتندو إلى اليسار نربة الشبح
حسين أم الملق وحدهم نربة مختار الطواشي ، ولي لعشق دار القرآن الصابونية



صورة فوتوغرافية قديمة للموقع ذاته ، Tancrède Dumas حوالي 1880



القائشةندي

(توفي 821 هـ / 1418 م)

أنتم كتابه عام 84 هـ

شهدت لدين أبو العباس أحمد بن علي ، علقشندي ، مسنة إلى فلقشندة وهي محنة صغيرة بمصر قرب قلوب ولد عام 766 هـ وتعلم بالإسكندرية ، وصح عام 778 هـ مدرساً للحديث والفقه ، ثم النحو عام 791 هـ بدويان الإنشاء فبقي به إلى وفاته في عام 821 هـ ، عاصر شخصيات كبرى وأحداثاً عظمى ، ففي عصره عاش نصر المشرح المشهور جلدوز ، شهد مثله رحمة المعول على الشام تحت قيادة تيمورست

حمر علقشندي عمله بدويان الإنشاء على وصح مصنفه الأدبي الأكبر ، وشرع به فور انتقله إلى الدواور عام 791 هـ ، وكنت العانة من وصعه تعلم كتاب الدواوير وأطلق عليه ، «صُبح الأعشى في صناعة الإنشاء» ، وقد أنتم جزء الرابع عشر منه في عام 814 هـ وطل يريد عليه حتى وفاته . كما وضع له مختصر بعنوان ، «صوء الصُبح المسمر وحي الدُوح المثمر» ، وما يصل به أيضاً كتابه «مآثر الإبافة في معالم الخلافة» .

و«صُبح الأعشى» موسوعة داره ضخمة ودائرة معارف مهمة كل ما بعد كتب عصره ، وفيه مواد كثيرة مختلفة عن العالم الإسلامي بأواخر القرن الثامن وأوائل لتاسع للهجرة . وانعطفت الجغرافية فيه ذات أهمية خاصة . فهو يقدم وصفاً لخواحي مصر الشام على عشرينهما فعه اندوه المملوكية . بالإضافة إلى

دمشق

وهي بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف في الآخر
وسمى أيضاً حنق ، بجيم مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف في الآخر ،
وبذلك ذكره حسّان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه لنبي غسان ملوك العرب
بالشام بقوله :

لله درُّ عصابة سادتهم يوماً بخلق في الزمان الأول

وحكى في «الروض المعطار» تسميتها حَيْرُون ، بفتح الحيم وسكون الياء
لمشاه تحت وصم لراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر . وسمّاها في موضع
آخر : العدراء ، بفتح العين المهملة وسكون الدال المعجمة وفتح لراء المهمة
وألّب بعدها

وموقعها في أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في «القانون» :
وطولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد
حتُلف في بابها . ففيل بناها نُوح عليه السلام ، وذلك أنه لما نزل من السعينة
أشرف فرأى تل حُرّان بين نهري حُرّان وديسَلان فسأله فينى حُرّان ثم سار فبنى
دمشق ثم رجع إلى بابل فبناها . وفيل بناها جيرون بن سعد بن عاد وبه سُميت
جَيرون . ويقال إن جيرون وبيردا كانا أخوين ، وهما أبناء سعد بن لقمان بن عاد
وبهما يُعرف باب جيرون ، وباب اليريد من أبوابها . وفيل بناها إلغازر علام
إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكان حبشياً وهم له مُروذابن
كنعان حين خرج إبراهيم من النار ، وكان اسمه دمشق فسماها باسمه .

وفي كتاب «فصائل القُرس» لأبي عُبيد أن يوراسب ملك القُرس بناها .
وقيل إن الذي بناها ذو القرنين عند قراعه من السد ، ووكل بعمارتها غلاماً له
سمه دمشق ، وسكنها دمشق ومات فيها فسُميت به . وهي مدينة عظيمة
البناء ذات سور شاهي ، ولها سبعة أبواب : باب كيسان ، وباب شرقي ، وباب
نوما ، وباب الصغير ، وباب الحاية ، وباب القرايس . والباب المسدود

وروى الخطيب ابن عساكر عن أبي القاسم تمام بن محمد : أن بابها جعل
 كباب من هذه الكوكب من الكوكب سبعة وصور غيبه صورته ، فجعل باب
 كيب ، رحل ، و باب شرقي بشمس ، و باب توما بمرهرة ، و باب بصغير
 للمثنوي ، و باب حدة بمرح ، و باب القرديس بقطر ، و باب المسدود
 للقصر

وعلى كل حال فهي مدسة حسنة لرب حليمة الأبية ، و باب حواء حرثيب
 من جهاتها الأربع و غوصتها أحد مستشفيات المدد لعجينة بفصله على سائل
 مسرهاب الارض و كذلك الربوة وهي كهف في قم واديه العربي عمده نقسم
 مياها ، يقال إن به مهد عيسى عليه السلام

و بها أخوان و بدا سر و خوص و الرسط و الروايا و لأسواق لمدينة .
 واديار حليمة امده السقف بمرور به براحام بسوق ، باب ايل واما الخدي
 و باب جرى الماء في مد لو حدة و أم كرم ميا ، و الماء محكم عيها من جميع
 نواحيها بانقاص محكم

وهي في و طاء مسوية من الأرض بمره عن الوادي محص عن منهي ديل
 حبل ، مكشوفة حوب بمر أهواء إلا من شمال فإيه مححوب بحل
 قاسيون ، و بذلك و بسب إلى بوحامة قال في «مسالك الأبصار»
 و لولا حديها العربي بلبس بالثلوح صيفاً و شتاء كان أمرها في ذلك أشد و حان
 سكتها أشق و كنه باب قديف سم و دواء ذلك اداء وهي مسديرة به من
 جميع نواحيه

قال في «مسالك الأبصار» و علب بائها بالحجر ، و دورها أصغر مقادير
 من دور مصر ، لكنها أكثر حرته منها وإن كان الرّاحم بها أقل ، و إنما هو أحسن
 بواعداً قل و عناية أهله بالمناحي كثيرة ، و لهم في سائبهم منها تفوق به
 و بحسن أوصاعه و إن كانت حب أجلاً به عيتهم بالحجر قدمشق رين

(1) لولا سلسلتا جبل لبنان لكان هواء الشام طيب ، لكنها محصورة بين اسادية و الحمال

وأكثر روقاً تحكّم الماء على مدينتها وتسلطه على جميع نواحيها ، ويُستعمل في عمارتها خشب الخور - بالحاء والراء أهمّتين - بدلاً من خشب النخل ، إلا أنه لا يُعشَى بأيّاص ويكتفى بحُسن طاهره وأشرف دُورها ما قُرُب ، وأجلّ حصرتها ما هو في جاسها : العربي (الشمالي

[قلعة دمشق]

وأما جاسها العربي فهي قلعتها ، وهي قبة حسنة مُرخّلة على لأرض ، تحيط بها وبمدينة جميعها سور عالية ، يحيط بها حندق يطوف الماء به بالقبة ، وإذا دعت الحاجة إليه أطلق على جميع الحندق المحيط بالمدينة فيعتها ، و تحت القلعة ساحة مسيحة بها سوق الخيل ، على جانب وادي ينهي فيه بمانيي لقلعة إلى شرفين محظير به في جهتي القبة والشمال ، في ذيل كل منهما ميدان مُمرح بالنجل لأخضر ، والوادي يشق بينهما ،

[القصر الأبلق]

وفي ابيدان القلبي مهما القصر الأبلق ، وهو قصر عظيم مبني من أسفل إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتألف عريب وإحكام عجيب ، به نطاهر يبرس السُدُقاري في سلطته ، وعل مثله بني لناصر محمد ابن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الخيل بمصر ، وأمام هذا القصر دركاه تُدخل منها إلى دهليز القصر ، وهو دهليز مسيح يشتمل على قاعات ملوكية مهروشة بالترحم الملون البديع الحسن ، مؤزّر بالترحم انفصل بالصّدَف والقَصْر المذهب إلى سَحف السقوف ، بإدار اكسري به يوانان متقن بالار ، نُطلّ شبايك سرقيهما على الميذان الأخضر ، وعربيهما على شاصي وادي أخضر يجري فيه نهر وله ردف تناعي سُحب ، تشرف من جهاتها لأربع على جميع المدينة والعوطة

والوادي كامل المدفع بالبيوت الملوكية والإصصلات السلطانية والحمم ،
وغير ذلك من سائر ما يُحتاح إليه . وبالدركاء التي أمام لقصر المتقدم ذكرها
جسر معقود على حاسب الوادي ، يُتوصل منه إلى إيوان برآسي يُطل منه على
الميدان القبلي ، استحدده فوش الأفرم في سبته في الأيام الناصرية ابن قلاوون
وتجاه باب القصر باب يُتوصل من رحته إلى الميدان الشمالي وعلى الشرفين
التقدم ذكرهم أسنة حليلة من بيوت ومناظر ومساحد ورُبط وخواق وزوايا
وحمامات ، ممتدة على جانبين ممتدين طول الوادي .

ولهذه القعدة باب عمريه غير باب دمشق ، يحفظه للسلطان ولا يُمكن
أحد من طوعها من حائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دمشق برل بها ، وبها
تحب ملك كغيرها من ديار الملك .

[العقبة والإصالحية]

وأما حاسبها لشمالي ، ويسمى العقبة ، فهو مدينة مستقلة بداتها ذات أبيه
حديثة وعمائر ضخمة ، يسكنها كثير من الأحرار والحُد
ويبرز المدينة في سمع جبل قاسيون مدسة انصالحية . وهي مدسة ممتدة في
سمع الحبل بزاء المدينة ، في طول مدى يُشرف على دمشق وخرطها ، رات
مساحد ومدارس ورُبط وأسواق وبيوت حليلة . وبأعالها مع ذن الحبل مفاير
دمشق العامة .

[بساتين دمشق]

ولكل من دمشق والصالحية البساتين الأنيقة ، بسلسل جداولها وتعني
دوحاتها وبنمايل أعصابها وتعدأطيرها . وفي بساتين الرُهة بها العمائر
الضخمة والخواسق العالية والبرك العميقة والبحيرات الممتدة ، تتقابل بها الأواوين

والمجالس ومحف بها الغراس والنُصوب المطررة بأسرروا ملتف والخور المشوق القذ
والرياحين المتأرجحة الطيب والعواكح الحنّية والثمرات الشهية ، والأشياء الدبعة
التي تُغني شهرتها عن الوصف ويقوم الإيجار فيها مقام الإطناب .

[أنهار دمشق]

ومسقى دمشق وسائنها من نهر يسمى بردي ، يفتح الباء الموحدة والراء
والدال المهملتين وبآخره ألف ، أصل محرجه من عيين - العيدة مهما دون قرية
تسمى الربداني . ودونها عين قرية تسمى لفجة ، بدين جبل يخرج الماء من
صدع في نهاية سعله ، قد عُقد على مخرج الماء منه عُقد رومي الساء . ثم ترفده
منايع في مجرى النهر ، ثم يقسم النهر على سعة أنهر ، أربعة عربية : وهي نهر
داريا ونهر لمرة ، ونهر القنات ، ونهر بناس ؛ وأثنان شرقية وهم : نهر يزيد ،
ونهر ثورا ، ونهر بردي تمتد بينهما

فأما نهر بناس ونهر القنات فهما بهرد المدينة ، حَكمان عليها ومسندان
على ديارها . يدحل نهر بناس القلعة ، ثم يقسم قسمين . قسم للجامع وقسم
للقلعة ، ثم يقسم كل قسم مذهب على أقسام كثيرة ويتفرق في المدينة بأصابع
مقدرة معلومة . وكذلك يقسم نهر لقوت في المدينة ، ولا مدحل له في القلعة
ولا الجامع ، ويجري في قُبَي مدفوعة في الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها
بالدور والأماكن على حسب التقسيم . ثم تنصب فصلات ماء والرك ومجري
الميضات إلى قُبَي معقودة تحت الأرض ، ثم تجتمع وتتهر وتخرج إلى ظاهر المدينة
لسقي البساتين

وأما نهر يزيد فإنه يجري في دين الصالحية المتقدم ذكرها ، ويشق في بعض
عمارنها . وأما بقية الأنهار فهي تنصرف إلى البساتين والغيطان لسقيها . وعليها
القصور والسيان ، خصوصا ثورا فإنه بيل دمشق عليه جُلُ مانيها وبه أكثر تنزهات
أهلها ، من يراء يحمله رمّده حضراء لالتفاف الأشجار عليه من الحابسين

[الجامع الأموي]

وبها جامع بني أمية ، وهو جامع عظيم بناه الوليد بن عبد الملك ابن مروان في سنة ثمان وثماني من الهجرة ، وأُنشئ فيه أموالاً حمة حتى يقال به فهو فيه أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ، وإنه اجتمع في ترحمته اثنا عشر ألف مَرَحَم .

قال في «الروص المعطر» : «وذُرْعُهُ في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خطوة وهي مئتان ذراع ، وقد رُحِفَ بأنواع الرحفة من القصص المذهبة والمُرَقَرِ الصُّفُور ، وكَتَبَ سره عمودان محزبان دُخِمَ بهم ثلثهما ، يُفَدِنُ الوليد اشتراهما بألف وخمسمائة دينار وفي المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش بنفيس ، وعند ساربه الشرقية حجر يُدَبُّ به قطعه من الحجر الذي ضرب به موسى عليه السلام فاهجرت منه اثنا عشرة عصابة

وقد ورد أن المسيح عليه السلام قُبِلَ على لمرة لشرقية منه ويُقال إن الفتنة التي فيها المحرقات لم تزل معدة لا يتدأ عمارتها إلى آخر وقت ، بناه الصائفة مُتَعَدِّدًا لهم ، ثم صارت إلى اليونانيين فكانوا يعطمون فيها دينهم ، ثم انقلبت إلى أيهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونُصِبَ رأسه على باب حبرون من أبوابه فأصدمته بركته ، صار إلى الصري فحتمتها كيسه ، ثم افتتح المسلمون دمشق فاتحدوه جامعها وعُلِّقَ رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي عُلِّقَ عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن حُدِّدَ الوليد ، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام مدفون به وبه مصحف عثمان الذي وحَّه به إلى الشام

قال في «الروص المعطر» : «ويقال إن أول من وضع حداره الأول هُود عليه السلام وقد ورد في ثمراته بعد الله تعالى فيه بعد حرات الدنيا أربعين سنة

(١) هو : «روص المعطر في خبر الأضر» محمد بن عبد الله بن عبد الله بن حمير تقدم به أعلاه ويدل في مصدر الفقه شدي في وصف دمشق كتاب ابن فضل الله العمري «مسالك الأبصار» و«التعريف بالمصطلح الشريف» وكتاب الحميري المعاصر له

[بردمشق]

فأما البرّ فأراد به صواحيها قال في «التعريف»^(١) وحدها من القلعة
مريه لخيارة المحاورة للكسرة وما هو على سمتها طولاً ، ومن الشرق الجبال
الطوال إلى السك^(٢) وما على سمتها من القرى احذاءً على عسل وما حولها من
القرى إلى الربداني ، ومن العرب ما هو من الربداني إلى قرى القرار المسامنة
للمخارة المقدم ذكرها . قال : ويدخل في ذلك مرج دمشق وغوطتها .
(صح الأعشى للقلقشندي ، 4 : 91-97)

* * *

(١) أراد به كتاب «التعريف بمصطبح لشریف» لابن فضل الله العمري
(٢) أي سلسلة جبال القلمون ، المتفرعة من سلسلة جبال لبنان الشرقية



صورة فوتوغرافية قديمة للمدرسة الشاذليكية ، لمصور مجهول حوالي 1850



قبة فخر الدين موسى ابن منگورس ، شمالي تربة الدحلاح



مسجد السقيفة (المعروف حالياً بالثقيفي) شمالي باب توما

والصورتي من كتاب *Damaskus, die islamische Stadt* ، برلين 1924

مِثْرَانُ الْأَوَاقِ

لنفعي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حمزة التكريتي

٢٧٧ — ٢٨٧ هـ

مصحف وطابق عليه

محمد بن الفضل بن عبد الله بن محمد بن الحسين

الطبعة الأولى

الناشر

مكتبة الخزانة الخيرية بمصر

٩٧١

ابن حجة الحموي

(توفي 837 هـ / 1433 م)

رحلته إلى دمشق في عام 791 هـ / 1389 م

نفي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله انتهى الحموي ، المعروف بابن حجة .
أحد أعيد العرب التاسع بهجري في الشعر والرجل والكتبة والتأليف . ولد في مدينة
حماة عام 67 هـ وشأ به . وحفظ انقرب من طهونه ، ثم أخذ يعمل في صناعه
الحرير وعمل الأزار حتى لُقّب بالأزاري . ولكنه مع ذلك كان هاوياً للأدب
نارعا إليه ، فبقي بعض الشيوخ من أدباء عصره في اشتام وأخذ عنهم ، ولم يلبث
أن أصبح بعد فترة وحيرة مستوعبا لمصر لأدب ، محصلاً للكثير من المعارف ،
حافظاً للشعر داوية للخر .

برز ابن حجة بالرجل وعمل فيه كتباً ، وقُرّص الشعر وعمل القصائد
و مدائح ملوث للإسلام بالشتام ، ثم رحل إلى مصر بمدح الملك لمؤيد فقرّبه إليه
باصطاحه في حلقاته وأسفد ، غير أنه كان يُعرب عليه تيهه بنفسه وإعجاب
عوهه ، مما أدكى عليه نار الحسد والعداوة فعملت فيه الأهاجي ونيل منه .

وانتهى به الأمر أن ترمّم من الإقامة بمصر ، فنزّح عائداً إلى وطنه حماة
و مكث بها مدناً حتى توفي عام 837 هـ . وكان فربه ما برح معروفاً فيها إلى فترة
غير بعيدة في القرن العشرين ، في تربة باب الجسر ، كما يذكر الزركلي في أعلامه
كما كانت على قبره قبة ، ردت بأواخر القرن التاسع عشر . ولكن القبر اليوم لم
يعد معروفاً في عصرنا ، على حد ما أعلم .

في هذه الحياة القصيرة التي أمضاها عصر والشام ، شغل ابن حجة بالتصنيف ، فوضع كثير من الكتب والرسائل ومحتدات من اشعر ونثر ومن أحسن مؤلفاته «حرارة الأرب» و«ثمرات الأوراق» و«ديله» و«كشف النام عن وجه النورية ولاستخدام» و«حديثه رهير» و«تأهيل العريب» و«الثمرات الشهية من المواقه الحموية» و«محرى لسوءيق» و«تعميد اصباح» و«قهوة الإشب» ، لدى جمع فيه ما أشاء من التقايد السطانية والمناشير الملوكية

وأما كتبه «ثمرات الأوراق» الذي نحن بصدده الآن ، فهو أشهر كتبه فاطمة وكان أول ما نشر من آثاره حيث طبع بالمنظمة الوهية بمصر في عام 1300 هـ ، ثم عند طبعه على هامش كتاب «المستطرف» للأشيهي بالمنظمة العثمانية بالقاهرة عام 1315 هـ وهو موجه للعموم من كتب المجمع الأدبية ، على سق الكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وانقد المبرد لاس عبد ربه صمّر فيه مؤلفه طرفاً ووادراً وأحسراً ديه مفعولة عن غيره ، بالإضافة إلى روايات عليها بالمشاهدة أو شهدها نفسه مما وقع في عصره عصر والشام



والذي يعيبها ما من الكتاب هو نص الرحلة الشهيرة التي قام بها الرّحل من مصر إلى الشام عام 79 هـ وكان عمره 24 عاماً ، رأى بها رأي لعين الأحداث الدامية التي رافقت حصا فوات السلطان الطاهر برفوق لمدينة دمشق إبّان عصيانها وحروجها عن طاعة القاهرة ، عاصمة السلطنة المملوكية .

هذه الواقعة عُرفت لدى مؤرخي ذلك العصر باسم «وقعة منطاش» ، وفيها شهدت دمشق حرباً ودمراً كسرين وعدة حرائق ، كما ذكر المؤرخ الدمشقي ابن صصري في كتابه انقيس «الدرة المصيبة في الدوة لطهرية» ، وهو أهم من أرح لهذه الواقعة بالتفاصيل الحية الواقية وكذلك تردد أخبارها في «إبباء العمر بأساء العمر» لابن حجر العسقلاني (الجزء 2 من طبعة حيدر اباد) ، وفي «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقري ، وتاريخ ابن قاضي شهابية

تؤلف هذه الواقعة نقطة انعطاف في تاريخ الدولة المملوكية ، ما بين مرحلتين
حكم المماليك البحرية من لأتراك ، وحكم المماليك البرجية من الجراكسة .
حيث أد أول سلاطين الجراكسة ، الطاهر برقوق ، قُوبل بالرفض من قبل طبقة
الأمراء المماليك في دمشق ، إبان عهد نائبها بيكمر وحلفه برلار . ورام هؤلاء
الأمراء خلق السلطان الجديد ، وألوا عليه بلاد الشام بأسره ، وكان المحرك الأكبر
خسبة المعارضة الأمير المموكي منطاش نائب ملطية .

ثم انتهت أحداث وقعة منطاش ، بانتصار قوات السلطان القوي برقوق
عليه عام 792 هـ ، وإعدامه بحلب عام 798 هـ ، بعد إخماد ثورته بكل قسوة
وعنف ، لقتل منهما المدينة لمقهورة كن عسف وتحريب ، على عتارها كانت
مركز النشاط السياسي المعادي لبرقوق .

ويظهر لنا حلياً مدى ما عانته دمشق إبان ذلك ، من خلال وصف ابن حجة
في رحلته ، وإب كانت تعب على بصة أساليب التكلف والسجع الأدبي الممل ،
وما يلحق بذلك من أبواب الجسائس والاقباس والتصمين . هذا فضلاً عن أن
الضرورة الأدبية ذاتها قد كانت رعت إلى المبالغة الزائدة في وصفه .

غير أن المؤرخ في عمرة تناكه على دمشق يومذاك واستقطاعه لذ أصابها من
جور ودلال ، لم يكن يعرف أن الدهر كان يبيت لها كارثة أشد ومُصيبة أدهى ،
عد اثني عشر عاماً فقط ، وهي كثة وقوعها بيد الطاغية المغولي تيمورلنك ،
ودمارها بالكامل على يديه عام 803 هـ . وسيمر بنا في كتاب هذا بعض الجوانب
من تاريخ هذه الكارثة والحوادث السابقة لها في عصر ابن حلدون .

وفي نصّ الحموي بلمح كثيراً من أسماء الأماكن بدمشق المملوكية ، ما برح
بعضها معروفاً إلى أيامنا وراى بعضها الآخر . وفي وجه العموم لا يخلو هذا
النص من فائدة ، مما أدى إلى انتشاره في عصره بسجح مخطوطة كثيرة عثرت على
بعضها ، منها نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وأخرى في مكتبة الدولة في برلين
بألمانيا .

وكذلك نكتب من كتاب ثمرات الأوراق أحسن أديب آخرى ذات صلة
بدمشق ، رأيت فيها طرفه وفائدة ورحت في ذلك إلى ضعة الكتاب القديمة
التي بشرتها المطبعة العثمانية ، لفهره ع م 1300 هـ ، وإلى طبعه خانجي بمصر
بتحقيق محمد أبي الفصل إبراهيم عام 1971 .

بعد ذلك راجعتُ مخطوطه الرحلة في مجموعة مكتبة الظاهرية بدمشق
والمخطوطة ليوم مكتبة الأسد برقم : 10226 ، في 13 ورقة محرومة لأول والآخر
ولا تدرج لسحبها ، وفهرست بالعلط أنها لا من ححر العسقلاني كما فست
على نسخة برلين في مكتبة الدولة Staatsbibliothek ، رقم . 9784 .

وكان الأساد أحمد طربين بشر نص الرحلة في مجلة المجمع العلمي العربي
لعدد 3 (1956) ، ص 611-630 ، عن نسخة مخطوطة مكتبة خدابخش في پسا
بالهند . والمرقق بها عما في كتاب «ثمرات الأوراق» ورود عنوان للرحلة هو
«ياقوت الكلام في ما باب الشام» ، ويبدأ ذلك بالنص واحد ، فيما حلا افتتاحه
بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ، «كتاب دست في الكتب مسطورا»

المصادر :

- رحلة ابن حجة إلى الشام . مخطوطة الظاهرية
- رحلة ابن حجة إلى الشام مخطوطة برلين
- ثمرات الأوراق لابن حجة ، مقدمة إبراهيم . ج - و
- اصوة اللامع للمسحاوي ، 11 . 53
- شذرات الذهب لابن العماد الحسلي ، 7 : 219
- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ابن حجة لبروكلم 1 : 15
- دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد أفرام الساسي ، 2 : 436
- الأعلام للزركلي ، ط 2 ، 2 : 43

[لطائف]

ومن لافئاسات التي وقعت للمتأخرين في أحسن المواقع المتعقبة بحكاية الحال ، ما سمعته وشاهدته حكاية حاله بالجامع الأموي . وما ذاك إلا أن قاضي القضاة علاء الدين أبي البقاء الشافعي ، رحمه الله تعالى ، كان قد عُزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق لمخروسة .

ولما حلَّ الركب الشريف الطاهري بدمشق مخروسة أعاده إلى وظيفته ، وأُسنه لتشريف من قلعة دمشق ، وحضر إلى الجامع على العادة ، ومعه أخوه قاضي القضاة بدر الدين لشافعي بديار المصرية ، فاستفتح الشيخ معين الدين بصري حقرى ، وقرأ ﴿ قالوا يا أيها ما سعي هذه بصاعتنا ، ذنِّ البناء ونمير أهلها وسحطُ أخابها ﴾⁽¹⁾ إلى آخر الآية .

فحصل بالجامع الأموي برئه صفوي له (السر) بجاحبه .

(ثمرات الأوراق ، 41 - 42)

ونقلتُ من خط الصَّاحب فخر الدين بن مكانس ، رحمه الله تعالى ، قال .
سافرتُ سنة إحدى وستين وسعمائة مع الصَّاحب فخر الدين بن قُروسة إلى دمشق لمخروسة ، وقد وُيَّطر بملكيتها ، ووَالدي رحمه الله إفتاءه ، وكان به ذَوَارٌ⁽²⁾ يسمَّى ضيحا ، وهو من عُتقاء جدِّه الوير أمين الدين بن القنَّام - وكان طيفاً كثير التَّوادر - فاتمَّ أن جمال الدين الرَّهوي موقع دَسْت الوراره ركب يوماً تنقطر به القَرَس ودَس على رأسٍ حليله ، فحُمِلَ إلى داره وأقام أياماً إلى أن عُوْفِي .

(1) سورة يوسف 65

(2) لدو دار من ماصب لإدرية في عهد الدولة اسلوكية ، ومعنى الكلمة : حامل الدَّوَاهِ أو شجره . ومهمة صاحبها تسلم البريد الموجه لمسططان وتوقيع جميع رسائله

وحضر مجلس الوزارة وهو غاصرٌ بإساس . فقال الصّاحب : ما سبب
 بأخرك ؟ فقال . تقنطري العرس وداس رأس إجلي فكدتُ أموت ، والآن فقد
 لطف الله تعالى وحصل لُزء والشفاء . فقال له صبيح : الحمد لله على سلامة
 الخُصى ! فانقلب المجلس ضحكاً ، وحجل ابن الرّهوي وأصرف

(ثمرات الأوراق ، 48 ، 49)

[نوادير الأدكياء]

ومن المقول عن أركياء الصبيان أنه وقف بإس بن معدوية وهو صبيّ إلى
 فصي دمشق ومعه شبح ، فقال أصلح لله لقصي ، هذا لشبح ظلمني
 وأعدى عليّ وأكل مالي . فقال العاصي : ارفو بالشيخ ، ولا تستقله عشل هذا
 الكلام . فقال إياس : أصبح الله القصي [١] ، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك
 قال . اسكُتْ قال . فإم سيكُت فمري يقوم بحُجّتي ؟ قال : فتكلّم فوالله لا
 تتكلم بحير ، فقال . لا إله إلا الله وحده لا شريك له !
 فبلغ ذلك خليفة . فعزل العاصي وولّى إياساً مكانه

(ثمرات الأوراق ، 183)

* * *

(1) وردت النص في كتاب الأدبياء لابن جوري ١29٠ ، طبعه بمصر 306 هـ .

(2) زيادة من كتاب الأدكياء ، ص 129

[اعفاف ومروعة]

ومن عرائب انتقول وعجائنه عن الأمير بدر الدين أبي لحاسن يوسف
المهمدار⁽¹⁾ المعروف بمهمدار العرب أنه قال : حكى لي الأمير شجاع الدين محمد
الشيرازي متولي القاهرة في الأيام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة قال :

بنا عبد رجل بعض بلاد الصعيد ، فأكرما - وكان الرجل شديد السمرة
وهو شيخ كبير - فحصر له أولاد يص اوجوه ، حسار لأشكال ، فقلنا له
هؤلاء أولادك ؟ فقال : نعم ، وكأني بكم وقد أكرتم بياصهم وسودي ! فقلنا
به : نعم قال : هؤلاء أمهم إفرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين
وأنا شب فقلنا : وكيف أخذتها ؟ قال : حديثي بها عجيب . قلنا : أتخف به ؟
قال :

ررعت كناناً في هذه البلدة ، وقبعته ومصته ، فأنصرف عليه خمسمائة
دينار ، ولم يلبس لثمن إلى أكثر من ذلك ، فعملته إلى القاهرة فلم يصل إلى أكثر
من ذلك ، فأشير علي بحممه إلى الشام فحملته ، فما راد على تلك القيمة شيت ،
فوصلت به إلى عكا سمعت بعضه بالأجل ، والبعض تركته عندي واكرت حانوتاً
أبيع فيه على مهلي إلى حيث انقضاء السنة .

فبينما أنا أبيع ، إذ مرت بي امرأة إفرنجية - وساء الإفرنج يمشون في
الأسواق بلا نقاب - فأتت تشتري مني كناناً . فرأيت من جمالها ما يهرني ،
فبعثتها وسامحتها . ثم أنصرفت وعادت إلي بعد أيام فبعثها وسامحتها أكثر من
المرّة الأولى فنكررت إلي ، وعمت أني أحبها ، فقلت للعجوز التي معها : إنني
قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة ، فقالت له ذلك ، فقالت : تروح أرواحنا
الثلاثة ، أنا وأنت وهو . فقلت لها : قد سمحت بروحي في حبها

(1) المهمدار - من الوظائف الإدارية في عهد المماليك ، وهو من يتلقى الرسل والعربان
الواردين على لسلطان ، ويرلهم دار الصيافة ، ويتحدث في القيام بأمرهم . انظر -
صبح الأعشى للقلقشندي ، 4 : 22 ، 5 - 459

وَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ ادْفَعَ لَهَا خَمْسِينَ دِينَارًا صُورِيَّةً ، فَوَيْلٌ لَهَا وَسَيِّئٌ لَهَا
لِلْعُجُورِ ، فَقَالَتْ : حَرُّ اللَّيْلِ عِنْدَكَ عَمَصِيْبٌ وَحَرُّ نَارٍ فَدَرَسْتُ عَلَيْهِ مِنْ
مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَشَمْعٍ وَخَبْوٍ ، فَجَاءَتْ لِأَفْرَحَةَ فَأَكَلْنَا وَشَرَبْنَا ، وَحَسَّ الْمَلِكُ
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ النَّوْمِ ، فَعَلَبُ فِي نَفْسِي : أَمَا سَتَحْيِي مِنْ اللَّهِ ؟ وَأَنْتِ عَرِيبٌ نَعَصِي
اللَّهُ مَعَ بَصْرَانِيَّةٍ ١ : لِلَّهِمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ عَفَفْتُ عَنْهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ حَبَابًا
وَحَوْفًا مِنْ عَمَابِكَ

ثُمَّ مَلَأَ لِي الصَّبْحُ ، وَقَدِمْتُ فِي لَسْخَرٍ وَهِيَ عَصِيْبٌ وَمَصَّتْ وَمَصَّتْ ٢
إِلَى حَانُوتِي فَجَلَسْتُ فِيهِ وَإِذَا هِيَ قَدْ عَمَرَتْ عَلَيَّ هِيَ وَالْعُجُورُ وَهِيَ مُعَصَّةٌ
وَكُنْهَا عَمْرٌ ، فَعَلَبُ فِي نَفْسِي : مَنْ هُوَ أَنْتَ حَيٌّ تَرَى مَدَامًا حَيًّا فِي خُصْبَةٍ ؟
ثُمَّ حَقَّتْ الْعُجُورُ وَقُلْتُ : ارْحَمِي . فَقَالَتْ : وَحَقُّ الْمَسِيحِ مَا أَرْجِعُ بِكَ إِلَّا
مِائَةَ دِينَارٍ ! فَقُلْتُ : نَعَمْ رَضِيتُ : فَوَزَنْتُ مِائَةَ دِينَارٍ .

فَمَا حَصَرْتُ الْحَارِيَةَ عِنْدِي خَفَّتِي لَهْزَةِ الْأُولَى ، وَعَفَفْتُ عَنْهَا وَتَرَكْتُهَا
حَيًّا مِنْ اللَّهِ عَنِّي ، ثُمَّ مَصَّتْ وَمَصَّتْ ٣ إِلَى مَوْضِعِي ثُمَّ عَدَّ نَعْدَ ذَلِكَ عَنِّي
وَكُنْتُ مُسْتَعْرَبَةً ، فَجِئْتُ وَحَقُّ الْمَسِيحِ مَا هِيَ بَرَّةٌ بِي عِنْدَ لَا خَمْسَةَ مِائَةِ
دِينَارٍ أَوْ ثَمَنٍ كَمَدًا فَارْبَعَتُ مِائَةً وَخَمْسَتُ بِي أَصَابَ عَمْرٌ ثُمَّ كُنْتُ
خَمْسَةً

فَسَمَاءُ أَنْ كَذَلِكَ وَمِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي
وَسَكَمَ لِي مِائَتِي وَقَدْ أَهْلَيْتُ مِنْ هَذَا مِنْ مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي

فَمَصَّتْ عَنِّي ، وَأَحْدَثُ أَنَا فِي تَحْصِيلِ نَمْرٍ ٤ : مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي
عَنِّي مَا بَقِيَ مِنْهُ ، وَأَحْدَثُ مَعِيَ مِائَةً حَسَةً ٥ : حَرَجْتُ مِنْ نَعْدِ وَفِي قَيْسِي مِنْ
لَا فَرَحِيَّةَ مَا فِيهِ ، فَوَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقٍ ، وَبَعْتُ لِي مِائَةً مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي
وَمِنْ بَنِي نَكْسَبٍ وَأَفْرَ ، وَأَحْدَثُ أَنْجَرٍ فِي الْخَوَافِ مِائَةً مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي مِائَتِي
الْإِفْرَاجِيَّةَ

(١) كُنَا فِي الْمَصْنُوعِ ، وَبَعْنِي تَحْيِيْدُ الْعَرَبِيَّةِ ، أَوْ لَعْنُ الْكَلِمَةِ مَصْحُفَهُ عَنْ : مَسْعُورَةٍ ٦

فمضت ثلاث سنين ، وجرى للاستيلاء الملك الناصر ما جرى من وقعة
 حطين وأحده جميع الملوك ، وفتح بلاد ساحل يادر الله تعالى⁽¹⁾ فطلب مني
 حرية للملك الناصر ، فأحصرت حرية حسبه ، فاشترت له مني مائة دينار ؛
 فأصلوا إلي تسعين ديناراً وبقيت عشرة دنانير فلم ينتفوه في الخزانة ذلك اليوم ،
 لأنه أبقى جميع الأموال ، فشاؤوه على ذلك ، فقال : امضوا به إلى الخزانة التي
 فيها أسبي من ساء الإفرنج فحبروه في واحدة مهن يأخذها بالعشرة الدنانير
 انني له .

فأنت أخيمه ، فعرفت عرمتي الإفرنجية ، فقلت : أعطوني هاتيك
 فأخذها ومضيت إلى خيمي وخلوت بها ، وقب لها أنعريسي ؟ قالت : لا ،
 فقلت : أنا صديقتك أنت الذي جرى لي معك ما جرى ، وأحدثت مني الذهب ،
 وقلب من قبلي أنصربي لا بحسمائه دينار ، وقد أحدثك عشرة دنانير فقال :
 مديك ، أنا أسهدك لا إله إلا الله وأحمد سول الله فأسلمت وحسن
 إسلامها .



فقلت : والله لا وصلت إليها **الناصر الفاضل** ، فرجحت إلى ابن شداد⁽²⁾
 وحكيت له ما جرى ، فعحب وعقدني عليها ، وباتت تلك الليلة عندي فحملت
 مني

ثم رحل بعسكر ، وأبى دمشق ، وبعد مدة يسيره إلى رسول الملك يطلب
 الأسرى والسبا بالهدى فقع بين الملوك ، فربوا من ك أسيراً من الرُحَد ولساء .
 ولم يبق إلا التي عندي ، فسأوا عنها وأصبح الخبر أنها عدي وولدت مني .

(1) ذلك في عام 583 هـ 1187 م ، ومن صممه بحه يديه عك أسى حرب بها وفائع
 حكاية ، والتي بقيت في يد حتى عام 587 هـ 1191 م عندما سقط بيد الملك
 الإنكيزي ريتشارد قلب الأسد قائد الحملة الصليبية الثالثة
 بهاء الدين يوسف بن زريع لسهير بان شدار ك ك قصي عسكر سلطان الناصر صلاح
 الدين الأيوبي وأحد أدنى مرتبه بأزاحر حبه 584-589 هـ ألف عنه كتابه الرافع
 الدائع الصبت : «الواد السطنة والمحاسن ليوسعيه» ، شرته عام 2003

فحصرتُ وقد تعبر لوني ، وأحصرتها معي بين يدي مولاي السلطان الملك
الناصر ، والرسول حاصر ، ففتتُ - هذه المرأة التي عهدي ، فقال لها الملك الناصر
محضرة الرسول . ترجعين إلي بلادك . أو إلى زوجك ؟ فقد فككتنا أسرك وأسرك
غيرك .

فقات يا مولانا السلطان ، أنا قد أسلمتُ وحملتُ ، وها بطني كما
ترويه ، وما بقيت إلا فرح تستمع بي . فقال لها الرسول : بما أحب إليك ، هذا
المسلم أو روحك الإفريحي فلان ؟ فأعادت عذريته الأولى . فقال الرسول من
تعه من الإفريح اسمعو ، كلامها . ثم قال لي الرسول . خذ روحك

فوتيتُ بها ، فطلسي ثانياً ، وقد : أمها أرسلت معي ودعة وقالت : إن
ابني أسيرةً وأشتهي أن تُوصل لها هذه الكسوة ، فتسلما الكسوة ومصبا إلى
الدار ، وفتحاً لقماش فإذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ، ووجدتُ
الضربتين الذهب . الخمسين ديناراً والمائة دينار كم هم يربطني به يتعير
وهؤلاء الأولاد منها ، وهي التي صنعتُ لكم هذا الطعم⁽¹⁾

(ثمرات الأوراق ، 236-239)

(1) هذه واقعة من أعجب القصص وأندرها بها يحار القارئ ، أيعجب عريب اتفاق البحر أم
يقتر عقة الرجل أم يكبر شهامة السلطان الناصر عملاق الرجولة ، أو أنه يتأثر لإسلام
المرأة ووقانها لروحها يوم خير ، أو بلحمة الترماتيكبه للقصّة ؟
يعني لنا أن نتصور مقدار شدة الود والحب الذي أكنه هذا الرجل بزوجته المرحبة ، وهي
بالتاسعة كانت فرنسية عالياً ألا هكذا فليكن الحق وإلا فلا طائل منها.

[ياقوت الكلام في ما ناب الشام^(١)]

[رحلة ابن حجة الحموي من مصر إلى دمشق ، سنة 791 هـ]

قُتْ : ذكرتُ بهذه الرحلة^(٢) أيضاً رحلتي من الديار المصرية إلى دمشق
اغروسة المحمية ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، والملك الناصر قد خرج من
الكرك^(٣) ، وروى عليها وتصدى لحصارها ، وقد احتجعت عليه العساكر المصرية
والشامية ، وحدثت بدمشق ما حدث من القتال والحصار والحريق .

فكُتِبْتُ إلى المقرّ المرحوم المحري ، القاضي ابن مكائس ، في شرح ذلك
رسالة لم يُنسخ على موالها ، ولم تسمح على غلبة الطرّ قريحة بمثالها^(٤) ،
وهي :

يَقْبَلُ المملوكُ أَرْضاً مِنْ يَمِينِهَا وَتَعَمُّ بِرَأْسِهَا حَصْلُ لَه المَحْرُ والمَجْدُ ، فَلَا يَرْحُ
هِيَامُ الوُفُودِ إِلَى أَبْوَابِهَا أَكْثَرُ مِنْ هِيَامِ العَرَبِ إِلَى رَبِّ نَجْدٍ ، وَلَا زَالَتْ قُحُولُ
الشَّعْرَاءِ تَطْلُقُ أَعْنَى لِقْطِهَا فتركض في ذلك المصمّر : وتهيم بواديها الذي يجب أن
تُرفع فيه على أعمده المدائح في بيوت الأشعار ويُنهي - بعد أشواق أُمست
الدموع بها في محاجر العين معثرة ، ولو لم يقر إنسانها بمرسلات الدمع لقلت :
« قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْثَرَهُ » وصول المملوك إلى دمشق المحروسة فيا لينه قبض
قبل ما كُتِبَ عليه ذلك الدخول

- (١) هذا العنوان يس في «ثمرات الأوراق» ، إنما ورد في نسخة مفصلة ، انظر المقدمة
- (٢) يذكر المؤلف دليل في كتابه (ثمرات الأوراق ، ص 381) بمناسبة يراده لأخبار رحلته ابن
بُيَانة «خطيرة الأسس إلى حصرة القدس» ، ورحلته (ابن حجة) الرومية عام 816 هـ .
- (٣) هذا سبق قلم من المؤلف أو الناسخ ، فانقصود بملك الظاهر يرفوق لا ابنه الناصر قُجْرَح الذي
تسلط بوفاة أبيه عام 801 هـ بعد عشرة أعوام من الحادثة المذكورة . انظر «الدرة المضيئة»
لابن صُنَيْرِي (ص 25) حول بول الملك الظاهر بالكرك ونحوها في بابها معه
- (٤) إن هذا إلا ما يراه المؤلف في حق نفسه ، ونسب أرى ما يراه . بل إن النص متفرق في مرون
الديع من حسن وطبق وتصميم واستطرادات أدبية وشعرية ، بما أضاع المعنى على
حساب اللفظة . وشتان بين وصفه بلو قعة ووصف ابن صُنَيْرِي لها . وهو هنا يذكرنا
بالمؤلفات المعجزة التي ديجها يراع العمدة الأصهبان بكل تكلف وتقرّر .

فطر المملوك الى (قبة يَلُغَا)⁽¹⁾ وقد طار بها طير الحمام ، وجثت حولها ملك الأسود الصدي ، فتطيرت في ذلك الوقت من لغة الصير وتعودت بأعاشيه ودخلت بعد ذلك الى (القُبَيْت)⁽²⁾ التي صُغِّرَ اسمها لأجل التحيب فوجدتها وقد حلا منها كل سرل كان أسأحيه ، فأشدد به سنان الحبل «فها بك من ذكرى حبيب»

وبصرت بعد القبا - الى (المصلى)⁽³⁾ وما فعلت به سكا تلك الحمام ، وانفتحت إلى يدع بيوه التي حسن بناء تأسيسها وقد فسدت منها النظام .

فقال وقد وقعت عقيقٌ معي على أرض المصلى والقصاب

ونظرت إلى ذلك سوارى المسيح وقد صدق من الخريق بسكاته ، فقص ، فتوهمت أن ودي (المصلى) قد بدل برادي العصا .

فسقى الغصا والساكبيه ~~والأشجار~~ شَبَّوه بين جو نحى وصلو عي

واصطلبت الدار . وقيل أدب سبي ذلك ابدي ، فشنت عنه من قوارس بهيها العارة ، وركضت في (ميدان الخصر)⁽⁴⁾ فوجدت أركابه كما قل على «وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ» .

ودخلت (قصر الحجاج)⁽⁵⁾ ، وقد مدت الدار به من غير ضرورة في موضع القصر ، وصح هله في خسر وكيف لا وقد صاروا سره لأهل العصر .

(1) هي المدخل برسمي بخروبي لدمشق عند قرية انقدم . كانت بها مصنه تسريقات في لعهد المملوكي . راجع نصي ابن أجا والبدرى اللاحقين .

(2) من الأحياء الجنوبية المحروقة بدمشق ، وهي جزء من حي ميدان الوسيطاني ، تقع إلى جنوب من لحقه وهي شمال من ميدان اسططاني . كانت في الأصل قرية خارج سور المدينة ثم حولها المسيح الفمراي وامتد حي المدن وبكامل على صورته المعروفة

(3) محلته معروفة إلى يوم بهذا الاسم ، تقع بين السويقة ومنتدا سكة حي الميدان

(4) هو منتدا حي الميدان المعروف اليوم (عند باب مصلى) ، من الصواحي الجنوبية لدمشق

(5) محلته معروفة إلى يوم بهذا الاسم ، تقع إلى الجهة الغربية من باب الحاية

وتأملتُ تلك الألسنَ الحمرة وقد نطقتْ في ثغور تلك الربوع تكلم
السكان ، وتطاولت باللسة الأسيّة لأتراك ومدمل أهل دمشق وقد كُلموا بكل
لسان ، ووصل المموك بعد لصحر لى أنسد ، وقد تلا بعد رحره في سورة
الدُّخْدُخ ، فوجب أن أجرى الدموع على وجيب كل ربيع ، وأشد وقد رحل
صبري بعد أن كان في خبر كن :

دمعٌ جرى فقصى في الربيع ما وجأ

ووقفتُ أُنْدُبُ عَرَصاتها لتي قمحت بالبين فحابت من أهلها الظنوب ، وكم
داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فم يسلم ، فصدفْتُ لمثل بأن الفصح يدور
ويجنيء إلى الطاحون .

وتطرقْتُ بعد ذلك إلى (حداديس)⁽¹⁾ وقد نذتهم النار بلسانها من مكان
بعيد : «أتوني زبر الحديد» . وقد كان يوم حريقها يوماً غوساً قمطيراً ، أصبح
لمسلمون فيه من خيفة وقدر أو أسلابل ~~وأنفلا~~ وسعيراً .

هذا وكلمتُ أصليتُ ناراً حريق وشيئتُ نار الحرب ذكرْتُ ما أشار به مولانا
على المملوك من لإقامة بمصر ، فأثبتتُ من شديق الكُرب⁽²⁾ :

أهلاً بمصر وأين مصر وكيف لي بديار مصر موانعاً وملاعـ
والدهر يسلم كيف حارلتـه لا مثل دهري في دمشق محاربـ

يا مولانا ، لقد لستُ دمشق في هذه امام السوار ، وطُححت قلوب أهلها
كم تقدم على نارين وسلقوا من الأسنة بالسنة حداد ، ولقد شئت عيونهم من
الحريق واستسقو فلم يشقوا رائحة ابعديـ ، وكم رُئي في ذلك اليوم «وجوه»
يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية .

(1) من أسواق دمشق لمدينة ، ذكره أبو خرا القرن التاسع للهجرة مؤرخ دمشق يوسف بن عبد
الهادي في رسالته «نزهة الرفاق عن شرح حال لأسواق» .

(2) انبند الحمال الدين ابن سائتة ، ديوانه ص 27 .

وكم رحل تلاً عند هيب بيته . *تت بدا أني بهب* ، وحر ح هارب
 وامرأته حمأة ، لحطب وشك اساس من شدة الوهج وهم في الشاء ،
 وصدرو من هذا الامر تعجور ، فقد بهم لسان لبر أتعجور من الوهج
 ، وخرق وأتم في كدوب ، وعمري مو عاش من ستة ورأى هذه الحال وماتم على
 أهل دمشق في كانون ، لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال :

يا بهب قسي عني ودي دمشق ويب حربي عيه ويب شحوي ويب دئي
 في شهر كدوب وفه الخربق لقد أحرق لبر با كدوب احشائي

وحضرت بعد ذلك إلى القبة المخروسة وقد فمت قيمة حربها حين فمت
 أفمت لأرفة ، وسرو برزحها من اندرق تلك السائر وهم يتلون *يس بها
 من دول الله كاشعة*

واستحيت عروس الطامة *عند رفقها* وقد تجهزت للحرب ، فله
 غير لأواح مهر ، وعقدت عجل *سها* العصائب وبوشحت سبب الطور
 ودارت عن معصمها لأبي سوير سوير ، وعالت بحواحب قسها فومت
 ثلوي من عيون من ميه يليل ، وأهدب عي عيون من مكحل درها كحالا
 كانت السهام لها أمبال .

وعطها كذا *م* حصري وقد علا دست حرب ، وسمح وهو على فرسه
 بسنه عيه ، و مو كشفه وهم في رفة لأرض كنهم بم يعمو بأ (طارمة)
 عدلة وتاله قد حرت لقوم بم يندرعوا بغير انة الحرس في الاسحر ، وقد
 سقطوا لحمل قسهم وسم سم أعينهم عن الأوار ، فأعيد رؤسها التي هي
 كالحل الشامخة ، تم سنن واسي المحجوح ، وأحصها قعه بستهاء راب
 الروح .

(1) كانت هذه الطارمة من مدم دمشق في العهد المملوكي وهي بناء محم كان ملكاً بالنبعة
 من خارجها بشكل فعه خشب أبقه داب سديت عدوها فة من الخشب حميله انصعه
 بجلس بها لستطد سبرد رثره في بصل أبي الهاء بديري أدناه

وبصاوتُ إلى السّور المشرف وقد فصل في علم الحرب وحفظ أبوابه
لنقلات ، فما وقفنا على باب إلا وجدته لم يترك حيله لصاحب المصاح تلخيصاً
لما أبداه من المشكلات ، وما أحقّه بقول القائل :

فصائله سورٌ على المحمد حائظٌ وباعدهم هذا السّور أصحى مشرفاً

ثم حملوا عليه وطمّوا في طريق حمصهم بصر ، وصبوا دسّت الحرب وهم
يعدون بأنه قد طمح لهم على كن باب قدر ، فلا وأبيك لو بطرته يوم الحرب وقد
بصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت : ﴿ وفتح في بصور ذلك يوم لوعيد ﴾ ، وإلى
المحصرين وقد جاؤوا رجلاً وبارساً لشهدوا فقال لقلت : ﴿ وحاءت كل نفس
معها سائقٌ وشهيد ﴾ ، وإلى كواكب الأنسة وقد انثرب ، وإلى قبور لشهداء وهي
من تحت أرجل الخيل قد بُعْثرت ، وإلى كزّ العوارس وفرّج لقلت : ﴿ عمت نفس
ما قدمت وأخرت ﴾ ، وإلى نار النعط وقد سقطت من عصمها ، وإلى ذكور السيوف
وقد وضعت الماياب السور وتعدّرت من شتقر أدماء لكثرة حيضها

ومن اعجابك أن يبصر سيولهم قلحداً أسايا السرد وهي دُكورُ

وإلى درس انبعار وقد ركت صهوات آخو والحر يمان السماء ، وإلى
أهداب اسهام وقد بكت لك تحصّبت بادماء وإلى كن هارب سلب عقله ،
وكيف لا وحصمه له ناعم ، وإلى كل مدفع وماله عند حكم لقصف دافع ، وإلى
قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق ، فاستصوت عند ذلك
رأي من نال :

عَرَّخُ رِكَابَكَ عَنْ دَمَشَقَ

وطرنت بعد ذلك إلى العشير وقد استحلّ في دي الحجة المحرم ، وحمل كل
قبسي غمياً وتقدّم ، فحرج الساء وقد أنكرن منهم هذا الأمر العسير ، فقلتُ

وعبر يدع للتسا ودا تكّرت العشيرُ

وتصفتحت بعد ذلك فتحة (باب لنصر¹) ، فعودته بالإحلاص وردت لله
شكراً وحمداً ، وأُمنب أهل البلد وهم يتلون لاهل البلد في سورة الفتح
وللمحاصرين ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً﴾ . كم طلبوا فتحه فلم يجدوا هم
طاقة ، ﴿وصُرب بينهم سور به باب ، باطنه فيه برأحه وظهره من فيه
العذاب﴾

وطرت إلى ما (تحت انقلعه)² من أسواق استجار فوجدت كلاً قد محنت
النار تاره ، وأهله يتنوب ﴿قل ما عد الله خير من النهر ومن تتحارة﴾ فمنهم
من شأنه على صاحبه وبه ، وحرقه استغنى بشأن نفسه فهم كم قال الله
﴿لكل مريء منهم يومئذ شأنٌ غيبه﴾ ، فولفت أشد في تلك الأسواق وقد
سُمرت : ألا موت يُباع فأشتره

وطرت إلى المؤمنين الرُكع السُجود ، وهم يتلون على من ترك في بيوتهم
أحدود من وفود لبار وعهد خزبهم في ذلك اليوم المشهود : ﴿قتل أصحاب
الأحدود﴾ سائر ذات الوقود ﴿هم عليها قعود﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود﴾

هذا وكم مؤمن قد حرح من دياره خدر أسوت وهو يقول الحجة وطب
القرار ، وكلّم دعه فومه لساعة بهم على الخريق بادهم وقد عدم الاضطراب :
﴿رب فوه مالي أرفعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار﴾

وطرت إلى صواحي البلد وقد استندت في وجوههم المداهب وما لهم من
الصيق محرج وصاقت عليهم الأرض بما رحبت كعلق في وجوههم (باب
المرح) ، فقلت اللهم اجعل بهم من كل هم فرجاً ومن كل صيق مخرجاً ولعدم
أموالهم من كل عسر يسراً ، ولا يهتال محذراتهم من كل فاحشة سترأ ، ونقطع
الماء عنهم إلى كل خير مبين ، فأنت حسينا ونعم الوكيل

1 باب لنصر كان من ابواب دمشق العامة جنوبية الفلحة ، عند مدخل سوق خميدية
2 تحت انقلعه محلة مشهورة في العهد المملوكي ، تفصل بين صنها أبو الفداء وسري أدبه

هذا وكم بطرتُ إلى سماء رُبْعٍ عرمت شمسُه بعد الإِشراقِ ، فأشدتُ وقد
ازددتُ كريباً من شدةِ الاحتراقِ :

فدياك من رُبْعٍ وإن ردتِ كريباً فبك كتِ الشَّوَى للشمس والغربا
وانتهيتُ إلى (الطواقيين)^(١) وقد أسل عليهم لحريق شدته فكشفوا
الرؤوس لعالم السُّرُورِ ، وكم ذات سترٍ خرجت بهرقٍ مكشوفٍ ورميت العصائب
وبعلها بعينه دائر .

هذا وكم ناهدات .

أسلر من فوق النُّهود ذَوْنًا فتركنَ حَبَاتِ اقلوبِ ذَوَانِهَا
ورصتُ إلى ظَهر (الفراديس)^(٢) ، وقد قام كلُّ إلى فردوسٍ بيه ، فاطمع
فرآه في سواءٍ احتجيم ، واندھشتُ لتلك الأُنسِ لتي ماتت من شدةِ الخوفِ .
وهي ستعيت بالدي «أشأها أولاً مرةً وهو بكلِّ خبي عليم»
وبطرتُ إلى ظَهر (باب السَّلامة)^(٣) ، وقد أخفت أسرارَ أعلامه ، ولقد كان
أهله من صحبةِ أجسامهم ومن سمعته كما يقالُ بِالصَّخَّةِ وَالسَّلامَةِ
وإلى (السَّلاخَةِ) ، وقد ليست ثياب الحزن وذابت من أحلها الكُبود .
وفعدو بعد تلك الرُّبُوعِ على أديم الأرض وبصحب مهم الجلور ، ولقد والله
عدمتُ لذةَ الخواصِ الخمس ، وصاقت عليّ الجهات الست فلم ترفأ لي دعة
وأكلت الأمان من الأسف لما سمعت بحريق أطراف (السَّعة) ، فأعيدُ ما بقي من
(السَّيعة) بالسَّعِ المثنائي والقرآن العظيم : فكم رأينا به يعقوب حزن رأى سواد
بيته وصغر لونه «وايحصت عيبه من الحُرْن فهو كظيم» .

(١) من أسواق دمشق القديمة ذكره يوسف ابن عبد الهادي في رسالته «برهة الرِّفاق»
(٢) باب الفراديس من أبواب دمشق شهبانة ، بين بابي الفرج والسلامة يعرف في أيامنا
باب العمدة ، أم محلة ظاهري باب الفراديس المذكورة فهي يوم العمادة البرية .
(٣) من أبواب دمشق الشمالية المعروفة إلى العرب من باب توما يعرف اليوم باب السلام

وتعربتُ إلى ظاهر الباب لشرقي^(١) فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب
فلقد كان أهله من دار عسه وكرومه الكريمة في حنتين من حيل وأعب
وتوصلتُ إلى طهر (دب كيسان)^(٢) ، فأصفت كيس الصبر لما افتقرتُ من دباير
نسك لأرهار والدرهم رباها ، وسمح بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت .
﴿بسم الله مجراها﴾ .

وكانت بنى أطراف (الباب الصغير)^(٣) ، فوحدت فصل اسر لم يعادر
مها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاه ، فيا لهفي على (عروس) دمشق التي لم تذكر
مع محاسنها أسماء ولا الخيلاء ، لقد كانت (ست لشم)^(٤) فاستعدها ملك النار
حتى صارت حارية سوداء ولقد وقعت بين ربوعها وقد التهمت أحشاؤها
بالاصطرام وطمع حين سها عن رصاع ثدي لعمام ، فاستسقيت بها بقول من
أسعد حين قل

سقى دمشق وأيدم مصت فيها	مواطر السحب ساريها وعادها
ولا يزال حين شك نربيعه	حوامل ألون في أحشأ أراضيها
فمضاهيها قلبي تثيرها	ولا قصي حبه وذوي لواذها
ولا تستيب عرس سال ريوتها	ولا نسيت ميتي جار جارها

هذا وكم حائف قبل اليوم ويأبه بها ﴿إلى ربوة ذات قرى﴾ ، وكم كان بها
مطرب صير حرح بعدما كان يطرب على عود وطر وبطل (الحنك)^(٥) ك
انقطعت وتار أنهاره فلم يبق له معنى ، وكسر (الدق) لما خرج همر (المغنية) عن
المعنى ، واستسمح الناس من قال :

بهرص إلى الربوة مُستمتعاً	تجد من اللذات ما يكفى
فأطير قد غنى على عوده	في الروض بين الجنك والدق

(١) الباب الشرقي وباب كيسان والباب الصغير من أبواب دمشق المعروفة
(٢) ست أشم : توره باسم سدر كان عثداً ست الشام حانون ، أحب صلاح الدين
(٣) الجنك والدق بورت باسمي موقعين بالربوة ، راجع تفصيلاتهما في نص البدرى أدناه

وأصبحت أوقات (الربوة) بعد ذلك العيش الحصل والسر عسيرة وقد
كان أهلها في ظل محدود وماء مسكوب وفكهة كثيرة ، فعس بعد ذلك ثمر روصه
الاسم ، وصاع من غير تورية عصره الناسم ، ولم يستظم لزهرة انشور على دنت
الوشى المرقوم رسالة من السيم سحرية ، وكيف لا وقد محا سجع المطوق من
طروس تلك الأوراق الباتية .

هذا وكم عروس روص سور معصمها انقش فيما انقطع نهرها صبح نهب
كسرت استرار ، وكم دولاب بهر بطن عاؤه على شبيب السيم بالقصب
وعطلت ونة من تلك الأدوار ، فرفقت أدب ذلك العيش الذي كان يدك
التشيب موصولاً ، وأشد ولم أحد بعد تلك البوبه المطربة إلى معنى (لربوة)
دحو لا :

لَمْ لَا أُشَبِّهْ بِأَعْيَشَ نَدَى الْفَرَصَتِ أَوْقَاتُهُ وَهُوَ بِالذَّاتِ مَوْصُولُ

ونقص (بردى) فاحرق ولا يُكْرَمُ فبريد خريو عني صعه ، وانقطع
طهر (ثورا) ⁽¹⁾ فأهلك الحرث والنسل يقطعها ، ودهب (بردى) وحمي مزجه ل
شعر بالحريق ، وله يبق في نعره لأشيب بذر حصنه ما بيل الربو ونقطع وقد
اعتل من عيضة (باباس) ، وم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان أس وحرى
ندم من شدة بطعن بـ (القنوت) ، وكسرت فده (المرحة) ⁽²⁾ فداقت مر لعيش بعد
حلاوة تلك القصوص الدابت وكسر (الخلخال) ⁽³⁾ لما قام الحرب على ساقه
وسقط ر من كل عُصْن على (أخيه) ⁽⁴⁾ فهاحت البلاس على أوراها

(1) أحد فروع بردى السعة التي تنزع في منطقة المقسم ، وهو أعلاها ارتفاعاً ويسقي ضاحية
الصاحبة سمي سنة إلى بردى معاوية ، فلهذا التورية حول قصه وجوار حرقه

(2) ثورا وباباس والقنوت أيضاً من فروع بردى المعروفة

(3) المرحه أرض حصراء كانت تمتد من ساحة المرحه الحالية إلى القصر الأبيض (الكنية اليوم)

(4) الخللخال من محال دمشق المعروفة في العهد المملوكي فصلنا بذكرها في نص البردي

(5) أخيه من مبرهات دمشق في العهد المملوكي ، في الطرف الشرقي بساحة لأويين مع
السيح البلدي ، مطعم السلاء في أيام كما أعقد ، راجع نص البردي أدناه

وحرّ نهر (حمص) خاضعاً وتكدر بعدد كان يصفي بناقسه ، وافقر
أغبيء غصونه من حنّات تلك ثمار فصارت لا يذكور حبة طالما كان أمده
فكهين ، ولكنهم اعترفوا بدويهم فقالوا : ﴿وَكَمْ حَوْصٌ مَعَ اخَائِصِن﴾

وذلك عواص تلك (الحريرة)² التي كانت على وحات شطوطه
مستديرة ، فعلى بعد (عروس) دمشق و(حماها) لا حاجة لباب (حمص)
و(الحريرة) في لهي على مدار (الشرف)³ وذلك (الوادي)⁴ الذي تعق به
عُرب البين وي شوقي إلى رأس تلك (مرجة) التي كانت تجلس في اليوم على
(الرأس) و(لعين)⁵

هذا وقد اسودّت (شقرة) ، فمست كابية ما حصل على ظهره من
الحوال وحدها لعكس فأصحت ناكبة على فراق (الأبق) و(حصر) ذلك
(البيدات)

1) نهر حمص هذا يذكور بربوته بولف فرعاً من بردى يفرج منه في منطقته (الوادي
التحتي) شرقي بربوة ، في المنطقة المروية في أياما يكتوون وكانت اسطمة نواحيه بين
مرجة حصر بن شوانس (شرقي طائون لرهان بكنور) ومحلة السربين تعرف باسم
أصي (حمص) كما يستحضر من وصف السدي في أحر القرن التاسع الهجري
جمع بضاً أمده وموقع هذه اسطمة ليوم يطق على جره لأسفل بخوبي من حديقه
تشرين ، إلى الشرق مباشرة من حصر تشرين

2) توريه عما كان يعرف بدمشق في العهد مملوكي بحريرة بين نهري هي مُسداً لوادي
الاحصر من جهة الشرق ، تمتد بين جامع بلع وجامع بكر ، أي ما يطق اليوم على
أخرى مغربي من ساحه المرحه (ساحه الشهداء) حيث كان نهر بردى هناك (قبل تعطينه
عام 1860 م) ينقسم إلى قسمين تتشكل بينهما جريره رجع وصف السدي لها
ونقت لمحلة السوي واجر العهد العثماني فسل شواء ماحه المرحه في عهد الانصاف ،
واسهرت بها في القرن الحادي عشر الهجري فهو بين النهري ، التي كانت من أحص
مشهدت دمشق وصفها الرحالة الفرنسي جان تيفو Jean Thevenot عام 1664
راجع كتابي ، «وصف دمشق في القرن السابع عشر» ، ص 77

3) لشرف رأس على حاصي بردى من اسطمة شرقاً إلى آخر مرجة الخشيش غرباً
4) أي الوادي لأحصر وهو وادي بردى العوفاني المار بالمرحه (عربي ساحه المرحه) والمساكن
الاحصر (مرجة الخشيش) ، والوادي التحتاني المار بساتين كيوان شرقي الربوة
5) كانت في حريرة بين النهري عند رأس الوادي عين تعرف بعين القصارين ، عارت قديماً .

يا مولانا لقد بكى المملوك من الأسف بدمعة حمراء على ما جرى من
أهل (الشهداء) في (إسداب) على (الشقراء) حتى كذب الناس من قال :

قل للذي قايض بين حليب وجلق بمقتضى عيائها
ما تلحق الشهاء في حلبتها تعثر الشقراء في ميدانها

فقال من الحار ، وبنه ما كذب ، ولكنه قد يخبر الرناد ، وقد يخبو
الجواد ، وقد يصاب الفارس بالعين التي تعمر قناته عمراً .

ومن حرّ أن سيلاهي حرور وألا يصب فقد طرّ عحرا

ودخلت بعد ذلك إلى سد ، فوجدت على أهله من دروع الصبر سكيه ،
فقت . يارب مكة والحرم بطريتي أحوال أهل المدينة ولكن ما حلت به إلى
حمام إلا وحدثه قد دق لفصع الماء عنه حماماً ، وعلم الصوام والماعدون بأرصه
أنها «سءت مسفر» ومقاماً ، وتلني عسى يمت باره . «فقلت يا باركوني ترد
وسلاماً» ، فحسن أن يشده فولد من الجوز

والحر عبدك بلرد وابتهنو أمسى منقطع
والعين لا ماء معها من جيلة الصوام

ونيت بعد ذلك لي (بجامع الأموي) ، فإذا هو لأشتات المحاسن جامع ،
وأنيته طاماً بديع حسه قصرت بالإصاءة والافتباس من ذلك السور الساطع
وتسكت بأدال حسه لما شقت تلك الصفحات السحرية ، وتشوقت إلى النظم
واشتر لما نظرت إلى تلك الشذور الذهبية ، واست من حجاب طوره برأ فرجع لي
صبا حسبي ، واندعشت لندك الملت السليماني وقدره هي بالنساص والكروسي ،
وقلب هذا ملت سعاد من وقف في خدمته حاشع ، وشي من له يدس بساطه
وبأته طائعا ونقد صدق من قال :

(١) تورياب بعد الشهداء وليد لأحضر وودي الشقراء محايلي دمشق عربها رأساً
وقوه : ما جرى من أهل الشهداء ، يعني النجار الخليلين إلى برفوق صد دمشق

أرى الحسن مجموعاً جامع حلو وفي صدره معنى السلاخة مشروح
 عين تعالي بأخوام مع معشور فقل لهم (ب) الزيادة مفروح

معدله قصبت اسق وكن كسرت عند قطع الماء قتاته ، ورأيت في القلة
 من شدة الطمأ وقد قويت من صحيح المسلمين أقاته ، وحضر (ل) حجاج
 الدن وورأ بال بكور السر بضر ، وطعمت قبل بك المصاييح ، فدهش لدن
 الناطر

هذا وكم بصر إلى حجر مكرم نيس به بعد اكسير الماء حبر ، وحتت
 نجوم تلك الأطباق التي كانت كالقلائد في حيد العسق ، ومرت حلاوة نارها بعد
 ما ركب طيقاً عن طيق ، وأصبح دوحه وهو بعد تبت البصرة والتسم دابل ،
 وكادت قد بيله وقد سلت لعقد الماء أب تقطع السلاسل ولم تشر اساس بأصابعها
 إلى قصوص تلك الخواتم لدهه ، وهم يقو على ذلك لصحن حلاوة بعد ب ،
 وحلاوة سكه الطنة ، ولا كواسر سم تقطع الماء وقاته (الروضة) ، ويكدر
 أفرحه لما ذكر أبامه بتت اعصيه) واشد سب حبه²

ولو أن مشتته تكلف بوقى م سقي وسعه لسقى اسف مسر

وودت (لعروس) أن تكون محاورة حماتها سل ربهها برحيق لأمر إد
 نظرت إلى عاصي (محمدية) ، وقد رحل حاتها ونظرت إلى (فور) أي بواس
 وقد انقطع قلبه عما كان يثبت ويتحرى ، وكذا أن يشد من شعره لعدم ب ،
 ألا فاسقي خمراً

ورحبت إلى (الكلاسة) وقد علاها عمار بحر ، فتهدت من الأسف علم
 كن بهدة ، ورئيت للنساء وقد فدن بعد تلك الأعم ³ المائدة

(1) بورية بقية لسر الشهيرة في جامع دمشق لأموي

(2) البيت للبحري ديوانه 1 212

(3) توريه بمشقة المعروفين الشهيرة في الأموي ، وهي المئذنة الشمالية تطل على الكلاسة
 المذكورة أدناه أم الفوار فتورية عن فواره جبرود شرقي الجامع ، التوفرة في أ ب

واستطردتُ إلى (باب البريد) ، فوجدتُ حيوان الماء الحارِية قد انقطعت
عن تلك المراكب ، وطرقتُ إلى السراج الأكبر وقد انعد لسانه لما شعر من مدوح
الماء بعدم تلك الجوائز

وطرقتُ إلى أهل الصلّاة وعليهم في هذه الواقعة من الصبر ددوع ، وقد
استعدّوا بسهم من الأدعية أطلقوها على قسي الركوع .

مُرِشَةٌ بِالْهَدْبِ مِنْ حَقَرِ سَهْرٍ مُصَلَّةٌ أَطْرَافُهَا بِدُمُوعٍ

ونظرتُ إلى ارتباك من اعلم وقد اشتد لمقد الماء ظمائه ، وتلد ذهنه حتى
صار ما يعرف من أين الطريق إلى باب المياه .

ومشيتُ بحكم القصاء إلى (الشهود) ⁽²⁾ فوجدتُ كلا منهم قد راجع سهاده
وصلّق وسنه ، وتأمّلتُ أهل (الساعات) وقد صدر عليهم كل يوم بسنة ، ونزلتُ في
ذلك الوقت من (الساعات) إلى الدَّرَجِ في دقيقة ، فانتهيتُ إلى محاز طريق
(الموار) ⁽³⁾ فوجدته كأن لم يكن ^{لحقيقة}

كم وردته وهو كأنه مَنَانٌ يطعم في صَبَرٍ لَطْمًا ، أو كشجرة كدت تقوى إنها
طوبى لها ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السَّما ، أو معروف بيده الماء وقد أفاض
عليه عطاياه يصباً ، فرفع به لأجل ذلك فوق قبانه إبه بضاً ، أو عمود وفاء
أشرتُ الس إلى به بالأصابع ، أو ملك طالب السماء يودائع ، حتى كأن إكليل
الحوزاء له من جملة الودائع أو أبيص طائر علا حتى فلت إبه ينقط حبات النجوم
الثواقب أو شجاع دوهمه عالية يحاول ثاراً عند بعض الكوكب ، فحمص لمقد
الماء مباره وحفي بعد ما كان به أشهر من عَلم ، وحده أعمه وطالما ظهر وفي عريسه
شيم ، فقلت :

(1) توريه عن باب البريد ، وهو الباب العربي بمجامع لأموي لمقصي إلى لسكية سابقاً
(2) الشهود تورية بمصاطب الشهود جنوبي الأموي ، أما باب لساعات قسميه كانت تُطلق
عنى باب جيرون لشرقي بالأموي ، وقبلها كانت تُطلق على باب الرّيادة القبلي
(3) تقدّم ذكره ، فوّار باب جيرون إلى الشرق من الحامع الأموي ، يعرف اليوم بالوفرة

لستُ أسى الفؤاد وهو ينادي عيصر مائي وعطل الدهر حالي
فميتٌ من لهيبى بآتي أشتري عيضةً برؤحي ومالي

فلا والله ما كانت إلا أسير مدة حتى رجع الماء إلى محاربه ، وابتسم ثعر
(دمشق) عن شب الري بعدما نشف ريقه في فيه

هذا وقد خدمت سار الحرب وقعدت عذم قاص على ساق وقدم
وبصت آلتها ، انني كان لها على تحريك الأوتار ، حسن العذار نعم واعتقل
ارمح بسحر السهم وعلى رأسه نواء الحرب معقود ، وهجعت مقل السيوف في
أجفانها لما علمت أن الريادة في أحد تقص في المحدود .

وقاصت عذرا أن الرحمه على رياض الأمن فظهر لها من المسرة سات حسن
فلحمد لله الذي أذهب عنا الحزن

وعد ، فالمعبرة من فهامة هذه الرسالة ، التي هي في رياض الأدب ، قلقة
ولصفح عن طولها وقصر بلائها ، بين ندي ثلث المواقف السحديه ، وليكن
محمولاً على من لحقهم كلامها ، الموضوع سمقت علم الله أنها صدرت من قلب
مكسور وفؤد مصدوع ودهن ضعيف ، وليس لكثير صعهه عاصم ولا سافع .
وراحلة فكر أمست وهي عند سيرها إلى غدايات المعاني ظالع .

فسيرو على سيري فاتي صعيكم وراحتي بين الرواحل طالع

هذا وكم نولت للمملوك في طريق الرمن من عهده ، وكم راو من فطاع
الطريق أكاراً حتى طن أنه بعدم النصرة يسر له إلى الاجتماع من وصلة وكنف
رعق عليه عراب الذين أآلم لسهام لين وفهد مصر نتي هي نعم لخدمه ، وأشد
وقد تحير في الرمل لعراق ذلك التخت الذي أعز الله سلطانه .

من رعدة العراب بعد الملتقى فارقت مصرأ وبها أحبابي
وفي طريق الرمن صرب حائراً مروعا من رعدة العراب

واستقبل لمينوا بعد ذلك بلاد الشام فبنس الخيال وبنس الاستقبال ،
فولر حمن ما وصل بها إلى مكن إلا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال ،
وحصود سبل الرشاد فدرست فلا أعيد بعيد حريهم دروس ، وأداروا رحي
الحرب بقنوب كالأحجار فطحيت عند ذلك لرؤوس ، وأشد لسان لجان

من كل عباد كعاد في تحبّره من فوق ذات عمد شادها إرم
لا يجمعون على سير الحرام يد تجتمعوا كحبب الراح وانتطموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى أنه شلح بقرب (الكسوة)^(١) في الشتاء ،
وانتظرت ملك الموت وقد أمسيّت :

سي مهجة في النازعات رعبرة في المرسلات وفكرة في هل أتى

هذا ، والليل قد انطمات مصبيح أسوره وعشعش ، حتى أيقمت بموت
الصبح وقت لو كان في قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تروّد عند قسم
العيمة بسهم فجرح ولم يجد له تعديلا ، ولكنه صبر على الألم بعد ما كاد يدمي
من الوهم ولم ينق له محيرا ، لدا قوي الله وضعف به الحيل ، إلا أنه دخل تحت
دين الليل ، فوصل إلى السد وقد وذيومه لو تدلّ بالأسر ، ولم يسلم به في رقعة
الحرب غير الفرس والنفس ، ولكنه أشد :

ما فعل الأعداء في جهل ما فعل الجاهل في نفسه

فأعاد الله مولانا وبلادنا من هذه العيامة العائمة ، وبدأ به في الدنيا ببراعة
الأسر ، وفي الآخرة بحسن الخاتمة

(شعرات الأوراق ، 381-395)

* * *

(١) قرية معروفة (صارث بيده) ، إلى الجنوب من دمشق على طريق حوران



لمدرسة الحقمية

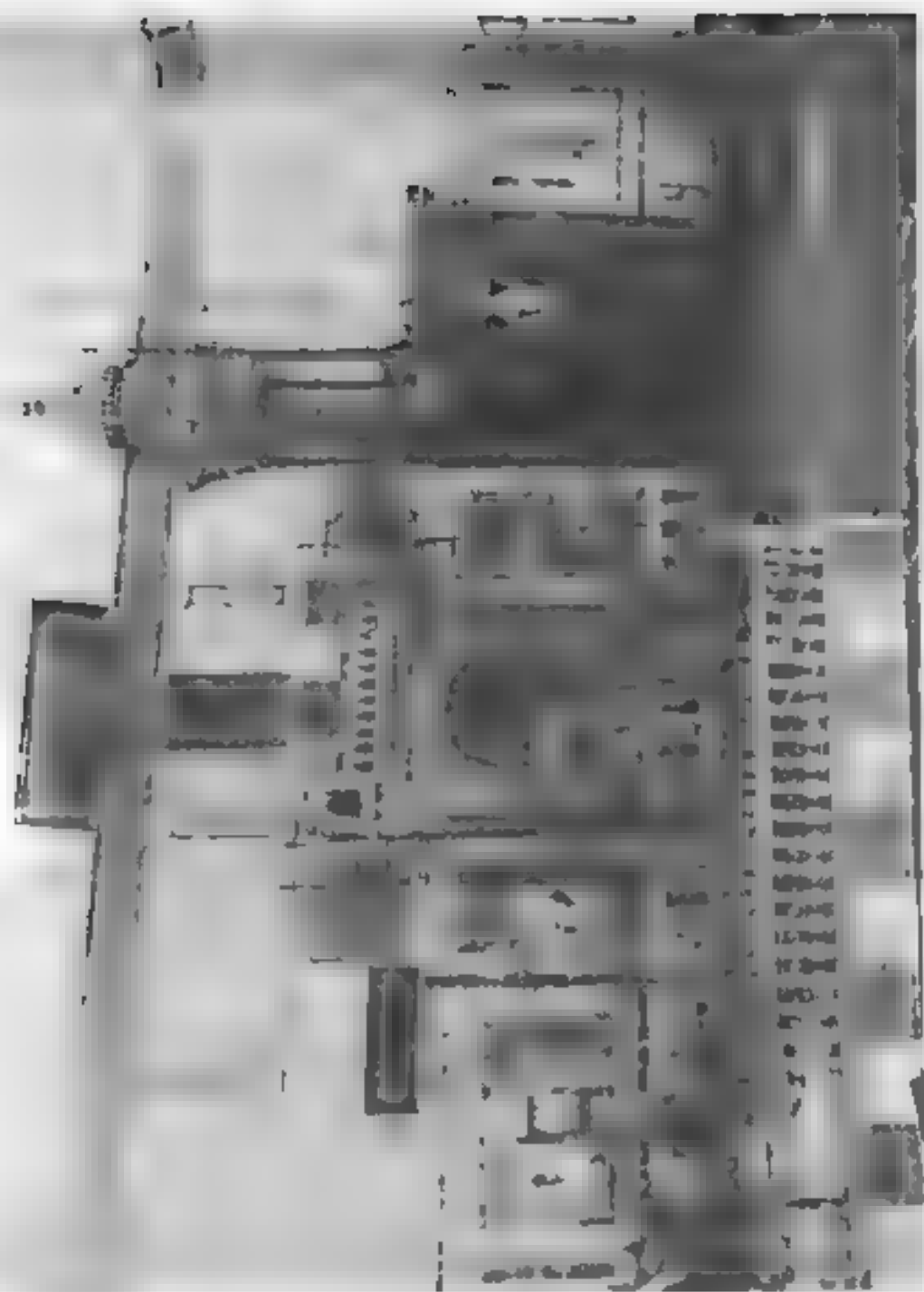


الحديقة البوسية



تربة مختار الصواشي

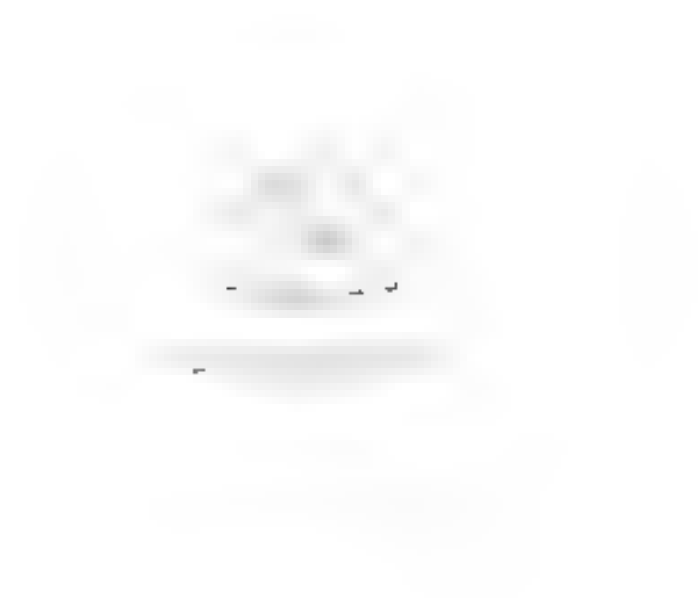
والصور من كتاب : *Damaskus, die islamische Stadt* ، برلين 1924



صورة فوتوغرافية قديمة للأموي قبل حريق 1893 ، تصوير سليمان الحكيم



الواحة اخوية للأموي صورة لوميس حوالي 1870 (قبل حرب 1893)



ابن صَـصُور

(توفي بعد 799 هـ / 1397 م)

أرّخ لرحنة السلطان برقوق إلى دمشق عام 796 هـ

محمد بن محمد بن صَـصُور ، لا تقدّم لنا اصدار أي شيء عن حياته ، ولم
نعثر له على ترجمة . الشيء الوحيد الذي نعلمه عنه أنه ترك تاريخاً عيسياً بلمحه
صنف عامية سمّاه «الدرة المصبة في أسولة الطاهرية» . أرّخ فيه لحوادث دمشق
ايومئة حلال عشر سنوات من حكم السلطان المنوكي الظاهر برقوق ، أول
سلاطين المماليك السُـرُحانية ، بين 780 799 هـ = 1389 1397 م

لم تكن أسرة الرّجس مجهولة الأصل ، بل كان آل صَـصُور أسرة بمابة تعلية
قطنت دمشق ، وظهر منها في القرنين السادس والسابع محدثون وفقهاء وقضاة ،
بدأ أن الدهر طوّح بها ، وآخر من نعلمه منها صاحباً محمّداً مؤلف «الدرة المضيئة»
مثل هذا الأمر نطبق على بعض أسر دمشق المشهورة في عهد المماليك ، كآل الأزلق
مثلاً ، فترى ذكرها يكثر ويضمحل وكأنها لم تكن .

* * *

أما كتاب ابن صَـصُور المذكور فهو من ندر وأمتع النصوص القديمة حول
دمشق في عهد المماليك ، منه نسخة حصة فريدة في العمام في مكتبة البوديان
بجامعة أوكسفورد ، قام بشرها وليم برنر W Brinner في عام 1963 مع ترجمة
بكليرية ، وصدرت عن منشورات جامعة كاليفورنيا في بيركلي ولوس أنجلوس
بعنوان : *A Chronicle of Damascus 1389-1397* .

ورغم أن كتاب ابن صصري المَعْنَوِي يدرج تحت طائفة كتب الحوادث اليومية ، فقد شححه مؤلفه بأحبار وقصص كثيرة عن دمشق وقصائدها وبنوادر ما وقع بها من حوادث عربية م رالت في عصره حية في ذاكرتها الشعبية وإن كان ذلك مما يخرج عن إيفاع سرد الحوادث الذي عُقد لاجله الكتاب ، فهذا ما جعله متراجعا ما بين كتب الحوادث التاريخية ومصادر اللدنيات والمضائل

غير أنه برغم هذا كله أود بتفديم صورة حية ودقيقة حية المجتمع الدمشقي أو حر عهد السُلطان الظاهر برفوق في وقع أثناء ذلك من حوادث سياسية واجتماعية كفتنة الأمير منطاش وأمة من أنشو أما فتنة منطاش عام 791-792 هـ فقد ذك هذا طالعا بعض أحبارها أعلاه في نص رحمة ابن حجة الحموي ورأيامدى اشكيل الذي أصاب المدينة على أيدي قوات السلطان ، إثر انتصاره على عريمه نشأ وهذا ما يظهر حيا في النص الذي سنقدمه أدناه حول تعسف محاليلك السلطان بدمشق أثناء زيارته (بعد 4 أعوام من القضاء على ثورتهم) على اعتبار أن «أهل دمشق عذبهم بما جيس من طشة ، وأهل مصر يعصوا» (sic) أهل دمشق من قبل هذه الواقعة»

هذه الواقعة تؤلف : كتاب كنا أسكنا نقطة عطاف في تريح الدولة المملوكية ، ما بين مرحتي حكم الممالك البحرية من الأتراك ، وحكم الممالك الرحية من الأكراد حيث أن الظاهر برفوق - أو سلاطين الأكراد - قُوبل بالرفق من قبل طبة الأمر الممالك في دمشق ، إنار عهد نائها يذمر وحلعه برلار ورام هؤلاء الأمراء خلع السلطان الجديد ، فألوا عليه بلاد الشام بأسره وكر المحرك الأكراد لجهة المعارضة للأمير المملوكي منطاش

نتهت أحداث وقعة منطاش بانتصا السلطان القوي عليه و عدامه بدمشق عام 792 هـ ، بعد إخماد ثورته بكل قسوة وعسف ، لقب مهمما المدينة المقهورة كل عسف وتخريب ، على اعتبارها كانت مركز النشاط السياسي لمعدي لبرقوق فبال سحقه المدينة بأسرها ، رغم أنها كتب برقب ما يجري بلا إرد

لكن ي يوسف به أن هذا سلطان اقوي ، اندي تمكّن من إبقاء طلائع
العرو المغولي بقيادة تيمورلنك بعدة عن حدود الشام (باهيك عن مصر) ، ما لبث
أن توفي عام 801 هـ . ومحج ابنه وحلمه لغتي الناصر قرج أولاً في إبعاد خطر
المغول ، إلى أن أتت اللحظة التي حشي فيها على ملكه معصر من ثورة ممّاشة نفقة
مُطش وقفة أَيْمِش وتُشِك (نظر بصر الأمر نعري بردي أدناه) ، فأثر أمرؤه
اخروج به من دمشق وتركوه على قول المؤرخ ابن نعري بردي «أكلت لتيمور ،
وكانت يومذاك أحسن مدّن الدّن وأعمرها» .



عبر أن الذي لعب هنا من «ادّة المصنّة» بصر ارجلة التي قام بها السلطان
برقوق إلى دمشق عام 796 هـ ، بعية تشيبت ملكه بالشام في أعقاب إخماد ثورة
مُطش بها ، ونجّاد أحمد ابن أوتيس سلطان بغداد لتركي ضد المغول . ومن
المتع لنا في كتابها هذا أن نقار ونقر بين رحلات الخعرايين والرحّالين العرب
وبين بصوص رحلات حليلة عباسي . وسعة سلاطين مملوك د رو دمشق هم على
التوالي : المنوكل ، الظاهر بيبرس ، الظاهر برقوق ، لناصر قرج ، المؤيد شيع ،
الأشرف برشاي ، الأشرف قايتباي ، قانصوة الغوري . عدا عن أميرين كبيرين
نزل بها ، هما : الأتابك نعري بردي الطاهري ويشيك ، السوادار

المصادر :

- لدرة المصنّة في الدّولة الظاهرية لابن صُنّرى ، مقدمة برسر .
- إنباء لعمر بأساء العمر لابن حجر العسقلاني ج 2 صبعة حيدر آباد .
- تاريخ ابن قاضي شُهبة ، 3 : 511-521
- التحوم ابراهيمة في ملوك مصر والقاهرة لابن نعري بردي ، 2 ، 138 .
- دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد أرقام البستاني ، 3 : 285 .
- معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والطبعة للمسجد ، 220

A CHRONICLE OF DAMASCUS 389-1397

by Muhammad ibn Muhammad ibn Saṣrī

THE UNIQUE BODLEIAN LIBRARY MANUSCRIPT OF

الدرّة المصيّبة في الدولة الظاهرية

al Durra al-Muṣība fī l-Dawla al-Zāhiriya

(MS. OR. 1881.2)

EDITED AND ANNOTATED

by William M. Brinner

VOLUME II
THE ARABIC TEXT

UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS

BERKELEY AND LOS ANGELES, 1963

عنوان طبعة كاليفورنيا عام 1963 من كتاب «الدرّة المصيّبة»

[رحلة السلطان برقوق إلى الشام]

ثم إن السلطان أشك الطاهر برقوق مرق على عماليكه الخيول والسلاح ، وأعلم
الأمرء أنهم يهتأوا للزواح وركب السلطان في جيوشه وأعوانه ، والخليفة أمير
المؤمنين أمامه ، وسر في الجيوش والمحافل واصتوارم واعوامل والبركستوانات
السوائل ، والصوارم والرمح ، والجناث والسلاح ، والخود والزرديات ، وانقراقل
المشمت ، ولثرت قد تنوعوا في الملبس ، كأهم نسود عواسر ، قد ركبوا السوايق
العربية ، وأخلصوا إلى الله تعالى لية ، ودوائب العصائب تحف ، ولسان النصر
ينطق ، وحيوش قد سدت القمار ، كأنهم شملة نار ، تكاثر انحوم بعدها ، وتبهر
العيون بحسن ملبسها .

وسار مولانا السلطان ، أوحدهموك الرمان ، بعسكره المنصور ، وسعيه
اشكور وطبع في ركبه الشريف السلطان أحمد سرور ، وأيقن أنه على عدوة
تملك منصور ، وقصد السلطان بلاد الشام وطير عزة فوق رأسه فدحم
والأكوام تسبح لسيره ، وتشكر حسن ثلثه وتأثيره ، واسررت بقدمه الأكون
وعابلت مرحأ به الأعصاب ، وكذا أن تسعى إلى تقبل الأرض بين يديه القصر^(١)
ولمدن ، وعتب الأطيير ، وصفقت الأنهار ، وتصوغ عارف الأزهر وانتشرت
البشرى في لأقطار ، وترخفت القدعة والحلب ، وأعرضت في أحسن حلة وتدت ،
وأظهرت سلطان معها ، وأدت سعيون حسن ريتها ، وامحرب على نقلاع
والشعور ، وانتهجت حتى لاح على وجه أسوارها السرور ، وتنفته الرعاب منهلين ،
والخوويه وإحصاه شكري ، ووصت أحبار السلطان أنه في لعور ، وصنع نائب الشام
ومعسكر الشام فور بعد فور^(٢) ، وطاعوا المواكه والخلوات إليه ، وقبوا الأرض بين
يديه .

(١) كناية عن القصر لابق والميدان لأحضر بمره كان أبعاد موضع معبر من دمشق
مدوني (تمت إراته مؤخرأ) وانقصر لأبق موضع التكية السلمانية
(٢) كان نائب الشام آنذاك الأمير نيك الحسي الصاهري (وليها بين 795-802 هـ) ، انظر مصر
اس حدون ذباه حو ، مقتل على يد الصر قرج ابن برقوق له تربة جميلة في الميدان

ودخل السلطان إلى دمشق على عادة الملوك ، وعندئذ بعثه موصوك وكان
دخوله يوم الإثنين حادي عشرين جمادى الأولى من السنة المذكورة [96 هـ] ،
ورحبت الأمراء فدأته السلطان أحمد بن أبيس أمامه ، وقد بسطوا له الشقق
أحمر تحت حوائر حوائده ، والشموع توقد حوله وقُدَّمه ، ويتمش حاض الفضة والظفر
على راسه ، ولشائر تدق والمداني ، والناس ترقص فرحاً من التهاني ، ودخل إلى
المناعة في شرف ساعة ، وحسن طلعة ، وحلَّس على سرير ملكه ، وقد انتظمت
عقود مسكه في قبعة سبعة دقُب لساير ، فصعقت من دمشق نهارها السبعة ،
وصحب حبهتها ما كانه طلعه ، تسوق رهر رنوتها وبأف ، وقص عصير ، به
وتقصفت ، وأخذت الأسواق في الرتبة ، وأبرب من جواهرها أقاص مجموعها كل
رمة ثمينة ، فحرحب الناس برؤسها بهر عور ، وقدموا من الفرح سبع لباي فليلاً من
ليل ما يهجمون

وما حسن على سرير الملك ظهر سطوته شديده ، امدحه شمس الدنيا
من حوى بهذه القصيدة ، وهي

دع مدح عايد تسبب بالشعر	و مدح حيث أوزى برقوق الشعر
بست نظهر الشحو سيرة	بو سعيد الذي قد حص بالتصير
رئس لبراء وعين لنداء	صد العبد برأي الرمح في انقصر
حكم ب حلم ولا حب شمة	و حدة الحور والإبعم بسر
من نفعاً عن حروب كان وقده	شر رها لشراد برمية كاتقصر
و بر باكيش سنة عن وقته	وسر يطش داء المديرا عفر
وسر حوش دمشق بكن أنهمهم	ورد حبراً لهم بالسيف في كسر
وسك من عر شد قلب عسكرهم	نعم وقص الخبايا الذي تسري
كذلك حريق لآحاء بطله	أناء عز يس أفناه على لأثر
محمد شاه فيه صيرة	من حسن سيرته في لكر و يسر

(شعر عث سبعم لا يستحق شرحاً ولا تصحيحاً ، فكله كره في القوافي والمداني

يَقْدُ بِانْقِضِ مَنْطُومٍ لِدُرُوعِ كَمَا
لَيْثُ الْمَعَامِيعِ عِبْسِي لَعْنَتُهُ
قِيلَ إِذَا جَاءَ كَادَ النَّصْرِ بِحَدْمِهِ
يُمَسَّهُ بِالْعَيْنِ لَا يَهْرُ وَلَا سَامُ
وَحِينَ نَالَ لَوْفًا مِنْ تَيْلٍ حَالِقِهِ
وَحَدَّ مَطَّاشٍ فِي ذَلِكَ وَفِي كَبَدِ
كَمْ مِنْ عَرَائِيسٍ مُدَنَّ مِرَّ خَاطِبُهَا
كُلَّ الْمُلُوكِ أَتَتْ أَبْوَابَ قَلْعَتِهِ
أَتَى لَهُ أَحْمَدُ السُّلْطَانُ مُهْرِمًا
أَعَدَّهُ ثُمَّ بِالْمُرْسَانِ أُنْجَدَهُ
وَأَعْرَصَ لَثَرَكَ فِي الْبَرَكِ الَّذِي دَخَرُوا
فَأَقْبَبُوا مِثْلَ عَسَادَاتٍ لَهُمْ أَبْدًا
عَلَيْهِمْ كُلَّ رِعْ كَالدَّرَاعِ قَبْلَ
مُسْرِبِينَ بِقُمْصَاتٍ لَهُمْ رَزْدُ
وَرَكَّوْا لِيَنْصَرَ فِي هَامَاتِهِمْ خَذَرُ
وَكُلَّ تَرْكِي تَحَاكِي لَشَمْسٍ إِذْ بَزَعَتْ
وَكَمْ دَبَابِيسَ مَلَأَ الْعَيْنَ نَصْحَهُ
وَأَقْوَا صُفُوفًا وَرَبُّ لَفَرَشٍ يَحْرُسُهُمْ
وَعَايَنَتْ أَهْلُ بَعْدَادٍ وَمَالِكُهُمْ
وَقَالَ قَائِلُهُمْ يَدَ جَرَّ كَسْرَتِهِ
ثُمَّ اصْمَأَّتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ حِينَ رَأَوْا
هَذَا هُوَ كَلْبُ كَلْبِدُوبٍ أَشْجَعُ مِنْ
يَا رَبَّ أَنْصُرْهُ وَأَبْصُرْهُ بِعَيْنِ رَحْمَةٍ

قَهْرًا يَرُدُّ بِهِ الْهَامَاتِ فِي نَثْرِ
نَصَاحَتِكَ الْبَيْضِ بَلَّ تَبَكُّينَ بِالْحَمْرِ
عَيْثُ إِذَا جَادَ عَمَّ الْقَطَرُ بِالْقَطْرِ
كَالسَّيْلِ مِنْ بَرٍّ نَابَتْ عَنْ لَبَحْرِ
وَأَكْسَرَ النَّاصِرِي الْأَصْلَ فِي الشَّرِّ
مَقْطُوعَةً رَأْسُهُ بِالنِّدْلِ وَالنَّحْرِ
مِنْ غَيْرِ مُهْرٍ لَهَا لَكْسٌ عَلَى مُهْرٍ
يَسْتَنْجِدُونَ بِهِ فِي مُعْظَمِ الْأَمْرِ
فِي بَعْضِ جُنْدٍ لَهُ يَشْكُو مِنَ الْقَهْرِ
وَقَالَ يَلْبُ سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِالْيُسْرِ
مِنْ السَّلَاحِ وَجَيْدِ الْخَيْلِ مِنْ دَهْرِ
عَلَى خَيْلٍ نَمُوقُ الْبَرَقِ يَدُ تَجْرِي
مِنْ الْأَخْبَدِ عَلَيْهِ أَحْرَفُ أَنْصَرِ
مِنْ تَسْحِ دَاوُدَ رَهْرٍ مِنْ عَيْسَى رَهْرٍ
وَأَكْسَكُوا الْبَيْضَ لَمَّا سَرَّحُوا السُّمْرِ
لَعْمًا وَفِي الدُّورِ تَحْكِي دَارَةَ لِبَدْرِ
وَكَمْ جِرَابِ خَرَابِ الْعُمَرِ إِذْ تَسْرِي
مِنْ اتِّغَابٍ بَيْنَ النَّاسِ لِلْحَشْرِ
مَلِكًا فَلَا يَنْبَغِي لِعَيْنٍ فِي الْعُمَرِ
وَالْأَخْذُ بِالْأَرِ بِالنِّقَارِ فِي الْإِثْرِ
مَسِيرَ عَسْكَرِهِ لِلشَّامِ مِنْ مِصْرِ
جَرَّ الرُّمَحَ طَعْنُ الطَّهْرِ وَأَصْدِرَ
وَعِثُهُ عِنْدَ وَقُوعِ الْعُسْرِ بِالسُّنْدِ

ثم دخل بعد دخوله إلى القبة الخيول والأطلاب ، حتى أذهبت الألب ،
وتعرفوا إلى اسدية برآها وجوأها في البيوت والقاعات ، والأساطيل وحنابات
وبرل السلطان أحمد في القصر والمبدان ، وصقوا المصريين (sic) على أهل دمشق في
مساكنهم ، وتسخطوا عليهم بالأذى وأخذوا شيائهم ، وبكلموا بهزهم ، وبقت
الناس معهم في ضيقة والسلام

وأهل دمشق عندهم مباحس منطشة⁽¹⁾ ، وأهل مصر بعصوا أهل دمشق من
قبل هذه الواقعة ، ويحتو الخليليين ومازلا إلا حسد وعيرة بحسن مدبهم
ونظفهم ، وحسن ملاسهم وما سعادوه من لصائع الملاح ، فإن على أهل دمشق
تروح الأرواح⁽²⁾

(الذرة المصية في الدولة العثمانية ، 150-155.)

ثم يعود إلى كلامه وقد استعير السلطان الملك الظاهر في القبة المحروسة
بعد يومين ، رسم أن يسروا خيول الذي (sic) ليس هم به حاجة إلى المرح ،
وكذلك جمال إلى العور ، وأنه مقيم في دمشق حتى يكشف أخبار تركك فتحه
الله تعالى ، وقد أرسل القضاة في كشف الأخبار .

وفي يوم الجمعة سرب السلطان من المنعة ولأمراء في خدمته ، وصلى في
الجامع الأموي و شعلوا له الشموع وصلى في المقصورة ورد إلى القبة ونفي
كل وقت يركب وسرور ، يسير إلى طاهر المديسة وتركب الأمراء في خدمته ،
والسلطان أحمد معهم يركب في خدمته ويستجير به ، ولمن صبح هذا من الملوك
المنعدمة ؟ وبعب أهل دمشق يتفرحوا على ركوب السلطان وبروله ، ويدعوا له
وبهز حوا به

(1) أي منه إلى الأمير مطاش ، صاحب الفتنة المشهورة في عام 791 هـ

(2) تلي فقرة في مدح دمشق تنصت فيها ابن صصري بشم صد من يفضل مصر وحب

ثم استهل شهر حمادى الاحرة ، وفي عاشر الشهر حلع لسلطان على قاضي القضاة الساعوي بسمراره ، وحاء سوب البلاد إلى مولانا السلطان بقلو أباديه الكريمة ، ولما وصل حلمان نائب حلب إلى دمشق وطلع إليه وقتل الأرض بين يديه ، وأنشد لسان حاله يقول شعراً .

قد رذ شوقي وحوّ الله يا سدي إلى مُحَيّاك يا سَمْعِي ويا بَصْرِي
وكل يوم مضى إن لم أراه فليست أحسبُ ذلك اليوم من عُمُرِي
فترحب به وزاد إكرامه ، وحلّج عليه ورد إعامه ، وردّه إلى بلده وأوعده بكل خير ، فردّ إلى حلب سريعاً وقد جدّ في السّير ، ونواترت الأحبار في دمشق أن تمرّ لك أحد مردين ، فحاف في دمشق العني والمسكين ، فنسأل الله أن يردّ العاقبة إلى خير ياربّ للعالمين !

* * *

ثم استهل شهر رجب وفي هذا الشهر حصر سالة الدوكاري أمير التركمان ، وجذب معه التّقادّم والهلاليّة ، وطلع إلى بين يدي السلطان ، وقتل الأرض بين يديه وقدم التّقادّم ، فحلّج عليه السلطان ببيابة حنّير ، بإنها على جانب المرات ، وردّ إلى ثابته .

وفي هذا لشهر دار المحمل على عادته وأقلّ من عدته ، وقلّوا النّاس إليه يدور مليح حتى يتفرّج عليه السلطان . واحتضت لفرجته النّاس ، وطلع حلال ما قاسوا عليه ، ونفيت النّاس متعجّبين ، فإن النّاس ما كانوا مُشرحين من جهة تمرّ لك وأخباره .

وفي هذا لشهر عرل قاضي القضاة الساعوي ، وتولّى عوضه قاضي لقضاة علاء الدّين بن أبي الفاء ، فبه أهلها كما كان أخوه ولي الدّين قاضي قضاة الشّام فإنه من أكابر النّاس ويعرف أهل دمشق وأحوالهم ، وطّي أجسة ، كريم الكف . سمّح النّفس ، يعطي الفقير ويجزئ الكسير ، ونحبّ الفقراء ويعجزّ الشعراء . ما له في الكرم نظير ، كما قال فيه لسان التفصير ، وأجاد حيث يقول شعراً .

يا واحد الناس الذي أضحي وليس له نظير
لو كان مثلك في الوري ما كان في الدنيا فقير

وفي هذا الشهر تولى وفي الولاية أروع مملوك السلطان ، وطبع إلى البلاد
القبلية وأخربها في آخر ولايته ، فإنه كان ظالم

* * *

ثم استهل شهر شعبان من سنة المذكورة وفي هذا الشهر وصلت الأحبار
إلى مولانا السلطان ، أن ترضى المدموم حرج من بلاد بغداد إلى بلاد الروم إلى
مدينته يعال لها رزكان ، وحلى في عدد واحد من جهته . ورسلو أصحاب
السلطان أحمد بن أويس يقولون له «إليك تفود يحيى» فإنه قد اجتمع على
لقران من جماعت خلق كثير يتطربونك حتى يدخلو معك إلى بغداد
وإحدهما من نائب تزلنك» .

فبعد ذلك رسم السلطان ذلك الظاهر برقوق السلطان أحمد بالمسير إلى
بلادهم ، ورسل معه شمس الدين محمد بن أمير طلحة ، وأعطاه السلطان خيل
وقماش وغدد وسلاح ، وجعل عليه خضعة هائلة ، وودعه وصديقت الأمراء معه
ودنوه . وبرزل على سطح بريرة وكان يوم السبت ثالث عشر من شهر

وردى السلطان في الشام على الإغاحه . «أى من تخلف في دمشق عن
المسير مع السلطان أحمد رحت روحه بلا معاودة» وقرر له السلطان برقوق
«أش ما حرى لك في الطريق نعت عرقى» . فإني في دمشق قاعد حتى يعبر إلى
مدينتك بعدد وخلص على سرير ملكك ولا تدخل إلى حلك وروح على
إبرية على عريين إلى الرحلة» فبعد ذلك ركب السلطان أحمد ومن معه على
بريرة يوم الإثنين طاب بلاده .

* * *

وأسرد سلطه في بعد د بعد طور نائب تيمور بك منى ، صرب لسكه باسم برقوق

ثم استهل شهر رمضان المعظم يوم الثلاثاء ، وأما محاسن سلطان فانها طال عليهم مقام في دمشق ، وهرغب نفقاتهم ، وأكثرهم في سُكر وقحاب وغير ذلك ، فمنهم من باع حبله ومنهم من باع قماشه ، وانكشفت أحوالهم ، وجرى لهم كما قال المثل⁽¹⁾ ، «عديم ووقع في سنة تب»² وتهكوا في دمشق عاياه التهنك . وقد قال لصادق المصدوق ، «إد لم تستحي (sic) فاصغ ماشئت» وأكثرهم تعير عليه الماء والهواء ، فصعب منهم خلق كثير ، ومات منهم جماعة . وحصل للناس ضرر كثير من ممالك السطاط وغيرهم ، فإنهم بقوا يصنعوا إلى بساين الناس وإلى لبلاد القرية الذي (sic) في العوطة ، وبأحدوا تب ولشعير ، وأي مر تكلم قتلوه انلهم فرج عن المسلمين

وفي سابع عشرين الشهر توفي مُشدَّ شُرَّحانة السلطان⁽²⁾ وكذا أمير مائة [ثم] مقدم ألف ، وخرج له جنازة كبيرة ، وفُقد من محايك السلطان ناس كثير وبلعتهم دمشق ، والسلطان الملك الظاهر في القلعة المحروسة في أكل وشرب وهدايا وهدائم وشراح ، والعدو المحذون قد راح صون بلاد الروم . واطمأنت قلوب الناس وطيب قلوبهم ، وباعت الناس واشتروا على المصريين ، ولطف الله تعالى بعباده .

* * *

ثم استهل شهر شوال من السنة المذكورة ، وصلى السلطان صلاة النعي في الميدان الصغير ، وهرجت ناس ورقب الشائر ، والناس يتهرجون على السلطان ، ورد إلى القلعة والحيش كلهم ماشين قدأمه ، وطلع من باب السر⁽³⁾ فسبحان مالك الملوك ، لا إله إلا هو

(1) ما زال هذا المثل سائراً لدى دمشق باللفظ ذاته ، لاحظ بقاء التعابير حية
 (2) المُشد من مصطلحات معهد المموكي وتعني المدير العام ، ومُشد لشُرَّحانة كان هو المسؤول عن شراب السطاط وبلاطه ، مع ما يتبع ذلك من تزيين وآنية ومراسم
 (3) كان الباب العربي القديم لقلعة دمشق يستعمل لدخول وخروج السلاطين والنواب بصورة سرية ، فلذلك كان يسمى «باب السر» ، ومثل ذلك في قلعة حلب

وفي عاشر الشهر برق السلطان الحمال على انمالك للسفر .

وفي ثاني عشر خلع السلطان على الهسياني بيانة القلعة ، ورسم السلطان
أن يبرروا خام لي برره ، فصب حم السلطان في برره ، وخرج لسلطان
بجوشه المصورة من دمشق ، وبرا على بررة ، وطلعت حمه الأطلال تنحر
حلف بعضها بعض . ورحل سلطان من على برره طاب بلاد حنك

وفي يوم الخميس حرق المحمل من دمشق ، وأمير لركب أخو ارشكي⁽¹⁾
التركماني ، وكر ركب قيس . وحلى السلطان في دمشق نائب الشام نيك
الظاهري لم بأحمد معه إلى حلب .

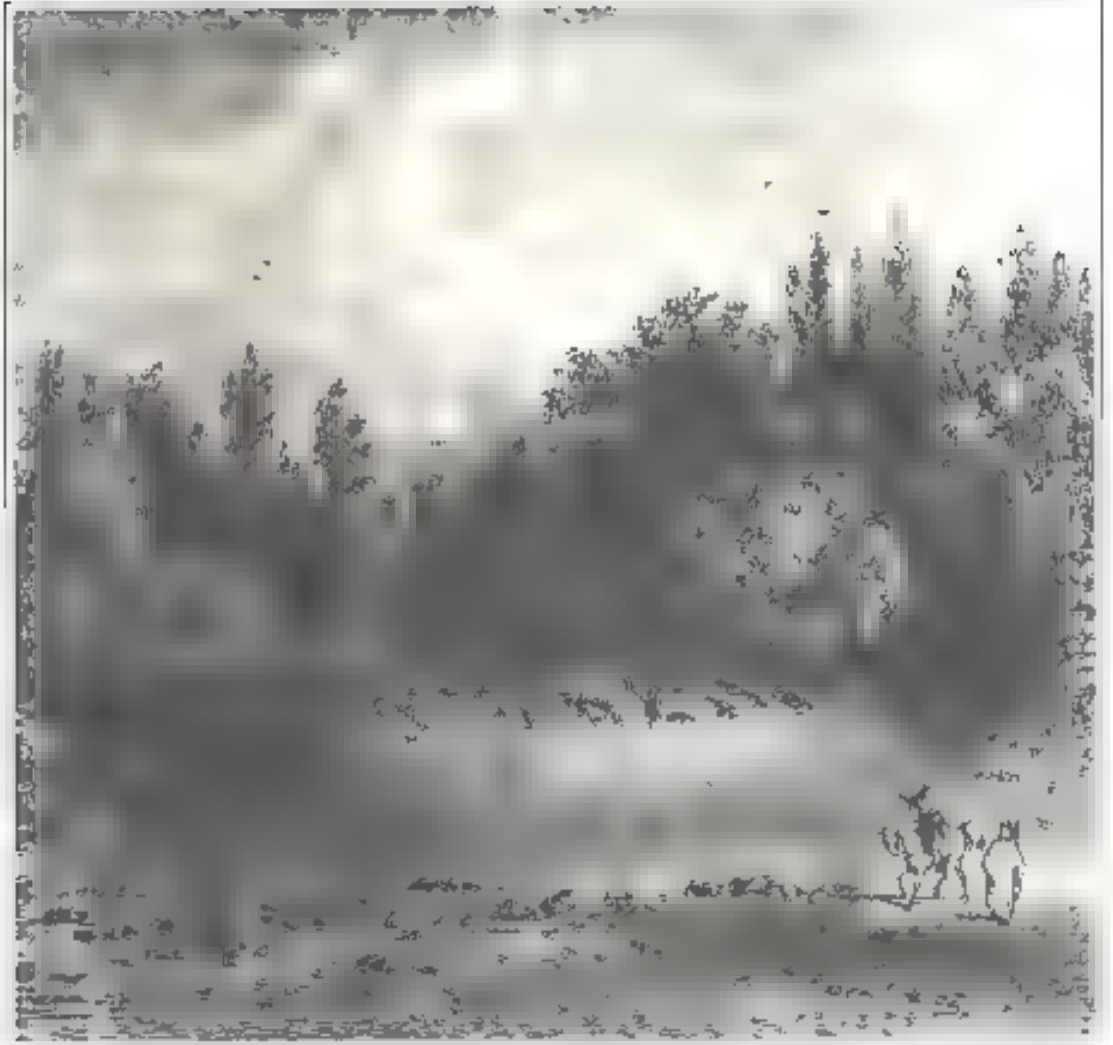
(المرّة المصيّة في الدولة الظاهرية ، 157-160)

* * *

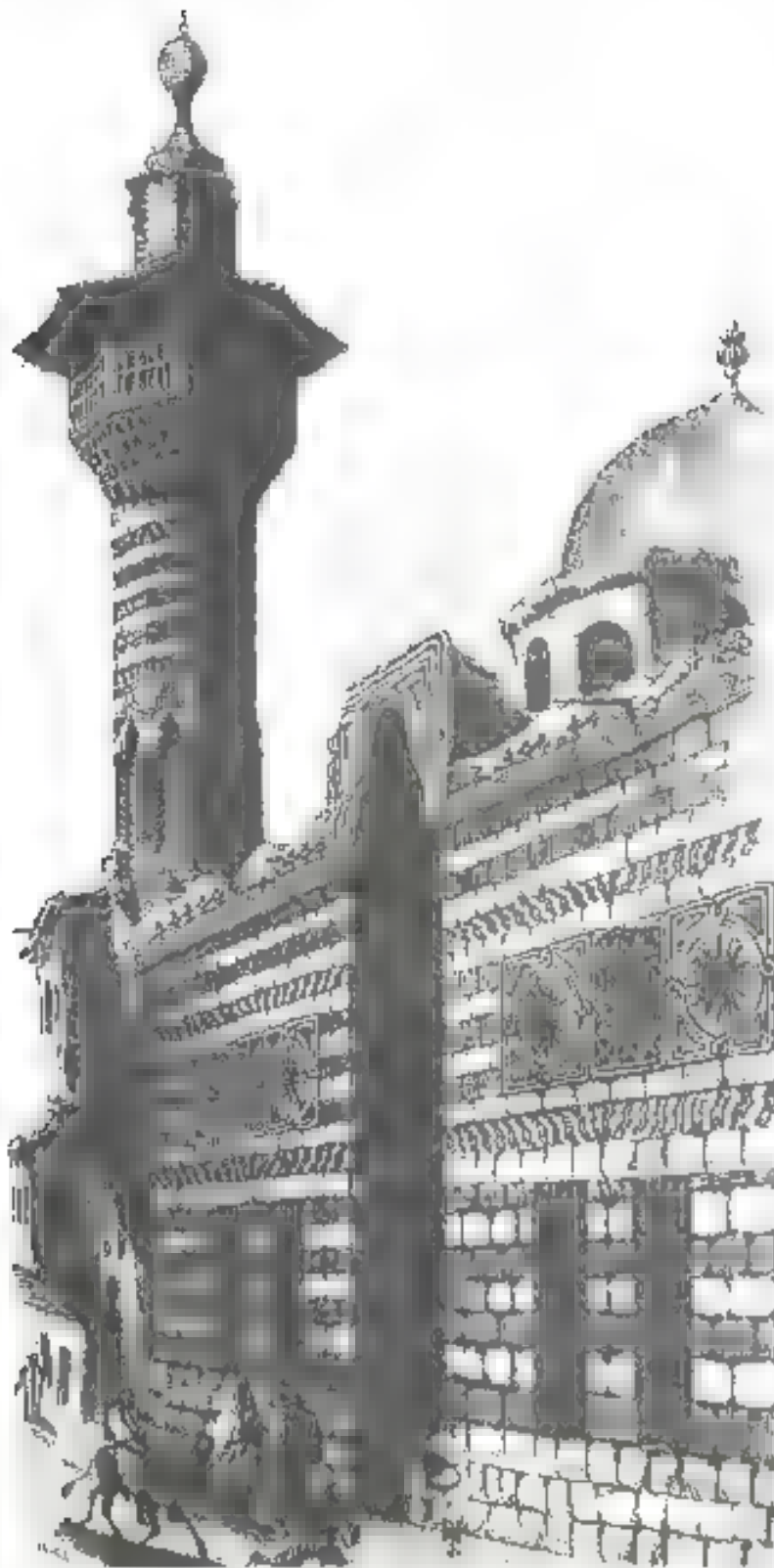
(1) ينصح للقارئ أن يقرأ أثره الذي أعني له المؤلف بعاملته وأعلامها بلا تصحيح ، لتصل

مثلاً عن مع رلك لعصر وأساليبه للتعبير

(2) اسمه في تاريخ بن قاضي شهبة (3 521) عمر بن حبيب ، أخو الترمكي الترمكي

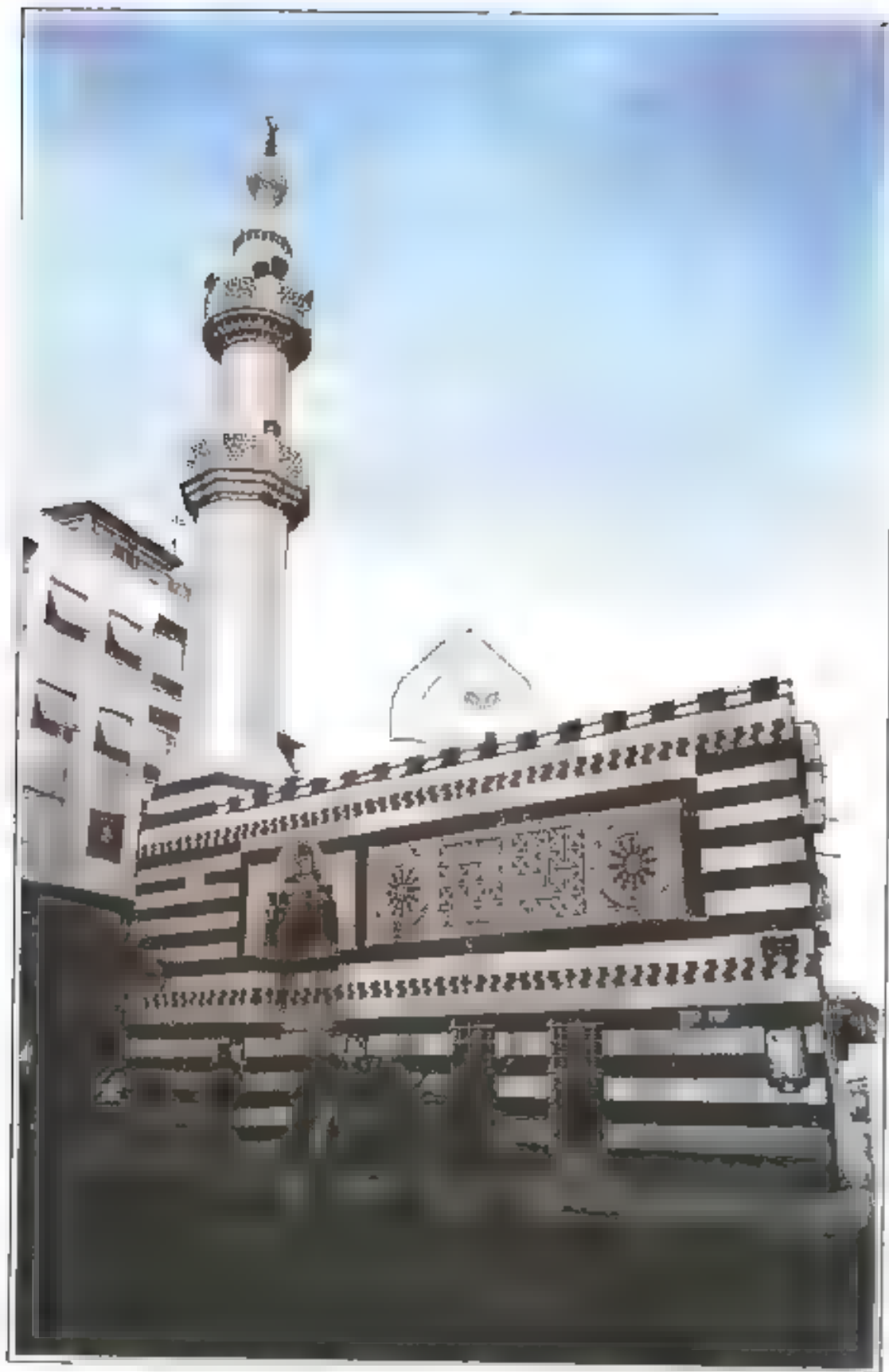


دمشق كما صورها بنا الرحالون في عصر سلاطين اعماليك
بسائر واحة ، وحفنة من اللؤلؤ تسبح في بحر من الزمرد الأخضر
نقشة قديمة من عام 1873



نُقِيشة قديمة لمدرسة الصابونية

من كتاب *Picturesque Palestine* حوالي عام 1880



جامع شيخنا سيف النجف (شيعي سوم) شهيد سيف النجف، لاحظ الواجهة الزخرفية



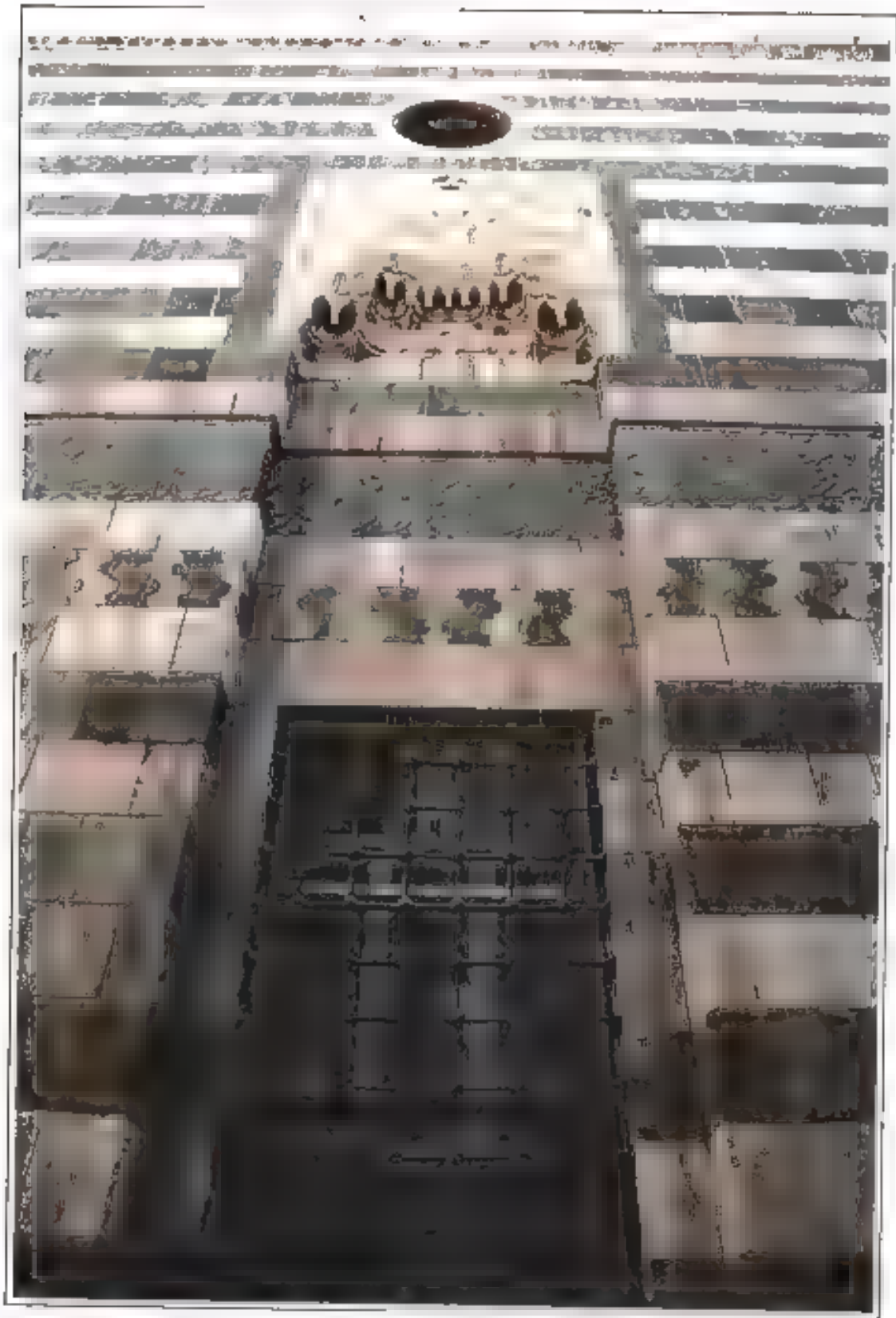
نُزلة لآود حته سدرة سكي بضا حنه أشت عم 74 هـ



تربة اساتذ أعرب العادل مائة حجة شهاب جامع مطري ، بوي ٦١٩ هـ



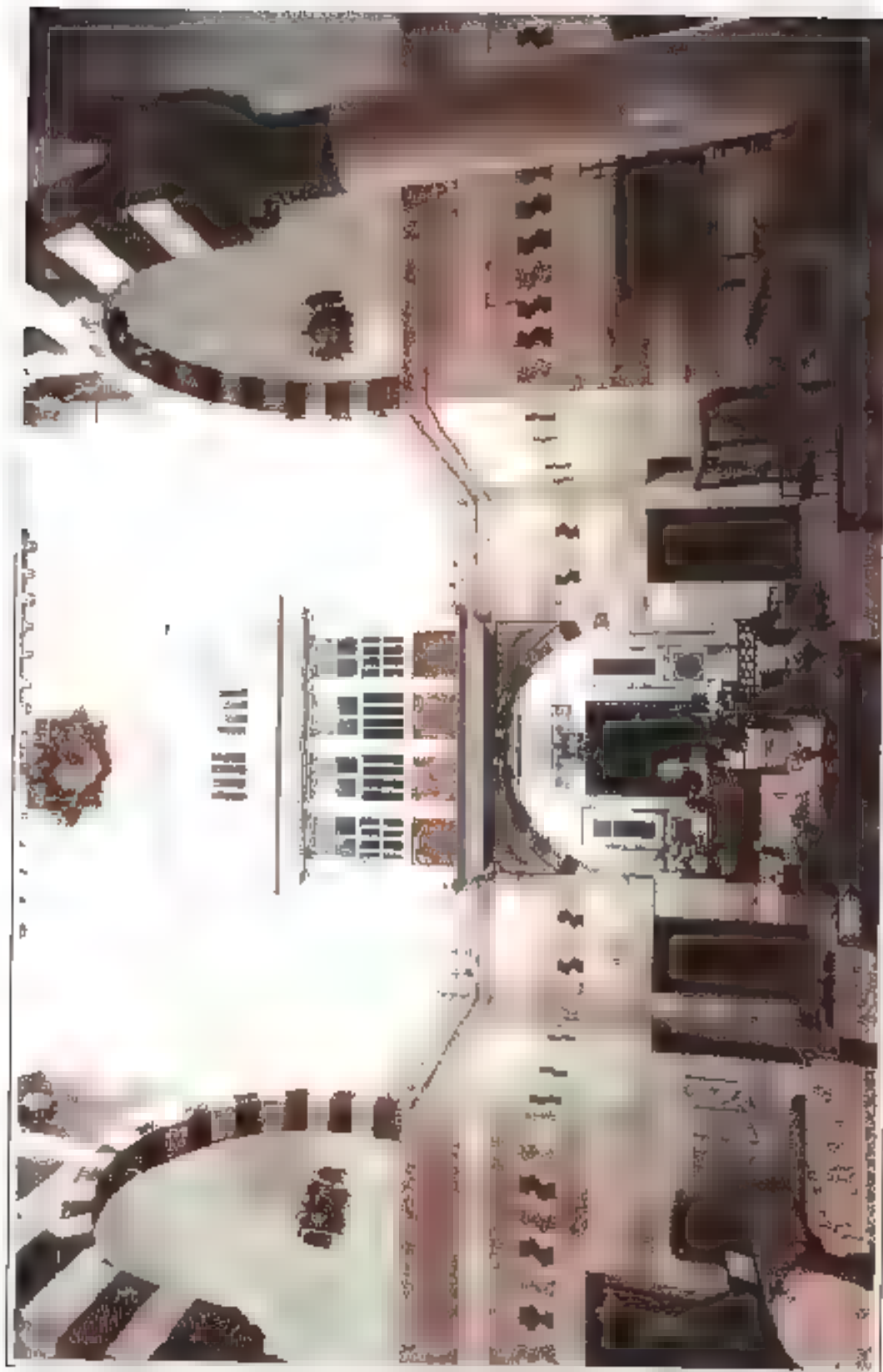
تفصيل من واجهة المدرسة الجميلية ، بُني قبل عام 824 هـ



الوجهة الشرقية للمدرسة بجفمقنه ، وفيها ركن الأمير سيف الدين چمق



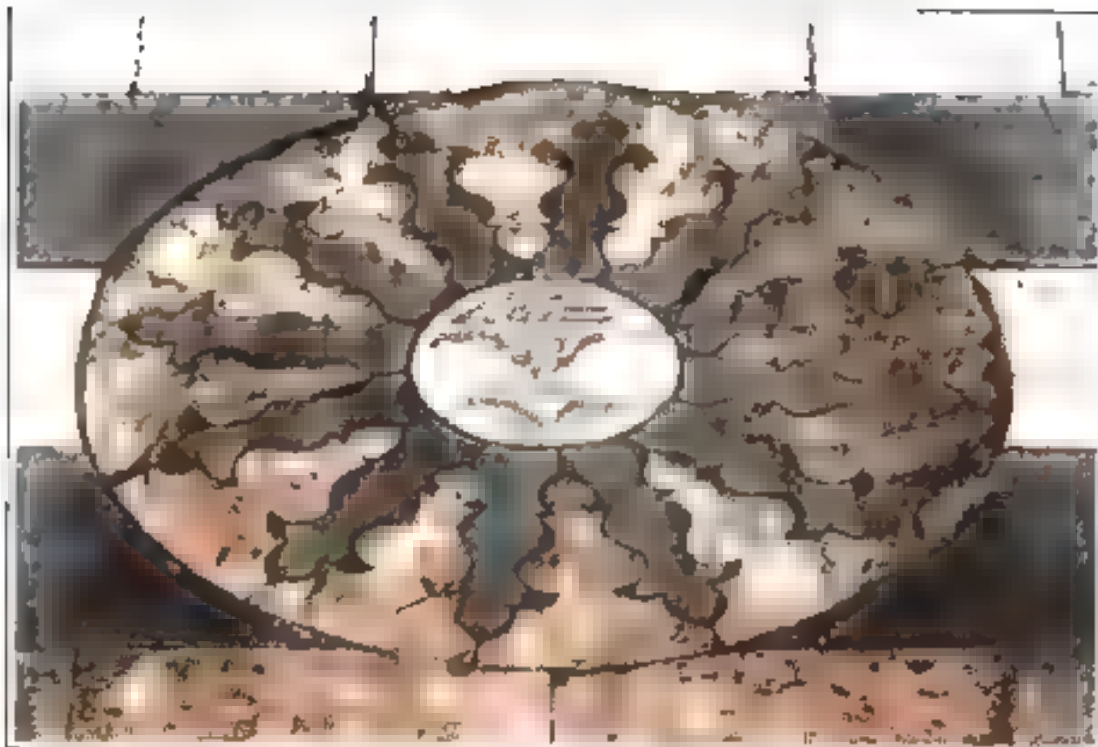
مفصل و جهة دعه حقه مشرق و غرب (طوق العنوي)



واحدة قاعة مدرسه ايجمقييه - التي تمثى مودحى لمصور زامراء الممالك



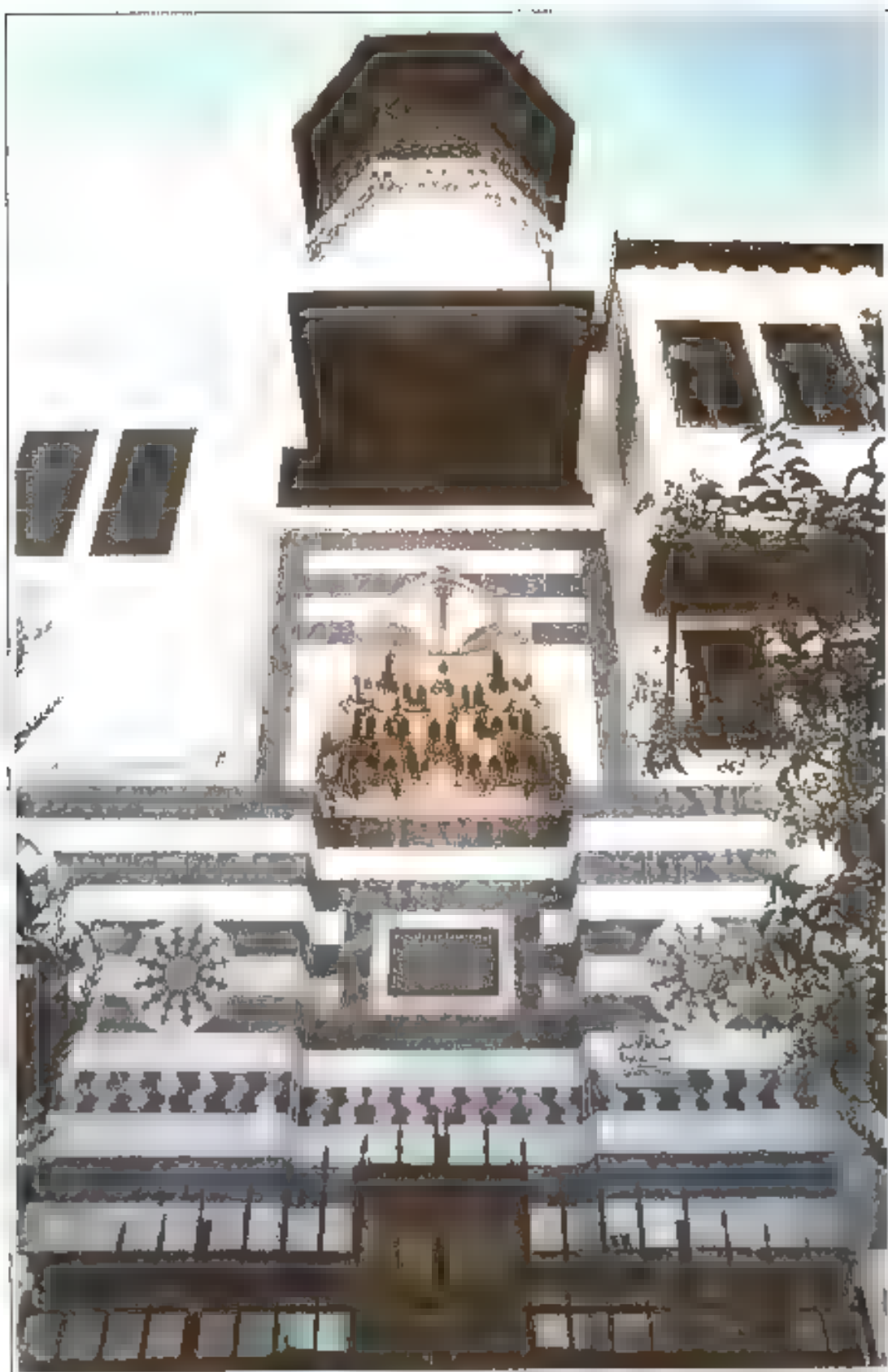
تفصيل من حرم مدرسة البقمية ، ملاحد اعلى في العصر الرحوة



نك لأمير سب اندس چقمق اعلاي في الواحه لشرقيه مدرست



نك لأمير دو در من اسكندريه في حمة المدرسه الاحمدية شمس لاسوي



المدرسة الشاذليّة، بناها الأمير شادي بن الدوّادار عام 857هـ



« آجهة امدرسة شادكة ، من آهل مدرج لآسم الآري السليم »



جامع الأزهر بدمشق (الجامع المعنق) بالعمارة، سنة عام 862 هـ



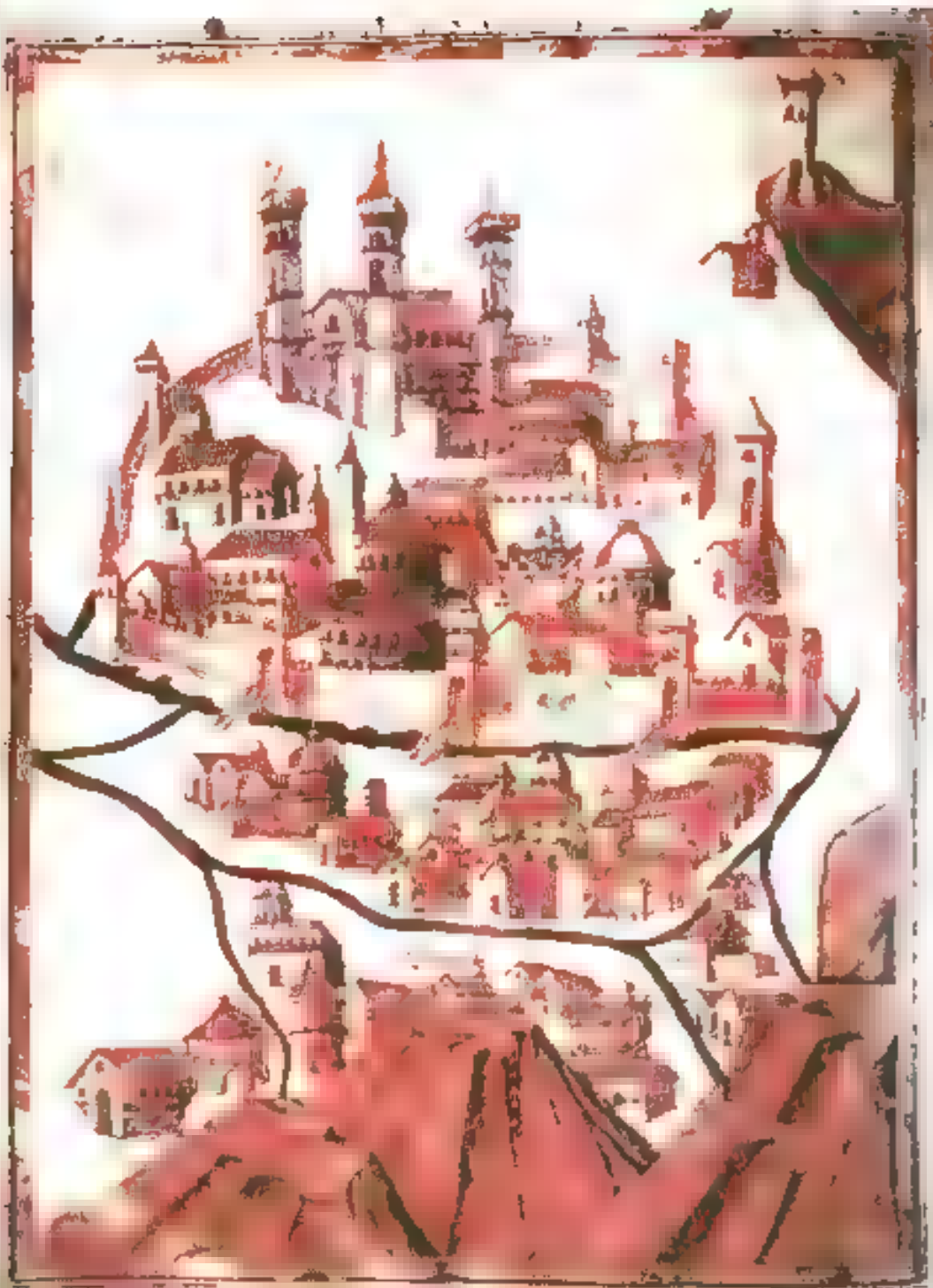
مئذنة مسجد الأقصى ، جندة الأمير محمد بن مشعل عام 811 هـ



و جهة جامع برزك الأثني في ، من شمال مسي دمشق لمسيوكة



جهة حجرية جميلة ذات مقرنصات في جامع بردك الأسري



در خطه قبیله بدمشوئی عصر الحیث

عبد الرحمن ابن خلدون

(توفي 808 هـ / 1406 م.)

رحلته بدمشق عام 803 هـ

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، أبو زيد ولي الدين الحصري ، مؤرخ
الفيلسوف نظائر لصيت ، العالم الاجتماعي الباحث ، أصبه من إشبيلية ومولده
بموس عام 732 هـ ومشّزه بها . رحل إلى فاس وعراطه وتلمس والأندلس
وبوئى أعمالاً ، وعود إلى تونس ثم توجه إلى مصر وكرمه سلطانها المملوكي
طاهر برفوق ، وولي فيها قضاء المالكة مرات عديدة كان أولها عام 786 هـ
وكان محتفظاً بربى بلاده معروفًا به .

في عام 802 هـ سافر ابن خلدون إلى الشام فمُتصف شهر ربيع الأول ،
صاحبه حاشيه سلطان المني النصر فرح بن لستط طاهر برفوق ، لندفاع عن
رمشو في وجهه حبوش تيمورلنك ، وكان له اللقاء الشهير مع طاعية المعولي على
أبواب المدينة أثناء حصار حيوش المنول بها . هذا اللقاء روى لنا وقائمه عدد من
لمؤرخين ، من سهم بن عرشاه في كتابه «عجائب المقدور في بوائب تيمور» ،
وس قاضي شهنه في تاريخه شهير ، غير أن المنشرق كراتشكوفسكي يرى في
مضمونه هذه الرواية بروقاً مبالغاً فيه . بما يتضح من سرد ابن خلدون لوقائع
اللقاء - إن صدق - أنه أصاب لدى تيمور مكانة وخطوة ، ولو أنه بدأ أمام
الطاعية المعولي ضعفاً وصاغراً ، لم بحرف على التعبير عن أدنى معارضة أو
محاولة لمقاومة العزاة ، كما مرّ بنا أعلاه في مغامرة الصّارم أريك

توفي بن حدودون فجأة بالقاهرة عام 808 هـ ، وكان قصيداً جميل الصور
عذلاً ، صدر في الملححة عروقاً عن حليم ص محالاً للمرتب العلية وكان له رحل
لى الألبس اهر به شصدها وركب حصته سقته و جلسته في محسسه

شهر بن حدودون مؤلفات عديدة بكن أحطب وأسماها عبرانيين حتي
عربية كتبه «لعد وبنون أسد و خسر في دريح اعرب و ابعده و مربر ، ومن
عصرهم من يوي سبصا الاكبر» ، في سبعة محلدات وهو كتب في التاريخ
بعم شهرة منه بوجه خصوص مقدمه لى أفردت باسم «مقدمة بن
حدودون» ، وهي تعد بحق من أصول علم الاحساس ، طبع و حذب مرأاً
و ترجمت لى نرسسه وى عدت حوى عدده أول من طبعها كان مستشرق
نرسم كرمه L. V. Quatrecaille في لائه حواء باريس سنة 1868 ، وعلم
بمدد لصعه بى مستشرق نرسمى - دي سلاتر De Slarc ترجمه العربية مقدمه
لعر الصادرة و بدس سنة 862 ثلاثة محلدات أيضاً ، وفي عام 1867 نشر
كتب بعر كملا فى بولاق بضر بعه لتشيخ بضر بعر بى

وحليم بن حدودون كتاب العز بفصل عوه «تعريف بابن حدودون» ،
بكره سنة 889 هـ فبفصل به مرأحة عت عصر ، ه حدودون بى مشرق بضر
، حذب عام (78 هـ) أفرد بضر لفصل فسقطه و حعه دبلاً بضر وسمه
«تعريف بن حدودون» مؤلف الكتاب و حته حراً و شرقاً» و قد سطر
«تعريف» مع مقدمه بن حدودون ترجماً لى العربية مستشرق بى ملاء ، ثم
سره بعه بلاء بعر ب محمد ب بويت بصحي وطبع ضمن مشورات
لحه المؤلف و ترجمه و نشر بالقاهرة في عام 1951

ومن هذه اشهره أحذب البص الشعلو بإقامة ابن حدودون بدمشق ، وبخاصة
فترة حبة لأمير المملوكي بيم الحسنى الطاهري بدمشق ومصرعه مع الأمير الكبير
لأبب بيمش الحسنى على يد السلطان عام 802 هـ ، ثم عن سفر ابن حدودون
مع سبط لى صر فرج إلى دمشق عام 803 هـ ببقاء جيوش المعول

بروي ابن خلدون بعد ذلك حشيه السنطار فرح من سمر أعوار فتته أيتمش
لحاسي ونيم الحسني إلى مصر ، ثلثاً بنحو ، فيها أعمال بيسان ، فمسح
بى مصر خوفاً على ملكه اضطرب ، وهذه كانت من تمتت حوارث الثورة صد
أبيه اظهر برقوق بقادة لأسر ممسوكي منصر ، وكذا ذكر حور ديك تفصل
واقعة أعلاه في مصر رحمه ابن حجة خموي لدمشق عام 79 هـ ، وتود بص
رحلة السلطان برقوق إليها عام 796 هـ بر رواية ابن صصري

يبي ديك نص لهذه جدّ بني يصف به مخربات بعثة باطشعية تيمورلنك
على انوار دمشق ومحاولاتهم ، وكما حمى العثماني في قديم قلب عاري
على ابيه ، فأعقب ديك حجاج المعون دمشق وتدميرهم بهمجي بها ، بعد أن
كان رة المشرق إلى بخصته بعمرة وخصبة الكسرى في العهد المملوكي
ودفعاً للإطالة ، عمداً إلى اختصار بعض الحشو ما أمكن

يدكر ما النص - وشأن بين برجين - ما من تذكر المملوك انصاره أرك ،
النص بني قبل الطاعة لنرى هم لاكو حان وقام بدو هدم لعدية على الصعد
الاسحاراني واعصامي ، كان له أكبر الأثر في مصر عرب حلوب ،

المصادر .

- التعريف بابن خلدون ورحلته عرباً وشرقاً ، مقدمة الطنجي
- كتاب العبر لابن خلدون ، المقدمة والمب .
- لصوه للامع مسحاوي ، 4 ، 145
- تاريخ لأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي 439 - 445 .
- لقاء ابن خلدون بتيمورلنك لميشل
- دائرة المعارف ، بإدارة فرّ د أفرام استامي ، 3 ، 26 - 40 .
- تيمورلنك وحكاية مع دمشق للعلي ، 163 .

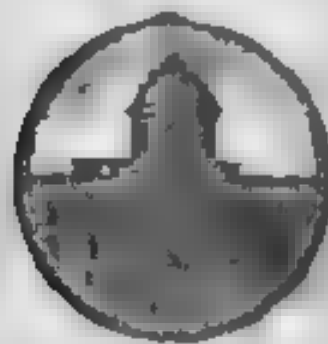
De Sane M G *Autobiographie d Ebn Khaldoun*, Par s. 1862

مقدمة ابن خلدون
PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN

TRISTE ARAB

PARIS, L'IMPRIMERIE NATIONALE DE LA BIBLIOTHÈQUE NATIONALE,

PAR M. QUITMÈRE



PARIS.

TYPOGRAPHIE DE VICTOR BERTHIER, RUE DE LA HARPE, 114.

DEPOSEE EN L'IMPRIMERIE NATIONALE DE PARIS.

1858

1858



تمودح لحووان مقدمة ابن خلدون ، طبعة باريس القديمة 1858

من فصل

ولاية القضاة الثانية بمصر

ما رلتُ منذ العز من قضاء لأول سنة سبع وثمانين ، مكناً على
الاشتغال بالعلم باليعاً وتدرساً ، وسلطاناً يولي في الوظيفة من يراه أهلاً متى
دعه إلى ذلك راع ، من موت بعدهم بالوظيفة أو غرله ، وكان يراي لأولى بذلك
لولا وحو الذين شغوا من قبل في شأني من أمراء دولته وكبار حاشيته ، حتى
انقرضوا

و نعت وفاء قاضي المالكية بذلك ناصر الدين ابن تسي ، وكتب مقيماً
باليوم لضم راعي هنا . فحدثني وقلدي وظيفة القضاء في منتصف رمضان
من سنة إحدى وثلاثمائة . فحدثني على نفس المعروف مني ، من القيام بما يجب
للوظيفة شرعاً وعدة . وكان رحمه الله رضي عما يسمع عني في ذلك

ثم أدركته الرفاة في مصر شوا من بعدها ، وأحضر الخليفة ولقبه⁽²⁾
والأمراء ، وعهد إلى كبير أئمة فوج الإخوان من بعده واحداً واحداً ، وأشهدهم
على وصيته ثم ردد ، وحمل القائم بأمره في سلطانه إلى أن يركب أئمة⁽¹⁾
وقضى ، رحمة الله عليه ، وتركت الأمور من بعده كما عهد بهم . وكان انتدب
بالشام يومئذ أمير من حاكمية سلطان يعرف بتم ، وسمع بالوقعات بعد
السلطان ، فعصر أن لم يكن هو كافل ابن الظاهر بعده ويكور رعام الدولة بيده
وظفق سمسرة العت يعرفونه بذلك .

1) أي السلطان المموكي الظاهر برفوق ، وهو أول سلاطين المملوكية لمرحلة لجزيرة ،
تولى الحكم سنة 784 هـ بعد أن جمع الملك لصاحب حاجي بن شعبان ، فكانت مدة حكم
برفوق 16 سنة وبضع شهور . قامت عليه في الشام عام 791 هـ فتنة خلعه
2) كـ حصر ابن خلدون من مجلس هذه توصية ، ذكر ذلك ابن أبي شيبة في عهد حصار ،
حوادث سنة 80 هـ

3) أئمة بن عبد الله الأسدي البجاسي أخرجاني الأمير سيف الدين ، أنابك العساكر
بالديار المصرية ، صله من ممالك أسد مر أخرجاني . قتل مع تم سنة 802 هـ ، ترجمته
في المنهل النصاب لابن تغري بردي

وسمّاهم في ذلك . وقعت قصة الأتابك أيتمش . ودسّ أنه كان للأتابك
 دواء غريظ يور إلى لرئاسة ، ويرقع على أكبر الدّونة بحطّه من أسدء ، وم
 له من الكفة على السلطان . فقموا حالهم مع هذا الدواء وما يسومهم به
 من سرقع حليهم و معرض لإهمال مصانعهم . فأعروا لسلطان بالخروج عن رقة
 الخجر وصاعهم في ذلك . وأحضر قصاة محمد في الأعوى على الأتابك
 مستعانه عن كقول عده من فيمه - أمه وخس نصر قاه . وشهد بسب في
 مجلس أمره كفة . وأهل لارت ووطائف منهم شهادة قبله بقصة
 وأعدرو إلى الأتابك فيهم فلم يدفع في شيء من شهادتهم

وبعد احكم يومئذ برفع الخجر عن لسلطان في عرقته وسياسه منحه
 ونقص جمع . وور الأتابك إلى السلطان إلى بيت سكناه . ثم عود الكثير من
 الأمراء نظرهم فيه ثوبه من ذلك . فلم يروه صواباً وحسنوا الأتابك على بقصه
 ولهم . فجعل لسلطان من كنهه به في سلطانه . وركب كرامعه في حر
 شهر المولد السوي . وقادتهم أولاده لسلطان قرح عشي يومهم ويبتها فهرموهم
 . روا إلى اشم مستصر حين تشرّب تنم . وقد قر في عهده وقر من فن .
 فمر وقادتهم وأحب صريحهم . روا عترموه على لمصي إلى مصر

وكان لسلطان لما عصت جموع لآتابك وسر إلى اسام اعتمله في الحركة
 ولستقر لخصه شوكتهم وتفرق جماعتهم . وخرج في حمالي حتى انتهى إلى
 عرة . فحده آخر بأن نائب اشم سم ولآتابك ولأمراء الدين معه حر حوامر
 . شهد راجع لبقاء لسلطان . وقد حشدوا ووعوا وانتهوا قرياً من الرمث
 فراسهم بسطد مع قصي القصاة الشافي صدر الدين المدي . وبصر الدين
 بركة أحد المعتمين بشدة الزمان . تُدر إليهم ويحصلهم على اجتماع نكمة
 وبرك القصة وإحذتهم إلى ما يطلب من مصالحهم . فاشتطو في المطاب وصممو
 على ما هم فيه

(١) الأمير سيف الدين تيم tanimi بن عبدالله الحسي الطاهري ، اسمه الأصلي تيك tan-bey
 (مير عجر) ، من محالط الطاهر برفوق ، وكان نائب مشو في أيامه

ووصل الرسولون بحبرهم . فركب سلطان من العبد وعثا عسكروه
وصمم معاحتهم . فلقبهم أثاء طريقه وهاجمهم فهاجموه . ثم ولّوا الأدر
مهرمين وصرع الكثير من أعيانهم وأمرائهم في صدر موكبه فما عشيهم ليل
إلا وهم مصمدون في الحديد . يمدحهم الأمير تيم دند الشام وأكبرهم كلهم

وحا الأتابك يتمش إلى القلعة بدمشق . فأوى إليها واعتقه دند القلعة
وبد سلطان إلى دمشق . فدخلها على العثة في يوم أغر . وأقام بها أياماً .
وقتل هؤلاء الأمراء المعتقلين وكبرهم لآتابك دحاً . وقتل تيم من بينهم حنق .
ثم ارتحل راجعاً إلى مصر

[زيارة ابن خلدون لبيت المقدس]

وكـ أسأدت في التقدم إلى مصر بين يدي سلطان بزيارة بيت المقدس .
فأراني في ذلك . ووصلت إلى القدس ودخلت لمسجد وتسركت بزيارته
والصلاة فيه . وتعقبت عن الدخول إلى القمامة فيها من الإشادة بتكديس
بصران . وهو بناء أمم لصراصة عيسى مكان لصليب بزعمهم . فمكرته عسي
وبكرت الدخول إليه . وقصيت من سن الزيارة وبأفاتها ما يجب .

وانصرفت إلى مدفن الخبير عليه سلاه . ومررت في طريقني إليه بيت
لحم . وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح . شيدت القاصرة^(١) عليه بناء
بسماطين من العمد الصخور مئذنة مضطعة . مرقوماً على رؤوسها صور ملوك
القاصرة وتوارى نولهم . مسرة من ستفي تحقيق قلبها بالتراحمة العرفين
لأوصدها . وقد يشهد هذا المصع بعظم منك القاصرة وضخامة دولتهم .

(١) يعني القاصرة البيروطين . وبالفعل كانت القاصرة البيروطين . وعاصمتها القسطنطينية
(اسطنبول حالياً) . مر عظم مدلك الدب . وكان أكثر المشرق حراً في ملكهم منذ عام
395 م . في ذلك سنة . فمضى . إلى أن فتح المسلمون القدس عام 638 م . وحاطوا
على المقدسات المسيحية فيها .

ثم انجست من مدبر الخليل إلى عزة ، وانجست منها فوفيت السطان
 بظاهر مصر ، ورجلت في ركبه أو آخر شهر رمضان سنة اثنين وثمانين . وكان
 محضر فقيه من المالكية يُعرف بـ « نور الدين من الحلال » يوب أكثر أوقاته عن قصة
 لقضاه المالكية ، فحرصه بعض أصحابه على السعي في المنصب ، وبدل بعض
 موحوده بعض بطر السطان الساعين به في ذلك . فتمت سعياته في ذلك ،
 « من منتصف المحرم سنة ثلاث » ، ورجعت أن للاشغال كـ كتب مُشغلات من
 تدريس العلم وتأليفه ، إلى أن كان السقر المدافعة تمر عن الشام .

من فصل

سمر السلطان إلى الشام لمدافعة الططر عن بلاده

ثم رجع من إلى الشام سنة ست وتسعين وبلغ الرُّه ، واطهر يوم
 عنى القرب ، فحتم من عن القرب ورجل إلى محاربة طقطيش وسنوي على
 عمده كلها ، ورجعت فائز بلعن إلى الشام وساروا تحت رايته

ثم بلغه هالك « شهيد الطاهر » فوقف بمصر ، ورجع إلى البلاد ورجع على
 لعراق ثم عنى أرمينية ورجل حتى وصل سبوس فحربها وعاب في بوحية ،
 ورجع عنها أو سنة ثلاث من المائة السعة . وبارل قلعة الروم فامتعت ،
 وتجوهر إلى حلب فقاتله نائب الشام وعساكره في ساحبها فقصهم ، وفتحهم
 المثل المدسة من كل ناحية ، ووقع فيها من العث والنهب والمصادرة وساحة
 الحُرْم ما لم يعهد الناس مثله⁽²⁾

ووصل الخبر إلى مصر ، فجهز السطان فرح بن المثل بظاهر إلى المدافعة
 عن الشام ، وخرج في عسكره من الترك سائر المثل ؛ ملكهم ثم أن صدهم
 عنها

(1) أي في رأيي (لهي بدهم) حيث عم اللا بعث سار وأكرهه أي أهل باخصا
 (2) جرى بحلب من طنائع لعود ما لا يقل عما جرى إثرها بدمشق ، انظر نص تعري ردي

من فصل

لقاء الأمير تَمُر سلطان المُلُ والطُّطر

لما وصل الخبر إلى مصر بأمر الأمير تَمُر ملك بلاد الروم وخرب سيواس ورجع إلى الشام ، جمع سلطان عساكره وفتح ديوان العصاء وبادى في الخلد بالرحل إلى الشام ، وكتب أن يومئذ معرولاً عن الوصيعة ، فاستدعاه ديوانه يشك وأرادني على لسكر معه في كتاب سلطان ، فتحافيت عن ذلك ، ثم أظهر الحرم عليّ نيل نقوب وحريل لانعام ، فأصحيّت وسافرت معهم منتصف شهر المولد الكريم من سنة ثلاث ، فوصلت إلى عرة فأرحا بها أياماً فترقب الأحيار ، ثم وصلنا إلى الشام مسبقين الطُّطر إلى أن نزلنا شقحب .

وأسرنا فصحب دمشق ، والأمير تَمُر في عساكره قد رحل من بعلبك قاصداً دمشق ، فصرّب السلطان خيامه وأبنيه بساحة قة يتّعا ، ويُس الأمير تَمُر من مهاجمة بلاد ، فأقم عرقت عليّ حنة لتُعدّير قة ورافه أكثر من شهر ، تجارل العسكر في هذه الأيام مرات ثلاثاً أو أربعاً فكانت حربهم سجلاً

ثم نمي الخبر إلى السلطان وكابر أمراءه أن بعض الأمراء المتعمسين في الفتنة يحاولون بهرب إلى مصر للثورة بها ، فأجمع ريهم للرجوع إلى مصر خشية من تنقاض الناس وراءهم وحمل الدوة بسلك . فأسروا ليلة الجمعة من شهر [حمدي الأولى] وركبوا جبل الصاخنة ثم انحطوا في شيعابه وساروا على شافة البحر إلى عرة ، وركب الناس بسلاً يعتقدون أن السلطان سار على الطريق الأعظم إلى مصر ، فسروا عصاً وجماعات على شقحب إلى أن وصلوا إلى مصر ، وأصبح أهل دمشق متحيرين قد عميت عليهم الأنباء .

(هذا في الواقع سبب سقوط دمشق بيد تيمورلنك ، لاسحب اناصر فرج إلى مصر خوفاً على ملكه انصطب فيها رجع مايرد أدهاء في بصر الأمير تغري بردي الظهري ، اندي توجه إلى الشام حملة حربية بعينه بترتيب قواتها للدفع في وجه العاري دعوسي لرهب لكن للأسف ذهبت جهوده أدراج الرياح بسبب شكوك دعوان السلطان بأنه موالٍ للثائرين على الناصر بدمشق ، فراح دمشق صحبة السياسة الخرقاء

وحي في الفصاة ومقهاء ، وجمعت مدرسة لعائلة ، وتوفي رأبهم على طلب الامان من الامر حر على يوتهم وحرهم ، وشاوروا في ذلك وقت انقلعه فأبى عليهم ذلك ونكره فلم يوافقوه ، وخرج قاضي برهان الدين من مملح اخسي ومعه شيخ الفقهاء راوية [فاحسانه إلى تأمين ، وردتهم بسدده وحوه ونصبة ، فخرجوا به سدين من لسور كصحبهم من اشدمة ، وحسروهم وكتب لهم لرقع بالأمان وردهم على احسرو الامان وتفقوا معه على فتح مدرسة من بعد ، وصرف اساس في المعاملات ، ورجعوا أمر برهان محل الإمامة فيها وعلمت أمرهم بمرالاة

وأخبرني القاضي برهان الدين به سأله عني ، وهل سافرت مع عبد كرم مصر واقصت بالمدينة ، فأخبره بمقامي بمدرسة حيث كتب وسب لك اشدمة على أنه الخروج ليه فحدثني بعض الناس تشاخر في اسجد الخامع وأنكر بعض ما وقع من الاسمعه في القوي وبلغني الخبر من خوف الليل ، فحشيت اسمة على نفسي

ونكوت سحر في جمعة القصاة عبد الله وطلت الخروج أو استلي من سوا ما حدث عني من نوهمت ذلك لخر¹² فأبو سلي أولاً ، ثم أصبحوا لي ودوني من اسور ، فوحدث بطانته عبد الله وبنه سدي عنه لولايه على دمشق ، واسمه شاه مند من عي حفظي أهل عصبه ، فحيثهم وحيوي وفديت وفديوي وقد لي شاه مند مركوب وبعث معي من بطانة سلطان من أوصلني به

- (1) احتير القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مملح (توفي 803 هـ) لتعارض مع بيمور ليد المعروف بالتركية والعربية ، فانطلت عليه عهوده بالأمان ، وأقع البمشقيين بموهد اسكن حو صرهم ثم قصر سمور كل ما أيرمه معه وخرج لمدينه عذر ، لا بل سعل معرفه بخارات مدينه وأرفتها فالرمة بكتبه أسمائها وأوصافها في جرد مفصل .
- (2) ذكر المقرري في اسرور ، حدود 803 هـ ، وك القاضي لقصة ولي لادن عبد الرحمن بن جلوي لما نكم بداخل دمشق فلما علم بوجه السلطان تدنس من سور مدينه ، وسار إلى تيمور فأكرمه وأحلّه وأنزله عنده ، ثم أذن له في المسير إلى مصر فسار إليها

فمنما وقفتُ بالرب حرج لإدريس حلاسي في حيمة هالك تحاور خيمة
 حلوسه ، ثم ريد في التعريف بسمي أبي لقاصي الملكي العربي ، فاستدعاني ،
 و - حلتُ عليه بحيمة حلوسه متكئاً على مرفقه ، وصحيف الطعام تمر بين يديه ،
 يشرب بها إبي عُصب لُعُص حلوساً امام حيمته خلقاً خلقاً .

فلما دحيتُ سله فاحتُ بسلام ، وأومأ بعناء الخسوع ، فرفع رأسه
 ومد يده إليّ فقبلتها ، وأشار بالخلوس فحسبُ حيث استهت ، ثم سددني من
 بصدته لعقبيه عبد الحارث النعبد " من فقهاء الخصة بخوارزم فاقعده بترحم
 ما يسا ، وسألني من أين جئتُ من المغرب ؟ ولمْ جئتُ ؟ فقلتُ : جئتُ من
 بلاد بني لقضاء العرص ، كنتُ إلهي أسحر ووافيتُ مرسى الإسكندرية يوم لقطر
 سنة أربع وثمانين من هذه المائة الثامنة ، والمرحلت بأسوارهم لخلوس الظاهر
 على تحت المثلث لتلك العشرة لأيام بعددها

فقال لي : وما فعل معك ؟ فقلتُ : كلُّ خبر ، برّ مقدمي وأرعد قري
 ورؤيتي لبحر ، ولما رجعتُ وفلّج حرايبي ، واقمتُ في طله وعمه رحمه الله
 وحزه فقدور : وكيف كانت توبته إليك القضاء ؟ فقلتُ : مات قاصي المالكية
 قبل موته شهر ، وكان يضربني المقام محمود في تهيّأ بالوطيمة وتحرّني بعده
 وحق والإعرص عن أحده فوالتي مكانه ، ومات شهر بعدها فلم يرص
 أهل الدولة بمكاني ، فأدالوني منها بعيري ، حزامهم الله .

فقال لي : وأين مولدك ؟ فقلتُ : بالمغرب الخواصي كانب بلمت الأعظم
 هالك فقال : وما معنى الخواصي في وصف المغرب ؟ فقلتُ : هو في عُرف
 حصصهم معناه الداحي ، أي الأبعد ، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشامي
 من جربه فأقرب إلى هابرة وإفريقية والمغرب لأوسط - تلمسان
 وبلاد زناتة ، والأقصى : فاس ومراكش ، وهو معنى الخواصي .

(١) عبد الحارث بن النعمان المعتزلي أحد خواص تيمورلك الذي طاعوا معه البلاد وكان رئيساً
 لفقهاء عمه ، ذكر ابن الجرد في «الرياض» أنه «كان يمتحن العلماء ويأظرهم بين يدي
 الملك وهو من فئة الذين جاب كبير» توفي سنة 808 هـ

فقال لي: «أين مكان طنجته من ذلك المغرب؟» فقلت: «في أراوية التي بين
 البحر المحيط والمحيط، والسمي بالرقاق، وهو حبيح البحر الشامي»⁽¹⁾ فقال:
 «وسنة؟» فقلت: «على مسافة من طنجة على ساحل لرقاق، ومنها المتعدية إلى
 لأندلس قرب مسافة، لأنها هلك نحو العشرين ميلاً» فقال: «فاس؟» فقلت:
 «لست على البحر، وهي في وسط القنوب وكُرسي مدوك المغرب من سي مرس
 فقال: «بجانبه» فقلت: «في خدما بين الأرياف والرمال من جهة حبوب
 ففار لا يصغي هذا، وأحب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها، أقصيتها
 وأدناها، وحدته وأنها، وفرة وأمصاره، حتى كُنتي أشبهه»⁽²⁾ فقلت:
 «حصلت ذلك بسعادتك» وكنت له بعد نصر في من المجلس لما طلب من ذلك
 وأوغت العرض فيه في مختصر وخير يكون قدر ثنتي عشرة من الكرايس المنصه
 المقطع

ثم اسار إلى خدمه بخصار طعام من يته يسمونه «الشته»⁽³⁾، ويحكمونه
 على أبلغ ما يمكن، وحصرات لأواني منه وأشار بعرضها عليّ فمئب قائماً
 وبولها وشربت واستطبت، ووقع ذلك منه أحسن موقع ثم جلست وسكتنا
 وقد علسي لوحنا وقع من نكة قاصي القصاه الشفاعة صدر أسير المساوي
 أسره التبعون لعسكر مصر شعث وريزوم، فحس غدهم في طلب القدية منه،
 فأصابت من ديت وحل، فوَرَبُ في نفسي كلاماً أخطبه به وأتطعه سعطيه أحواله
 ومُلكه⁽⁴⁾

(1) «سحر الشامي» هابعي بحر لا بصر لموسط وكان يعرف أيضاً أيضاً ببحر الروم
 (2) لا شات لعدة كتاب جمع بالاسحابة العامة محبة لعمد المعرد أيضاً
 (3) أرتشته طعام يصنع بخدس وخم وشرايط من المعجين ذكره المؤرخ الدمشقي يوسف ابن
 عبد الهادي في رسالته «الطباخة» بالاسم والوصف بأنه «ولا رالك البرشبه» في اليوم
 دمشق يخلق على أكلة بها شرائط عجيب، ومن مشغاتها أكتشاف شعبيات ستي بقي
 وحراق صعه

(4) «بمع من حدودها أيضاً طويلاً» تقول الجعير بطهون انباري تمور لثك وتبهم
 بعرواته وأعماله، ويحتتم بقوله «فكان في نفسي من ذلك كله ترفق».

فوقع في عسي لأجل الوَحْل الذي كَسَتْ فيه أن أفلاضه في شيء من ذلك
 ستريح إليه ويأسر به مسي ، فمحتته وقلتُ - أَيْدِكَ الله ! لي ليوم ثلاثون أو
 أربعون سنة أُنسى لقاءك - فقال لي انترجماء عبد الحَرِّ وما سببُ ذلك ؟
 فقلتُ : أُمِرُّ - لأولئك سُلطان العام ومَنك الدَّيْبُ ، وما أعتد أنه طهر في
 حليلة من آدم لهذا العهد ملك مثلك ، ولست تُمن يقول في الأمور بالحرف ،
 فإني من أهل لعلم ، وأبين ذلك وفوق :

إن الملك إنما يكون بالعصية ، وعسى كثرتها يكون قدر الملك ، واتفق أهل
 لعلم من قبل ومن بعد أن أكثرُ مع أشرف فرقات العرب والنُّزَّاء وأنتم تعلمون
 تلك العرب كيف كان لها اجتماع في ديارهم على بيتهم ، وأما الترك فهي
 مُراحمهم لمولد الفرس ، واستراع مُنك أفرسيب خراسان من أيديهم شاهد
 بحصايهم من الملك ولا يسويهم في عصيتهم أحد من ملوك لارض من كسرى
 وقيصر أو الإسكندر أو يُحتَصَّر ، أما كسرى فكبير الفرس ومليكهم ، وأين
 لفرس من الترك ؟ وأما قيصر والإسكندر فملوك الروم ، وأين الروم من الترك ؟
 وهذا برهان ظاهر على ما ادعيتُه في ~~هذا الملك~~

وأما الأمر الثاني مما يحملني على تمحي بقية ، فهو ما كنت أسمع من أهل
 الحُدود ما عبرت والأولياء - وكرت ما قصصته من ذلك قل " ، فقال لي -
 وُزَّك تذكرت يُحتَصَّر مع كسرى وقيصر والإسكندر ، ولم يكن في عيادهم ،
 لأنهم ملوك أكبر ، ويُحتَصَّر قائد من قواد الفرس كما ما ساء من جواب
 صاحب السحب ، وهو هذا ، وأسار إلى الصفَّ نقامين وراءه ، وكبر واقفاً
 معهم ، وهو ربيُّه الذي تقدَّم لما أنه تروَّح أمه بعد ساطلمش⁽²⁾ ، فلم يَلَمَّه هناك ،
 وذكر له القائمون في ذلك الصفَّ أنه خرج عنهم .

(1) في نسخة لطيفة أعلاه مبي كرايا بحدفا ، حول أول المنجيين
 (2) في مطبع الفصل السابق سطر السطاب إلى الشدم ذكر اس حلدود لمح مصادة عن تاريخ
 هانس الحنفي وقدم دولتهم ومنكمهم ساطلمش المذكور ، وأنه مات عن ابن وحيد اسمه
 محمود ، فكملة تيمور كبير أمراء الحنفاي وتروَّح أمه وقدم بأمر الملكة

فرجع إليّ وقال : ومن أيّ أطراف هو يُختَصَر ؟ فقلتُ : بين السبب فيه خلاف ، فبيل من السطّ أبقه مذكور ببل ، وقيل من السبب الأولى ، فقال عبي من و - موشهر قلب نعم ، هكذا كروا فقال : موشهره علسا ؛ لاء من قبل الأتّهت - ثم قصت مع شرحمار في عظيم هذا القول منه ، وقلتُ ه وهذا كما يحملني على ثني لقائه

فقال الملك : وأي قولين أرحح عدّه فيه ؟ فقلتُ : إنه من بقية مذكور بس - فذهب هو إلى ترحيح مذكور الآخر - فقلتُ : يعكّر علسا رأي الطّري . فيه مؤرخ الأتّه ومحدثهم ولا يرححه غيره - فقل وما علب من الطّري ؟ تُحصر كتب التاريخ معرب والعجم ، وتطرا - فقلتُ وأنا أئصب أطر على رأي الطّري

ونتهى قول فكك - وحده - فخرج أسدة ، وحروح الفصاء وفاء - رعمو من بضاعه التي يملك بهم فيها لأمر ، فرفع عن بين أيدي ، لما في رُكته من الداء ، وحمل عبي فربه فقبض شكائه وسوى في مركه ، وصُرت لألات جديده حتى ربح لها أخوة - وسار نحو دمشق ، ونزل في تربة مُحت " عذبات لحية - فجلس هناك ودخل الكفة القصّة و عيار لدر ، ودخلت في حملتهم فاشرب بهم بلا تصرف ولى شاه ملك باثه أن يحلج عليهم في وطئهم وشار إلي بالحوس ، فجلست بين يديه

ثم استدعى أمراء دولته القائمين على أمر البناء ، فأحضرُوا عُرْفه النيان المهندسين ، وماظرو في دهب الماء - فاشرب بحفير القبة لعنهم يعثرون بالصناعة على معده ، فتطاولوا في مجلسه طويلاً ، ثم انصرفوا .

1- تعبر النبط بالمصصح العربي لتقديم بقصد به كافة الشعوب السامية الشرقية الكلدانية التي تحدثت وتكتب بهجات كندان (ثم نصح سرفي) كالاشوريين والبابليين ولا اميين
2- نائب لسام مبحث الموسمي (ولها 759 هـ ثم 13 - 15 هـ) دفن عام 1116 هـ بالقاهرة .
مكن المقصود به حملاً ربة انه فرج قبي مدرسة أفريلول المعجمي بالسويقة ، وكانت به دار فحمة (التحوم الزاهرة ، 13 - 19) . ولدرية مبحث تربة بالحرمانية في الميدان

وانصرفت إلى بيتي داخل المدينة بعد أن استأذنته في ذلك فأذن فيه ، وأقامت في كسر البيت ، واشتعلت بما طلب مني في وصف بلاد العرب ، فكسته في أيام قلعة ، وفعنه إليه فأحده من بدي ، وأمر موقعه بترجمته إلى اللسان المغلي ثم اشتد في حصار القلعة⁽¹⁾ ، ونصب عنها الآلات من الحجاق والنقوطة والعربات والنقب ، فصور لآيات قبيدة سير مجيقاً إلى ما يشاكلها من الآلات الأخرى وصاق الحصار بأهل لقلعة ، وتهدم بأؤها من كل جهة ، فطلبوا لأمان وكان بها جماعة من خدام السطوط ومحلفه ، فأمنهم السطوط تمر وحضروا عنده ، وحرقت القلعة وطمس معبها⁽²⁾

وصادر أهل لبلد على قنطرة من الأموال استولى عليها ، بعد أن أحد جميع ما حلفه صاحب مصر هالك من الأموال والطهر والخيام ، ثم أطلق أيدي نهاية على بيوت أهل المدينة ، واستوعوا أناسيها وأمتعتها ، وأصرموا نار فيما بقي من سقط لأقمشة وخرثي ، وبصلت أسرى بحيطان الدور المدعمة بالخشب ، فلم نرا تتوقد إلى أن اتصلت بأخامع الأعظم وارتفعت إلى سقعه فسال رصاصه وبهتت سقعه وحوانطه⁽³⁾ ، وكان تمر بلع مدبحة في الشاعه والقبح ، وتصريف لأمر به ، أنه يعمل في حلقه ما يريد⁽⁴⁾ - فيحكم في ملكه ما يشاء⁽⁵⁾

(1) لما دالم يعلق ابن حدود بكنمه و حدة على تقصر تيمورلك لعهوده بالأمان للمدينة ؟ هل اكفى ببحاته شخصياً ، ونذهب لمدينة عن حوت ؟ وددا لوأيه حاول ولو بكلمة واحده أن عمل شيئاً ، فأين منه همة ذلك البطل لكبير صارم لتدين أريك

(2) لذلك يلاحظ انني انبوم أن قلعه دمشق ، التي كان بها ملك المماليك أبو بكر محمد بن ابوب آخو السلطان ناصر صلاح الدين) خلال 5 عاماً 614-619 هـ ، لم يسو من سانه الأصلي لمديم إلا انو جهة الشرقه لوقعه في قلب لمديه قرب باب القرح ، وبها 5-6 بات ونبوش ثوبيه حميلة حدت أن و جهتها لغربيه والشماليه فلم يبق من يانهما لأبوي القديم شيء بعد أن هدمها بطاغية تيمورلك

(3) انظر ما سيني في نص الأمير نعري بردي الانابكي حول فطائح المماليك بدمشق
(4) هذا كل ما كلف الرجل خاطره بذكر فاحعه دمشق⁽¹⁾ ثم بعد ذلك يذكر قدوم رجل من أعقاب بني المماليك إلى تيمورلك ، مطالباً بدعمه للوصول إلى منصب الخلافة ، وبعد مفاوضات مع المماليك ولقضاء طهر بطلان دعوه فردّه

الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر

كتب لما لفته ونديت إليه من السور كما مرّ أشار عليّ بعض أصحاب
عن يحرر أحولهم قد تقدّم له من المعرفة بهم ، فأشار بأن أطره بعض هدية ،
وكانت برّة فهي عندهم متأكّده في لقاء موكلهم ، فأنفقت من سوق الكتب
مصحفاً ، أعاد حسناً في جزء محدود ، وسجادة أبيه ، ونسجته من قصيدة الشجرة
مشهوره للأوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأربع علب من حلوة
مصر الفاخرة

وحسب ذلك قد حلت عليه ، وهو بالقصر الأبيض جالس في إيوانه ، ففت
رأي مقيلاً مثل قائماً وأشار إليّ عن يمينه فجلست وأكاد من الحفظة حذبه ،
وحسب فسلماً ، ثم استدرت بين يديه وأشارت إلى الهدية التي ذكرتها وهي بيد
حذمي فوضعتها واستقبلني ، فمحب المصحف ففت رآه وعرفه فام سادراً
لوضعه على رأسه ، ثم بولته الشّدة فسألني عهد وعن ناطمها ، فأحمرته
ففت عليه من أمرها ، ثم بادرت له لسجادة فتناولها وقبعتها ، ثم وضعت علب
خلوى بين يديه ، ونادوت منها حرفاً على العادة في التأييس بذلك ، ثم قسمه هو
ما فيها من الخلوى بين الحصريين في محبسة ، وتقبل ذلك كنه ، وأشعر الرضى
به .

ثم حوّمت على الكلام كما عدي في شأن نفسي²¹ ، وشأن أصحاب لي
حسب ، فقلت أنت يا الله لي كلام ذكره بين يديك ، فقال قل فقلت
يا غريب تهذه البلاد غريبين ، واحدة من العرب الذي هو وطبي ومشبي ،
وأخرى من مصر وأهل حيلبي بها ، وقد حصلت في ظلك وأنا أرحو رأيك لي فيما
يؤسسي في غربي ، فقال : قل الذي تريد ففعله لك

(١) بلقي الحسوي ، وكان في هذه مقال دة من يدان ، كان فعل ما فعل بالمدن والشعوب
لأمة ؟

(٢) شأن نفسي^{١١} هذا هو أهم لوار الرجل حكيم ولو كلمه واحدة في رثاء أبيه وأهله
للتأعين لترك للعارى مجالاً يعثره لكه كشف عن نفس دينه جنانة

فقلتُ . حان لعُربة تُنسي ما أريد ، وعساك - أيُّدك الله - أن تعرف بي ما أريد . فقد نقل من المدسة إلى الأردو⁽¹⁾ عهدي ، وأنا إن شاء الله أوفي كُنه قصدك . فقلتُ . يأمر بي بذلك ، شك شاه ملك ، فأشار إليه بمضاء ذلك

فشكرتُ ودعوتُ وقتُ . وبقتُ بي حُرًى . فقال : وما هي ؟ فقلتُ هؤلاء المُحلَّمون عن سلطان مصر من لُقراء والموقَّعين والدواوين والعمَّال ، صاروا إلى إيائتك ، والمَلِك لا يُعفل مثل هؤلاء ، فسُلطانكم كبير وعَمَالاتكم مُتسعة وحاجه مُككم إلى مُتصرفين في صوف اخدم أشد من حاجة غيركم . فقال : وما تريد بهم ؟ قلت : مكتوب أمان يستقيمون إليه ويعوِّدون في أحوالهم عليه . فقال لكسه . كتب لهم بذلك . فشكرتُ ودعوتُ ، وحرحتُ مع الكاتب حتى كتب لي مكتوب الأمان ، وحتمه شاه ملك بخاتم السُلطان ، وانصرفتُ إلى منزلي .



ولما قرُب سفره وعُترم عني الرِّحيل عن الشام . دخلتُ عليه ذاب يود ، فدما قضيب المعتاد ، لثفتُ إليّ وقاب . عندك بغة هـ ؟ قلت : نعم . قال : خسة ؟ قلت : نعم . قال . وتبيها ؟ فأنا اشتريها منك . فقلتُ . أيُّدك الله ! مشي لا يبيع من مثلك ، إني أنا أخدمك بها وبأمثالها لو كنت لي . فقال : إني أردتُ أن كافئك عنها بالإحسان . فقلتُ . وهل بقي إحسان وراء ما أحسستُ به ؟ اصصعتني بأحلتني من محضتك محل خواصتك ، وقببشتني من الكرامة واخبرني رجوا الله أن يقابلك بثله . وسكتُ وسكتُ ، وحملتُ لثغه - وأنا معه في المجلس إليه ، ولم أرها بعد

ثم دخلتُ عليه يوماً آخر فقال بي : أتسافر إلى مصر ؟ فقلتُ : أيُّدك الله . رغبتني إنما هي أنت وأنت فد اويث وكففتُ ، فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعم ولا دلائية لي فيه . فقال : لا بل تسافر إلى عيالك وأهلك

(1) الكلمة تركية : ordu ، وتعني خيش أو المعسكر .

فتنصرت بي إليه ، وكان مسافراً لي شقحب لمربع دونه ، واشتعل نوحه
 ففعل بي فعله عند خنار بي كان يرحم بيها إن السلطان يوصي به لك ،
 فدعوت له ثم ريت أن أسهر مع ابه غير مستبين موجهه ، ولستقر إلى صعد
 قرب نسو حل ما أمكنت لأمره ففعلت له ركب ، فأحب إليه ووصى بي
 فاصداً كان عنده من صاحب صقداين الذؤيداري⁽²⁾ ، فوادعته وانصرفت .

واختلفت لطريق مع ذلك المقاصد ، فذهب عني ودعيت عنه ، وسافرت
 في جمع من صحابي ، فاعترضت جماعة من العشير ففعلوا عيب الطريق وبهوا
 ما فعلوا ، وكنوا أي قرية هـ ت عرب ، ونصب عدد ومير أو ثلاث بالسيه
 فحلفت بعض بنو من ، وأحزنا إلى صعد فأقمنا بها أياماً ، ثم مرتب مركب من
 مركب من تحت سلطان بلاد الروم ، ووصل فيه رسول كان سهر ليه عن سلطان
 مصر ورجع بخود رماله ، فركب معهم البحر ، عرة ، وبرت بها وسافرت
 منها إلى مصر ، فوصلتها في شعبان من هذه السنة وهي سنة ثلاث وثمانيه

د

11 ذكر من قصي شهته في تاريخه (حـ رث سـ 803 هـ) وحده خبر الرواية فعلاً عن شاهد
 عن «وفى مسئول شنب» ووصل إلى القاهرة ولي الدين ابن خلدون المالكي ، والقصي
 صدر ليدرس في معجمي كتاب «تاريخ مصر» سعد الدين ابن القاضي شرف الدين
 بصاً وكان من جملة المقصود به ، وكان له صبي ابن خلدون ، فدحرج مع
 قصده من دمشق إلى بلد ، ولم يعرف عظمه كثيراً ، وسماه بـ بكت به من عرب
 وبنو بها ، وسماء قاتل العرب بها غلباً فوثب عليه بالأعجمي أعجته وقال ،
 صلب حبه معرب فقط ، فقال لا ، أحب سرق والعرب واسماء للوث ، وقد
 نسب ترجمته في بلد ، فما كان منها صحيح بركه ، وما كان غير صحيح
 صلبه في بلد ، فمر مسنه ، فقال من ابن عرفة ؟ فقال : سألت عنه التجار
 ثم قرأت أحواله وأحواله وأبداً أمره ومسام (sic) رآه والده فأعجبه
 بك كثيراً فقال : هيا حتى نذهب معي إلى بلاد في مصر من يحسي
 وأخيه ولابد من بصر مصر في هذه أسرة وفي غيرها ، وأسا ذهب وأهلي أمره
 أذهب في خدمته فاذن له في الذهاب إلى مصر وأن يصبح معه من ساء هكذا
 حكى لي القاضي شهاب الدين بن العز ، وأنه كان حاضراً لبعض ذلك»

(1) في عهد المنصور لاس عريشه (ص 3) ، وكان في صعد باخر من هل البلاد أحد
 الرؤساء والنجار ، يدعى علاه الدين ونسب إلى دواذر ، كانت تقدمت له خدمة على
 السلطان ، فولاه حجابة ذلك المكان

وكان لسلطان صاحب مصر قد بعث من دونه سفيراً إلى الأمير تميم إجابة
 إبي بصلح الذي طلب منه ، فأعفى إليه فلما قصي رساله رجع ، وكان
 وصوله بعد وصولي فعث إبي مع بعض أصحابه يقول لي : إن الأمير تميم قد
 بعث معي إليك ثمن البعلة التي بتاعها منك ، وهي هذه فخذها ، فإنه عزم عينا
 من خلاص دمه من مالك هذا فقلت : لا أقبله إلا بعد إدار من السلطان الذي
 بعث به وأمر روث ذلك فلا ومصيت إلى صاحب الدوة وأخبرته الخبر .
 فقد وما عيث ؟ فقلت : إني لا أجعل بي أرفعه دور إطلاعكم عليه
 فأعفى عن ذلك ، وبعثوا إبي بذلك مبلغ بعد مدته ، وعتبر الخامل عن نفسه
 بأنه أعطيه كذلك وحمدت الله على الخلاص

وكتبت حينئذ كتاباً إلى صاحب المغرب ، عرفته بك دار بني وبعير سلطان
 بطر تميم وكيف كنت واقعته مع باشم ، وصممت ذلك في فصل من
 الكتاب بعه

وبن تفصليتم بالسرايا عن حال الملوث كهي بحير والحمد لله ، وكتبت في
 العام ، ودرط توحبت ضحبه الركات السلطاني إلى الشام عديم رحف الضطر إليه
 من بلاد الروم وبعراق مع ملكهم تميم واستثنى على حلب وحماة وحمص
 وبعسك وحربها جميعاً وعاثت عساكره فيها بما لم يسمع أشنع منه ، وبهض
 لسلطان في عساكره لاسقاده ، وسق إلى مشق وأقام في مقابله حوأم
 شهر ، ثم قفل راجعاً إلى مصر

وتحلف كثير من أمرائه وقضاة ، وكتبت في المحققين ، وسمعت من
 سلطانهم تميم سأل عني ، فلم يسمع إلا بقدره فخرجت إليه من دمشق
 وحصرت محسبه وقبلي بحير ، واقتصيت منه لأمان لأهل دمشق^(١) ، وأفمت
 عده حمساً وثلاثين يوماً ، فأكره وأروحه .

(١) بصر المصنف على إبدال حرف التاء في الاسم لأعجمه إبي طه ، لا يدري له . لا
 بها القعدة لديهم إلى اليوم ، فيقولون : فوطوعراف ، طكسي
 (٢) أي بطن والله فإن هو أمه موعوم هذا ؟ لقد سني حتى ذكر ما حدث لمدينة بعد

ثم صرّعي وودعي على أحسن حال ، ورجعت إلى مصر ، وكان طلب
 مني بعت كتب زكها فأعطيت يها ، وسألني لبيع فأقعت منه ما ذكر يُعامل به
 من الحميل فبعد بصرا في إلى مصر عث بي شمهها مع رسول كان من جهة
 سلطان هناك وحمدت الله تعالى على خلاص من ورطات الدب

وهؤلاء الططّر هم الذين حرقوا من المماره وراء النهر ، بسه وبي نصين ،
 أعوام عشرين وسنة مع ملكهم اشهر جنكر خان ، ومثلت بشرق كله من
 أيدي استخوفه ومو لهم إلى عراق نعرب ومنهم المثلث بين ثلاثة من نيه ،
 وهم : جقطاي ، وطوئي⁽¹⁾ ، ودوشي خان

فحفظي كبيرهم ، وك ، في قسمته تركستان وكشغر واصصاعو ، والشاس
 وفرغانه ، وسائر ما وراء النهر من بلاد وطوئي كان في قسمته عمال خراسان
 وعراق العجم والري إلى عراق العرب ، وبلاد فارس وسجستان ، والسند ، وك
 أبنؤه ، قلاي وهو لاكو ودوشي خان كان في قسمته بلاد قشغر ، ومنه
 صري وبلاد الرأ إلى خوارزم

وك ، بهم أخ رابع يُسمى أركدي⁽²⁾ كبيرهم ، ويسمونه خان ، ومعاه
 صاحب النحت ، وهو مثانه الخيقه في مُدك الإسلام وانصرص عقبه ، وانتقلت
 الحبة إلى قلاي ثم إلى دوشي خان أصحب صري

الحميل في مو حبالعظم بين حدود أنه لاسي ذكر حديث لعله ويعمل بالكتابة ركر
 مصة هل الشام الذين ررحو تحت اصططه دتمو لك وتنكده بكر عبة لأمر مدسه
 أنه محمد به عبي خلاصه هو من ورطات الدب ! فب شأنه بالدين ماتوا والدين
 عذبوا والدين لاقوا ويلات الطعية ، الذي يُشيد بعُسن استقنه له ؟

(2) لا يسعربس القارئ شكلها الكلمة بلام مصمومة تنبها ألف مقصورة ، فهي فرع لبعات
 الألفائه (وكتب تُكتب بالحرف العربي بقلأ عن الإبراهيم) تُرسم حروف لعله الاخيره
 كلها بألف مقصورة ونطق الاسم مذكور طوئي Töu ، ومعاه لندر

(3) في التركية - Kapçak

(4) في التركية - Oktay

واستمر ملك الططر في هذه الدّول الثلاث ، وملك هو لاكو بغداد وعراق
اعرب إلى ديار بكر وبهر القرات ، ثم رحف إلى الشام وملكها ، ورجع عنها^(١) .
وزحف إليها بنوه مراراً ، ومثّلوا مصر من التّرك يدافعونهم عنها ، إلى أن انقرض
ملك بني هو لاكو أعوام أربعين وسبعمائه . وملك بعدهم الشيخ حسن التّوئس
وبنوه ، وانترق ملكهم في طوائف من أهل دولتهم ، وارتفعت بقيتهم عن ملكوت
الشّام ومصر .

ثم في أعوام السبعين أو الثمانين وسبعمائه ، صهر في بني جفطاي وراء نهر
مير اسمه تيمور ، وشهرته محمد بن تيمور ، وهو كاهن نصي متّصل لنسب معه
لبن جفطاي في أبناء كنهم ملك . وهذا تيمور بن طرغاي هو ابن عمهم ، كفل
صاحب النّحب منهم اسمه محمود ، وتزوج أمه صرغتمش ، ومدياه إلى ممالك
تتّركها ، واستولى عليها إلى ديار بكر . ثم حل في بلاد لروم وانهل ، وعائت
عساكره في نوحيا ، وحرب حصونها ومدنها ، في أحدر يطول شرحها

ثم رحف بعد ذلك إلى شام ، ففعل به كما فعل والله غالب على أمره
ثم رجع أخيراً إلى بلاده ، والأخبار تتّصل بأنه قصد سمرقند ، وهي كرسيه

* * *

والقوم في عدد لا يسعه الإحصاء ، إن قدرت ألف ألف^(٢) فعير كثير ، ولا
يقول نقص ، وإن خيموا في الأرض ملأوا السّاح ، وإن سارت كتائبهم في
الأرض العريضة صدق بهم الفضاء . وهم في العارة والنّهب ولقت بأهل العمران
وبتلائهم بأنواع العذاب ، على ما يحصلونه من فئاتهم ، آية عجّبة ، وعلى
عادة بوادي الأعراب

(١) حول ذلك راجع ما تقدم أعلاه من نصّ المصنوع الأشرقي الصادرم أربك في مطلع الكتاب ،
وفيها روايات ومفاسد شفه جديدة تُسرّ للمرة الأولى

(٢) في عهد عصرنا مليون جندي ، عدد كبير للعامة لا قبل به لأية مديّة أبداً . لكن المؤسف
أن جيش الممانك الذي كان أبداً أفضل جيش في العالم من حيث تدريبه وتعبته لغتائه
هرم جيش تيمورسك على أبواب دمشق ثم قور لناصر خرج سحبه إلى مصر

وهذا لم يك تفر من رُعاء الملو ، وفراعتهم و ساس يسووه إلى معلم ،
 وأحرون إلى اعتقد د قصص ل يرويه من قصيله لأهل است ، وأحرون إلى
 انحر السحر وليس من ديك كله في شيء ، إك هو شديد القطنة والدك ،
 كثير السحت والتحاج ي بعنه وي لا بعنه عمره بن لسين وسعين ور كسه
 النسي عاطلة من ستهم صه في بعنه بام صاه ، عسى م أحربي ، فيحرف في
 فريب مشي وشاوه رجان على الأسي عند طول اسافه وهو مصوع به
 والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده

(التعرف بالن حلدو ، ورحتة ، 34 35)





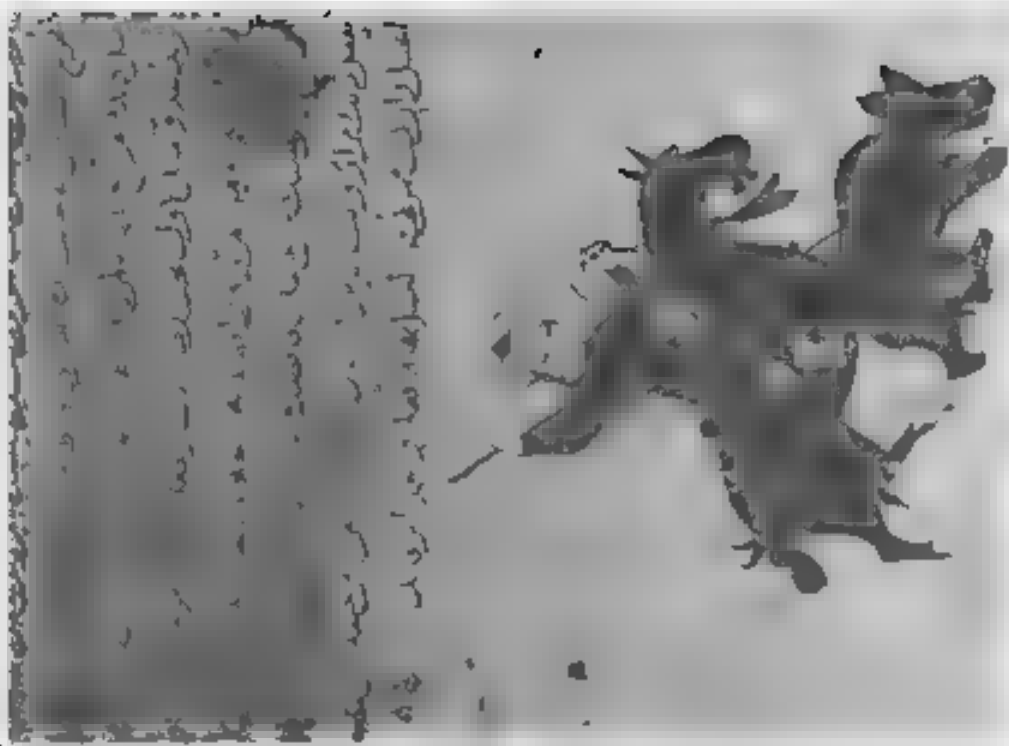
رسم قديم يمثل حصن عساكر الممولى
من مخطوط «جمع التواريخ» لرشيد الدين الهمداني ، عام 1306 م



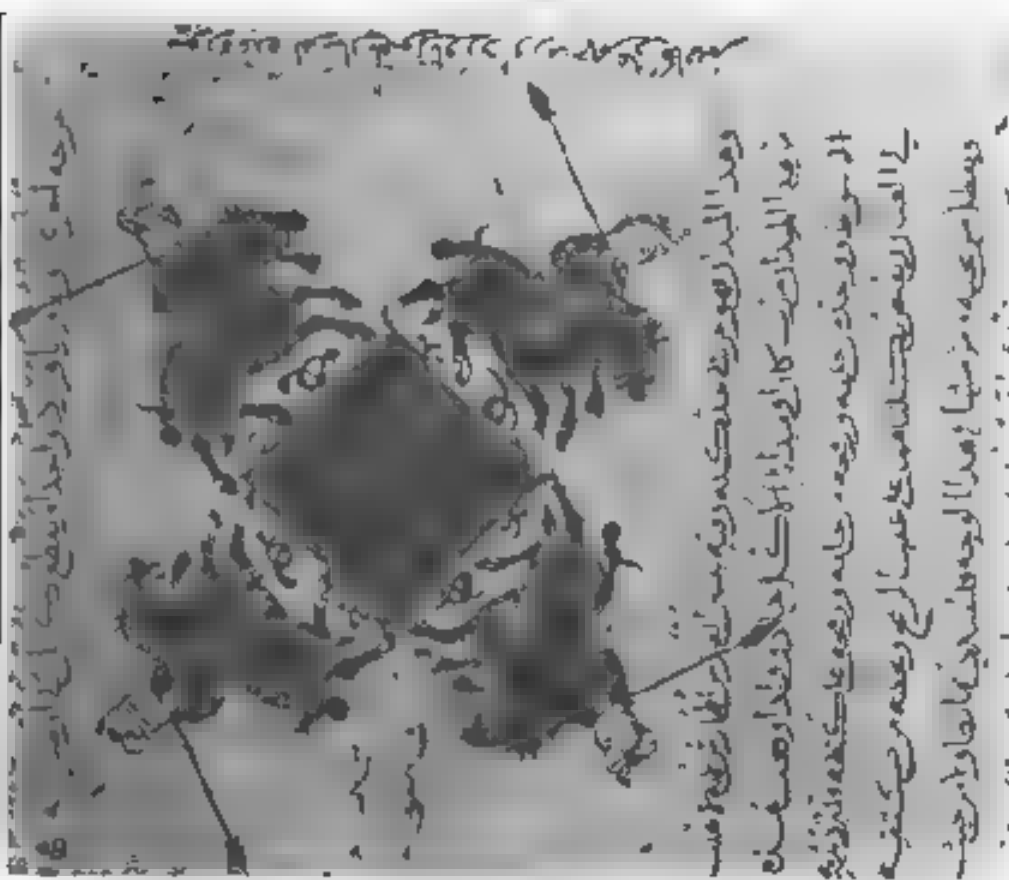
خيال مخلوكي بتدريب على الخط



درس من المماليك يحدو بهرسه



خيال مملوكي، يطلعن برمحہ و بآ



رسم بمثل 4 خيالة عماليك يتلوتون



الأمير تغري بردي الأتابك

(نوف 915 هـ / 142 م)

حلته وتجرده ته الحربية إلى دمشق عام 803 هـ

الأمير تغري بردي من نسل طاهري ، ولد دمشق في أيام سلطان
ناصر قرّح 3 مرّات ، وولد المؤرخ الشهير أبي محمد يوسف ابن تغري بردي
صاحب المؤامات الشهيرة وأخصّها «التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»
ومعنى اسمه بالتركية Tanrı Verd «نلاري قزيري» : الله أعطى . لم يكن الرجل
بحال باطع إلى حملته الحربية والاستصلا عليه إلى دمشق قبل أسابيع من اجتياح
المعول لمدسة أهمة بالعة خاصة به كان شاهد عيان وقد شارك في الأحداث
بمنه كنائب للمدينة إبان سقوطها ونكصها على مقاتليها في حارب بدمشق

كان تغري بردي مملوك رومي الحسن على ما ذكره المؤرخ ، اشتراه المندك
المصاهر برقوق (أول سلاطين المماليك الرّحمة الجراكسة) وعتقه وفرّقه لذكائه
وتزوّج أخته وفصلت عنه (خوئد شيرين) فأنجبت له ابنه الأكبر قرّح بردي
صار سلطاناً باسم الملك الناصر عمر 11 سنة (والأحداث الثالثة تجري بعصره)
ومعنى ذلك أن تغري بردي كان خال السلطان الفتي قرّح .

رتبه برقوق تدعى إلى أرقى المناصب ، فصار مقدّم سنة 794 هـ ثم وصى
ببنة حلب سنة 796 هـ ، فسار فيها سيرة حسنة وأشأ بها جامعاً وأوقف عليه قرية
من عمل سزمين ثم صُرف وطلب إلى مصر ، وعندما احتصر السطدر بطاهر
في شوال عام 801 هـ ، احتاراه مع من احتاروه صديقه لملكة بعده فاته

وفي أول عهد الملك الناصر فرح ذو ذنب سام تم الحسبي طاهري عام 802 هـ ، ، حلقه على الثورة حماسة من قادة جيش قدموا لسان ، منهم الأمير أيتيم الحسبي ومنهم تعري بردي نفسه ، نجا هم الناصر ومرفهم (كم طالب في حصن حدود أعلام) وهذه كانت من أهم حروب لشريعة الله طاهري برقوق في دفعه الأمير بموكر مطش ، كما سار نحو حبه من حجة خمود بمسوق عام 79 هـ ، ، حبه لطاهر برقوق نفسه به عام 791 هـ

أما تعري بردي فقد على به فهدس ، بعد أن لعب سبصر حبه (بوسعة حبه حو) سببر (الناصر) وغيره في 700 مع شير سنة 813 هـ ، ، بمسقة عوصه عن الأمير سوزور ، بعد أن حملته في ساد نقد ، بموريت وكن رحل في حاشه سبط بطرعههم بقا ، فمسل مصبه بوضع حصة حنة ، بلقوة على دمشق في وجه دعوى كرسو صر لأمره مع لاسف - أفضل مساعيه بسرهما ومع ذلك ، فإن توجه بحملته فوراً إلى المدينة قبل وصول سببصر به ، وفي عمليات محضرين وأكد أن دمشق كرسوسعه بضموا لولا اسحب ، صر الله حتى حرقاً على ملكه ، ولا سوء إرادة بموقف بعد ذلك على يد لقاضي ابن مفتح ، الذي لا يفر من أمور حرب والسببه شتاً ، فسلم دمشق للعزاة لعمه سائحة !

وفي أعقاب سقوط دمشق بيد تيمورلنك (في 24 جمادى الأولى 803 هـ) ، استعفى تعري بردي من سنده وحين نكته أقبع حماني فأعد ناصر في شعب بعينه سنة 804 هـ ثم وحرره من عام 804 هـ حال مرء مصر مكدة لإيفع به دمشق ، فمرى بردي من حب ووقع سهمه وبن مصريين وفعات ، انتهت في العام التالي برضا السلطان عليه وتعيينه قائداً للشيرة قبل حبه أي ناصر - لمدة شهرين في عام 808 هـ ثم أودع عرس ، وتزوج ابن ناصر به وعظمه ، وعاد فسد عه ورفعه أركا معسكر أمير سلاح) وهو أرفع من صب الجيش وفي أواخر عام 813 هـ ولاده منه دمشق بعة الثالثة فبقي فيها سنة وبيت حتى وفاته ، فبين وفاة لسلطان عام 815 هـ .

وفي المحرم من فاجحة سنة 815 هـ توفي الأتابك ، وولده يوسف حصل لم يبلغ
عظمه (وكان ولد بعد عام 815 هـ) ، فرباه روح أخت أخرى له هو قاضي
لمصاة ناصر الدين ابن ابيهم ، فلما توفي سنة 815 هـ ، تولى تربيته روحها لثاني
قاضي القضاة جلال الدين السبكي



من خلال لبص ابي مقدمه أدناه ، نشر رواية حبه لشاهد عيال ، كان
حاكماً بمدينة بستان الأحداث الدائمة التي عصمت بها ، لا بل شارك في الأحداث
بنفسه ، ثم نقل رويته انه المؤرخ يوسف ، وعهد من موذر الاتحاق . لكن ليس
معنى ذلك ان الابن استقى به حصل لرواه عن أبيه - الذي توفي وبه سم يحاور 3
سبب - بل كان سمع بها من أبيه ومن بعض عمليتي أبيه من جهة ، ثم نقل عالية
نصها عن سواه من مؤرخين ، من جهة أخرى ، وأحصى المؤلفات لتربية التي
نقل عنها كتب كتب مؤرخ مصر لكبير تقي الدين ، تقرير في (الموسم في 845 هـ)
« سئلوا معرفة دول الملوك »

لكن يوسف من خلال ما يروي الأتابك والد المؤلف ، أن دمشق كان يمكن
بكر تأكيد تدفع عنها نسب حصصها وكثرة مؤنها ، هذا لولا عقيل أرملة
أيتيمش وحشية السلطان المراهق على ملكه مصر من جهة ، وسداجة لقاضي ابن
مفتوح من جهة أخرى ، ويختص بالحنوب أسباب مأساة سقوط دمشق بأيدي
مغول في سنة رئيسية

- 1 اختلاف واتحاد ، وعدم التأهب لقتال تيمور
- 2 عدم الاستمارة من قوة سلطان بعد أحمد بن ويس ، وجيشه البالغ
سبعة آلاف جندي مدرّب
- 3 عدم الاتفاق مع السلطان العثماني بإبريد حاد في قتل تيمور ، فتم
أرسل يعرض التحالف في وجهه ، يخطر المعولي أجاب أمراء مصر «فليقاتل عن
بلادهم ونحن نقاتل عن بلادنا»

ذكر يوسف بن نعري بردي نقلاً عن صدور له من حال الحكومة . هو
سني مطاهري لردكش أنه وقع أسيراً بيد يَمُور قصرخ به اعلي الرقيب
به ثم يكن يحشي سوى حبسه فقط حشر بمالك وحيش لعثمانين بعلي
بن نعري بردي عسى هذا القول «فما أقول من خيشان ماء حيش يَمُور بك
(استطاعاً صده^١)



هو وقد تقدم في هذا الكتاب بشراً بنصوص لرحلات هامة جداً إلى
منشئ بكميل أحدهم الآخر انتهى نصه هو أولها رحمه ابن حجة حموي
وآخره منشئ في عام 710 هـ وثالثها رحمه أسطغان الطاهر برفوق لرحمة
أسطغان عبد الحميد بن مؤسس عام 714 هـ ورابعها رحمه ابن حليم في ركب
أسطغان بصر فرج له في توجّه إلى الشام لقبال تيمور باب عام 803 هـ وثم
رابعها فهو نصّه في تفاصيل أخباره مدخولة وهي واحدة من 7 كريد فم
بها إلى الشام حتى مقتله بدمشق عام 816 هـ وسنة 24 عاماً فقط

المصادر

- سجده بر هره لاس نعري بودی 12 ، 106 ، 3 ، 2 ، 6 ، 7 ، 246
 نسجود بر هره لاس نعري بُورُی (قرحه امه نعري بُوري ، 14 ، 115
 سهل لصافي لاس نعري بُوري بر حمة نعري بُوري من بشف اضاهوي .
 اسم عمر ، ابيه نصر لاس حجر ح 7 في جواب : له 803 هـ
 انصواء الاعم للسحايي ، 3 ، 29
 إعلام النوری لاس طولون الصالحی ، 34
 ولاد دمشق في عهد المماليك لمحمد أحمد دهمان ، 187
 مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عيان ، 114 .
 دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد أفرام البستاني ، 2 : 384

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

النجوم الزاهرة

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي الحسن يوسف بن يعقوب بن عبد الله الأتابكي

الجزء الثاني عشر

الطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٥٦ م - ١٣٧٥ هـ

كتاب «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي الأتابكي



رسم قديم تيمورليك

[اغزو المغول لدمشق بزيادة تيمورلنك]

وأما أهل دمشق ، فإنه لما قدم عليهم ، خسر بأحد حُلُب ، تُودي في الناس
بالرحيل من صاهره إلى داخل مدينته والاستعداد لقتال عدو المحدود ،
فأخذوا في ذلك فقدم عليهم المنهزمون من حماة فعمَّطهم خوف أهلهم وهَمُّوا
الخلاء فمُنعوا من ذلك ونُوي «مَنْ صاهرَهُمْ» ، فعاد إليهم من كرب حرج
منها ، وخصَّصت دمشق ، ونُصبت لمُحقيق على قلعة دمشق ، ونُصبت المكاوِل
على أسوار المدينة ، واستعدوا للقتال استعداداً جيداً إلى العية

ثم وصفت رُسُل تيمور إلى نائب العية دمشق⁽²⁾ ليتسلَّموا منه مشق ،
فهم نائب لعله بالفرار فردَّه بعدة ردَّاء فيجأ ، وصاح الناس وأجمعوا على
الرحيل عنها ، وسمعت النساء والصبيان ، وحرَّج النساء حاسرات لا يعرفن
بين يدهن ، حتى نادى نائب العية بالاستعداد .

وقدم الخبر في أثناء ذلك بحجة البسطار إلى السلاطنة ، فمترعهم
لناس عن الخروج من دمشق ما لم يحضر سبط

وأما أمراء الديار المصرية فإنه لما كان ثامن عشر شهر ربيع الأول ، وهو بعد
حد تيمور لمدينة حلب بسبعة أيام ، فرقت أحمد كي على المالِك استبطانية
سبب لستمر

ثم في عشرينه تودي على أجدد الحفنة بالهجرة ب يكووا في يوم الأربعاء
ثاني عشرينه في باب الأمير يشبث اشعساني النوازل للعرض عليه

* * *

(1) مكاوِل أسلحة ودهي المدافع النوسخة حشم بي يرمى عنها القنط ، وهي أنواع فمما ما
يرمي بهم كبيرة كد حرق الحجر ويصعب يرمى سلق من حديد به من عشرة
أرطال إلى ما يريد من مائة رطل

(2) يقول نائب العية لأن نائب دمشق سؤدود الذي وقع أسيراً في قتاله للمغول بحلب ، بعد أن
صدرت عنه وعن الأمير عز الدين أرديم شجاعة وبخوة هائلة

ثم في خامس عشره ورد عليهم الخبر بأخذ تمور مدينة حلب ، وأنه
بحاصر قلعتها ، فكتبوا ذلك ، وأُمسك البحر وحُسن حتى يُعقب بعد ذلك على
فتريته ، ووقع اشروع في لفته ، فأخذ كل مملوك ثلاثة آلاف وأربعمائة درهم
ثم خرج الأمير سُودُون من رادة ولأمر إيدال حطاب على المهجس في ليلة الأربعاء
تاسع عشره ، لكشف هذا الخبر

ثم كتب اشوح سراج الدين عمر النقي وقصة القصة والأمير أقبي حاجب
وُودي بين أيديهم «أخهار في سبيل الله تعالى لعدوكم الأكبر بيمورلك ، فإنه
أخذ بلاد ووصل إلى حلب ، وقتل الأبطال على صدور الأمهات وأحرب
سُور والخواصع والساحد وجعلها بسطلاب بدو ، وأنه فاصدكم بحرب
بلادكم ويقتل حاكمكم » وصطربت القاهرة لذلك وشتت حرج الناس وكثر
نكاذهم وصرحهم ونصفت الالة بوقيعه في غير الدوة

وسنهل شهر ربيع الآخر ، فلما كان ثلثه قدم الأمير أسعفا الحبيب وأحر
بأخذ تمور مدينة حلب ، فبعثها بأنفاق دمر دس ، وحكى ما نزل بأهل حلب من
اللاء ، وأنه قال لئب الغيبة بدمشق يحلّي بين الناس وبين الخروج من دمشق ،
فإن الأمر صعب ، [إن البائس لم يملك أحدًا من أسير²² فخرج السلطان
بمسك الناصر [فرح] من عومه من القاهرة ، وبرز بالريداية بأمرائه وعسكروه
والخليفة] ولقصة ، وتعرّ الأمرأ تمار ، أصري أمير مجلس لياة الغيبة بالندير
بصريه ، وأقام بمصر من الأمراء الأمير حكيم من من عوص في عده أحر ، وأقام
الأمير تمار يعرض أجناء الخفة ، وفي محصيل ألف فارس وألف حمل ، ورسب
ذلك مع من يقع عليه الاختيار من أجناء اخلفه للسفر .

() كان سقوط حلب في يوم السبت ، 1 ربيع لأول من السنة ، أي 803 هـ . انظر «لحوم
برهرة» ، 17 ، 222 . وأقام بيمورلك في حلب شهرًا واحدًا ، حارب في حاله قطائع
وهو ال علي أهل المدينة المنكوبة ، لا نقل أبدأ عما جرى بدمشق
، ربه من السوك للمقريري

ثم سمى استعمار الأمير أرستطي من جُح على رأس نوبة الثوب ، كان .
في بيانة الإسكندرية بعد موت نائبها فرح خلعي . وكان أرستطي مند فريج عسه
نظلاً بالإسكندرية . فوردت عليه الولاية وهو بها . وأخذ الأمير تمار في عرض
أحادي الخلفة ، وتحصيل خيول وأعمال وطب العربات من الوجهة القلبي
والبحري لقتال تيمور . كل ذلك والسلطان بالرياسة

ثم خرج الحديش في بكرة يوم جمعة من شهر ربيع الآخر ، وفيه من أناس
الأمراء مقدمي الألوف . اثنا عشر ألفاً . والأمير نور الحافضي رأس نوبة للأمراء
والأمير بكتيمر ، كسي أمير سلاح واقدي حاجب الحجاب وبنو الناصري وإيب
باي بن قحماس ، وعدة آخر من أمراء الطبليخانات والعشرات .

* * *

ثم حل بسطط بنية للأمراء والعساكر من الريانية يريد جهة الشام لقتال
تيمور بك ، وسار حتى برى بعرة في يوم عشرين من شهر ، واستدعى بأبوالد
واقف ، حملي لأطروش نائب حلب كان من القدس . وأخلع على أبوالد
بستقراره في سبه دمشق عوضاً عن سودون قريب الملك الظاهر برفوق⁽¹⁾ ، بحكم
أسره مع تيمور . وهذه ولاية نواند على دمشق الأولى

وجمع على الأمير اقعب ، حملي الأطروش بستقراره في نيابة طرابلس
عوضاً عن شبح الحمودي بحكم أسره مع تيمور أيضاً . وعلى الأمير تيمور
المحكى بستقراره في نيابة صفد عوضاً عن طشعا العثماني بحكم أسره . وعلى
طولو من علي شاه بستقراره في نيابة القدس . وبعث لجميع إلى ممالكهم .

وأما أبوالد فنه قال للسلطان والأمراء عديري قومه . فيه مصلحة
للمسلمين ولسلطان فقيل له وما هو ؟ فقال . الرأي أن السلطان لا يتحرره
هو وعساكره من مدينة عزة ، وأما أتوجه إلى دمشق وأحرص أهلها على القتال ،
وأحصيها ، وهي بلدة عظيمة لم تكن من قديم الزمان ، وبها ما يكفي أهلها من

(1) كانت جدة سودون لأمه أخت السلطان الظاهر برفوق . السجود براهرة . 13 20

أميرهم سبي ، وقد راح أهلها أنصاعاً من خوف ما لا مريد عليه ، فهم يقاتلون قتال
 الموت وتمو لا يقدر على أحدهم مني بسرعة وهو في عسكر كبير إلى العدة
 لا تصق أمكت بهم تمكك واحد مده طويلة ، فإما أنه مدع دمشق ويوحه نحو
 سبطار إلى عزة فسوعن في بلاد ونصير بين عسكرين - وأظه لا يفعل ذلك
 وإما أنه حور إلى جهة بلاده كاسهم من عدم معرفة عسكره بالبلاد الشاميه .
 وفنه م في طريقه من ميره خراب البلاد ، ويركب السلطان عساكره لمصريه
 وشاميه أقبية التمرية إلى العراب ، فيظهر منهم بأعرص وريادة

فستصوب ريك جميع الناس ، حتى تيمور عندما بلغه ذلك بعد أخذه
 دمشق ، وما بقي إلا أن يرسم بذلك ، تكلم بعض جهل الأمراء مع بعض في لسر
 من عنده كمي من الولد عن واقعة أتمش وتم . وقال يقتلوا رفقته وتسلموه
 لشام ١ . والله ما قصد إلا أن يوحه إلى دمشق . ويتفق مع تيمور ويعود بفاتك
 حتى يأخذ ما أثر رفقته ١ . وك . سورور الحافضي براءه الوالد ، فلما سمع ذلك
 استحيا أن يديه بلواند ، فأشار عليه بالسكيات والكف عن ذلك .

و بعض الخمس ، وحرارة الولد من أحدهم وأصبح شأنه ، وتوحه إلى
 دمشق فوجد الأمير مرداش نائب حلب من تيمور وقدم إلى دمشق ،
 وقد حفل أهل دمشق بأنسهم قرب تيمور إلى دمشق فأخذ الولد في اتصال
 أمر دمشق ، فوجد أنها في غاية الاستعداد . وعزمهم فقال تيمور إلى أن يقو
 حميف ٢ ، فتأسف عند ذلك على عدم قبول السلطان برأيه ، ولم يسعه إلا
 السكيات

* * *

ثم رحل ج . ش السلطان من عزة في رابع عشرين شهر ربيع الآخر . ثم
 رحل السلطان بيه عسكره من عزة في سادس عشرية ، وسار الجميع حتى واصلوا
 دمشق

(١) ليتهم كانوا فعلوا ذلك ، ولم يلقوا بالآ إلى ابن مصبح وجهالاته !

وكان رحول لسلطان دمشق في يوم الخميس سادس حُمدي الأولى ، وكان لدخوله يومٌ مهول من كثرة صُراح أساس وبكائهم ولا بهال إى الله بُصرته . وطلع السلطان إلى قلعه دمشق ، وأقام بها إى يوم السبت ثامنه . فنزل من قلعة دمشق وخرج بعساكره إلى مُحَيِّمه عدفة يَلُعا طاهر دمشق وبهياً للقاء تيمور هو بعساكره . وقد قصرت الممالك الطاهرية رماحهم حتى يتمكنوا من طعن التمرية أولاً بأول ، لاردرائهم عساكر تيمور⁽¹⁾

فلما كان وقت الظهر من ليوم المذكور ، وصل حاليش تيمور من جهة حل لثح⁽²⁾ في بحر الألف فارس ، فسار إليهم مائة فارس من عسكر السلطان وصدموهم صدمة واحدة ، يَدَدُو شملهم وكسروهم قبح كسرة ، وقتلوا منهم جماعة كبيرة وعادوا

ثم حصر إلى طاعة لسلطان جماعة من التمرية وأخروا بنزول تيمور على القلاع العربي ، «فلتكونوا على حذر ، فإن تيمور كثير الجبل والمكر» ، فاحترز القوم منه غاية لاحتراز .

ثم قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراء طربلس يكتب سُلَيمُ نائب العبة بظرابلس ، يتصمّر أن الامير أحمد بن رمضان أمير التركمان هو وبس صاحب لار وأولاد شهري اتفقوا وساروا إلى حلب وأخذوها من التمرية ، وقتلوا من أصحاب تيمور ريادة على ثلاثة آلاف فارس ، وأن تيمور بعث عسكراً إلى طراسر ، فثار بهم أهل القرى وقتلوه من آخرهم بالحجارة بدحو لهم بين حلب ، وأنه قد حصر من عسكر تيمور خمسة نفر وأخروا بأن يصف عسكر تيمور على بية المسير إلى طاعة السلطان .

(1) كان الجيش المملوكي في القرون الوسطى من أقوى جيوش العالم ، من حيث تدريبه وإتقان صباطه وعساكره لغون القتال والفروسية ، وبخاصة كائب الممالك لسلطانية «دين سحقوق بوس لتاسع في المصورة 648 هـ ، وكتبه بوس في عين جالوت 658 هـ وإليهم يعود الفصل في طرد التتار والصليبيين من الشام ومصر بهائياً

(2) حل لثح كما سُمِّه جغرافيو العصر هو المعروف في أيامنا بجبل الشيخ أو الحرمون

وكان ذلك من مكيد سمو ، ثم قال : وإن صاحب قُبرُص وصاحب
 الدغوصه ، وعبرهم وردت كُهم بِنظار لإربابهم في تجهيز اسرك في اسحر
 لقتال تمور معدوه للسلطان . فم يلمت أحد لهذا الكتب ، وداموا على ما هم
 فيه من اختلاف الكلمة .

ثم في يوم سب برن يمور بعسكره على قُط ، فملاّت عساكره لأرض
 كثرة ، وركب طائفة منهم كشف البحر ، فوجدوا السلطان ولأمراء قد تهاؤوا
 للبحر وصفت عساكر السلطنة فرر إبيهم التمرية وصدموهم صدمه هائلة ،
 وثبت كل من العسكرين ساعه ، فكد بيهم وقعة اكسر فيها مسيرة سلطان
 و بهرم العسكر العراوى وعبرهم إلى دحية خورن وخرج جماعه وحمل
 تمور بنفسه حملة شديدة بأحد فيها دمشق ، فدفعته ميمة السلطان بأس
 الرماح حتى أعدوه إلى موقعه .

ورب كل من عسكرين عسكره ، وبعث نيمو إلى السلطان في طلب
 الصبح ورسال طهش أحد أصحابه إليه وأنه هو أيضاً بعث من عنده من
 الأمراء المنصوص عليهم في وقعة خلابة فأشار الوالد ودمرداش وقُطلوبغ
 الكركي في هور الدغوص يعرفوا من اختلاف كلمتهم ، لا يصعب عسكرهم ، فلم
 يقتلوا وأول القتال

ثم أرسل نيمور رسولا آخر في طلب الصبح ، وكرز القول ثانياً ، وصهر
 للأمراء وجميع العساكر صدق مقاتته ، وأن ذلك على حقيقته ، فأبى للأمراء
 ذلك ، هذا القتال مستمر بين الفريقين في كل يوم .

فلما كان ثاني عشر جمادى [لأولى] ، احنفى من أمراء مصر والمماليك
 السلطنة جماعة ، منهم الأمير سودون الطن ، وقاسي باي اعلائي رأس بوية ،
 وحقق ، ومن الخاصكية يشيك العثماني وقُمش خافطي وبرُسبغ الدوادر

الدغوصه بقُبرُص هي حالب مدينة فاماغوسا Famagusta وباتركية Gazimagusa

وصرني في جماعة أخرى فوق اختلاف عدد ركب بين الأمراء وعادوا إلى ما كانوا عليه من الشاخر في الوصائف والإقطاعات ولتحكم في الدولة ، وتركوا أمر تيمور كأنه لم يكن وأحادوا في الكلام فيما بينهم سبب من احتفى من الأمراء وغيرهم

هذا وتيمور في عية لاجتهاد في أحد دمشق وفي عمل الخيلة في ذلك ثم علمت للأمراء فيه ، فقوى أمره واجتهاده ، بعد أن كان عزيم على الرحيل واستعد بذلك

ثم أشع بدمشق أن للأمراء الذين احتفوا نوحوا جميعاً يسلطوا الشيخ لاجين آخر كسي أحد الأحناد البرانية ، فعظم ذلك على سُتري لملكه لعدم رأيهم ، وكان ذلك عندهم أهم من أمر تيمور ، وانفقوا فيما بينهم على أحد السلطان لمثل الناصر خربة وعوده إلى الديار المصرية في الدس ، ولم تعلموا بذلك إلا جماعة بسيرة ولم يكن أمر لاجين يستحق ذلك ، بل كان قرار نائب العسة بمصر يكفي السلطان أمرهم ، ولكن اليقضي أنه أمراً كان مفعولاً

فما كان حريلة الجمعة خيادي عشية في جمادى الأولى ، ركب الأمراء وأخذوا السطار ملك بتاصر فرح على حين غفلة ، وساروا به من غير أن يعلم العسكر به من على عقبه دُمر يمدون به الديار المصرية ، وتركوا العساكر والرعية من المسلمين غنائماً بلا راع وحدثوا في سير ليلاً ونهاراً حتى وصلوا إلى مدينة صقند ، فاستدعوا نائبها الأمير ثمر بعا المنحكي وأخذوه معهم [إلى عزة] ، وبلاحق بهم كثير من أرباب الدولة وأمرئها ، وسار الجميع حتى أدركوا الأمراء الذين ساروا إلى مصر عندهم من به ما يستحقوه غدية عزة ، فكلّموهم فيما فعلوه ، فاعيدروا بقدر غير مقبول في التنب والآخره قدم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا يصح تدم ، وقد تركوا دمشق أكلة لتيمور ، وكانت يوم ذاك أحسن مدد الدنيا وأعمرها .

(1) زيادة من السلوك لمقريزي

وأما بقية أمراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم ما علموا بحروح السلطان
من دمشق خرجوا في الحال في ثره طوائف طوائف يريدون اللحاق بالسلطان ،
فأخذ عليهم العشير وسلوهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً

أحد ربي غير واحد من الممالك الطاهرية قدو . لما بلغنا حروح السلطان
ركب في الحرس ، غير أنه لم يُعفأ عن اللحق به إلا كثرة السلاح الملكي على
الأرض بالطريق ، تمارتها المماليك السلطانية ليحفظ ذلك عن حيولهم ، فمن
كان فرسه بهصاً حرج ، وإلا لحقه أصحاب تيمور وأسروه ، فمن أسروه قاصي
عصاه صدر الدين المذوي ، ومات في الأسر حسبما يأتي ذكره في الوقايات⁽¹⁾
وتابع دخول البغضيين من المماليك السلطانية وغيرهم إلى القاهرة في أسوأ حال
من المشي والحري والخنوع ، فرسم السلطان لكل من المماليك السلطانية المذكورين
بلف درهم وحامكة شهرياً

وأما الأمراء فبهم دخلوا إلى مصر وليس مع كل أمير سوى مملوك أو
مملوكين ، وقد تركوا أموالهم وحيولهم وأصلاهم وسائر ما معهم بدمشق
فانهم خرجوا من دمشق بعثة غير مؤعدة لما بهم توجه السلطان من دمشق ،
وأحد كل واحد ينحو بنفسه . وأما العساكر الذين خلفوا بدمشق من أهل دمشق
وعربها ، فله كان اجتمع بها حلائق كثيرة من الخليليين والحمويين والحمصيين
وأهل القرى ممن خرج حافلاً من تيمور

(1) انظر استحوذ الرأفة 13 25 وذكر انقريبي في «السؤلا» بعد هذه الجملة «وكان
قاصي القضاة وبي الدين بن محمد الرحمن بن حيدو ، المالكي بدخل مائة دمشق ، فلم يعلم
توجه السلطان بدلى من سور دمشق وسار إلى سمورس ، فأكرمه وأجته وأرله عنده
ثم أذن له في المسير إلى مصر ، فسار إليها» ، إلخ
قلت . راجع قصة ابن خلدون ولقائه بسمورس على أبواب دمشق يوم هدم أعلاه
(مصر رقم 58) كما يذكر المؤرخ الدمشقي ابن عرشاه في كتابه «عجائب المقدور في
نوابغ تيمور» رواية مهمة عن غنى ابن خلدون لعماري سمورس ومديحه النهر له فوق
كل وصف يحطه عصماء (دخ لها مجلسه !

ولما أصبحوا يوم الجمعة وقد فقسوا السلطان والأمرء والسائب غلقوا أبواب دمشق ، وركبوا أسوار البلد ، وبادوا بالجهاد . فتهاً أهل دمشق للقتل ، وزحف عليهم تيمور بعمساكره¹ ، فقاتله الدمشقيون من أعلى السور أشد قتال ، وردوهم عن السور وخذق ، وأسروا منهم جماعة ثم كن اقتحم باب دمشق ، وأحدوا من حيوتهم عدة كبيرة ، وقتلوا منهم نحو الألف ، وأدخلوا رؤسهم إلى المدسة⁽²⁾ وصا أمرهم في ردة ، وعاد تيمور أمرهم وعلم أن الأمر يطول عليه . فأحدي مُحاد عنهم ، وعمل الحيلة في أخذ دمشق منهم

* * *

وبسما أهل دمشق في أشد ما يكون من القتال والاحتداد في تحصين بلدتهم ، قدم عليهم حلال من أصحاب تيمور من تحت السور ، وصاحوا من بُعد : «الأمير يريد الصلح ، فابعدوا رجلاً عقلاً حتى يحدثه الأمير في ذلك»

قلتُ هذا الذي كان أشار إليه المؤلف عهد استقراره في بيابة دمشق وقوله بأن أهل دمشق عندهم قوة تدفع تيمور عن دمشق . وأن دمشق بلد كثيرة الميرة والبرق ، وهي في الغاية من التحصين . وأنه يوجه إليها ويقاوم بها تيمور ، فلم يسمع له حد في ذلك . فالحصري لو رأى من لا أعجبه كلام لو اسد قتال أهل دمشق الآن وشده بأسهم وهم بغير نائب ولا مُدبر لأمرهم ، فكيف ذاك لو كان عندهم متولّي أمرهم بمصالحه وأمرء دمشق وعساكره عن انصاف إليهم ؟ لكان يحقّ له ثبتم والاعتراف بالتقصير . انتهى

1) في الجزء الثالث من كتابي هذا سأشير من رحلة الحسدي ماثاري من المرتفعة اسمه يوهان شينبرغر Johann Schindberger حارب في صفوف جيش المغول على أبواب دمشق

2) كانت العادة بذلك انعصر عرص رؤوس القلى من الأعداء ، رجلاً لمحبوبات الحسد أم تيمور بك فكان يقيم بُراحاً من رؤوس القتلى ، يروي ابن نعري بردي في مجومه التراجم (225) عن حلب «وعمل تيمور من رؤوس المسلمين منائر عدة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع في دور عشرين درعاً حسب ما فيها من رؤوس بني آدم فكان ردة عسى عشرين ألف . أس ، ولما بُييت حُجبت الوجوه بارة بُراهم من عريها» قلت وفي دمشق إلى اليوم شمالي باب توما محجة تُعرف بـ «برج الرؤس»¹

ولما سمع أهل دمشق كلام أصحاب تيمور في الصلح ، وقع اختيارهم في إرسال قاضي القصة تقي الدين إبراهيم بن [محمد بن] مُصَحح خلسي ، فأرسل من سور دمشق إلى ص . ووجه إلى سمور ، واجتمع به وعاد إلى دمشق وقد حدثه تيمور بمسوق كلامه . وبلغت معه في القور وتفرق به في الكلام . وقر به «هذه بلدة الأتباء ، وصحابه . وقد عثفتها الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، صدقة علي وعمر أو لادي . ولولا حنفي من سؤدور ثبت دمشق عند هذه برسوي ما أسعد . وقد صار سؤدور المذكور في قصصي وفي أسري ، وقد كتب تعرض من معنني إلى هنا . وهم يبقون في الأعراس إلا العود . ولكن لا أند من أخذ عادتني من التقديم من الطُّقُرات» .

وكتب هذه عادته دا خد مدينة صلحاُ جرح بيه [أهلها]⁽²⁾ من كل نوع من أنواع المذكور ومشروب وأدوية الملابس ، التحف تسعة ، سمور ذلك صقرا ، ولطُفُر البعة لتركيبه تسعة⁽³⁾ ، وهذه عادة مولد السار إلى يومنا هذا .

فما صار بن مُصَحح بدمشق تسرع بحذل الناس عن القتال ويثني على تيمور وبنيه وحسن استقراءه ثناء عظيماً ، وكف أهل دمشق عن قتله . فمال معه صائمه من الناس ، وحاضته صدقة أخرى وأنوا لإفئته . ويأتوا بيلة السب على بيت . وأصبحوا بهار السب وقد عبد رأي ابن مُصَلح على من حاله . وعزم على إتمام الصلح ، وري في الناس به «من حالف ذلك قُبل وهُدر منه» فكف الناس عن القتال⁽⁴⁾

(1) ريادة من السلوك لمقريزي

(2) ريادة من السلوك لمقريزي

(3) في تركيه dokuz

(4) ياله من سارح عر مسحق لشعفه . وواهاً لدمشق المفعوعة الشيب بطلعه محرم (تيمور بك) وسنطار عمره 3 ، (فرح) ومسؤولي دولة حسين (أمراء مصر) وهو ص عمر (ابن مُصَلح) وموندني وجنان (ابن خلدون) وحدهم أبطال لجهد من حاربوا العراق بهم بقى المحرور شرف ، ولغيرهم الخزي والعار

وفي الحال قدم رسول تيمور بي مدينة دمشق في طلب الطُّفُرَات المذكورة ،
فصدر ابن مُفْصَح واستدعى من العصاة وبنفهاء والأعداء والتَّحَارِ حَمْلَ دَبْكٍ كُلِّ
حد بحسب حاجته ، فشرعوا في دَبْكٍ حتى كمل وساروا به إلى باب أنصُر
سُحْرَ جَوَاهِرَ إلى تيمور ، فسمعهم نائب قلعة دمشق من دَبْكٍ ، وهذَّدهم بحريق
لمدينة عليهم . فعمدوا ذلك ، فلم يلتفتوا لى قوله ، وقالوا له : «أنت تحكم على
قلعتك ، ونحن نحكم على بلدنا»⁽²⁾

وذكروا باب أنصُر ونوحهوا ، وأحرقوا الطُّفُرَات المذكورة من السُّور ،
وتدلى ابن مُفْصَح من لِسْتَرٍ يُصَا ، ومعه كثير من أعيان دمشق وغيرهم وساروا
لى محم تيمور ، وبتوا به ليد الأحد ، واعدوا بكرة الأحد . وقد استقر تيمور
بجماعة منهم في عدة وطائف . ما بين قصاة القصاة ، والبربر ، ومُسْتَخْرَج
لأموال . ونحو ذلك [و] معهم فرمان من تيمور بهم ، وهو ورقة فيها سعة
سطر بصم من أهل دمشق على أنفسهم وأهليهم خاصة

فهرئ الفرمان المذكور على سِرِّ جامع بي أمية بدمشق ، وفتح من أبواب
دمشق باب الصُّغُر فقط ، وقدم أمير من أمراء تيمور ، جلس فيه يحفظ البلد كما
يعبر إليها من عساكر تيمور . فمضى دَبْكٍ على الشَّامِيِّين وروحوا به ، وأكثر ابن
مُفْصَح ومن كان توحه معه من أعيان دمشق انشاء على تيمور وبيت محاسنه
وفصائله . ودعا العامة طاعته ومُؤَالَاتِهِ وَحَتَّهم بِسَرهم على جمع المال الذي
تفرَّ تيمور عليهم ، وهو ألف ألف دينار . وفرص ذلك على الناس كلهم ،
فقاموا به من غير مشقة لكثرة أموالهم .

... هذا والله من الرُّجُلَانِ المَعْدُودِينَ ، ونرى أدباء ما سبدر من بطولته يكر ابن عرشاه في
كتابه «عجائب المقيور» أن اسمه «أزدار» ، ويبدو أنه مصحَّف عن رَدْمِر Özemer
ويذكر أن من أمثل مُقَابِلِهِ المَعْدَةُ شهاب الدين الرَّدْكَاش الدَّمَشْقِي وشهاب الدين أحمد
الرَّدْكَاش الحَبِيبِي . وقام تيمور بتعذيب الشهاب الدمشقي وهو في سن 90 عاماً !
(2) وأي رجل والله ! تعوِّذ دوماً من طَبَقَةِ التَّحَارَةِ والمصالح لجروح دوماً إلى الدَّعَةِ والمسالمة
(كلمتان مقطعتان بدلاً من خوف ، الخس) ، أمَّا الرُّجُولَةُ والقتال واجهاد والتماحر
بحمل السلاح فهي في نظرهم شيء من مظهر «الرعرنة»

فلما كمل المال ، حمّله ابن مُفلح إلى تيمور ووضع بين يديه ، فلما عاينه
عصب عصباً شديداً ولم ير فيه ، ورمى مفلح ومن معه أن يحرّجوا عنه ،
وحرّجوا من وجهه ووكّر بهم جماعة حتى ترموا بحمل ألف ثوم ،
و ثوم عشرة على عشرة آلاف دينار [من الذهب] ، إلا أن سعر لذهب عندهم
يختلف ، وعلى كل حال ، فيكون حملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار

فترموها ، واعدوا إلى سلب وفرصوها ثانياً على الناس [كلها] عن أجرة
ملاكهم ثلاثة أشهر ، ورموا كل سلب من بكر وأشي حرواً عند عشرة دراهم ،
ولرم سلب من وقف بحمل مال له حرم ، فرب الناس سلاء عظيم ، وعوقب
كثير منهم بصرب ، فعبت الأسعار ، وغرّ و حود ، لأموال ، وبلغ المدّ سمح
(وهو أربعة أقداح) إلى أربعين درهماً قصّة

، بعثت صلاة جمعة من دمشق ، فلم تظم بها جمعة إلا مرتين ، حتى
رعي بها على مدار دمشق لسيطرة مخمور ، ووعي عهده من الأمير بيمورسك ،
وكان سيطرة محمود مع تيمور ، ككون عاداتهم لا يتسلطن عليهم إلا من
يكون من دته الموت ، تنهى ثم قد شبه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينة
دمشق ، على أنه سلب من قبل بيمور

ثم بعد جمعين متعوا من إقامة الجمعة بدمشق ، لكثرة عكسه أصحاب تيمور
بدمشق ، كل ذلك وكتب القلعة ممتنع بقعة مشق ، وأعواد تيمور تحاصره أشد
حصار ، حتى سلمها بعد سبعة وعشرين يوماً ، وقد رمى عليها مدافع ومكاحل
لا تدخل تحب حصر ، يكفيت التمرية من عظم ما أعاهم أمر قلعة دمشق ،
تجاه الصفة قلعة من حبيب ، فعد فر عنهم من سلب وأر دو طلوعها ليقانلو من
اعلاها من هو بقعة ، رمى أهل قلعة دمشق بقطاً فأحرقوها عن آخرها ، فأشؤوا
قلعة ثنية أعظم من الأولى ، وطلعوا عليها وقاتلوا أهل القلعة

المحمور هذا هو ابن خان عشيرة الجغتاي المعونة ، بعد موت أبيه ساطكش تروخ أنه
يمورسك ، كند أمراء الجغتاي ، فصار كميله والقائم بالدولة باسمه : محمود خان أو
سوقانكش خان ، ومات سنة 805 هـ ، انظر ما تقدم أعلاه في نص ابن خلدون

هذا وليس بقعة المدكوة من المقاتلة إلا سرُ سير دون الأربعين نمرًا ،
 وطر عيهم الأمر ، ويتسو من التجدة وظلوا الأمن ، وسلموها بالامان⁽¹⁾
 قلتُ لا تُكَلِّبْ يداهم ! هؤلاء هم الرّجال الشّعد⁽²⁾ رحمهم الله
 تعالى .



ولما تكامل حصول المال الذي هو ألف ثومان ، أحده ابن مُفلح وحمله إلى
 تيمور ، فقال تيمور لابن مُفلح وأصحابه : هذا مال بحسابا بما هو يسوى ثلاثة
 آلاف ألف دينار ، وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار ، وظهر لي أنكم
 عجزتم

وكان تيمور لما اتفق أولاً مع ابن مفلح على ألف ألف دينار ، يكون ذلك
 على أهل دمشق خاصة ، والذي تركه بلعساكر المصرية من السلاح والأموال
 يكون تيمور فخرج إليه ابن مفلح أسوأ الرّاهل مصر جميعها ، فلما صارت
 كلّها إليه وعلم أنه استولى على أموال المصريين ، برمهم بخروج أموال الذين
 فروا من دمشق ، فسرعوا أيضاً إلى حمل ذلك كله ، ونددوا عنه حتى حلّص
 المال جميعه .

- (1) بروي المؤرخ الدمشقي ابن عريشاء (اسم لعائلة اسوم عريشة) في كتابه «عجائب المغرور
 في بوائب تيمور» ص 112 «ثم إنه صار في هذه المدة يحاصر القلعة ويمنعها ما
 استطاع من عدة وأمر أن يُسَيِّمَ مقابلتها بقاء يعقوب ، ليصعد عليها فيهدمها
 فجمعوا الأخشاب والاحطاب وعبود ، وصو فوق الأحجار التراب ودقّوه ، ودلّت
 من جهة الشمال والعرب ، ثم علّوا عليها ووشّوه الصخر ولصّروا وفوص من
 حصار لأمر من أمرائه انكبوا على جهاز شد ، فتكفل بسك وعده ، وبصب عليها
 الحديد وصب تحمها وعلّوها باله اليق . ذلك فيها من المقاتلة منه غير هذا كله ، أمثلهم
 شهاب الدين الزركاش الدمشقي ، وشهاب الدين أحمد الزركاش الحلبي»
 قلتُ : انظر أيضاً ما يرويه أبو الفداء السري في كتابه «ترجمة الأمام في محاسن الشّام» أن
 تيمور تلك أمر أن يُقَبَّ تحمها ويُطع الأشجار ويعلّق بها ، ثم أطلق النار فيما تحمها
 (2) حق بل مؤرخ أدبته على الألبان فهدد بعض الأنصار بين هذه الجموع القديمة من الحياء
 والبلهاء والمتفاعسين وأشبه الرّجال .

فبما كمل ذلك نرغمه أن يُخرجوا إليه جميع ما في أسلحه من أسلحة ،
 حليته وحقييرها ، فتعوا ذلك وأخرجوه له ، حتى لم يبق بها من أسلحة شيء .
 فلما قرع ذلك كله ، قصص على ابن مذلج ورقته^١ ، ولزمهم أن يكسوا به جميع
 حصص دمشق وحرانها وسبككتها ، فكسوا ذلك ودفعوه إليه ، ففرقه على أمرائه ،
 وقسم أسلحتهم ، فسروا إليه عمادتهم وحوشيتهم ، وبرل كل أمير في نفسه
 وطلب من فيه ، وطلبهم بالأموال .

فحينئذ حل بهم من دمشق من الملاء ما لا يوصف ، وأحرق عليهم أنواع
 العذاب من الضرب والعصر والإحراق بالنار ، والتعليق منكوساً ، وعم لألف
 بحرقه فيها ثوب رعم ، كلما نفس دخل في أسفه حتى يكاد نفسه ترفق . فكرر
 برجل إذا أشرف على أي شيء إلا يحلّى عنه حتى يسريح ، ثم تُعد عليه العقوبة
 نوعاً ، فكرر المعذب بحسن رقيقته حتى هلك تحت العقوبة على الموت ويصور .
 يا ليتني أموت وأستريح فما أنا به .

ومع هذا كله تؤخذ دونه وولده وأولاده كور ، وتُقسم جميعهم على
 أصحاب ذلك الأمير ، فيشاهد من أجل المعتذب امرأته أو بنته وهي توطأ ، وولده
 وهو مملوك . فيصرخ هو من أليم العذاب ، وتوسد وتوسد بصرخات من راحة
 لئلا تروا لوطاً^٢ ، وكل ذلك من غير تسر في النهار بحضرة الملأ من الناس

١١١ كان موقف من وضع بعد ما رى له في جنته دمه حراً سائاً وسداحه بعجيبه ١١
 يقع في سره بيمورسك بعد ممكس ، ولكن أن يدي بالقل على من حاله ومع الناس
 عن الخو لا شدة مع ، فهذا لا يقصه عقل أو ضمير ١١ سدي أنه كان بجبال قنس ب
 تمه في مجددة التثوية غازان 699 هـ ، لكن أن لثري من الشرق بذكر من عدي
 مدي (الحج ١٣ : 25) موته في شعبان 803 هـ ، أي بعد أشهر من فعلته ، وكذا بود
 بو حصار فاستعانه فله ولأولاً أن لخرة الرابع الذي لم يُشرب بعد من
 شرب سابع لاهمة لذي وصعه مؤرخ دمشق من قصص شهنة ، والذي يقصه حورسك
 مديته في السرة بين 80-808 هـ . فبفصل هامة حور هذه سكة

٢٢ كذا بود لرحمة هذه المداطم المومة من شرنا ولكنها وثيق تاريخية فلا يجوز التصرف
 بها كعما كان . وعلى أي حال ، فمأساة سقوط دمشق بيد بيمورسك وما جرى بها من
 فظائع وجرائم لا تزال حية في ذاكرة الناس إلى يومنا هذا

ورى أهل دمشق أنه أعاء من العذاب لم يسمع عثله . منها أنهم كانوا
 يأخذون برجل قُشد رأسه بحل ويلوونه حتى يعوص في رأسه . ومنهم من كان
 يضع الحبل بكتفي الرّجل ويلوونه بعصاه حتى تنحصر الكتفان ، ومنهم من كان
 يربط إبهام يدي المَعْدَب من وراء ظهره . ثم يُقيّبه على ظهره ويدّر في مخزيه
 لرماد مسحوقاً ، فقرّ على ما عنده شيئاً بعد شيء ، حتى إذا فرغ ما عنده لا
 يصدق صاحبه على ذلك ، فلا يرل بكرّر عليه لعذاب حتى يموت ، ويعاقب ميتاً
 مخافه أن يتموت . ومنهم من كان يُعلّق المَعْدَب بهم من سبه في سقف السّار
 ويُشعل النّار تحته ، ويطول تعليقه فرّث يسقط فيها ، فيسحب من النّار ويلقوه
 على الأرض حتى يُفريق ، ثم يعلّقه ثانياً

و ستمّر هذا اللّاء والعذاب بأهل دمشق سبعة عشر يوماً ، آخرها يوم
 ثلاثاء ثامن عشر من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانمائة ، فهلك في هذه المدة
 دمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى



فدما علمت أمراء تَمُور أنه لم يبقَ بدمية شيء ، حرقوا إلى تَمُور ،
 فسألهم هل بقي لكم نعتق في دمشق ؟ فقالوا لا . فأبعم عند ذلك عديّة
 دمشق على أتباع الأمراء ، فمحبوه يوم الأربعاء آخر رجب ، ومعهم سيوف
 مسلولة مشهوره وهم نُشده ، فهبوا فقدرو عليه من آلات الدّور وغيرها ،
 وسوا أساء دمشق بجمعهم . وساقوا الأولاد الرّجال ، وتركوا من الصّغار من
 عُمره خمس سنين فما دونها . وساقوا جميع مروطي في الحدا

ثم طرحوا النّار في المبرل والدّور والمسجد . وكان يوم (sic) عاصف
 الرّيح فعمّ أخريق جميع البلد ، حتى صا لهب النّار بكاد أن يرتفع إلى
 السّحاب ، وعملت النّار في البلد ثلاثة أيام سيالها . آخرها يوم الجمعة

* * *

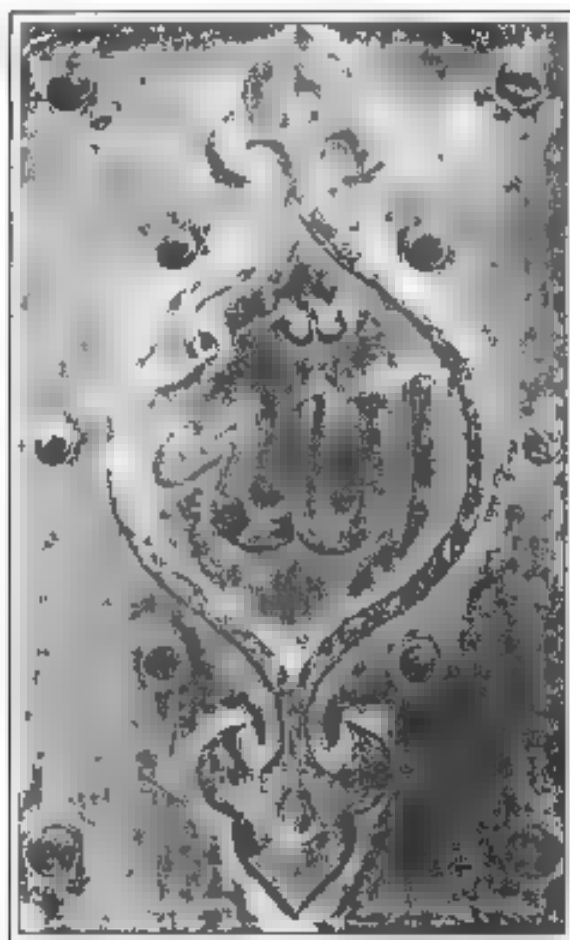
(١) أتباع الأمراء تعبير يقابله في لغة اليوم . صف المصايط .

وكان تموز - لعه الله - سار من دمشق في يوم السبت ثالث شهر شعبان ،
 بعد ما قدم على دمشق ثمانين يوماً ، وقد حرق كلاً وسقطت سقوف جامع
 سي أمية من الحريق ، ورأيت أبوابه وتطرأ حُمه ، ولم يبق غير حُدّه قائمة
 ودهست من حُدّه مشى ودُورَه وقد سرى وحماميها ، وصارت أطلالاً بالية
 ، رُسوما حاسية ، ولم يبق بها [أنة سد] ¹ إلا أطفأ بتجار عددهم [آلاف] ² ،
 ليهم من مات ، وفيهم من سيموت من الجوع ³

(البحر الزاهرة ، 2 ، 227-245)



١ ، بعد ما مر استوب للمصريين
 ٢ ، زيادة من السنوا للمصريين رحمة الله على هؤلاء لأصهار مساكين الأبرار . لا ريب
 بهم إلا أنهم ولدوا في عصر هذه البكة
 ٣ ، بعد ذلك بروي بن تغري بزي (ص 246-247) ما استند ، انصرف فرح ، وكف من
 كل ما في وسعه عند بلوغه مصر شكيل حملة عسكره فربح بحاية سمو لك ونصار
 دمشق ، وعين لأعمال جمع المال البلاد لهذه الحملة الأمير بلكه أسلمي بكر هذه كلة
 حري بعد قوت لأور و آخر خبر بتعيق عصبة محنة دمشق وسبقوها بعد انعوا في
 البحور الوهرة «ثم حصر في ثمانية أي شهر رجب فصد الأمير بغير أس حيدر أمير آل
 فصل وذكر أنه جمع عرباً كثيراً ورجل بهم على دمشق ، وأن بركت رجل من صاهر
 مشي إلى بصفية هذا وقد التفت أهل المدينة إلى سعد السامي وتعمل في وده ،
 حتى تم لهم ذلك»
 وبعد ذلك بروي بوحة بمورست إلى عا دوتحريه ، كما كان حربها من قسه حار
 انتار هولانكو في عام 656 هـ





تقي الدين المقرئ

(توفي 845 هـ / 441 م)

أرجح تحريكات السلطان الناصر فرج إلى دمشق

لثلاثة عام 809 هـ ، والرابعة عام 810 هـ

والخامسة عام 812 هـ ، والسادسة عام 813 هـ

أحمد بن عبيد بن عبد الفادر ، أبو الجباس الحُسَينِي العُيُودِي ، تقي الدين المقرئ ، مؤرخ بدير المصرية في عصره بلا مبرح . يذكر السَّحَاوِي أن أصله من بعلبك وسكنها إلى حارة القارّة . ولد في القاهرة سنة 766 هـ وشأ بها وأقام حتى وفاته . وولي بها خمسة غير مرة أولها سنة 801 هـ ، كما ولي الخطبة بحامع عمرو ومدرسة السلطان حسن ، والإمامة قرآب بحامع حاكم وقراءة الحديث بمدرسة المؤيدية وغيره . وتقلب في عدة وظائف قضائية وإدارية ، في القاهرة ودمشق التي رارها مراراً . وحج غير مرة ، وسمع محكة والمدينة

حسن بابل الطاهر برقوق ، وصارت له خطوة عنده ، ثم عبد ولده الملك الناصر فرج من بعده ، ودخل دمشق معه في تحريكه الرابعة عام 810 هـ ، وعُرض عليه قصدها فأسى وعد إلى مصر . وتوثقت صلته بالأمير شبيب الدَّوَادَر وقتاً ، وبار في صله حراً وملاً ، ثم رده في الوظائف العامة واستقر في القاهرة ونسرع إلى مكتبة وهو يومئذ في نحو خمسين من عمره . ويروي السَّحَاوِي - وهو معاصره - تقريباً - في كتابه «المنوع اللامع» أنه قرأ بخط المقرئ أبي تصانيمه زادت على مائتي مجلد ، ويذكر منها أشياء عديدة وصل بعضها وبها الآخر

حتر المقريري تاريخ مصر للإسلامة مدناً خيراً جهوده وأعظمها ، فوضع
 فيها صنفاً من الكتب الآثار ، أسهرها علم الإطلااق كتابه «مواعيد والاعتدال» يذكر
 خصصه و «آثار» وهو يُعرف بحصص المقريري و «لسلوك معرفة دول الملوك» وهو
 تاريخ دول المماليك في مصر ، وكتاب «المقصد» وهو سير لأمرء وكُراء الذين
 عاشوا في مصر ، و «درر معقور» الفريدة في تراجم لأعيان المقيدة» و «تغيط الخلف
 بأخبار الأئمة العظماء الخلفاء» والمقريري بالمناحية ينتمي ينسب إلى أئمة القاصيين ،
 و «سير والإعراب عمّا في مصر من الأعراب» ، و «عهد حوهر الأسفاط في تاريخ
 نفسطاط»



من بين مؤلفاته هذه كتابه «السلوك» الذي دول فيه أخبار تحريكات
 السلطان الناصر قرّج إلى الشام ، وهذه التحريكات كانت سبباً كفاً عذوها مؤرخ
 مصر الكبير المعاصر للمقريري وتلميذه - ابن معري بردي ، لأبيكي فأما الأوسى
 في عام 802 هـ فقد طالعا جبرها في مصر بن حليدون أعلاه ، والثاني عام 803 هـ
 لقتل تيمورلنك تايغ بوقائعها في مصر لأبيك معري بردي الطاهري وأب تحريد
 استنطاد ، الثاني والرابعة ، خامسة و سادسة والأولى بقية ما عن المقريري عمي
 عتد كذا أدنى معاصرها - لأبيل شرا في حداثه عام 80 هـ كسا كان فصلاً
 عن ذلك من مقريري السلطان الناصر ويروي عن معرفة وثيقة .

كتاب بخصوص التحريكة السابعة عام 814 هـ سوف نُحجم عن نقله ،
 لأحد هذه المرة عن تلميذه ابن معري بردي ، الذي كان آنذاك طفلاً بدأ يعي ما حوله
 من أحداث ، فمن سورة عن المقريري ، وشفع ذلك بما رآه بعينه حين قابل الناصر
 (ابن عمته) الذي جاء ليعود أماناً من مصر نائب دمشق الأمان ، قبل شهر ونصف من
 مقتل الناصر . ومنهم في نسخة هذا أنه يروي أحداثاً شخصية ونصف بها بتقاداً
 حاشاً بالمقريري (كتبه بعد وفاته) ، يذكر هذا الأخير انضمام إلى حشد بقدر الناصر
 بعد مقتله ، وسألقه على صفحات «سلوكه» بالنسبة حداثاً

فمما كتبه : «وكان الناصر هذا أشد ملوك الإسلام ، فيه حرب سوء تدبيره جميع أراضي مصر وبلاد شام ، من حيث يصب أنيل إلى محرقى الثراب ، فطرق الطاغية تيمورلك بلاد الشام في سنة ثلاث وثمانائة ، وحرب حلب وحماة وبعبك ودمشق وحرقتها ، حتى صارت دمشق كومايس به دار . وقتل من أهل الشام من لا يحصي عدده ، لا الله ، وقطع أشجاره حتى لم يبق بدمشق حيوار ، ونقل إبيهم من مصر حتى انكلا ب . وحرب أراضي فلسطين ، بحيث أقام القُدس مدة يد أقيمت صلاة بظهر بالمسجد الأقصى لا يصلي حلف الإمام سوى حلف»

* * *

وختماً فهي مثل هذه النصوص لتاريخية المختصة بالحوادث بدلاً من الوصف بكنهه خاصة تُضيفها إلى نصوص الرحالين والجغرافيين لتكمل الصورة حول دمشق في عصر سلاطين المماليك ، من حيث تاريخها العمراني ، الحصارى وتاريخها السياسي ، في فترة كانت من أروع وأعرب وأعنف مراحل تاريخها الإسلامي على الإطلاق . ويسرنا أن نمكنا هه مكن ربط سلسلة وثيقة وهامة حول وقائع دمشق ما بين 791-836 هـ بترابط تام ، في 11 حلقة أرح لها سبعة من كبر الكتب اس حجة اخموي - ابن مصري - بن جلدون - الأمير تغري بردي انصاهري - المقريري - يوسف ابن تغري بردي - بن اللودي

المصادر :

- السلوك لمعرفة دول الملوك لمقريري (تحريريه لثالثه) ، 4 / قسم 1 : 32-38
- السلوك لمعرفة دول الملوك (التجريدة الرابعة) ، 4 / قسم 1 . 55-59
- السلوك لمعرفة دول الملوك (التجريدة الخامسة) ، 4 / قسم 1 : 91-107 .
- السلوك لمعرفة دول الملوك (التجريدة السادسة) ، 4 / قسم 1 . 136-161 .
- البحر برآمره في ملوك مصر والمهره لابن تغري بردي 3 55 57 . 135
- الصوء النامع لأهل القرن التاسع للسحاوي ، 2 22
- مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عنان ، 85

جمهورية مصر العربية

وزارة ثقافة
مركز تحقيق التراث

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

للقمى الدين أحمد بن على المقرئى

الجزء الرابع - القسم الأول

(٨٠٨ هـ - ٨٢٤ هـ)

حققه ونظمه ورمع حواشيه

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة القاهرة

مطبعة دار المنيب

٩٦٢

عنوان كتاب «السلوك معرفة دول الملوك» للمقرئى

[التحريرة الثالثة للسلطان الناصر فرج إلى الشام]

[سنة 809 هـ]

شهر ربيع الأول ، أوله الإثنين :

فيه سر الأمير شيخ نائب الشام ، والأمير دمرتش نائب حلب ، ومعهم
جمعة من عسكر دمشق وحلب ، ولا حارج القاهرة بالريدية ، وحق بهما
الأمير سودن الحماوي بدوادار ، والأمير سودن اطيبار أمير سلاح
وفي رابعه ضربت خيمة السلطان بالريدانية (1)

وفي ثاني عشره رحل السلطان من الريدانية يريد الشام ، وجعل الأمير تمرار
الناصري نائب العنة ، فلم يحمده رحيه في يوم الجمعة ، فقد نُقل عن الإمام
أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال «ما سمع أحد يوم الجمعة إلا رأى ما
يكره» .

وفي رابع عشره نزل السلطان عرة ، وحل محلها في سابع عشره .
وأما الشام فإن الأصر نور وجهه في أوله عسكراً من دمشق ، عديهم الأمير
سودن الحمدي وأربك الدودر ، فساروا إلى جهة الرملة

وفي حادي عشره ، خرج الأمير بكتيمر شلق من دمشق لجمع العُشُر
فقدم في ثالث عشره الأمير أيدل به بن قحماس ، والأمير يشك بن أزدمر ، وكان
محتجبين بالقاهرة ، من حين عاد الملك إلى مصر إلى أنك بعد أحبه المنصور عند
العرير ، ووصل معهم الأمير سودن الحمدي لصعب حصل له فأكرمهما الأمير
نورور ، وأكرم عديهم . وعُقب ذلك عاد العسكر الموجه مع سودن الحمدي
إلى الرملة ، لوصول الأمير حابر بك نائب عرة إليهم - هو والأمير بطشع
العثماني - وأخبروا باستقرار الأمير شيخ في بيعة الشام وأن السلطان قد خرج
من القاهرة

(1) سوف أعمد في هذه المصوحر الأربعة إلى اختصار ما ليس به صلة بموضوع

فصطرب هو و . و خرج من دمشق في يوم الثلاثاء سابع عشره . فبعه
وعلى الأمير ألتونغا عثمانى إلى صفد ، وقد وى بيايتها ، ومعه شاهير دوادار
لأمير شبح . فمر به بكنمر شلق وقدم على عورور . فعاد حيث من جسر
[ساب] يعقوب . وقد عزم على الفرار خوفاً من السطصا ، ولحق به من دن
دمشق من أصحابه .

وساد من دير زبون في سادس عشرية على بعلبك إلى حمص ، فدخل
شاهير دوار شيخ - من العديوم الجمعة سابع عشرية إلى دمشق ، ثم قدم
الأمير شبح في يوم الإثنين حره ، ومعه مرداش سب حلب و ألتونغا العثي
سب صفد والأمير رين لذين عزم من الهيدبني أتاك دمشق ، فلم يجد من
معه

* * *

شهر ربيع الآخر . أوله الثلاثاء

في ليلة الإثنين سابع خمسين السلطان المصور عبد العرس الطاهر برقوق
بالإسكندرية . بعد مرضه مدة جلدي وعشرين سنة

ومات بعد موته من جلته أخوه برهيم . ودفا من العدي فكات
حارهما جمعها كبير . ولهج الناس بأتهما ماتا مسمومين

وفي هذا اليوم دخل السلطان إلى دمشق في ثمن عظم و برل سدر
للسعادة ، إلى أن توجه يريد حلب في سابع عشره . . .

* * *

شهر حماري الآخرة ، أوله السبت :

فيه خرج السلطان من حلب عائداً إلى دمشق ، وولى بحلب الأمير حرگس
لصارع ، وولى الأمير سوس بمجة بيايه طرالمس وأقر للأمير شيخ على بية
الشم وجد في مسيره حتى قدم دمشق في حمسه أيام ، وترك الحمام وراءه

فثرت طائفة من اعماليك ومعهم عامة حلب على حركس لمصارع . وقدم
الأمير نور . معسكره قصر حركس يريد دمشق ووروري أثره . فعثر بحم
اسلطان فقصعه . ووقع لهب فيه . وحضر الأمير حركس إلى سبطر .
ودخل معه دمشق في ثامه . فحل بسطط در السعادة . وبنى الإقامة في
دمشق شهرين . وكان الأمر شيك قد رحل بالأمر وهو مريض . ومعهم الأمير
دمرداش ، والأمير ياش باي رأس نوبة

وقدم الخبر نور . للأمير نور . حماة ثم حمص ووصول حكم إلى حلب
فسار اسلطان من دمشق يوم لأحد سادس عشره . بعدما تقدم إلى العسكر بأن
من كان فرسه عجز فلذهب إلى القاهرة . و لا ينعه إلا من كان قوياً
فسارع أكثر العساكر إلى لعود إلى القاهرة . ولم تبع السطط منهم كثير أحد
فانتهى في مسيره إلى قريب ميلة قارة ، ثم عاد مجدداً ، ودخل دمشق يوم الخميس
عشره . وقد فرق شمله

وأنخر جماعة من الأمراء مع شيخ نائب الشام . فخرج الأمير يشك في
ثاني عشره . وخرج شيخ ودمرداش والصفحة العثماني في عدة أمراء يوم الأحد
ثالث عشره إلى صفد . وسار السلطان ويشك يريد مصر فدخل إلى القدس .
وقد تحلف الأمير سؤد الحمرأوي بدمشق ومعهم عدة من الأمراء معاضين
لسلطان . ثم توجه حمرأوي من دمشق يريد صفد . وأحد كثيراً من الأتقان
اسلطانية ، واستولى على صفد .

وأما الشام فإن الأمير سؤد الحمرأوي لدواد رحل بالجاليش سلطاني
إلى دمشق في يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ، ودخل الأمير بيعوت في رابعه ،
وقدم السلطان في يوم الإثنين سبعة . ولأمير شيخ نائب الشام قد حصل الخبر
على رأسه . وبين يديه اخيه ولقضاة والأمير يشك وبقية العساكر ، فحل
السلطان بدار السعادة .

(الجئر كلمة فارسية تعني لطله . ي لمة لبي سذكر أنه في نص الأشرف برسدي

وفي يوم جمعة حادي عشره صنى السلطان جمعة بحامع سي امية ،
وخطب به وصلى ، بنهت أحمد بن الحسيني وفي هذه الأيام ركب امالك
لسلطان به قبة دمشق ، وطلبو لفقة وتكموا كثيرا لا يلقو

وفي ثامر عشره توجه الأمير شح نائب الشام والأمير دبردش نائب حلب
من دمشق يريدان حلب ، وصرى خام السلطان سره ، وخرج السلطان من العدة
فمرل سررة .

وأهل حمادى لأوسى و سنى فى دمشق وعماله فى صر كبير م برل من
حذية السغير للسلطان

وقدم لأمير شح من حلب إلى دمشق فى سابع جمادى الاحرة ، ثم قدم
السلطان فى ثمه . : جمع فى عشره على شح حلعة الاستمرار ونودي بالإقامة
فى دمشق ، فقدم خبر فى سادس عشره بوصول نورور إلى حمص ، فنودي
بترحس ، ففقد ، الأمير بفتح ففتح السلطان فى آخره ، وتوجه كثير من
عسكر به جهة عسره . فوصل بفتح إلى قارا وعاد إلى دمشق يوم الخميس
عشرية ، فخرج الأمر يشك فى يوم لست وهو مريض يريد القاهرة

وخرج شيخ ودمرداش ، الصعا العثماني فى يوم الأحد ثالث عشرية إلى
جهة صفا . ومعهم حمادى من الأمر ، منهم سلطان إسها وخرج سلطان
يسعهم فى اكسوه برب مصر ورجل وثا دمشق فى يوم الإثنين رابع
عشرية حمادى نورور مدين كنو محتفين ، وادو بالأمان وبقو الشائر

ثم قدم فى سابع عشرية عده أمراء منهم سودا حلب وحمو وريت
به اذا نورور إلى دمشق وقام من بعد إمال به بن قحس ، ويشك بن
أردير ، ويشك السفي فى عده من النورورية .

شهر رجب ، أوله الأحد :

فيه قدم لأمير نوروز دمشق ، في موكب جليل .

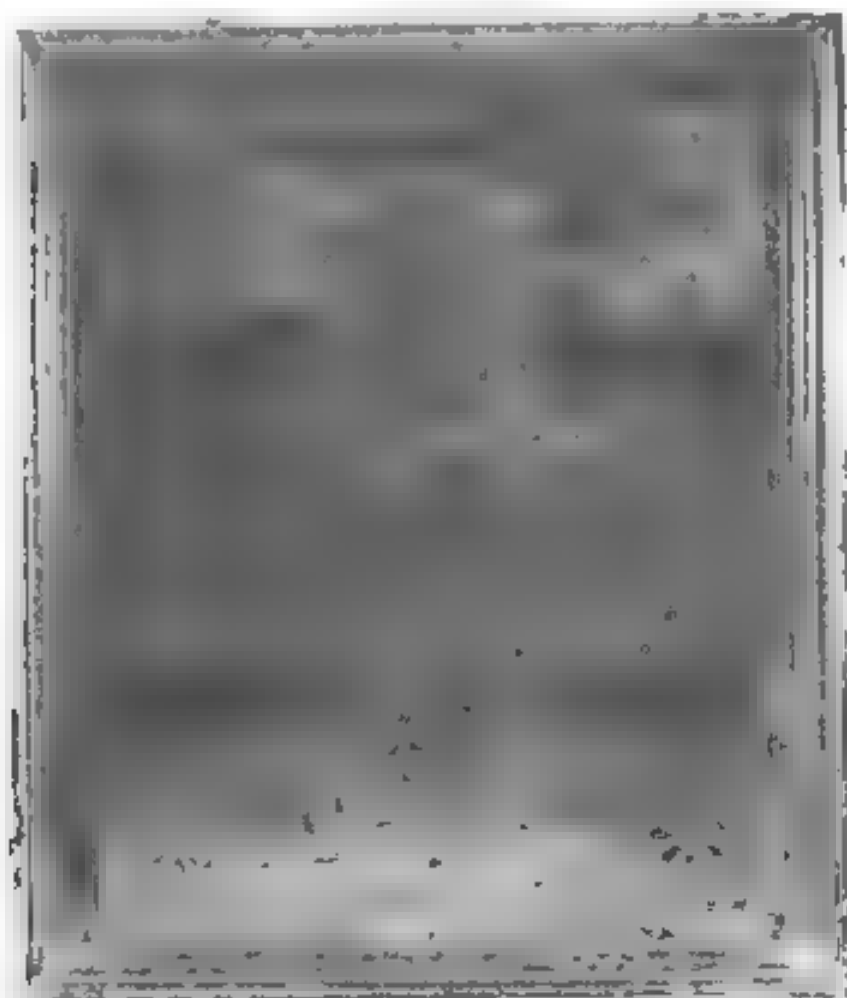
وفيه قدم حريم السلطان من الشام ، و قدم عدة من المماليك السلطانية
وغيرهم

وفي حادي عشره قدم سلطان لى قلعة الجبل و مع بنى عرساً ، وقد
تبع له مر كثير جداً ، و بقصت عساكره . فزيت القاهرة لقدمه

(السلوك لمقريري ، 4 / نس 1 : 32-38)

منه من سبعة مئة وتسع وثمانون ألفاً ومائتين وأربعين ألفاً ومائتين وأربعين ألفاً
 وحسب ما ذكره في الجاهلية قراة من قبل الشيخ وحكمه يوم انفسه لجمع نفوس
 شهر سبع الاحد بينه سبع وثلاثين الفين اهل وظهر السماع على الصمد وال
 المحضر على يد كانه اعدى على من عند العامة من جهة الفهرست في نصيبه يوم
 الخمس لثلاث مئة مئة من الاحد بينه سبع وثمانون ألفاً ومائتين وأربعين ألفاً
 ١٢٤

نوح من حصه سرية ، خانكة كتيبه «محتصر قيام الليل» ، مخطوط مكتبة
 جمعه لاسونه في ذلك كتابه ، تاريخ السح : 22 جمادى الآخرة سنة 807 هـ



من آثار سحر فرح بدمشق ، اسب الشمالي للجامع الأموي

[التجريدة الرابعة للسلطان الناصر هرج إلى الشام]

[سنة 810 هـ]

شهر صفر ، أوله الخميس .

في ليلة الجمعة ثانيه رحل السلطان من الريدانية خارج القاهرة بمعه من
العسكر ، وجعل الأمير قمران نائب لعيه ، وأمره ببب السلسلة ، وأمر الأمير
أقباي بالقلعة وفي يوم الإثنين ثاني عشره دخل السلطان إلى غزة ، فقدم
الخبر بفرار الأمير قمران من دمشق

وفي يوم الخميس ثاني عشره دخل سلطان إلى دمشق ، بعدد حرج
لأمير شنج في سبع عشره إلى لقائه ، فأكرمه وسر معه وحمل الختر على رأسه إلى
عمر البلد فرحل السلطان بدار السعادة وصلى الجمعة بجامع بني أمية

وفي يوم الأحد خامس عشره قصص عليه وعلى الأمير الكبير يشك بدار
لسعادة ، واعتقنهما بقلعة دمشق ، وكان الأمير جركس انصارخ أمير آخور قد
أخر بداره ، فلم يلبه الختر فر من سياحته ، فلم يدرك وفر جماعة من الشيحية
والشبيكية

وفي سادس عشره حلق على الأمير بيفوت ببيدة الشام ، وعلى الأمير
فارس ذو اذار تيم صاحب الحجاب ، وعلى عمر الهيدناي بياه حمة ، وعلى
صدر الدين علي بن الأدمي بقضاء الحنيفة بدمشق

* * *

شهر ربيع الأول ، أوله السبت :

في بيعة الإثنين ثلثه ، فر الأمير ن يشك وشيخ ، وذلك أن السلطان
قصص عليهما وكل بهما ، الأمير مطوق ثقت به ، وعمله نائب القعدة ، فاستملاه
حتى وافقهما ثم تخيل على من عده من ممالك ، بأن أوهمهم بأن السلطان
أمره بقتل الأميرين ، فصدقوه فأخرجهما على أن يقتلها ، وفر بهما .

فلم يبع استنصر آخر حتى مضوا لسلهم واصبح بسطون يوم الاثنين
فدب الأمير بنعوت نائب المشد لطلهم ، فسار في عسكر ، وقد اختفى الأمير
شيخ في الليل ومضى شئت فلم يترك بنعوت غير منطوق ، فقص عنه عد
حرب ، وقله وقطع رأسه فطيف بها ثم علقب على سور القلعة .

وقدم الخبر باجمع سيك وشيخ وحر كس على حمص ، في سور الانب
فرس ، وأتهم شتوا على لاس في طلب اب ، فكتب استنصر إلى الأمير
نورور - وقد وصل حب ، وبعده الأمير بمر بعد المشطوب ونرله وقام له ما يبق
يستدعيه على شئت وشيخ ، وولاه ببة السد ، ويأمره أن يحمل إليه
جماعة من الأمراء وبعث إليه تشريف والتنميد مع الأمير سلامش ، وقد ولاه
استنصار بيده مرة ففس تشريف وخدم على لعدة ، وكتب إليه يعتذر عن
حضوره ، لما عده من الحياء والخوف ، وأنه يد سار لستنصار من دمشق فده
وكعه أمر أعدائه

وفي امر عشرة قدم الخبر إلى الأمراء الذين فروا من دمشق فص مهم
الأمير نورور بحب على الأمير صلاح ، والأمير حاتم ، والأمير إيمان خلاص
سار ، والأمير حاتم أخو حر كس ، وبعث إليه الأمير بسان المهر ، والأمير
صلاح ، والأمير حاتم نائب كرك ، والأمير أسس بي لشركماني أحد أمراء
الألوف بدمشق ، والأمير أسس بي أمير آخور

وفي اسعه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء بمصر تصم د حوله دمشق
وقصصه على يشك وشيخ وفرار حر كس ، ويأمرهم بالقصص على الأمير نورور
نائب الحية ، فدعى بذلك ، وقد دسح بالرح في القلعة وورن سور الطير
موصعه من باب السلسلة ، وانفرد الأمير أقباي بالحكم بين الناس
وفيه نودي بالريثة ، فزيت القاهرة ومصر

سيف الدين جشمي بعلائي هذا صحن فم بعد سلطان باسم منك الصاهر ابو سعيد
ولي استنصر بين 842-857 هـ

وفيه قُصص على مُباشري الأمير يشنك والأمير ثمران والأمير حركس المصارع ،
ووقع الخوطة على حوصهم .

شهر ربيع الآخر ، أوله الأحد :

في رابعه ركب السلطان وتبرء بتربوة وعدد في حاميته لعب بالكرة في

المدن

وفيه قدم الأمير بكنمير شقيق من حلب بالأمراء الديس قضض عليهم الأمير
توروز . وفيه توجه حريم السلطان إلى جهة مصر .

وفي سادسه قبض على الأمير أس باي ، وخرج غالب العسكر .

وفي يوم السبت سبعة خرج سلطان من دمشق ، ومعه الامراء الديس
، سبهم إليه الأمير توروز . والأمير سودن الخمزاي ، وقد أحضره من سجن
صفد ، والأمير قرداي رأس توبة أحد أمراء الصبيخانة ، والأمير سودن الشنسي
أمير عشرة ، والأمير سودن البحسي أمير عشرة . وسار [السلطان] إلى مصر ،
وحمل نائب عيية بدمشق الأمير بكنمير شقيق ^{سكن} فقدم فيه أربك دوا دار الأمير
توروز إلى دمشق ، وبرزل بدار السعادة وبرزل بكنمير شقيق بالإصطبل

فلما كتب لسة لأحدثامه طرق الأمير شنع ومعه الأمير يشنك
وحركس المصارع دمشق ، ففر من كان بها من الأمراء ومنك شينج دمشق ،
وقصص على جماعة فورد الخبر في يوم الأربعاء حمادي عشره بأن بكنمير شقيق
زل بعيل في نهر قلين ، فسار يشنك وحركس في عسكر ، فمضى بكنمير إلى
جهة حمص فوافاهم الأمير توروز فجمع كسر على كروم بعيلت ، فكانت
بينهما فعه قُتل فيها يشنك وحركس المصارع في طائفة وقصص توروز على عدة
ممن معهما

(١) لعبة الكرة و الخوكا (polo) من أمهات تروسية تدعى بعصر ويريد ليدان الأحصير

فدما بلغ ذلك الأمر شبح ، سار من دمشق على طريق حرود في ليلة الجمعة
ثالث عشره ، وهي الليلة التي يوم النوقعة ، فدخل نوروز دمشق يوم السبت
رابع عشره بغير مضاع ، وبعد باخبر إلى السقط فوافاه ذلك بالعرش في يوم
الخميس تسع عشره ، فسره نوروزاً كثيراً^(١) .

وحدث [السقط] في سيره ، حتى صعد قلعة اخيل صبحى بهار الثلاثاء رابع
عشره ، وبين يديه ثمانية عشر أميراً في الحديد ، ومئة الأمير إيسا به
قجماس وقد حملها من غره ، فسجن الأمراء وقس الرمة فريست الفهره
ومصر .

(السلوك لعقري ، 4 / قسم 1 ، 55-59)

* * *

،
- - -

-

(١) الطرف أن هذا بين الأميرين العاديين (شيخ ونوروز) لتأسيس على بابه شام ستقف
فيه بعد على سورة على لتصر 816 هـ) فيجحد في سب ويقبلاه (نظر أخبار سن
في مجريدة لسبعة لتصر إلى الشام) ثم تولي احدث (شبح) استلظه والأحر
(نوروز) دمشق ، فيعود إلى الشاحن ويقصد المؤيد شيخ دمشق (87 هـ) ليصفي على
خصمه نوروزها (وأخبارها في مجريدة الملك المؤيد أدب).

[التجريدة الخامسة للسلطان الناصر فرج إلى الشام]

[سنة 812 هـ]

شهر ربه المحرم خراد ، أوله الجمعة ، ثم أتت أمة الخميس
وفيه رحل السلطان من تجاه مسجد بشر يريه الشام ومعه حليقة
والقصاة وأرباب الدولة

* * *

شهر صفر ، أوله السبت :

وفي ثابته بُودي بدمشق في الناس بعدوم السلطان ، فخرجوا إلى لقائه
وفيه ورد الخبر على السلطان برحيل الأمير شريح عن دمشق إلى جهة نصري
وفي ليلة الخميس سار به من السلطان الكسوة ، فمر الأمير علاء وجماعة
من مماليك إلى جهة الأمير شريح ، فركب السلطان بكرة يوم الخميس ، ودخل
دمشق ، وبرز بدار السعادة ، وبرز الأمراء في أماكنهم

وفي سبعة فُصل دمشق على الشهاب أحمد بن الحسيني ، وسُلم إلى
أنصعا شغل من أحسن أنه أفتى بقتل السلطان ، وفيه قدم الخبر برول الأمير
شريح [في] انضمام فُودي في العسكر بدمشق أن يلبسوا السلاح ، ويقفوا بالليل
عند باب الميدان . فأتت الناس على خوف ووجل

وفي تسعة استقر الأمير ريس الدين عمر الهيداني حاجب الخجائب بدمشق ،
والأمير الطسعا شغل حاجباً ثانياً ، والأمير بردي مالك نائب حماة ، عوضاً عن
حام ، وحلح عليهم بدار السعادة . وفيه كتب تقييد الأمير نوروز بناية حلك
وحجر إليه ، ومعه التشريف والسيف على العادة .

1) بُني هذا المسجد عام 145 هـ وعُرف بمسجد البئر ومسجد خيبر ، وفي الدولة الإخشيدية
عمره الأمير تر فُعرف به ، لكن حرقه العامة اسميه إلى مسجد البئر ، وهكذا سيرد
في نص بن نعري بردي حول تجريده الناصر السابع وهو موجود إلى اليوم

وفي رابع عشرة قدم الأمير ابي بلط من القاهرة بطائفة من المماليك
السقطانية

وفيه قُض على رجلين معهما كتب الأمير شَيْخ إلى الأمراء مُشَفَّه

وفي خامس عشرة قدم الأمير بكتمر حُلُو نائب مصر بئس إلى دمشق ، وكان
قد حتم مع الأمير دمر داش نائب حلب عبد الله بن محمد بن بشار حروب الأمير
بورور وهو على منطه ، فوافقه كتب الأمير من عزة بطلبهم ، فسار حتى
قدم على السلطان

وفيه قدم حبيب بن طغور قد فشي بضمصر ، ومات بهده بجم ألوف من
الناس وأنه حدث بظرائس طعون .

وفي سادس عشرة قدم من مصر عدة من المماليك السقطانية

وفيه فرس على قري مرج و بحوطة - طاهر دمشق وعلى بلاد حوران
وعمره شعب بنوده هل كل باحبه كمد معوم فشد لأمري حبه على
الناس

وفي عشريه قدم الأمير دمر داش نائب حلب ، فأكرمه السلطان وأعنه عليه .
وفيه جلع غير الأمير بكتمر حنو ، واستقر نائب لشتم عوضاً عن الأمير شح
وحجم على الأمير دمر داش ، واستقر في بابه حراس مضافة إلى بابه حلب

وفي سبع عشريه كتب حبيبة أسع بنده ، وقصده مصر الإربعاء
وقصده مسة ، وتودي في الترس دمشق أن يقاتلوا الأمير شَيْخ الكذ ، فبانه
كذ غير دبت في كلام طويل ، يقرأ من ورقة

ابي حبه عيسى الذي كان يدعى مسوق وسكور له سبب بعد في وقع
الناصر مع شح وبورور انظر تجرده انك المؤيد شح أدب
من د صبح ، مبرق له ش في كنه ترديد شائم لي فبب بحق شح

شهر ربيع الأول ، أوله الأحد :

فيه ركب السلطان من دار السعادة إلى الربوة ، وعدد

وفي ثانيه سارت أطلاب سلطان والامرء من دمشق إلى الكسوة ، وسعهم
السلطان بعاكره وعليهم انة الحرب فبات بالكسوة ، وأصبح راحلاً إلى جهة
الأمير شبح وأفر تكرب الحططي في بنية لغيه بدمشو ، وسار بكرة يوم
الثلاثاء ، فمر بالصميم⁽¹⁾

وفي هذه بيعة وصلت طائفة من جمانيك حلب إلى دمشق ، فهبوا عده
موصع فقاتلهم العمة ، وفصوا على جماعة منهم فاحتلعوا في يوم الخميس
عدبة سيار ، فخرج إليهم عامة دمشق وقتلوه

وفي عاشرة قدم كتاب سلطان إلى دمشق بحر الوقعة⁽²⁾ وفي رابع عشرة
قدم كتاب سلطان ففري ، فجمع الأموي ، وفيه حر واقعة صرخد ، وأنه قد
حصر الأمير شبح بالقلعة وعزم الإبراهيم بأحده ، وأنه رد أمور دمشق إلى
الأمير فردم ، وأمر بفتح بأحد من الأمراء بتهرمين وأحصره فيه من ابل كد

وفي ثامر عشرة قدم خبر على السلطان بتركمين كسر والامير مورور
كسرة قبيحة ، فدقت الشاثر بصرحد

وفي حرج من دمشق بالمحبيين إلى صرخد ، ومع يرب السلطان مازلاً على
صرحد برمها المدفع واسهم ، وقتل من بها ثلاثة أيام بلياليها ، حتى أحرق
حسر القبة ، فامسح الأمير شبح ومن معه مدخلها وركبو أسوارها فأمر
السلطان الأمراء حور القلعة ، وأمر كل أمير بقتال جهة من جهاتها واستدعى
المدفع ومكحل لقط من لصينة وصعد ودمشو ، وبصها حول القبة ، فكان
فيها ما يرمي بححر زنته ستون رطلاً دمشق

(1) بوجرها أبصاً في آخر وقتها ، بعد اناصر والامير شبح محمودي من بصرى إلى صرخد
(صعد حد) حيث حوصر لأخبر وهرم ، بقصر على ما تحصن بشم وحده
(2) يعني محاصرة شبح في صرخد

وتنادى حصار ليلاً ونهاراً ، حتى قدم المحييق من دمشق على مائتي حمل فلما تكامل حصه ولم يبق إلا أن يُرمى بحجره ورثته تسعون رطلاً سميّاً ترمى للأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تعري بردي الأناك^١ ، وألقوا إليه ورقة في سهم من القلعة ، يسأونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان^(٢)

* * *

شهر ربيع الآخر ، أوله الثلاثاء :

فيه قدم السلطان دمشق قبيل العروب ، وقد جدّ في المسير ، فنزل بدار السعدة وأما الأمر شيخ به برن من قلعة صرخة بعد رحيل لسلطان ، وليس شريف بيانه طربلس ، وقتل الأرض على العدة ، وعاد إلى القلعة ، وحضر ابنه إلى الأمير تعري بردي ، فرحل به من صرخة ، ورحل معه سائر من تأخر من الأمراء السلطانية

وفي سابعه قدم ابن الأمير شيخ - وعمره سبع سنين - فأكرمه السلطان وخدع عليه ، وعاده إلى أمه ومعه حيول وجمال وثياب ومال كبير .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر صلى السلطان الجمعة بالجامع لأموي ، وسار بعساكره يريد مصر ، فزل الكسوة .

(السلوك لمقرئزي ، 4 / قسم 1 ، 91-107)

* * *

-
- (1) بيت شعري ابن كمال مثل هذا اسجيق العملاق قبل 9 سنين عندما حاصر المغول دمشق .
 (2) هو حال السلطان ناصر ، تقدّم ذكره في روايته لاقحام المغول بدمشق
 (3) ينسج المؤلف حديث كيف تم الصلح وفتح السلطان عن شيخ ، على أن يُدلي بده الصعير بحمل من سور قلعة صرخة «فصاح الصعير وبكى من شدة خوفه ، فرحمه من حصص ، وما زال لوابه حتى شله» . وهو ذاته الذي خلّع عليه فيما بعد .

[التجريدة السادسة للسلطان الناصر فرج (إلى الشام)]

[سنة 813 هـ]

شهر ربيع الأول ، أوله الجمعة :

وفي يوم السبت ناسعه استقل السلطان بالمسير من الريدانية يريد الشام ،
ومعه من الأمراء الألوفاً تغري بردي الأتراك ، وقبي ، وقحق العيساوي ،
وسودن الأسديري ، وسودن من عبد الرحمن ، وسودن الأشقر ، وكششفا
المروق ، ونراً بك الخارندار ، وعدد من أمراء الطيلحاياء والعشيرات والماليك ،
والخليفة والعصاه وأرباب بوظائف . وجعل نائب القبة لأمير أرغون ، وأمره
بباب المستنفا ، وحمل بقلعة الحبل الأمير كششفا جمالي نائب القلعة .

وفي ليلة الإثنين خامس عشره توجه لأمير شيخ من دمشق ، وأوقع
بالعربان ، وأخذ لهم حملاً وأعماً كثيرة فرقها في أصحابه وعاد ، فكثر عدده
الإرجاف بمسير السلطان ، فلم يثبت لقائهم . وخرج من دمشق يوم الثلاثاء
سادس عشره ، ومعه العسكر ، وبعه جام نائب حماة . فلم يشعر الناس
بدمشق في يوم الأربعاء سابع عشره إلا والامير يكتمر جلق قد قدم بعد الظهر
على حين غفلة ، ودرك أعقاب الأمير شيخ ، وأخذ منه جماعه .

وقدم السلطان بعد لعشاء من ليلة الخميس ثامن عشره ، وقد ركب من
بحيرة طبرية عصر يوم الأربعاء على حرائد الخيل ، ليكس الأمير شيخ فقاته .
لأن أسدیر عندما أتته يوم الأربعاء ركب من وقته وبجاء بنفسه ، فما بلغ سطح
المرّة⁽¹⁾ إلا ويكتمر جلق بدمشق ، فصر على وجهه وتبعه أصحابه .

(1) يرد ذكر «سطح المرّة» موضع استسقاء أهل دمشق في مصادر العهد المملوكي بالقربين الثامن
ولاسع للهجرة . كتاريخ ابن قاضي شهبة ويوميات الشهاب ابن طوق وكتب ابن طولون
لكن لمراء به كان مبهماً ، إلى أن وصحه ل العُمري في بعضه المذكور فيما تقدم بهذا
الكتاب . فحدد أنه شرق المرّة القديمة ، عما يشعل ساحة الخوساء وأول طريق الشيخ
سعد ومبدأ الطريق الآحد إلى أرتوستر د المرّة وكمرسوسة جنوباً ، والحمارك شرقاً
ويلاحظ بوصوح أن قرية المرّة القديمة تحفص فعلاً عن هذا السطح

وفي يوم الخميس قدمت أنقال السلطان وفيه نوري بدمشق الأم ،
ولا طمس ، ولا نزل أحد من العسكر في منزل أحد ، ولا تشوش أحد مهم
على أحد في بيع ولا سر ، ونوري أن الأمير نورور هو نائب شام ، وقدم
الأحاي مع العسكر ، وقد بقي السلطان بالخرق ، فعاده إلى قضاء دمشق

وفي يوم الجمعة صنى السلطان الجمعة بالجامع الأموي ، وحظ به وصلى
شهاب الدين أحمد الساعدي ثم غوَّض عن حصنة الجامع الأموي خطابة
القدس ، وأصيغت خطابه بالجامع للأحاي .

شهر ربيع الآخر ، أوله السبت :

وفي يوم الجمعة سادسه سارت أطلاط السلطان ولأمره وغيرهم من
رمشو إلى بركة صنى السلطان الجمعة بحم مع بني أمية ، وتوجه بعض كره ،
فمر في محبته على سرده ، وعمل شهاب الدين الرزديكاش نائب صقده على دمشق
نائب العيه فحوا إلى ، وبعده في ذلك بها ، وبعده السلطان في طلب الأمير
شيخ والأمير نورور ومعهما ، وفيه قصصها بجل

شهر رجب ، أوله الخميس :

في خمسة برر لأمر الطمس ، نعمامي والأمير قباي المحمدي من دمشق
يريدان حلب ، وقد أتاهم الطلب من السلطان وفيه نوري بدمشق أن لا يتأخر
بها أحد من قدم من محاليك السلطان من حلب

١١. حكاية حدثت بناصر مع الأميرين شيب ونيور . أشبه ما يكون بعبية القسط والسفر ، لا يديه
لها ولا يديه . لكن النهاية أخيراً ستكون بعد سبب غصب السافر . ثم بعد 4 سنوات
مقتل نورز . فبعد هذه الفترة تابع لمقري ذكر حوادث ملاحقه لناصر للأميرين من
حلب إلى عيساب ومرعش ، فهربهم إلى اللقاء ثم مرة الكرا . لكن سبب قصر على
ذكر ما يحصل بمكرث ناصر بدمشق ، حتى خروجه منها في بي القعدة

وفي هذه الأيام قُرص على قرى دمشق^١ وعلى سائرها ذهب يُجنى من أهلها ، سوى ما عليهم من شعير ، وقُرص أيضاً على صواحين دمشق وحماتها مالٌ جُني منهم

وفي ثامن عشره أدير محمل الحاح بدمشق ، فينما الناس في تصريح عليه إن أنهم حرم وصول السلطان من حلب ، فباح الناس وقد بعد العصر في طائفة من خواصه ، وبرزل بدار السعادة . وسب ذلك أن الخيول عيه بأشبح وورور وصلأ غشتاب وسار، عني ليريد . فبعث عسكراً في طلبهما وركب من حلب سلى حين شقة في ثاب عشره ، وسار إلى دمشق في أربعة أيام

شهر رمصان أوله الأحد

وأما دمشق فإن شهر رمصان هم افتتح بمصادرة أساس ، فأخذ من الخانات والحمات والاطو حبي والحواس والساتين احكوتها عن ثلاثة أشهر ، سوى ما حدقن ذلك وفيه ألرم مباشر ومتدوين دمشق بألف دينار ، وكلف القصة بجمعها

شهر شوال ، أوله الإثنين :

فيه دقت انبشائر بقلعة دمشق لأخذ قلعة صرُحد

(١) يبدو من خلال رونه تقريري (ومن بعده بن تعري بردي) أن دمشق سرعان ما استعادت حيائها وفعاليتها الاحمسية خلال سنوات يسيرة من كثرته الاجتراح معوسي ، فله روه الان لك تعري بردي (والد سورج) في نصه المقدم سابقاً عن أن المعون «ساقوا الأولاد والرجال وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها وساقوا جميع مروطين في الجبال» ، يدل على ان دمشق حلت من هبتها قديماً بالكثرة وقد يرويه لهريري (دما نقلأ أعلاه في ترجمته) يدل على مثل ذلك أيضاً ، مصعباً أن كل سوار الحبة والمدينة حسب ليتها حتى لكلا - من مصر لترميم أمورها - قدو من خلال ذلك أن المدينة مجتحت في سنوات قليلة بتجاوز المحنة

وفي خامس عشره حرج محمّل الحاج من دمشق ، صُحبة الأمير تَنكُرُعا
الخططي

شهر دي القعدة ، أوله الأربعاء :

وفي رابع عشره نُوي بدمشق بالعسكر أن بسوا سلاحهم ويقهرُوا جمعهم
عند باب النصر في يوم الجمعة . وفيه تُتَّعَت الحمير⁽¹⁾ بدمشق ، وأُحْدَت من
السائين وسائر المواضع لتُحْمَصَ عليهم الأمتعة بسُفَرٍ قرب الناس من هذا
صدر كبير .

وفي ليلة الأربعاء خامس عشره حُصِفَ جرم القمر كله .

وفي يوم الأربعاء هذا كب السلطان من دار السَّعدة إلى العوطة . فكس
عقرباً⁽²⁾ وبهذه على أن الأمير شيخ قبر احتفى فيها ، فم يوحده وتيس كذب
ما قيل وحل بأهل الناحية بلاء عظيم⁽³⁾

وفي يوم الجمعة سابع عشره حرج السلطان من دمشق وزل بقبة يَلْتَفُ ،
وتبعه من بقي معه من العسكر ، فأت محبسه واستقل بالمسير من القدر يريد
تَنكُرُك وعاد الأمير بكنمر حلق نائب الشام وعينه تشریف جليل ، فنزل بدار
السَّعادة على العادة⁽⁴⁾ .

(السلوك للمعري ، 4 / قسم 1 : 136-161)

-
- (1) طَبَّ وم دس الحمير ؟
(2) عقرب قرية معروفة إلى الجنوب الشرقي من دمشق في أيامنا على طريق المطار
(3) نَمَّة الحكاية أن حمالة السلطان في الكرك طهرت بعلته شيخ حارحاً من الحمام .
فهاجموه وأصابوه بخرج بليغ كد يموت منه ، لكنه لم يستمر أكثر بعد عامين



المدرسة انتحري ورمب وسوق الحبل ، نقشة قديمة حوالي عام 1880



ابن تغري بردى

(توفي 874 هـ / 1469 م)

أُرّخ تحريرده السلطان ناصر قرّح السابعة إلى دمشق عام 814 هـ

يوسف ابن الأمير الأسابك نعري بُردى الشُّعَاوي الظاهري أنوارخاس جمال لدين مؤرّخ بحثه من أهل القاهرة مؤبداً ووفاة كان أبوه من ممالك الظاهر برفوق ومن أمراء جيشه لمقدمين ، وولي بيانه دمشق ثلاثاً في أيام لناصر قرّح من برقوق ، إبان عرو انتار عام 803 هـ (راجع بصره لتقدمه) وأمه كانت حاربة تركية ومعنى اسمه بالتركية إبنه عطية ، وكان يكتب بكثري ويردى ، والكاف الموسومة بثلاث بقص تلمط بوباً ، واسواو أقرب إلى الحرف V بحركة بين لفتح والكسر ، وفي لتركية الحديثه : Tanrı Verd.

كان يوسف صغيراً لم يدع قطمه عنده بوقي بوه عام 815 هـ ، فشا في حصر صهره قاصي القصاة حلال اسين التلمبي (الموفى سنة 824 هـ) ، وتأدب وبقه ، قرّ الحديث وأوقع بالتاريخ خاصة ، وبرع في سور العربية وامتد في علم نعم والإيقاع صنف كتّ نبيسة ، منها «البحوم البراهرة في ملوك مصر والقاهرة» و«المهل الصافي والمستوفى بعد لوفي» وهو كتاب كبير في التراجم جعله بيلاً على كتب «النوحي بانوفات» للصمدي ، كما احتصر لمهن في كتاب «البليل الشافي على المهل الصافي» ، و«مؤرد البطقة في من وبى السلطنة والخلافة» ، و«برهه الرائي» في لدرج ، و«حوادث الدهور في مدى الأبد» واشتهور «دبل به على «السلوك» بمقري ، و«البحر الراحر في علم الأوائل والأواخر» في تاريخ

ولا مُتاحة أن أحصى مؤلفات راجح وإنما هي صيماً كان «التجويد النزهة» ، وهو درج شامل مصر ، بدأ بفتح لإسلامي وينتهي إلى سنة 857 هـ 1451 م .
وهم ما فيه ، من متعلق بعهد به يد ، لأن به من أحواد في أكثره - عن متقدمي المؤرخين (كالمقري الذي كان أستاذة) - سيما في الفترة التي أدركها المؤلف وشارت أحداث عصره (من مطبع بثث الثاني من القرن التاسع) يرى رأي المؤلف وتفاعله بما يكتب ووضحه تماماً

ومن ادعى اسباب غموضه لكتاب ، أن صاحبه كان يستقي معلوماته راجح من كبار مصر ، شخصته من معرفة وأصحاب به ، لظاهره لتأثيرين وهذا أمر يسر دوماً في مقدمه راجح ، راجح علمه ذلك أنه كان يكتب لموصوئية لا مشور بها ، فعدمه يوضح حواره بمثل الملوك ناصر راجح ، وهو من عمنه يبيض في مدح حرأته وفروسته ومرأته ، ثم يروي : «ولم أزد مما قننه لتعصب للملك الناصر المذكور ، فإنه أحد ماله وجميع من خلود يوالد وترك فقره - يعلم ذلك كل أحد غير أن الحق يقال على أي وجه كان»

ذلك تحتى للدر في كنية محققاته أسفه ومحربه للوقائع ، تنب تنبيه وتذبحها ، لا تحرقه سفل لا خوف غمض سنة من ذلك مثلاً تعييفانه الأربعة بعض الشيء - لآراء تقي الدين المقري ، وإقحامه دوماً لرأيه بعباره «قلت» ، مدق ومصححاً ، كما يلزم ذلك من التراهير وأقوال السهود

أول نشره بكتاب كتب لمشرق الهولندي يسنول T. J. J. J. ، الذي سراقسم لأول في مجلد من بلدية لايد سنة 895 - 1864 ، متبهاً به إلى آخر لدولة الفاطمية عام 166 هـ وصل عمله مسرور حتى تابعه لمشرق الأميركي وليم بوبر W. P. pper من أستاذة جامعة كاليفورنيا ، فواصل شرائحه لتأليفه في جمعه كاليفورنيا من كني 909 - 933 ، ثم أعاد د. مكتب لمصرية نشر بكتاب من عام 929 ، إلى أن اكتمل في 6 ، مجلد عام 1972 .

أُرُخ ابن تعري يزدي في كتابه لسيرة الملك الناصر قُرح ابن الطاهر برفوق ، وهو ثاني سلاطين دولة المماليك المُرحمة من بعد أبيه ، وواقع أن سبب الطاهر والناصر لها علاقة عائلية مؤنس ، فأحت أبيه الأمير تعري مردي (شيري) كانت روحه الطاهر ، وهي أم الناصر ، بالتالي يكون المؤنس ابن حله ، وعدا عن ذلك تروُح لناصر من امة خاله (فاطمة) وعدد المؤنس لناصر سبع تجارب قد قدم بها إلى الشام - كما سمر تفصيلها أدناه - وكان مصرعه في سببها بدمشق حيث مات أشنع ميتة في حربه مع الأمراء الثائرين عليه ، بقيادة الأميرين شُخ محمودي ونوروز اخافطي (وكلاهما ولي نيابة دمشق)

إذا كان التاريخ يعيد نفسه ، فما هو ذا الناصر يتعرّض للموقف ذاته الذي واجه أباه عام 791 هـ عندما قوبل بالرفص من قِبل أمراء لشام بقبده ببطاش وكان مرّ بالناصر موقف آخر في باكورة توليه لسلطنة عام 802 هـ ، عندما ثار عليه يتمش البجاسي معونة ثم الحسني (كما جرت في نصر ابن خلدون) ، لكن مال لناصر في وقته لأخيرة هذه بأواخر عام 814 هـ ومطلع 815 هـ كان فيها حفله فهل تراه قصي بد عودت صحابا الغدنة التي كنت تكص على عقيه فتركها طعمة تيمورلك الطاعية ؟ أم هي دماء بشت من صحابا يحكمه الذمي ؟

تبع أحبر ما جرى في هذا النص لتدني ، ثم تُسعه بأحداث الخلاف الذي دبّ بين المنتصرين عام 817 هـ ، فكانت ثورتهم أبناءها ١

المصادر :

نجوم أبرهه في ملوك مصر والقاهرة لابن تعري يزدي ، 13 : 135-139 .

النجوم الزاهرة ، 1 : 9-28

إعلام الوري لابن طولون الصاخي ، 37 .

دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد أفرام البستاني ، 2 : 384

مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عاب ، 114

شراکت

النجوم والأقمار

ملوک مصر و اقباہۃ

9. 10

صالح الدوسري أبو المصطفى يوسف من شعري مري الزبانية

الجزء الثالث عشر

محتوى

فہیم محمد عثمان

الباب

الحياة المصرية العامة لتليساواسر

p 1980 - 2 179

كتب «البحر المأهول» لابن عربي برقي الأتابكي

[التجريدة السبعة لسُطان الناصر فرح إلى الشام]

[سنة 8،4 هـ]

ثم سار السُطان من القاهرة ، حتى مرل بحجيمه من الرّيدانية تجاه مسحد
لُثس ، وهذه بحريدة لسُطان الملك الناصر السابعة إلى انبلاد الشامية ، وهي التي
قُتل فيها حسما يأتي ذكره ، وهذه التحاريد خلاف تحريده السعيدية التي انكسر
فيها الملك لناصر من الأمراء وعاد إلى الدّار لمصرية ، ولم يصل إلى قطا ، على
به تكلف فيها إلى حُمل مسنكرة ، وذهب له من الأثقال والقُماش والسّلاح
ضعايف ما تكلفه في السّقة وعمرها

وكانت تحريده الاولى إلى قال لأمر تم الحسي بطاهري نائب لشام في
سنة اثنين وثمانائة ، وتحريده الثانية يقال تيموركك في سنة ثلاث وثمانائة⁽¹⁾
والثالثة لفل جكم من عوّض ، في سنة سبع وثمانائة ، بعد واقعة السعيدية
والرابعة في سنة عشر وثمانائة ، التي بعث فيها الأمير شيخاً اعمودي نائب الشام
والأتابك يشبك اشعبي وحسهما بقلعة دمشق ، وأطلقهما منطوق نائب قلعة
دمشق والخامسة في محرمة سنة اثني عشرة وثمانائة ، وهي التي حصر فيها
شيخاً وتوروزاً بصرحاً والسّابعة في سنة ثمانية وعشرون وثمانائة ، وهي التي حصر
فيها أيضاً شيخاً وتوروزاً بصرحاً وكثرت وتحريده السابعة هذه فجعله تحريده
ثمانى سفرات بواقعة السعيدية انتهى

ثم حرج الخليفة المستعين بالله أبو الفصّل العباس والقصة الأربعة ، وهم .
قاضي القضاة حلال الدين عبد الرحمن السفيسي لشافعي ، وقاضي القضاة ناصر
لدين محمد بن العديم الحنفي وقاضي القضاة المالكي وقاضي القضاة الحنفي
وزر الخميم بالرّيدانية ، وترد السُطان في مدة إقامته بالرّيدانية إلى التّربة التي أسّسها
على قبر أبيه بالصّحراء خارج باب النّصر وبيت به ليالي وتحريده صحاياه

(1) علمه حجارها اعلاه ، بروايه الاتيك بدي بطاهري ، ولد يوسف أبي الحسن
يوسف ما اثباته والرابعة والخامسة والسادسة فقد بقها عن المهريري

وحمل الأمر يلثعا ، الباصري نائب اعنة بالقاهرة ، وجعل في باب السلسلة الأمير لطيفاً الحماي ، وقلعة احل ، الأمير أسبعا لرر دكش شد ، الثروات خاب ، وروح أحبه حوتد بيزم ، وولى بياة القلعة للأمير شهاب الرومي عوصد عن كمشثا ، حماي ، وبعث كمشثا اخمالي صبحه حريمه ، وقدمهم بين يديه عر حلة .

ثم حل السلطان مر ثرية نه قبل العروب مر يوم الجمعة ثاني عشر دي حجة من سنة أربع عشرة وثمانمائة ، بضع احدره له الشيخ زهاد الدين إبراهيم من قاعة ، وقد حرر اس قاعة وقت كونه وعوق السطار عن الركوب ، وبعثكر واقفة ، حتى دخل الوقت الذي حدره له ، فأمره فيه بالركوب فركب السلطان وسار يريد اسلاد الشامية ، وول محفمه من الريداية ، وفي ظنه أنه مصور على أعدائه ، بعظم عساكره ، وطاق احدره له ابن قاعة فكانت عليه أيشم السفرات

فلعمري ، هل جمع الشيخ زهاد الدين من قاعة المذكور بعد ذلك عن معرفة هذا العدم أنه استمر على دعواه ، وأب أعحب من وقاحه أرباب هذا لشان ، حيث يقع بهم مغل هندو يعطز القاعش وأمثله ، ثم يعودون إلى الكلام فيه والعمل به ! انتهى (1)

ثم استقل السلطان بسير في سحر يوم السبت ، ثالث عشر دي الحجة وفي هذا شهر انتكس لودنث مرة ، وتزم الفراش في أرمات ، حسما يأتي ذكره

(1) لا استمر بين يدي مولانا أبي المحاسن ، فهي ايما بعد خمسة قرون ونصف من وفاتك ، عليك رحمة الله من كثير من اساس يلامون أبواب المشعوهة والعرفين ، ولا يملكون على أمر ولا باستشارتهم وبصائحهم العالیه !
(2) برد ذكر دكش في القصة ان ية اني بقله دناه حول السلطان الباصري بدمشق

وأما سُلطان الملك الناصر ، فإنه قبِلَ أسير حذر عسكره من أرّحيل قيس
القمير ، وعلّقه وهو بالريدية أن طائفة رحلت فركب نفسه وقبض على واحد
ووسطه ونصب مشقة ، فما وصل إلى غزّة حتى قتل عدّة من العِلّمان من أجل
رّحيل فل القمير ، فتشتم الناس بهذه السّخرة

ثم سار حتى برز مدينة عرّة ، فوسط بها سبعة عشر يوماً من الممالك
طاهرة وهو لا يفعل من شاة أسكر وعقد ذلك معه أن الأمر ادين
بالخاليش توخّوها بأجمعهم إلى شح وورور ، وكان من حرهم أنهم لم يصلوا
إلى مشق حوا إلى الوالد وقد نُقِل في الصّعب وسَمُوا عليه وأحمره بكثر
جَلَق عن ذلك ، فذكروا له أعداداً فسكت عنهم فدموا عنه وخرجوا بأجمعهم
وتوخّوها إلى شيخ وورور ما خلا شاهين الرّركش فإنه لم يوفقهم على
الذهاب ، فمسكره ودموا به إلى شيخ ونوروز .

ولم يبع الملك الناصر ذلك ، ركب وسار من عرّة مُحدّثاً في طلبهم ، وقد
مرت منه اقلوب ، حتى برز بالكبوة في يوم الثلاثاء سلّح دي الحجة ، وألّس
من معه من العساكر استلاح ورثيهم بنفسه

ثم سار بهم قصد دمشق ، حتى دحبها من يومه وقت الزّول ، وقد حرح
أعداء دمشق وعوامها لبقية والمُرحّة عليه ، ورُست لقدمه دمشق ، وبرز
بالقلعة بعد أن برز عبد الوالد مدار السّعة وسَم عليه ، وأمر روجه خوّد
بالإقامة عند الوالد

* * *

ثم أصبح يوم الأربعاء أول محرّم سنة خمس عشرة وثمانئة حلع على
مقاصي شهاب الدين أحمد بن كُشك ، وأخذه إلى قضاء الحقية بدمشق

(١) يعني خوّد قاضيه ، وهي بنة الأمير توري بردي ولد لمولف ، كما كان الأمير أنص حال
السلطان ، فأخذه خوّد شيرين كان له حة الظاهر برفوق وأم أكر أمائه بريح

ثم شمع الواد في الفاصي محمد بن الباري . فطله السلطان بالاربعاء
وأطلقه من سجنه ببعده دمشق .
ثم فرح السلطان ايضاً عن أمير كدي الحجاب . وكان اواء قصر عيه
وحسه



ثم دحل السلطان بموادة . وسشدره في املا من ساس فيما يعمل مع هؤلاء
الأمراء العصابة ، فقال له الوالد : «يا حوندا ، تسبح في سبتك خمسمائة مرة ،
وتحرق في سبتك ٦ فرسب اسدي تحتك عاصي عليك» ، فقال له الملك ساصر
الكلام في ما : «... من شير عني الآن» ، فقال : «عدي رأي قومه ،
إن فعله السلطان يصلح به حائه»^(١) . قال : «وما هو؟»

قال : «تراجع من هـ إلى مصر ، فمصر كان به فيل إليك عاد صحنك .
ومن كان قد داخله الرعب منك فهو يهربك من هـ ويتوجه إلى لقوم ، فإن
دخلت إلى مصر بآداب الأمير . وكيف عدي قتل محايك أليك وغيرهم و عدي
عليهم بالاحسان . وأكثر بينهم من لا عيذر فيما وقع منك في حق غيرهم ،
واسلك معهم قراش تدب على صنعو الله . فهد تطمئن قلوب رعيتك وتعودون
بعد عنت . فإذا صدر معك سهم ألب ممنوب قهرت بهم جميع أعدائك ، لم شاع
من إقدامك وشجاعتك . ولعظم ما في فب أعدائك من الرعب منك ،

«وابعد فإن هؤلاء الأمراء العصابة قد كثروا إلى العانة . ولإلاد اشامة لا
نفوذ بأمرهم . فاما أن يقع بينهم الخلف على السلاد فيمضقوا ، وإما أن يتفقوا
ويجتمعوا على قتلك ويأتوك إلى مصر ، فاحرج إليهم والقهم برأس الرمل ، فإن
تصبر عليهم ففعل ما به لك ، وإن كاتب الأخرى فاحرج إلى السلاد ، فمن
قرا يوسف صـ حب العراق إلى هـ اني فطاني صـ عنتك . فما عدي غير هـدا»

(١) يصبح حال لسلطان هـه كان معه لولا يذوه واخذاه لالعر . وكان فاسباً عشوماً
للجنة ، راجع لصة فته لطلفته بت صرق في التجوم الزاهرة ، 13 ، 130

فستحس جميع عسكره هذا الرأي إلا هو . فإنه لم يحبه . وسكت طويلاً . ثم رفع رأسه وقال «يا أباي» . أن فتنت هذه الخلائق لتعظم حرمة . فإن رجعت من هذا أيش ينشئ بي حرمة ؟ وإن أعرف بحال هؤلاء من غيري . والله ما صعبهم قدامي إلا كالصيد لمخروح . والله إذا بقي معي عشرة بمائيت قابلتهم بهم . ولا صبت إلا أن يشتو ويقفرو ويبتوي حتى يتصف منهم»

فقال له الوالد : «اعلم أنهم الآن يقاثلونك»

ثم طنا الملك الناصر فأحضره بين يديه . وكث ستة ذكور . فقبلنا يده - وأن أصغر الخمسة فسأل عن أسمائنا . فقبل له ذلك ثم بكلم الأناك - مردش المحدثي عن لسان بولد بلوصية عبد فقال السطرد [هؤلاء أولادي وأصهارى وحوتى . هذه الوصية في حقهم] كل ذلك والوالد ساك . قد أسدده لك لا يتكلم . قلت فطم أنت صرقت أولاد «أواعت أولادي إلى الله تعالى . وستعت في أمرهم» ففعل ذلك غاية السمع والله أحمد - مع ما أخذ لنا من الأموال التي لا تحصى نحن خسر . عند هزيمة الملك الناصر من الأمراء ودحو له إلى دمشق .

ثم حرق ملك الناصر من دمشق عساكره في يوم الإثنين سادس المحرم . وحرل برودة . ثم رحل منها يريد محاربة الأمراء⁽²⁾ .

(التجوم القاهرة ، 13 : 135-139)

(1) في التركية ata يعني لأب كما تطلق على الآباء والأجداد لسانهم ومنها سم عائلته شهيرة بجمهر الأناسي Atasi ، أي الأب بصيغة التعريف
(2) سوقة عن بعض وقائع الناصر والأمراء خارج دمشق ، لندكر ما جرى له بها بعد

[مقتل السلطان الناصر هُرج بدمشق]

[في مطلع سنة 815 هـ]

فلتُ وأما تلك الناصر ، فإنه لما انكسر سار نحو دمشق حتى دخلها ليلة
الابعد في ثلاثه عر ، ورس بالفدعة وسأل عن اوالده ، فقبل به مُحْتَضِر

ومر يومه في يوم الخميس سدر عشر لحرم ، ورفق مر يومه منيرة
الأمير تيم الحسني نائب الشام ، خارج دمشق بميدان الخصى¹ .

وأما سدر الناصر فإنه أصبح يوم الأربعاء ، استدعى القصدة والأعيان
ووعدهم بكل خير ، وحثهم على نصرته والقائم معه ، وبقائه فيه وحده في
تدبير أموره ، وتلاحقت به عساكره شيئاً بعد شيء .

ثم قدم عليه لأتاك بمرس فأتى صبح جمع عنه في عصر يوم خميس
سادس عشر فخره بملايته بيابة دمشق - عديموب والدة - حمه به

وأحد سلطان في الاستعداد وإخراج الأموال ، ثم استولى على جميع ما
لوالده من حين وجمال وثمنه و راحته ومار ، عر كونه وصياً وأيضاً وكل
روحه فكان ما حمه ما أحده نحو الألف فرس ما مع مراكيب وحش² .
و سحره جمع ما يملك لونه مشروب ، مع نيك حرفة وكنوا أيضاً نحو
ألف مملوك وجمع على طوعاً وبها أو بدس سهراره على امره فطرحه
وكذلك راس وبة ، فكلموه فيما خد ملوهم من خيول والعماش ، فوعدهم بمره
ما أحد وأصغره

1. بركة سم من سوم في حني الخفنة - الميدان المعروف في ، وهي من لرب المملوكيه
لأنه (اورر ، صورجه هـ ، و بها إلى بيوة صريح الأميرين الظاهريين سم وتعري
برري لأتاك عر رر ثمار نهاصد بطرس ، 214) ما الأمير سيف لدن سم
anar من عند سم حسني الظاهري فسمه لاصبي تب tan bey (مرفجر) كر
من ممالك الظاهر برفوق ، ونولي بيابة دمشق في أيامه بين 795-802 هـ
2. لكلمة مصحفة عن لغه سبه دوسا (وقد ترد في المصنوع المملوكيه) (شرا) وتعني
الذوات الخفية ، لا تركب بل تُركا لترعى فتدركاً للصغارها وللشرب

ثم أحضر السلطان لأموال وصتها بين يديه ، فأشار عليه بدمردش بالخروج إلى حلب فلم يوافق ، وأبى إلا الإقامة في دمشق ، فأشدر عليه ثانياً بالعود إلى ندير المصرية فلم يرض وأقام بدمشق وكان رأي دمرداش فيه عاية اخوة ، فإن جميع أمراء لتركمان كانت مع الملك الناصر ، مثل قرايلك وابن قزمان وبني دكعاد وغيرهم ، فحبب إليه الإقامة بدمشق لأمر سبق في القيد .

وإذا أخرج السلطان الأموال أتته أسوار من كل فتح من التركمان ولعربان والعشير⁽¹⁾ وغيرهم ، فكانت سماءهم وأنفق عليهم وقواهم بالسلاح ، وأرسل كل طائفة منهم بموضع يحفظه ، فكان عدة من استخدمه من مئة زيادة على ألف رجل وخصر القلعة بالساحيق والمدافع بكار ، وجعل بين كل شرافتين من شرافات سور المدينة حوبة⁽²⁾ ، ومن رانها ثومة بالسهم الخنق والأسهم الخطائيه⁽³⁾ ، ونصب على كل برج من أبراج السور شيطانياً⁽⁴⁾ يرمى به الحجارة وتقر تحصين القلعة بحيث أنه لم يبق سبيل للتوصل إليها بوجه من لوجوه .

ثم حلق على بكباي الخاحب بسنة حماء ، ثم ركب قاضي القضاة جلال الدين بلقيسي ، ومعه بقية قضاة مصر ودمشق وجماعة من أرباب الدولة ، ووردي بين أيديهم عن سائر السبيل أنه «قد شغل لكوس وأزال المطام ، فدعوا له» فعظم ميل الشاميين إليه وتعصوا له ، وصار عالهم من حزيه ، وغنوا عن لسانه .

«أنا سلطان ابن سلطان وأنت يا شيخ أمير»

(١) عبارة العشير يقصد بها أبناء عشائر الدو ، لكن يبدو أنها كانت في ذلك العصر تستعمل بمعنى الفرق غير النظامية من المبرقة القادمين من أرباب الشام

(٢) بحث ملياً عن معنى جنوية ، فلم يجد سوى ما أورده التقرير في سلوك (١) . 757 . 840 ، 164 (من أنها انقائه أو مركب تنفس الخرجي وبكر المعنى لا يستقيم به ولا بد أن يكون نوعاً من الأسلحة الشائعة آنذاك ، سبغ إلى جمهورية جنوة الإيطالية

(٣) الأسهم الخطائيه هي سهام عظيمة يرمى بها عن قسي عطاء تؤثر بلوب يجر بها ويرمي بها ، فتكاد تحرق الحجر . انظر . صبح الأعشي للمصنف ، 2 : 144

(٤) يبدو ر هذا نوع من الحديد اما قد سمي شيطاني فالعلم عبد الله

و كثروا من الدعاء له والوفيقه في شيخ و. و. ر. ، و وعدوه بمال معه حتى
المئات .



و استمر ذلك إلى نكته يوم ست ثامن عشر المحرم ، فرز الأمرء على فته
بف خارج دمشق ، فب السلطان عسكراً فوجهوا إلى اقيسات فرز بهم
سودون المحمدي وسودون الحب ، وقتلوا حتى قتلوا سببهم مائة
ثم انصرف الأمر .

وفي يوم الأحد سيع عشر محرّم رُفّل الأمر من فة يلع ورمو عربي
دمشق من جهة ميدان ، ووقفوا من جهة سبعة إلى حارح اسند ، فقاموا بالسبات
بهم وبالنمط ، فاحرق ما عند باب العرابيس من الأسواق .

فَمَا كَانَ لَعَدٍ مِنْ يَوْمِ الْإِثْنَيْ عَشَرِ إِلَى رَجْمِ اجْتِمَاعِ الْأُمَرَاءِ لِحَصَرِ قَوْقَمُوا شَرَفِي الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ كَثُرُوا رَاجِعِينَ وَرَدُّوا حَيْهَ السَّوَاتِ إِلَى يَوْمِ الْارْبَعَاءِ ، فِي عَشْرِيهِ ، وَفُتِحَ لِقَائِهِ شَقِي اسْدُ ، وَبَرَأ الْأَمِيرُ تَوْرُورِ سَدَارِ طُعْمَهُ ، وَاصْدَبَ صَحْبَهُ بِبَيْتِ الْعُقْمَةِ ، فَوَيْلٌ لَطَائِفِهِ بِصَالِحِيَةِ وَامْرَأَةٍ ، وَبَرَأ شَمِشَ بَدَارِ عَمَسِ الْحَبِيلِ أَسْدَارِ الْوَالِدِ تَجَاهَ حَامِعِ كَرِيمِ الدِّينِ الَّذِي طَرَفَ لَقِيِيدَ ، وَمَعَهُ الْحَبِيبَةُ وَكَتَبَ السَّرَّ فَتَحَ امْرَأَتَهُ ، وَبَرَأ بِكَتَمِ حَقِّقٍ وَفُوقَ مَسْ سَمْدِي الْكَبِيرِ فِي حَمْدَةٍ مِنْ حَيْثُ بَسَاتِيْنِ مَعْنَى حَبِيلٍ ، وَغَسَقُوا الْمِيرَ عَنْ الْمَلِكِ الْقَصْرِ ، وَفَطَمُوا بِهَرِ دَمَشَقٍ ، فَفَقَدُوا مَاءَ مِنْ لَمْدٍ وَعَطَلَتْ خِدْمَتُهَا وَعَلَّقَتْ الْأَسْوَاقُ

وَتَسْتَعِذُّ بِالْأَمْرِ عَلَى أَهْلِ مَشْجُو وَاقْسَمُوا فَلَا شَيْءَ بَأْسَهُمْ
وَالْمَعْرُوفُ ، وَحَبْرٌ عِدَّةٌ حَوَائِثُ مَشْجُو وَكَثُرَتْ خَرَاجَاتُ فِي أَصْحَابِ الْأُمَرَاءِ
مِنْ تَسْمِيَةٍ ، وَنَكَهَهُ لِسُلْطَانِيَّةِ الْوَلَمِي مَرِ الْعَلَى السُّورُ ، وَعَظُمَ الْأَمْرُ وَكَتَبُوا
مِنْ الْقَتَالِ

١. مُعِينُ السَّيْرِ ثَرْ *Onar* : عندنا أمير مركي من محارب الأدياب طُغتكين ، حكم دمشق ودافع عنها ببطولة في وجه الصليبيين عام 543 هـ ، لكن لا يُعرف موضع بساتينه

ثم إن الأمير شجاعاً أرسل إلى شهاب الدين الحسيني^١ ولساعوي^٢ ،
وقصي الفاصي ناصر الدين بن العديم الحفي قاضي قصبة الديار المصرية ، وكان
قد انقطع بالشبلية^٣ لمصر به - فأحضر شيخ الثلاثة وأمر لهم عسده ثم نحو
ناصر الدين بن اساري وصدر الدين الأدمي الحفي قاضي قصبة دمشق والأمير
شح

ولما بلغ الملك ناصر توحته ابن العديم إلى شح ، أرسل حلف محب الدين
ابن الشحه قاضي حلب ، وولاه قضاء الحفية بالدير المصرية عوصه .

ثم في يوم الجمعة رابع عشره ، أحضر الأمير شح الأمير بلاط الأعرج
شاذ انشرب حاناه وكان ممن قُص عليه بعد انهرام الملك ناصر - ووسطه ثم
أحضر أيضاً للأمير بلاط أمير علم - وكان ممن قُص عليه أيضاً يوم الواقعة ، من
أجل أنه كان يتولى بيع خُصده من المماليك الظاهرة - فلما حُمِل للتوسيط
صاح ، «يا صهرية لحيره أر حُتدشكُم» ، قالوا له : «الآن أنت حُتدشنا ،
وأيام للبح كد - عدو ؟» فلم يبق له أحد

-
- ١) هو قاضي قضاء دمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن خبيعة دمشقي
المعروف بابن الحسيني ، توفي سنة ٨١٥ هـ
- ٢) شهاب الدين أحمد بن ناصر بن فرح الأنصاري باعوي توفي ٨١٦ هـ ، ومسنده بن باعوي
قرية بالقرب من عجبور - الصواء للامع بسجدي ١ 26
- ٣) مدرسه الشبلية كانت من مدام الحفية بدمشق ، بنيت في أواخر العهد الأيوبي حوالي
عام ٦٢٣ هـ واقفها الأمير شبل بن توبة كافر الخمي بموعد الأمير حسام الدين لاجين
ابن اخاتون بنت الشام تحت ناصر صلاح الدين الأيوبي شق للأمير كافر طريقاً
يربط مدينته بالصاخية غرباً في سانب «عين الكرش» ، ولم يكن لمصالحية طريق إلا من
العقبه وهي مدرسه عند حرثو ، إلى شمالاً عربي من المدرسه اسديقه (التي
يوسمها حجة ليست اليوم قرب وسميها لا تربته لأسفة التي نعت في
عصره إلى العرب ولا ترون مائلة أقواسها وقره في حديقته على كتف ثور

وفي يوم السبت حاصر عشرين المحترق ، حلق الخليفة المستعين بالله امسك
 اناصر فرح من السططه وانفق الأمراء على إقامه الخليفة المستعين بالله المذكور في
 اسلطة⁽¹⁾ ، تستقيم سلطته الأحوال وتهدد الكفة وتجتمع لئس على سلطان
 وثبت حلق الملك ناصر على نقصة ، وأجمعوا على إقامة الخليفة سلطاناً ،
 ومنع الخليفة عن ذلك عية لامتاع ، وحاف ألا يتم له ذلك فبهلك ، وصمم
 على الامتاع ، وحاف من الملك ناصر خوفاً شديداً فلم يحجر عنه الأمراء
 دنرو عليه حية ، وطسوا الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطاري وهو
 أخو الخليفة المستعين بالله لأمه وبدبوه بأن يركب ومعه ورقة تتضمن مثالب
 سطر ، اناصر ومعيه ، وأن الخليفة قد حلقه من الملك وعزله من سلطنة ، ولا
 يحل لأحد معاوئته ولا مساعدته .

فما لمع الخسفة ذلك ، لام أخاه ناصر الدين بن مبارك شاه المذكور على
 ذلك ، وأيس الخليفة عديدته من صلاح الملك اناصر له ، فأدعن بهم حية
 بن سطر ، فدبوه بأجمعهم ، وحلقوا به بالأعداء المعلطة والعهود على الوفاء
 به ، وعلى القيام بنصرته والتزوم طاعة⁽²⁾

وتم أمره على ما ياتي ، كره في أوائل نرحمته من هذا الكتاب ، شاء الله
 تعالى⁽³⁾



(1) كانت هذه حية باحجة من الأميرين الشافعيين شيع ونوروز ، بيد أن مقصدهما بها كان
 لتلاعب بالخليفة العباسي واستخدامه كدريعة لفصاء على مقاومة أتباع الملك اناصر
 ثم بمجرد أن تم لهما ذلك وحلح اناصر وقتل في 16 صفر سنة 815 هـ ، بعين الأمير شيع
 المحسودى نائباً للملك بدمشق في سيطرة الخسفة المستعين في 8 ربيع الأول ، ثم سرع
 من مرز على الخسفة نور أن يحلقه ، وحسبه في القلعة وجلس على سرير الملك في شهر
 شعبان ومعه يمسك المؤيد الأنكى من ديك ، به انقلب عبوا برفيقه في السلاح نوروز
 وعدد له في عام 817 هـ بحميه عسكرية وسميت به بحية عذرة (كما كان فعلاً ممأاً بحق
 اناصر) وقتله ، كما سذكر أدناه عن ابن تغري بردي

(2) ذكر ابن تغري ذلك في النجوم الزاهرة 13 : 189

وأما الملك الناصر ، فإنه لم يسلط الخليفة وحُتِّع هو من الملك نهر النهر
 عنه ، وصاروا حربين حرباً يرى أن مُحافضة الخليفة كُفِّر ، والناصر قد عُرِل من
 الملك ، فمن قاتل معه فقد عصى الله ورسوله ، وحرباً يرى أن القتال مع الملك
 الناصر واجب ، وأنه باقى على سلطته ، ومن قاتله إيم هو باغ عليه وحارح عن
 طعته^(١) .

ومن حينئذ أخذ من الناصر في إدار ، إلى أن قُتل في بيته لست سادس
 عشر صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة بالبرج من قلعة دمشق ، بعدما حُوصِر
 أياماً ، كما سأتي ذكره مفصلاً في ترجمة المستعين بالله^(٢) ، إلى أن حُسن بقعة
 دمشق .

* * *

وخبره أنه لم حُسن بقعة دمشق بعد أمور يأتي ذكرها في سلطنة
 المستعين ، وقام محبوساً بالبرج إلى بيته أنست سادس عشر صفر المذكور - دخل
 عليه ثلاثة نفر [هم] الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه لطاري أخو الخليفة
 المستعين بالله لأمه ، وآخر من ثقت الشَّيخ ، وآخر من أصحاب نوروز ، ومعهم
 رجال من المشاعلية^(٣)

(١) أحببنا ينجأ بعض أهل سياسته (في تاريخ شعوب كفة) إلى استخدام الناس در بعه
 بلوصول إلى ماربهم ، وعاداً ما سطني من ذلك على الموم . وإن ثقت بعدد أمثلة ذلك
 لصاق بها المقام وخارجاً عن المقصد !

(٢) حول بقية حوادث الصراع بين الناصر وجماعته أمر دمشق بقبده شيخ ونوروز ، يذكر ابن
 تعري بردي انتماصبل لاحقاً في ترجمة الخليفة العباسي المستعين بالله ، ١٣ : ١٨٩
 ومقادها أن الناصر بعدما حُلِّي عنه أعوانه حُصِر بقلعة دمشق ، فأدعى إلى الصلح وتم
 ذلك وأعطى مواليه لأمر ، ثم خاروه وعذبوا مواليهم فحبسوه ببرج من أبراج قلعة
 كما يذكر المؤرخ . وخيراً أنموذ من بقله وهو في محبسه

(٣) المدعي هو من يتولى التشهير عن يقرر السلطان أو نائب تشهيره حياً أو مقتولاً ، كما
 يتولى في عادة تعدد القل فليس يحكم عليهم بذلك ، وتسميته نسب إلى شمس الذي
 يحمله في سيرة ليلاً . راجع معجم رابنهرت دوري .

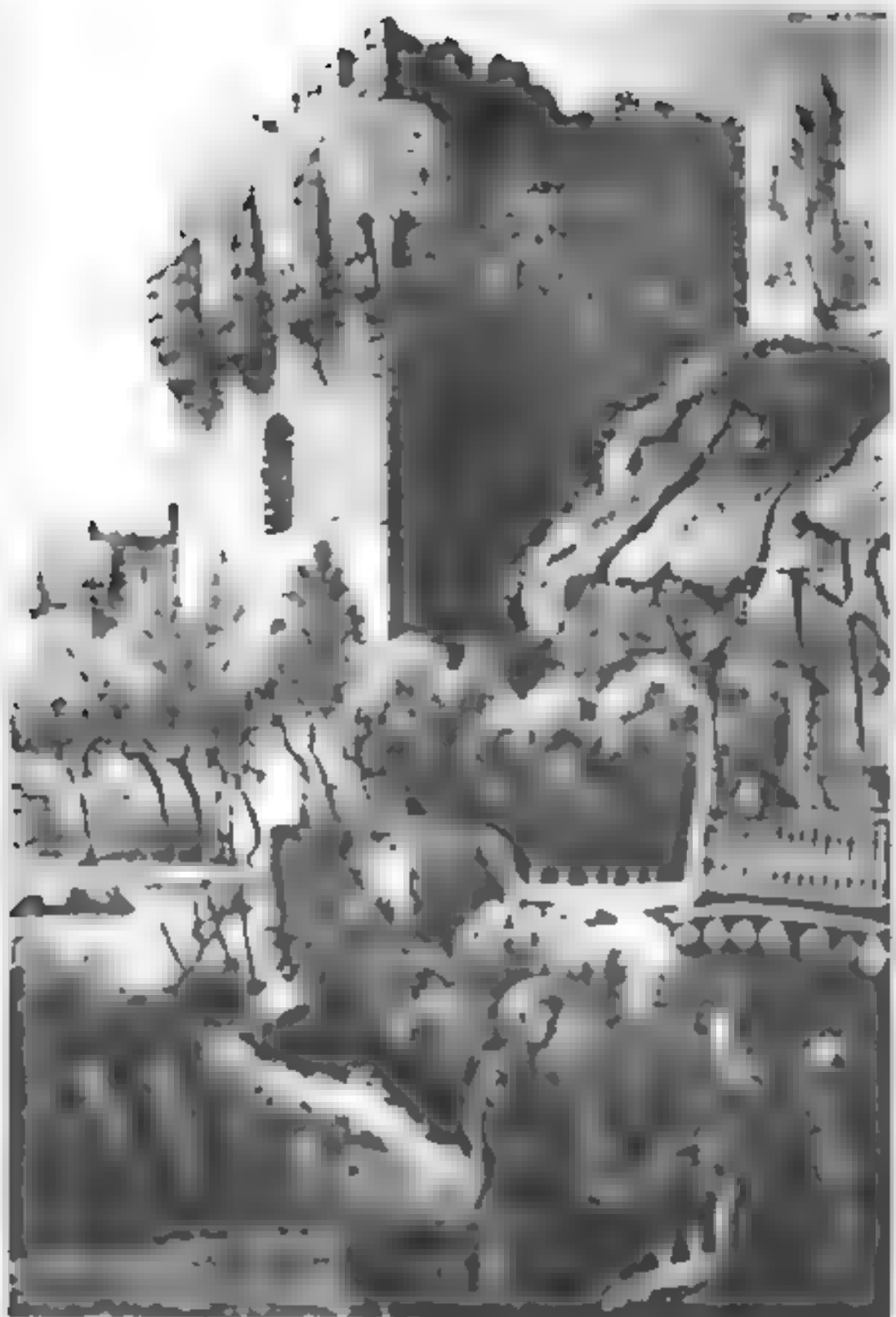
Dozy, R. Supplément aux Dictionnaires Arabes

فعلما رهم الملك اناصر فرح قام اليهم فرعا ، وعرفهم حمدا ،
ورافع عن نفسه وصرت احد برحيم بسورة صرعه ، ثم فدا برحيم هو ورفيقه
ومشوا عنده وبأندهم سكر كين ولا . وانصره به بالسك كين مذكورة ، وهو
يعرف بهم بسده ولكر عنه ما يدفع عن نفسه به ، حتى صرعه بعد ما أثبت
حرجه في خمس موصع من بسده . وتقدم به بعض صبا مشعلته فحمته وفيه
عنه ، فحجرت بسبب اناصر فعلا . ليه وحشيه وقري ودحه بحجر كان معه .
ه سبه ما عنيه من ثياب ثم سحبت رحيمه حتى اعلى على مريه مرتفعه من
الارض حب سماء ، وهو عري بسبب ، سر عورة وبعض فحميه سر ويده ،
ونقيه مموحبا والاس كمر به من سر وفقره كمو ، وحجر ، قد صفا انه
فموجه عر فيه وهو به . وبقيت عمن والعبيد : لأوش بعث بلحينه
ويذه

و سمر على مريه مذكورة طول بهر سبب انكور فيما كان الليل من
به راح حمده بعض ثياب بسوق عشيته وشمسه ، ودفعه كمره بسبب اعرايس
حب به عي كوصع يعرف بترح الراح . به تكسر حارة مسمو .
ولا عرف من توب عسبه ^(١٦) ~~بالتعريف~~ ~~بالتعريف~~

(الحوار برهرة ، ١٣ . ٤٢ . ١٤٨)

في لف بابه بلف بلف بسده هذه لاف ل به عني فله سروره عده له ص
بفوت حمة وثيموت حرمهم بسبب ، لا ثب به صا في مقايه ، دعم ، ملار
به به صا عبا كمر عيه وعلى حوته سيب مقصده اناصر به
بعار الراح . حاجه سروره في بودة مشق ص هرد - بر ديس ، سكر قس
اناصر بالطلع درس مدر من بعيد ولا يعرف له موقع
جوي اس عري بردي عده . بسبب اناصر فرح صا به م عمر فاسه ولس
صفتها معد به ستر به ثعبه في بسبه السعي غير به كان فرس ممو
الترك عد الملك لاشرف حيل بن قلاوون بلا مد لعه



پہلے دروازے کے سامنے کی عمارت



ابن تغري بَرْدِي

(توفي 874 هـ / 1469 م)

أُرّح حملة السلطان المؤيد شيخ إلى دمشق عام 817 هـ

يوسف ابن الأمير الأتابك تغري بَرْدِي الشُّعَاوِي الطاهري ، أبو الخامس
حمل الدين مؤرّح بحانة من أهل القاهرة مولداً ووفاة ، صاحب كتاب «النحوم
لراهره في ملوك مصر والندرة» سوف بن سرحم له ثابته ها ، فكنا قدما ذلك في
لنص ساق أعلاه ، وعلى أي حال ، فاصبر الذي يتم ذلك الذي طالما فيه
حادثة مقتل السلطان الناصر فرح ابن بَرْقُوق علي أبيدي لأمرأى الثائرين بدمشق ،
بقيادة شيخ المحمودي ونور الدين الحفطي ، كما يتم ما كنا قدمناه قلاً عن المقريري في
ذكر تحريكات الناصر استأبفه إلى تشم ، ووفاته مع شيخ ونور

بهي أن نصيف هما أن الرّحلين عمداً إلى استعادة الخليفة العباسي المستعين
بأنه كدرة لكبح مقاومة أنبع الملك الناصر ، ثم مجرد أن تم لهم ذلك وحلج
لنصر ، وقتل في 6 ، صبر سنة 815 هـ ، بعين الأمير شيخ المحمودي نائباً للملك
دمشق - في سلطة الخليفة المستعين - في 8 ربيع الأول ، ثم سرعان ما تمرد على
خليفة دون أن يحلعه ، وحسه في الفبعة وحلس على سرير الملك في شهر شعبان
ونلقب بذلك المؤيد ، الأتكي من ذلك أنه ورفيقه في السلاح نور الدين عتوس ،
نقصده شيخ في عام 817 هـ بحملة عسكريه ، وأمسك به بحدعه عادرة (كما كنا
نعلا تمام بحق الملك الناصر) وبالجوء إلى ابتلاع بالشرع فقتله وأرسل
برأسه إلى عاصمته القاهرة

تعود جذور الصراع بين الرّاحين إلى أوّل أسام سلطنة الممّار قرّح ابن برفوق ، حينما سوب برّحلال غير مرّة على بيابه دمشق ، فكان شّيح الخاصّني (الممّار بن قس اللّاد) وليها عمرة ، لأوّل مرّة عام 864 هـ إثر خروج معول ثمّ عصى ، فتولّاه بورور سنة 864 هـ ، فعصده شّيح وأخذ دمشق منه وبعد شدّ وحدث بين الرّاحين تولّاه بورور بين 809-810 هـ ، فقدم السّطان في تجريدته برّاعة وعتقل شّحاً مع أمير سمه شّك ، فأطلقهما نائب القنعة

ثمّ قصد شّح دمشق وأحده ، وظهر حملة بغداد بورور في بعسك أو سط عام 880 هـ فمشتب الحملة والتمى شّيح بورور عسى أنّه يقتل فتصالح ، وحصر ابن دمشق واقف على العصيد على السّطان ، وأرّك بورور نائب شدّ وشّح نائب صرّلس وفي 82 813 هـ حاصرهما الممّار بصريحه ثمّ لكّن في خبريدته بكنه كان في كبر مرة يدعو عهده (وكم كبر محضاً)

كان الرّحلال في تلك المدة صديقيين للأنابك تغري برّري نائب دمشق ، وفي الوقت ذاته ترط بينهما علاقه طيّبه في أيامهم ، وهي في باطنها مخصّص عدااء ، ثمّ لمّا قُتل ملك الممّار بدمشق بامر من الممّار بدمشق بورور واستمرّ ابن سلطص شّح بالقاهرة ، وقدم دمشق فقده في سنة 817 هـ كما مسرى ، فأبدل السّار أخيراً على هذه الصّدقة العجبة ، وصفت شّح السّلطنة حتى الممات

المصادر :

- تجوم الرّاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري برّدي ، 14 : 18
- تجوم الرّاهرة (تجمات أخرى) ، 1 ، 9-28 ، 13 ، 19
- علام الوري لابن طولوب الصّاحني ، 34-37
- رائرة المعارف ، بإدارة مؤاد فهدم استامي ، 2 ، 384 .
- مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عيان ، 114
- لأعلام للزّكلي ، ط 2 ، 9 ، 295

[رحلة السلطان المؤيد شيخ إلى الشام]

[سنة 78 هـ]

ثم استقل السلطان ببقية عسكره من أريدانية في يوم السبت تاسعه ، وسار حتى مر بحرة في يوم الثلاثاء تاسع عشر المحرم ، وأقام بها أياماً إلى أن رحل منها في سبع عشرة ، وسار على هيسه حتى برز على فقة بسف (أ) خارج دمشق ، في يوم الأحد من صفر من سنة سبع عشرة لمدكورة . ولم يجرح نوروز لقلده ، فحمد الله المؤيد على ذلك ، وعلم ضعف أمره ، فإنه لو كان فيه قوة كبالتقاء من ثناء طريقه .

وكان سير سبب المؤيد على هيسه حتى بلغ نوروز حرمه وبطلع له فلفه في القلا ، فبدأ بخروج نوروز عن الطلوع ضماً من سبب مؤيد مدلت وقوي بأسه ، عبر نوروز حصن مدينة دمشق وقلعتها وتها لقتله فأقدم السبب بقة يلعب أياماً ثم رحل منها وبرز بصرف الضيقات . وكذب السبب في طوب طريقه إلى دمشق يصيب موقفي أكثر أمره حمية ، وبأمرهم أن يكتبوا على لسان محاديتهم إلى نوروز «تب بأجمع معك ، وعرضت كفة عنك ويكثر من موقعة في الملك المؤيد ، ثم يقول في الكتاب وإنك لا تخرج من دمشق وتقيم مكانك ، فأما جميعاً أمر من المؤيد وبأيتك » . ثم صعد من عسسه ويرفع أمر نوروز ، وبعد محاسنه ويدكر مساوئ عسسه فمشى ذلك على نوروز وانحدر له ، مع ما كان حسن له أيضاً بعض أصحابه في عدم الخروج والقدار ، أرادوا بذلك ضجر الملك المؤيد وغووه إلى ليدار المصرية بغير حائل حتى يستحصل أمرهم بغووه ، فكان مراد الله غير ما أرادوا .

فقة بسف سببها نائب دمشق الامير بالله اليحياوي عند قرية القدام جنوب دمشق وبها مسجد لقدم بابي في اليوم خارج مدينته بعد حي اميدان ، وكان من رسوم دولة المماليك السلطان او نائبه كان معادراً دمشق او قريه بسبب صحبه لوكب او خيوش يبرز بها . فتدبها بشرقي دمشق مصطبة اسلطان عبد العالوب . وقد رأتها كلاهما .

ثم رسل استنطاب الملك المؤيد قاضي القضاة محمد الدين سامح الخدم ، إلى
الأمير نور الدين في حلب بصلح ، وامتنع نور الدين من ذلك ونهى إلا الحرب والعنف ،
وكان ذلك أيضاً حذبة من الملك المؤيد . وعندما نزل الملك المؤيد بطرف القسطنطينية
خرج منه عسكر نور الدين فحدث بينهم سلف من حمالة كبيرة من عسكره ،
فحاربوا بينهم وقد حووه قتالاً شديداً ففكس عسكر نور الدين وعدوا إلى دمشق
فركب نور الدين في حلب وصنع بي قنعة دمشق وجمع بها^١ ، فركب الملك المؤيد من
سائر من عسكره وبرز منهم ، فحاربوا قنعة دمشق

والمأفل بمؤيد ، فوعد طبع في قنعة دمشق به يحمل الأفل له على
لصديق ، ورسيل من شيوخه فعد عليه خبر بطواعة إليها ، فعدت معجب عليه
لعجب ، فسمعه حصن خو صه عر رت فعداً ما كتب طر ، نور الدين بطمع
لشعة ومحصن قنعة ، فسمعه منه فأدخل ملك أناصر في قنعة دمشق
وهو أنه بالعد ، فحاربوا قنعة دمشق فأت نور الدين فطهره في معركة
به « قنعة » وكتب رت ، فعداً ما تحصن لا يدخل القنعة ويمسح بها
إلا إذا كان حلقه مجدة ، ومحصن لا يملكهم محاصرتهم إلا مدة يسيرة ثم يرحلون
عنه ، وهذا سر به حده ، ويحل في قنعة على حصاره سائر لا ذهب إلا به
فهو ما حو لا محله ، فسمي هذا كلالاً في دهي والحقت أنه متى حصل له
حسن راحة في الأمان ثم رت عسي مره عسي به أنه لا يدحر إلى قنعة
- بعد ما سمعت منه ذلك - أبداً ، فثابه ما قاله في حق أناصر ، وحسن بباله
لا متاع بالقنعة حتى طلقها ، ولهذا تعجبت

في هذه القو . رت وضح . قنعة دمشق تم ، فسمي هذا عدي تمام رت به صرح ،
م سره عد حرج معو . سائر أحواله بشكل ، مع (كم مر في نص لا يا عدي في
انطهري) ، بطر القولا بمقريري ، 4 / سنة 1 : 39-44 وفي لقعة قتل أناصر عام
816 هـ ، كتب يرد في قو . المؤيد . راجع خبر مقله في النص السابق
١٢) من أن أناصر عمامان خصم لأنق فيه بذلك له يعد على حاله بعد أخربه بمورلند
عام 833 هـ عندما حارب دمشق وتركه بمك في بيت الأمير عاصم بنودوي
سويقه صا وح عندما تعرف لنودن خط جامع بين (بول حدره قوني)

وأحمد مؤيد في محاصرته ، واستندم اخربُ يسهم يوماً كثيراً في كل يوم ،
حتى قُتل من الطائفتين خلائ . فصار الأمر في الحال أحد أمر الأمير سورور في
إدبار ، وصار أمر الملك المؤيد في استظهار



فما وقع ذلك وظهر نفس عيسى سورورة ، ستموا من القتل وشرعوا
تسمعون سورور الكلام احشش . وهدمت مؤيديه طارمة دمشق⁽¹⁾ ، كل ذلك
و قتال عمال في كل يوم لسلاوتهم . و امر في مستند من انفسه بطلب حيق
ومكحل السط . و صار الأمر على الأمير سورور ، حتى أرسل الأمير قمش إلى
الملك مؤيد في طلب صلح ، وتوالت بين سبهم عبر مرة ، حتى يوم الصلح
بيهم بعد أن حلف الملك مؤيد سورور ، لأيمان المعلقة ، وكان الذي تولّى تخليف
الملك لمؤيد كاتب سره القاضي ناصر الدين محمد بن الباري

حكى في القصص كمال الدين القاسمي ناصر الدين محمد بن ساردي ،
كاتب لسر الشرف من عظه . رحمه الله . قال الورع : «لما أخذت في تحصيل
الملب لمؤيد بحصره سُئِلَ الأمر سورور : «نصفه قد حصروا نصاً ، فشرعتُ
ألحن في اليمن عامداً في عدة كلمات ، حتى أخرج معنى اليمن عن مقصود
سورور⁽²⁾ ، فتمت القصص ناصر الدين محمد بن القديم الحلي ، وكان فيه حقة
وقيل للقصي شافعي . «كأن القصي ناصر الدين بن الباري يسأل له ممارسة
بالعريّة ونحو ، فإنه يلحن لحناً وحشاً» فسكته التلقيني لوقته⁽⁴⁾

1 انظاره ماء مسط . كان متحفاً بخرج قلعه ، وهو دعه خشية ألقه ذات شريك
حبوه قبة من الخشب . وفي بهجة دمشق كانت مبهمة لظومة (عرفه علوية)
وسيرد ذكرها في نص بني البهاء الباري أدناه

(2) سمعنا حص أبناء عصرنا يفعلون مثل ذلك ، لكنهم كانوا سُمهاء لا قصاة !

(3) ما شاء الله ! يجاهر القاصي بسوكره في أساليب الاختيال ولا يراعي ؟ ما انما يقيد ما
فعله وبين ما كان فعله تيمورلنك بالأمن إذ حثت بعهوده وعذر بدمشق ؟

(4) الملاحظ أن المؤيد كان تريب ثلاثة من قصصه . فما بال شرع الله تعالى يُحذف محرّد
أن العديّة تترّر بواسطة ؟

فت وكن همد ، ممن بحضرة جمعه من فقهاء الترك من أصحاب
تورور ، فلم يعط أحد منهم بعدم ممارستهم لهذه العلوم ، وإنَّ حل مقصور
أواحد منهم بقراءة مقدّمة في لفظه وحلّها على شح من فقهاء أهل القروغ ، فعند
ذلك يقول أن صرّب فقهاً ، وليه سكّنت بعد ذلك ، ولكنه بعيد أيضاً على م
عدا لفظه من العلوم ، فهذا هو الجهل بعينه . انتهى

ثم عاد رُسل تورور إليه بصورة الحلف ، فقرأه عنه بعصر من عنده من
معه من تلك المقالة ، وعرفه أن هذا اليمين ما بعده شيء ، فاطمأن بذلك .
وبرل من قلعة دمشق عن معه من الأمراء والأعيان ، في يوم حادي عشرين . مع
الآخر ، بعد ما فانس الملك المريد بحر من حمسه وعشرين يوماً أو أريد ومشى
حتى دخل على الملك المؤيد . فلما راه للمؤيد قام له . فعند ذلك قيل له
الأرض وأراد أن يقبل يده . فمعه الملك المؤيد من ذلك . وبعد الأمير تورور
برائه ، وتحت أصحابه من الأمراء ، وهم الأمير يشيك بن زدمر ، وطوخ .
وقمشر ، وبرسغا ، وإيسال الرخعي ، وغيرهم . والمجلس مشحون بالضياف
والعفو . وحساكر سلطانية .

فقال الضيفاء : والله هذا يوم مبارك بالصالح وحقق التمام بين المسلمين .
فقال القاضي نصر الدين بن سارزي كتب السر «نهار مبارك لولم ديت»
فقال بذلك المؤيد «وكيف لا يتم وقد حلف به وخف ل» فقال القاضي الضيفاء
نصر الدين الضيفاء «يا فضة ، هي ضح يمير السلطان» ، فقال القاضي الضيفاء
حلال بدين التقيي «لا والله ، لم يصادف عرص المحلف» فعند ذلك أمر
الملك المريد بانصر على الأمير تورور ورفقته ، ففصر في حبل على احمص
وقيدوا وشحوا ، نكب من الإسطل إلى أن قُتل الأمير تورور من يده
وحملت رأسه إلى الديار المصرية على يد الأمير حرياش ، فوصلت القاهرة في يوم
الخميس مستهل حمادى لأوى ، وعُلقت على باب رويلة ، ودقت البثائر .
وريت القاهرة لذلك

ثم أحد الملك المؤيد في صلاح أمر مدسة دمشق¹ . ومهد أحولها . ثم
 حرق منها في ثامن جمادى لأولى يريد حلب . حتى قدمها بعسكروه . وأقام بها
 إلى آخر أشهر المذكور .

(النجوم الزاهرة 14 : 18-21)

١. ومن الآثار التي تركها بدمشق ويرىها الناس في عصرنا كل يوم ، لوانات التحاسيب ليدب
 العربي ليدمع لأموي في محنة باب البرية . وهي تحمل اسمه : «المؤيد أبو النصر شح»
 ويسمى نائب دمشق في أيامه «أنطونيوس العثماني» . ومصرفه أن اليونان المشابهة لها في جهة
 الشمال (الكلاسة) تحمل اسم «الملك النصر قريح من برفوق» . وكان الرجلان أشد
 عدوين . وبقي النصر مصرعه على يدي المؤيد شيخ وبنو الحافظي . هذا مثال حي
 على دريح دولة سلاطين مماليك مسهي الديمقراطية مع متهم الظلم ومسهي حرية
 مع مسهي العنف . وحيط شعيب من العنف والقتل وانطموح والشجاعة لمة واحده
 ويرددهر الصوب والعمارة . كل هذا في ان واحد ؟ كيف ؟ هذا سؤال لا تسوفه نصعه
 من السطور . إنما لا بد من قراءة تاريخ هؤلاء المماليك بإمعان .



من آثار الملك المؤيد شيوخ الحمودي بدمشق
باب فرعي للجامع الأموي في مدخله الغربي

عمر ابن الوردى

(توفي 861 هـ / 1457 م)

لّف كتابه عام 822 هـ

سرح الدين أبو حمص ، عُمر بن عيسى ابن الوردى ، فيه شافعي وموسوعي حنرفى عش فى القر ، لتسع الهجرى وتوفى عام 861 هـ لا يعرف سوى لقليل عن سيرة حبه ، وطالما حظ الباحثون بيه وبين شخص آخر عُرف أيضاً باسمه ابن الوردى وهو المؤرخ الذئع الصيت ربن الدين عمر ابن الصقر ابن الوردى (توفى 749 هـ) لصاحب «تيمه المختصر فى خسار البشر» الذى جعله دليلاً لتريخ أبى الفاء المشهور «المختصر فى أخبار البشر»

أما ابن الوردى الأصغر صاحب الترجمة فقد بُعدَ مصرأ باسمه . عمر ابن منصور بن محمد ابن الوردى لسُكي ، حيث ذكر الزركلى عثوره على مخطوط باسمه من الحريدة فى القاتيكار . بعد بلوح للمستشرق كراتشكوفسكى أنه من أسرة سمّيه المذكور بنفسها بل ويرى أنه كان شامياً من أهل حلب

ترك ابن الوردى مصقأ مشهورأ فى الحنرفى هو «حريدة اعجائب وفريدة لعرائب» ، من مخط المؤلفات المذكور موعر فية المعروفة ، حد فيه حذو القرويسى وشيخ الرتبة الدمشقى . وقد ألّف ابن الوردى كتابه عام 822 هـ كما صرح بنفسه فى مخطه ، واعتمد فى تأليفه على مصادر كثيرة ، كمؤلفات الإدريسى والقرويسى وابن الجورى وابن فصلان واقصاصى عياص وغيرهم . وفى بداية الكتاب أورد خريطة مستديرة للعالم مع وصف لها مفصّل إلى حدّ كاف .

وكتب «جريدة العجائب» موسوعة متنوعة تتناول أخبار لأفصاح والبلد ،
 ولأفلايم ولندن المختلفة ، و أخبار والبحار و حروب ، وعجائب الطبيعة
 ولأهل وانعيا ، ولأخبار و أخبار ، ثم بعد ، والأخبار الكريمة ، والساعات
 و هو كنه وأحداث و أخبار و أخبار ، ويختتمه مؤلفه أخيراً بحث في أخبار
 أمم و عوالم بحرية ، و يصدر في بحث في أصل شجرة آدم و حواء
 وقد تقدمه ، ولاستأن المؤلف قد اعتمد في قسم الكورم و وحي من كتبه على
 «كتاب البلد» للمقدسي وقد صرح بذلك مراراً

ونادراً ما يلقي على صفحات «الخريدة» ذكر لأوروبا أو آسيا الشمالية أو
 الهند ، ما كثر مآثره طرافه فهي تدل أني بحصن أفريقيا وبلاد عرب والشام
 وهو يعتمد في كلامه عن الروس و أوروبا الشرقية على ما دونه لمعوي و سلام
 ابن حمد ، ومن أهم فصول الكتاب وصفه لمدينة القسطنطينية ما قبل الفتح
 بعثماني (857 هـ = 463 م) بـ 35 عاماً على سيرة تأليف كتابه في 822 هـ فقد
 أوضح لمشتاق في «الاسم» Tackner ، أكمل رواية له وصف عاصمه
 بيزنطيه الذي ساقه المصدر الإسلامي متد عهد لإسلامه الأول هي التي حفظها
 لـ نص من أو دي ، م ت

وبالت حريظه عالم في أرقها ، ووردي بكنانه سهرة كسرة لدى
 حاشين والمستشرقين منه مدبه لقرن التاسع عشر ، وأور من ستره كتاب
 استشرق يوهانس Johansson ثم بلاد فون محلك von Mik ومن بعده مبد
 Mik ، وهذه الخريظه مارج محصونه عديدة ، تدل أكثرها على مدى شهرتها
 من الجغرافيين العرب عبر لعصور ، وجميع هذه سمادح يعكس حاضره انعدام
 مسيرته المعروفة لها حشداً ، وهي تلك الخريظه التي اصطحب على تسميتها
 «خمس الإسلام» ، واسبب سبب في طرافة الخريظه التي اصطحب في أم من ساحه
 القيه في حاضره ان ووردي لا حل عن غيرها من الخرائط ذات اسوع المماني ، لا
 بن نضم عاصره جغرافيه حديثة ، فعلى سبيل مثال تظهر عليها بالقسم لأوروبي
 بلاد لبلقان والألمان للمرة الأولى على خارطة عربية

أول من شرصوصاً من «خريدة العجائب» كان اسويدي تديراس هيلندر A. Hylander في سُد باستويد عام 824. ثم نشره نصوصاً حري نوربرغ C. J. Tornberg بويستلا في استويد أيضاً وشرمه فريش M. Frahn في هته بديا. ثم ظهرت منها صد عاد 1276 هـ صعتان منقولتان في لاهره ، وأحيراً صدرت في بيروت عام 1991 طبعة تجرية جديدة منقولة عن طبعتي القاهرة بعناية محمود الفخوري ، وعها أخذ ما يحسن بدمشق .

والاحظ أن ابن الوردي يقبل أشياء كثيرة عن كتاب «نزهة المشتاق في حرق الأفق» بلشريف الإدريسي ، كما فعل عبره من ، حرق فين الهـ بن يركسون إلى اسفل دون عرّ . فكم تطالع عداة الإدريسي لعلوطة عن سع عين الصحة نها «عين تحرج من أعنى جبل وتصبّ في أسفل صوت هبل ودوي عظيم» ، سيما المعروف أن مخرج العين على مستوى منحفض .

على ديك نركس إلى الشك بأنه ابن الوردي كان على دراية مباشرة بأحوال دمشق ، وهو وبن كار راره أمريم يرها فقد عمد إلى نقل من سوء دون بدات تُذكر - على خلاف ما كتب آتاه في بصر الحيمري أعلاه - فيما عدا إصافين هامين قنواب الصوف ، ثقب ثورا

المصادر

- خريدة العجائب وفريدة العرائب لابن الوردي . مقدّمة الفخوري .
- الدرر النكامة لابن حجر ، 3 : 195 . (ترجمة ابن الوردي الأكبر)
- تاريخ الأدب الحرق في العربي لكراتشكوفسكي . 2 . 500-504
- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) مادة ابن الوردي لابن أبي شيب
- الأعلام للزركلي ، ط 2 ، 0 ، 162 .
- دائرة المعارف - إدارة مؤد أفرام البستاني ، 4 : 136

Huart, Cl. *Littérature Arabe*, Paris, 1923

أرض دمشق

من كورة كورة العوطة ، وكورة القناع ، وكورة بعلث ، وكورة حولان ،
وكورة طاهر ، وكورة الخولة ، وكورة طرابلس ، وكورة السقاء ، وكورة حبريل
انفور ، وكورة كفر طاب ، وكورة عمان ، وكورة السراة .

ومن مدب اشام الشهيرة دمشق المحروسة ، وهي أحمل بلاد اشام مكاناً
وأحسنها بيئاً وأعدلها هواءً وأعزها ماءً . وهي دار محكمة لشم وبها العوطة
التي لم يكن على وجه الأرض مثلها ، بها أنهار حارية محترقة وعيون سرجة
متدفقة وأشجار نامقة وثمار يانعة وفواكه محلقة وقصور شاهقة . وبها صياح
كالمب

الجامع الأموي

وبدمشق الجامع المعروف سي أمية الذي لم يكن على وجه الأرض مثله ،
بناه لولده من عبد الملك وأنتى عليه أموالاً عظيمة ، قيس إيا حمله ما أنفق عليه
أربعمائه صندوق من ذهب . وكل صيغته أربعة عشر ألف دينار . واحتج في
برحمته ثمان عشر ألف مخرج . وقد بُني بأبوابه الفصوص المحكمة والمرمر المصنوع
وأخرج المكحول . ويقال إن العمودين الذين تحت قبة أسير اشتراهما الوليد
ذهب وخمس مائة دينار ، وهما عمودان محترقان حمراء لم ير مثلهما . ويقال إن
عبد رحام الجامع كان معجوباً . ولهذا إذا وضع على البارداق وفي وسط
المحيط العاصل بين الحرم والصحى عمودان صغيران بهما إبهام كالأ في عرش
بلفيس . ومما به الجامع لشرقية يق . إن المسيح يزل عليها . وعندها حجر يق .
إنه قطعه من الحجر الذي صخره موسى عصاه فاسحست منه اثنتي عشرة نبياً

ون بعض استلف الصالح . مكثت أربعين سنة ما فاني صلاه من الخمس
به . الجامع ، وما د حته قط إلا وقعت عيني على شيء لم يكن رأيت قبل ذلك من
صناعة ونقش وحكمة .

[أوديان دمشق وأنهارها]

ومن دلت دمشق العربي «وادي التفسح» ، وطوله ثلث عشر ميلاً في عرض ثلاثة أميال ، مفروش بأحسان لثمار أسديعه ، ينظر والمجر ، ويشقه خمسة أنهار ومياه العوطة كلها تخرج من نهر «الزبداني» و«عين الصبغة» ، وهي عين تخرج من أعلى جبل وتنصب إلى أسفل بصوت هائل ودوي عظيم⁽¹⁾ ، فإذا قرب إلى المدينة تعرق أنهاراً هي بردى ويريد وثورة وقتة امرأة وقنوات الصوف⁽²⁾ وقنوات بابياس وعمرها واستعمل هذا النهر للشرب قبل أن يصب في مصب أوسح المدينة ، وهذا النهر يشق المدينة وعينه قطرة ركن هذه الأنهار يخرج منها سواقي تحرق المدينة فنجري في شوارعها وأسواقها وأزقتها وحماماتها ودورها وتخرج إلى يسائنها .

[الشامات الخمس]

والشام خمس شامات هكذا قرأ في كتاب نعتد الفريد .

والشام الأولى . حرّة ورمّة وفلسطين وعسقلان وبيت المقدس . ومدينتها الكرى فلسطين والشام الثانية : الأردن وطبرية ولغور واليرموك وبيسان ، ومدينتها الكرى طبرية والشام الثالثة العوطة ودمشق وسواحلها ، ومدينتها الكرى دمشق . والرابعة حمص وحماة وكرطاب وقسرين وحلب . والخامسة أطاكية والعواصم وانصبيصة وطرسوس .

(حريدة العجائب وفريدة العرائب ، 48-50)

(1) هذه العبارة معمولة بحذاء غيرها عن كتاب «مرهنة لمشاق» للإدريسي ، وذكرت في المقدمة أن

مدينتها معلومة ، فعين أميجه تسع على مستوى محقق

(2) هذه تسمية جديدة بمراد بها ابن الوردية حول نهر القنوت

جبل الرئوة

وهو على فرسح من دمشق ، ذكر بعض المستشرقين به مراد بقوله تعالى ﴿وَرَبُّهُمَا إِلَهٌ رَّبُّ دَابِّ قَرِيْرٍ وَمَعِينٌ﴾ ، وهو جبل عال على قُتَيْته مسحدٌ حسن بين بساتين وأشجار ورياض ورياحين من جميع جهاته ، وله شبايك تطل على ذلك كله ، ولما ادوا حذاء نهر ثورة وقع هذا الجبل في حريقه معترصاً فقوه من تحته وأحرقوا ماء من لُقب ' وعنى رأسه نهر يريده ، وهو يزل من أعلاه إلى أسفله

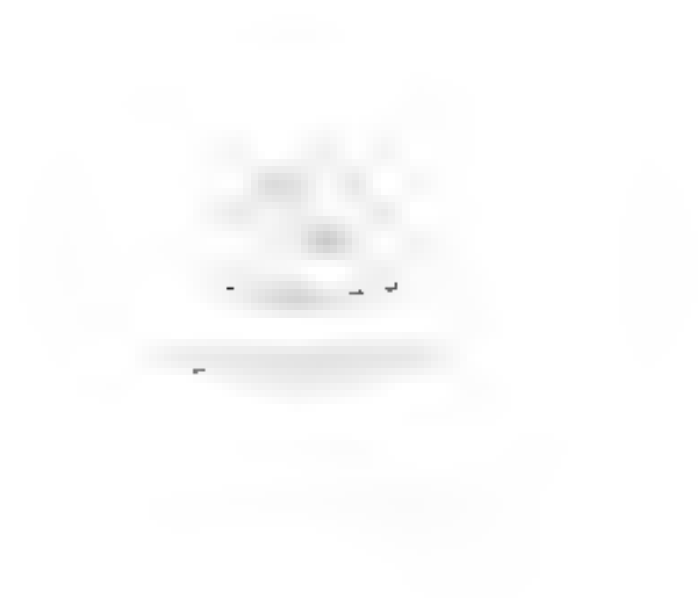
وفي هذا الجبل كهف صغير رعموا أن عيسى بن مريم عليهم السلام ولد فيه . قال لقرويني رأيت في هذا المسحد في بيت صغير حجر كبيراً حجمه كحجم مصدوق - الدور مختلفة عحسة ، وقد اشق بعض كالمدة المشقة . ومن شقين من أعلاه منح راع . وأسفله مشتم بم بفصل شق عن الآخر ولأهل دمشق في هذا الجبل أقوال كثيرة ضرب عنها

(حديقة العجائب وفريدة العرائب 181-182)

جبل قاسيون

وهو جبل مشرف على دمشق فيه ثلث الأسياء وهو معظم من الحب وفيه معارات وكهوف ومعابد للصالحين ، وفيه معار يعرف بمعاردة السمّيق ، ومن جبل في هابيل رقبه ، هناك حجر يرعمون أنه الحجر الذي قلى به هامته وفيه معارة حري سموها معارة الخوع . يقال بأربعين نبياً ماتوا به من الخوع (حديقة عجائب وفريدة لعرائب ، 18٦)

وسم هذا الجبل : الحيمة ، أنظر ما سبده في نص الرحالة البكري - رقم 68



ابن شاهين الظاهري

(توفي 873 هـ / 1468 م)

زار دمشق في عام 831 هـ وولي بها وظائف

عزس لدين خليل بن شاهين، ظاهري، أحد كبار رجال الإدارة في دولة المماليك، كان أبوه من ممالك لسلطان الظاهر برقوق ووليه سب الابن. وقد خليل عام 813 هـ بالقدس ثم تنقّى تعيينه بمصر، وشغل عدداً من المناصب الهامة في حكومة المماليك فكان والياً على الإسكندرية وأميراً لملاح عام 840 هـ ثم أصبح والياً على الكرك وصعد ومبطله وأدرك تحت ويات مدة بالقدس. وأخيراً توجه إلى دمشق فولى بها مناصب هامة، تصدّت وولي إمرة الملاح لدمشقي مرة بأواخر عهد لظاهر جقمق، وأخرى بأوائل عهد لأشرف إيدل

ومن جرائه نقله في مناصب لدولة المختلفة تمكن من التعرف عن كثب على ولاياتها الكبرى مصر والشام والحجاز. ولعل سب طه الإداري هو الذي دفعه في عهد السلطان الظاهر جقمق (842 857 هـ) إلى التفكير في وضع مصنف لعمال لدولة. فدأ عمله بكتابة مجلدين صحمين في 40 باباً، ثم احتصره في 12 باباً بعنوان: «رُبدة كشف المصنّف في يار الطرُق والمصنّف» وأقرب شبيهه في هذا المصنّف هو كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن نصير «الله العمري»

في هذا الكتاب، جهد الظاهري في تقديم صورة متكاملة الخو بات للمصنّف لإداري بمصر، كما أن الباب الأول من كتابه الذي يُعدّ أوسع فصوله جمعاً يعرض تحليلاً جغرافياً عاماً للحجاز وبعض فلسطين ومصر وأشام

وفي باب الثاني سفل إلى الكلام على نظام السبعية وما يتحلى به سبط ، من الصفات ، ويصف سوك اشريف وامبوس . وفي باب الثالث وما يليه يروى كلام على الحنفية وفاسي لقصة والائمة والوردة وما يرتبط بها من مذهب ودورين ، أما الثامن فيختص بملاحظات الدور السلطانية ، والتدريج بخسور والطرق وتقسيم الولايات . ثم يصم الباب العشر وصفاً لنظام الجيوش على امبيك . يسمي بحصن الحادي عشر بتفصيل المماليك من العربان وتركهم ولأكراد ، وأما الثاني عشر فيه أساطير قديمة

وبشكل عام يتميز كتاب حلي بن شاهين الطاهري بالتوثيق وباهمية مواد رواه الأولى ، وخاصة لأنه يسمي إلى عصر لم تصب منه مادة جعفرية وفيرة أما شام ودمشق فقد ذكر عهد الطاهري في كتبه عدة يسيرة ، فطاه من طبعه إلى رافيس P Ravisse صدره بمصبعة انوطية في باريس عام 1894 هـ كم رجع إلى ما سوره أسدنا المحدثين طبعة رافيس معروضاً على مخطوطة الرتبة في مكتبة سلف حمد ثالث (سطنبول) رقم 2290

وكان ابن شاهين في دمشق مراراً ، إحداهما كما يذكر أدناه - عام 831 هـ - يوم سبب لأشرف برسبي 825 841 هـ ، لكنه بعد ذلك أقدم فيها مراراً وولي ماصب محتلة في أيام الطاهر جفمق حاصه ، ثم الأشرف إنال

المصادر :

- ريدة كشف الممالك للطاهري . مقدمة رافيس بالفرنسية
- نصوء الالامع للسحوي ، 3 : 95
- تاريخ الادب الجعراي العربي لكراتشكوفسكي 2 : 472
- مدينة دمشق عند الجعرايين للمصحح ، 290
- دائرة المعارف ، بإدارة مؤادأهرام السستاني ، 3 : 248

دمشق

وأما المملكة الشامية فيها مملكة متسعة جداً ، وهي عدة أقاليم ومدن وقلاع وقد تقدم أن مدينتها العظمى دمشق وهي مدينة حسنة إلى غاية تشتمل على سور مُحكم وقلعة مُحكمة ، وبها صارمة مشرفة على المدينة ، بها تحب للملكة معطى لا يكشف إلا إذا أحسن سلطان عليه^١ .

وفصائل الشام كثيرة ، وبها جوامع حسنة ومدارس ومكاتب مبركة وشوارع وأسواق وحمّات وبساتين وأنهر وعمائر تحيّر لوصف فيها . فإن بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿إِرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ وهي دمشق ،

وبها يمارستان سم بُر مثله في الدب قط ، وانفتحت مكتبة أحست ذكرها . وهي أنبي دخلت دمشق في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وكان بصحبي شخص عجمي من أهل الفص والدوق والمطافاة ، وكان قصداً لحج في تلك السنة ، وألف ماسك حج على أربعة مدهيب . فلما دخل ليمارسان المذكور وبصر ما به من المأكول والشراب وبطائف أنبي لا تُحصر قصد اختيار حداد الممارستان المذكور ، فنصه وأقام به ثلاثة أيام ، ورئيس الطب يتردّد إليه ليختبر صممه فلما جسن به صممه وعلم حاله وصف له ما يأسه من الأظعمة الحسنة والدجاج لُسن ولحم والأشربة والقواته متنوعة . ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورفه من معاهل « نصيف لا أقيم فوق ثلاثة أيام » . وهذا في غاية الخدافة والطرفة

وقيل إن الممارستان المذكور منذ عُمّر لم تطمئن فيه النار .

وأما جامع بني أمية فهو أحد العجائب الثلاث ، ولقد رأيت في بعض استواريخ أن عجائب مدائن ثلاث مائة الإسكندرية ، وجامع بني أمية ، وحمّام طبرية

(١) تعاقب على السلطة في الفترة المذكورة الأشرف برساي (825-84 هـ) ، ثم الظاهر جقمق (842-857 هـ) ، ثم الأشرف إقبال (857-865 هـ)

وأما اسدان الأخضر وماله من القصور الحسنة^١ فمحنة من بعدت ،
وأما مُتَرَحَّات دمشق ومحرابو صف عن حصرها ، ومن جملتها خربة
ولرثوة واعشق وعسوق ومن النهريين وتحت لظلمة والتحوت والمهسم
والوادي الموقاني والتحناني ولصالحية ولسعة والعبانة

وأما ما بها من الأماكن المباركة والمزارات . مشهد الحسين رضي الله عنه ،
ومشهد حصر عنه السلام ، وقبر محمد بن سداثة بن الحسين بن أحمد بن
إسماعيل بن جعفر صادق ، ورواية خضر^٢ ، ومصحف بخط عثمان رضي الله
عنه وبها ما ه التي أقدم بها لإمام عراقي وابن تومرت الذي عدل بلاد المغرب ،
وقبر عيسى بن مريم عندهما السلام يرب عليهما وقبر نور دين محمود بن
بكي ، وقبر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقبر لادن بن حمامة وقبور ثلاثة
من أوج بني عنه السلام ، وقد غصت ، وقبر أبي الدرداء وأمه ، وقبر نضاله
ابن عسك وقبر سهل بن خضبة وقبر إاثلة بن الأسقع ، وقبر أوس الثقفي ،
وقبر أم الحسن ابنه حمزة ، وقبر عيسى بن عبد الله بن عباس ، وقبر أخيه ، وقبر
خديجة بنت لعل بن وقبر إبي بكر (؟) بن الحسن ، وقبر ويس القري ،
وقبر إيه في الرقة ، وقبر عبيد بن مسعود وأبي بن كعب ، وقبر دحية لكسي
وقبر ابن بها هابيل ومعدة الخوج ، وقبر ابن بها ريعون بيتاً ومائة وسوب وثلاثون
معدرة

وبدمشق المحروسة سبعة أشهر ، إذا جمعت صارت مثل ميل وأما ما بها
من عواكه الرطبة ، خاصة والربا حين والأشياء المفردة والبصائف والأقمشة ما
تطوب شرحه وبها شح لا يزال على الحيات شتاء وصيفا ، وجمع أهله
يشربون منه ويُقل منه إلى استيطان وأركان الدولة الشريعة

(بده كشف الممالك لمطهرى ، 44-146)

^١ إليه كروصف . بعض هذه القصور : سبها على لافل . فليس يديها عهد ما مكفي
^٢ الأصح مصطبه أخضر خارج باب الفرج ، فروية خضر بحمل امره لسب مزارا شريف ،
وأخضر هذا كان شح للملك انظر بيبرس ، تبيين أو حر حياته أنه ماجل مصاب

من الباب العاشر في وصف الممالك الشريفة الإسلامية

الأولى المملكة الشامية :

كانها⁽¹⁾ به أبهة عظيمة حتى به يحكي السلطان في لأبهة ، إله شرفه
مستفاد من شرف السلطان وله الحكم والولاء على ما تقدم من المدن المسوية
إلى دمشق وبها أمير كبير وحاجب الخجّاب ، وكان قديماً بها ثلث عشر أميراً
مقدمي الألوف وعشرين أميراً من الطلحات وستين أميراً من العسرات
والخمسوات .

وأما السادة بمصافة بها أربعة من المذاهب الأربعة ، لكل منهم نواب بدمشق
ومعاملاتها ، وأمّ المباشرون فيها كان سرّ واطر جيش واستادار العدية واطر
خاص ووزير وناصر دولة وغير ذلك .

وأما أرباب الوصائف ففيها كشف⁽²⁾ وعنده ولاية بكل إقليم وولاية المدينة
ونقيب جيش ومهمّات⁽³⁾ وأرباب الوصائف الدخيلة وولاية قرية محاصفة من
أرباب الوصائف باديار مصرية .

وبها مائتا قلعة مسصورة وسبعة حجاب وغير ذلك مما يطول شرحه
وأما الخلد فكانوا قديماً اثني عشر ألف حدي من الخيفة وخدمة كاهنها أنهار ،
وخدمة الأمراء نصف ما بخدمه الأمراء باديار مصرية

(به كشف للملك بلطاهري ، 11) .

(1) معني بأنها كما كان يُسمّى في عهد المماليك ، وعدم 831 هـ (نصح كون وضعه بريدته في
هذا لعدم) كان نائب دمشق سيف الدين سوريانطاهري (827-835 هـ)

كتاب

ريادة كشف الممالك

وبيان الطرق والمسالك

تأليف

عمر بن عبد بن حيدر بن شاهي الطاهري

ترجمة

د. علي بن محمد

بولس بن رابح



طبع

في مدينة باريس الفرنسية

المطبعة المحمدية

سنة ١٢٩٤ هـ

كتاب «ريادة كشف الممالك» ، طبعة باريس عام 1894

ZOUBDAT KACHF EL-MAMÂLIK

TABLEAU POLITIQUE ET ADMINISTRATIF
DE L'ÉGYPTE, DE LA SYRIE ET DU HÏDJAZ

SOUS LA DOMINATION DES SULTANS MAMLOÛES
DU XIII^e AU XV^e SIÈCLE

PAR KHALÎL ED-DÂHIRY

TEXTE ARABE PUBLIÉ

PAR

PAUL RAVAISSE

CHARGÉ DE COURS À L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES



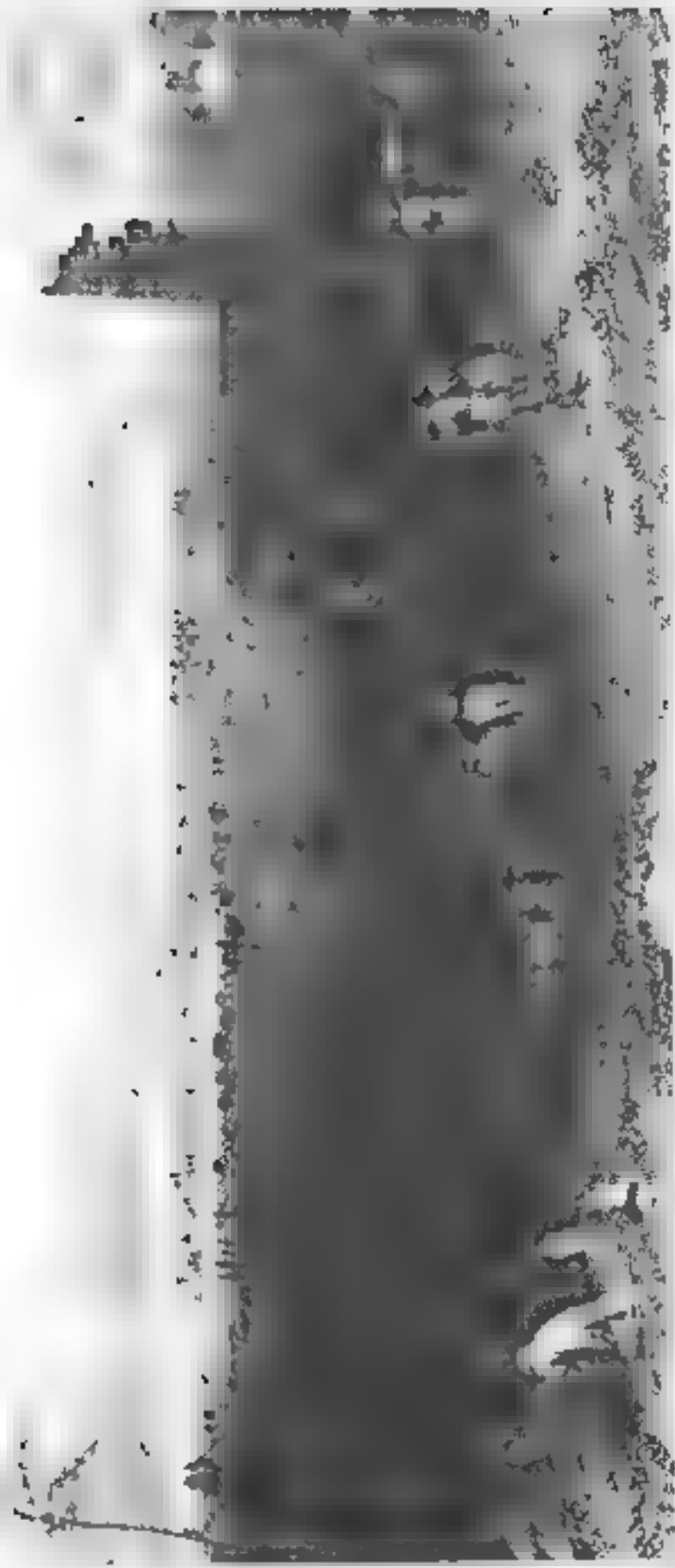
PARIS
IMPRIMERIE NATIONALE

—
ERNEST LEROUX, ÉDITEUR

LIBRAIRE DE LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE ET DE L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES

RUE BONAPARTE, 16

—
M DCCC XCIV



طبشة قديمة تمثل دمشق من الصالحية ، وفي الوسط يبدو الجامع الأموي

ابن اللُّبُودي

(توفي 896 هـ / 1490 م)

أُرِّح لرحلة السلطان بُرْهَساي إلى دمشق عام 836 هـ

شهاب الدين أحمد بن حليل دمشقي الصّاحبي ، المعروف بابن اللُّبُودي وابن عرعر . ولكنه للأولى أشهر . محدث ومؤرّح دمشقي المولّد والوفاء . ولد بسمع قاسيوس سنة 834 هـ ، وشأ بالصبّحية فأخذ عن شيوخها وشيوخ دمشق في عصره ، فرع ووظف الشعر واستعمل بالشهادة في باب البريد

ترجم له علامة مصر شمس الدين السجّادي في كتابه «الصّوّء اللامع لأهل القرن التاسع» قال «ولما دخلتُ دمشق بسمع يقرأه في عليّ جمع من شيوخها . . . ووقفني على مُصنّف له جمع فيه الأواجر ، طرب في بابيه ، وعلى تاريخ استفتحته من سنة مولده ، اسمد فيه من تاريخ التقي بن قاضي شُهْه وغيره» ثم بصيف استحاوي «بل أ سل إليّ بذكر أنه جمع قصة دمشق وبالحملة ، فما رأيتُ طالباً بهذا الشأن غيره» ويعني بقوله هذا علم التاريخ .

وهذه شهادة لها وربها صدرت عن عالم مُعيد يُعدّ بكلامه ، ولا يرى فيه إلا مُطلق الصّوّب ، فمدسة دمشق التي ظهر بها في اقرون السدس والسابع والشمس فُحور من المؤرّخين ، كاس العلاسسي وابن عساكر وأبي شامة وابن البربرالي والذهبي وابن كثير وابن قاضي شُهْه . أقل بها بحم عدم اتّاريخ أواسط القرون التاسع ، وصار المؤرّحون فلة سبره حدّا ، فلا نجد في بقّة القرون سوى ابن عمده نهادي وابن طوق والنعيمي وحمصي وأخيراً ابن طولون الصّاحبي

كن كما يوسف ١٤٠١ كتاب ص. حنا ابن التوردي مرتب على السنين مفقود
 به يصيد منه سوى قطعه من أوله بصم حوادث سنة ٨٣٤-٨٣٦ هـ . وهي
 حوم في مكة نسخة من مخطوط The British Library . وليس عليها اسم المؤلف
 وقد قدّم شرح هذه القصص حسن حشني بعنوان «حوادث دمشق» بورّاح شامي
 مجهول ، وصارت باقاهرة عام ١٩٦٨ . لكن حشني عجز عن تحديد ص. حنا
 الأمر الذي نتج من تحديده فيما بعد استدراك كبير صلاح الدين المنجد

وفي القصص المذكورة سرد ذكر رحله سلسل من لاشرف برندي إلى دمشق
 وموئده المسمى به في شهر شعبان من عام ٨٢٥ هـ . ويطبع لا يمكن له أن يعدّ ابن
 التوردي مصدر لاوان عهد لأنه لم يذكرها أصلاً فكيف سمره عنها . وليس
 من مضمونها فيها . بل يعجب من قول المستحوي أنه نقل عن لتقي سرق صفي
 شهنة ، الذي ينتهي بتأريخه المشهور إلى سنة ثمان وثمانمائة ١

ثم من راجع برندي كان من تجميع مصر الكبير يوسف ابن عربي برندي الاتاكي
 في كتبه «الأنوار» «أهمل في موطأ مصر والقاهرة» . وكان من أفراد ركب السلطان
 في جلوسه من مصر إلى آمد (دنيا بكر) . وعمره ٢٤ عاماً . لذا فقد نقل عنه «...»
 أيضاً ، لكنه لم يقدّمه مستنداً . وهناك من صاحب ابن التوردي دمشقي ، وكان
 مختص بتاريخ دمشق . وثانيهما لا ابن عربي برندي سبق وزوده في رحلات
 كتاب ، تأريخه عمله أبيه لأنك عربي برندي الطاهري باب عزاء المعول للناس .
 ثم في تجريدة العصر بساعه بسند ، ورحلة الملك مؤيد شح إليها

كذلك سعي الإشارة إلى أن لمؤرخ الدمشقي عبد القادر العجمي (توفي
 عام ٩٢٦ هـ) ن. يحدث الواقعة ، على ما ذكره تلميذه ابن طوبون الصالح في كتابه
 «مفاكهة الخلال في حوادث العرب» . «وفي يوم الثلاثاء ثاني جمادى الأولى من
 سنة ٩٢٢ هـ) بعث الأمير علاء الدين بن صموئيل بنقيب الخش إلى شيخنا المحيوي
 العجمي ، أن يكتب له صفه دحون الأشرف برسائي إلى دمشق . ومن حمل
 العاشية على رأسه ، وأين برل . فكتب له ما تيسر له»

كتب حم طاهر نصر النعمي هذا ، ولزيم كان بالاصل مستداً في كتابه
 «مصر» ١٠ كره الإيجور في حوادث الرمان» وعلى أي حال قلنس فيه حملاً ما
 برده على صني ابن للبودي وابن عربي بردي ، على اعتبار أنه متأخر عن ذلك
 العصر ولم يدرك زيارة برنسي

* * *

أما لسطار لأشرف برنسي فكان عرض من حمته هدد هو بوجهه إلى
 مدية مد (دب بكر) ، بيت أخوف في مصر صاحب عثمان المدعو قرأ يلك
 مؤسس إمارة «ابن قنول» دو احمّل الأيضا لتركمايه كيما يدخل في طاعنه
 وفي طريقه مر سلط برباره حاطقة إلى دمشق شيء مد ، السلطة بعد العصمة
 ، دهر ، فنه بمكث به سوى حمسه ياد ثم بعد مصاعب حمه في امد محب
 حملة السلطان أخيراً وتم له ما اراد ، فعاد إلى مصر

هذا وتولى برنسي سلطه بهالدا برنسي ٨٤١-٨٤٢ هـ وأشهر محرته
 كانت فتح حريره فرض عدم ٨٢٩ هـ ١٤٢٦ م وأسر ملكها جانوس Janus .
 وعبر هذا حدث عن قوة دولة المماليك وهيته وفي الجزء الثالث من الكتاب
 سألر نصاً شيقاً لرحاله من إمارة نور غوب رآر دمشق سنة زيارة الأشرف ١٤٣٣ م ،
 هو برتراندون دي لا بروكيير Bertrandon de la Broquiere

المصادر :

- قطعة من تريح ابن البودي (حوليات دمشق) ، 61
- لحوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة لاس تغري بردي ، 15 . 10-11
- الصوء للامع لأهل القرن التاسع لسحاوي ، 1 : 293
- مفاكهة الخلا في حوادث الرمان لابن طولون ، 2 . 1
- دائرة المعارف ، بإدارة فؤاد أفرام السستاني ، 2 . 384
- معجم لؤي خن الدمشقيين وثارهم لمخطوطة والمنطبعة للمجد ، 265 .

رحلة السلطان يرُسبای إلى الشام]

شعبان [سنه 836 هـ]

وہی عاشقہ رح - امرء شہائیں بی دمنو ، و بوجھو ویرلو اب قُرب ۔

وفي خامس عشره دخل السلطان إلى دمشق ، وعلى رأسه العاشية
حملها ثوب اشهد ، وأمامه الحيفه وقصة مصر صقاً ، وأمامهم قصاه اشهد ،
وأمامهم نوابهم ، وأمامهم المقسمون سُرْدُو من عبد الرحمن وجقْمق أمير خو
فمر دونهما ، وبرز بالمسطة وقد حُدَّت له

وَبِئْسَ دَسْخَرٌ عَشْرُهُ ، دَخَلَ فِيَّهَا بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ مِنْ حِجْرٍ لِيُخَافَهُمْ
وَمَعَهُ كِتَابٌ مِثْرُ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَمْلَى مُحِبٌّ مُعْرِضٌ الْجَهَنَّمَ وَحَمَلَهُ
عَبْدُهُ قَدْ رَمَتْهُ حَقِيْقَةُ الْمُنَافِقِينَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ الْعِبَادِ وَخُلُوفٌ مِنْ أَطْلَافِهِ

وفي سنة عشرين . بمقتضى نسيئة تجر النسيئ في يومه بقاءه الأشراف . عود
عن سنة عشرين . بمقتضى نسيئة تجر النسيئ في يومه بقاءه الأشراف . عود

۳ حرسا قومه كه به عترتي مي شناسند - اشرفي مس دمشق علي صرحي - و من
از مي نديج مسجد حرسب و معناه حسبه صاحب في نام مدد كبره مي نشود
و در اين كتاب چه سده بنصيه بود - بجه مدرسه يوم مكر رن برين اشدني گاه
مصحح بر كن - انحصار في حديث همد لم يذكروا انهم يزوروا بقرب حرسب

١٢) عايشه في لاصه هي شرح اء اعطى الماركس ثم في رومنة لابوبس ومن بعده
لم يبق صا به بحر حو و هو كهم الوسمه واه شنه بن نهم وذك في مرسم
ع ل ع ل كان بحمب اء م ل ل فعا ياء على يدية ويحكي عا
شمالا نص صبح لاشي عهه دي 4

لاہور کے لیے ایک اور خط لکھا، کہ میں نے یہ سب سنا ہے اور یہ سب سنا ہے۔
 لاہور کے لیے ایک اور خط لکھا، کہ میں نے یہ سب سنا ہے اور یہ سب سنا ہے۔
 لاہور کے لیے ایک اور خط لکھا، کہ میں نے یہ سب سنا ہے اور یہ سب سنا ہے۔

(4) أي الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني ، أبو خ ، قاضي ، لفته اشهد ، توفي 852 هـ
(5) أي بجامع دمشق الأموي الكبير

وفي ليلة عشرينه برز السلطان من دمشق يريد حلب

وفي سادس عشرينه قدم سحّاب إلى القاهرة ، وحين توجه السلطان من دمشق ، فلدّت لشارب قلعة الحل ، ونُودي في القاهرة وطواهرها بذلك⁽²⁾ .

(تاريخ ابن اللّودي ، 61)



(1) أي اساعي ، لاجدر وأصل مصر اسمه من «سحّاب» أي كرم الهجن المشهوره
مصرعتها

(2) يبدو أن موكب السلطان لأشرف برنسي ود حوله دمشق قد صار مصيراً للأمثال في
خدمته السالفة ، فسير أدناه في نص ابن إياس عن دخول السلطان قانصوه الغوري دمشق
سنة 922هـ وموكبه «صحم بها ، أن «هذا الموكب لم ينشأ لسلطان من بعد الأشرف
برنسي لما توجه إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، سوى سملت الأشرف قانصوه
الغوري»

[رحلة السلطان برسباني إلى الشام]

[رواية ابن تغري بردي الأتاسكي]

وبدأ سلطان لينة الجمعة بارتدائية ، واشتعل بالنار من بعد في يوم
الجمعة بعد الظهر إلى سلاذ اشامة ، ومعه من دكون من الأمراء والخدعة المعتصم
بنه روي ونقصه لأربعة ، وهم قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر
اشافعي ، وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيتبي الحنفي ، وقاضي القضاة
شمس الدين محمد السبكي المالكي وقاضي القضاة محمد بن الحسين أحمد
ابعدادي الحنبلي⁽¹⁾

ومن مبشري بدوثة القضي كمال الدين محمد بن بيري كاتب السر
وبن بدين إبراهيم ابن كمال حكيم بار لحوص والقاضي شرف الدين أبو بكر
الاشقر نائب كاتب السر وائمة السلطان الذين يصلون له الحمد ، وبنه ولي
بن بن فاسه اشيشي (sic) بنين سمعت الفريجة بذكرهم
وكان سفر السلطان في لعد من يوم خروجه من القاهرة ، بخلاف عده
المواهي

وسار السلطان بعساكره لا يتجاوز في سره مدرك ، إلى أن وصل إلى مدينة
شرد في بن شعب ، بعد أن خرج نائب الأمير بار الغلاني لناصر - أعني
الملك الأشرف - إلى ملاقاته هو وأعيان عرّة ودخل السلطان إليها في
موكب عظيم [سباني] ، وأقام بها ، إلى أن رحل منها في يوم الخميس بعده ،
بعد أن مرل بالمسطة خارج عرّة ثلاثة أيام

(1) الملاحظ أن تصحيح بن تغري بردي أشمل وأوسع ، ولا عرو فهو أولاً كان من أفراد
حملة السلطان إلى آمد ، ونسأ أن كتبه «الحوم الزاهرة» وأجأ في مادته مستقيماً
(2) بوكي ملك الأشرف ببال سدة السلطنة بعد 21 سنة من زمن حملة الملك الأشرف ، فهي
بها 8 أعوام بين 857-865 هـ

وسار إلى جهة دمشق ، ونحر في خدمته ^١ ، إلى أن وصل إلى مدينة دمشق في يوم الإثنين خامس عشر شعبان ، واحتار بمدينة دمشق بأبهة السلطنة وشعار المُلْك في موكب حليل وحمى الأمير جارقُطْلُو ^(٢) نائب الشام القُتَّة والطَّم عسى رأسه ، إلى أن نزل بالبعير السلطاني بمحلة بَرَزَة حارح دمشق وكذلت جميع أمرائه وعساكره برلوا بحمامهم بالمزلة المذكورة ، وهم برلوا بمدينة دمشق شفقة على أهل دمشق

وأقام لسطان بحميمه خمسة أيام ، وركب يها غير مرة ودخل دمشق ، وطلع إلى قلعتها مراراً .

ثم حل السلطان من دمشق بأمرائه وعساكره في يوم السبت عشرينه . يريد البلاد المحلية فحصى لعسكر بُعِص مشقة لعدم إقامته بدمشق ، من أجل راحة لبهائم ولم يعدم أحد قصد السلطان في سرعة أسير مادا .



وسار حتى وصل إلى جنس ثم إلى حَماة ، فحرح للأمير جُلاذ نائب حماة إلى مُلاَقاة السلطان بعساكر حية ، فأفاح السيلطان بظاهر حماة المذكورة ثلاثة أيام ، ثم رحل منها يريد حَلك ولم يدخل لسطان حماة بأبهة السلطنة كما دخل دمشق ، لما سبق دلت من قواعد الملوك السابقة أن السلطان لا يدخل

(١) يشاره إلى أن المؤلف كان واحداً من أفراد الركب لسطاني في هذه الرحلة
(٢) كتب بن تعري بردى الاسم جارقُطْلُو على قاعده كنه الأحرف صوته لأخيره في اتركه بألف معصورة ومن هه مصدر العبط في تعوي الاسماء اتركه بالعرية ، مثل كوكوري (و صوابه كوك بَرُو) وبوري ابن طغتكين (برو bōru) ، معنى جارقُطْلُو في اتركه - Çar-kutlu مربع لسعد ، فحا صحيف للمراسية حه . قم 4
وحرقُطْلُو ك أمير كبير ابدى نصريه ثم وبى يابة لأم عام 836 هـ حتى وفاته سنة 837 هـ ، وكان نصف داسير ، حسنة كما ذكر محمد بن طولون الصالحى في كتابه «إعلام بوري» ، 47 وفي أممه رار دمشق الرحاه لبرغندي بربراندور دى لا بروكيير Hertrandon de la Broquiere ، في عدم زيارة الأشرف 1433 م = 836 هـ .
قلت واعقابه رالو إلى اليوم بدمشق (ال الشرقصلي) ، وأظهم بجهلون بستمه هه

من ممدن له الإله شامه، أخته مستصه لادمشق وحلب ثم مصر، ووافي أسلاف
 صاحب علي ع. مصر. إذا كنت مؤيد شيخ فانه ناسك ليس أسلاف الشاعره
 في القلوب ثم حاشني من حصة بؤك مستصه: دحيه بيته مستصه
 مستصه علي من مصر في كسر مستصه لا مستصه. فانه لا يحصل
 مستصه من مستصه لا مستصه. لا مستصه لا مستصه كسر مستصه

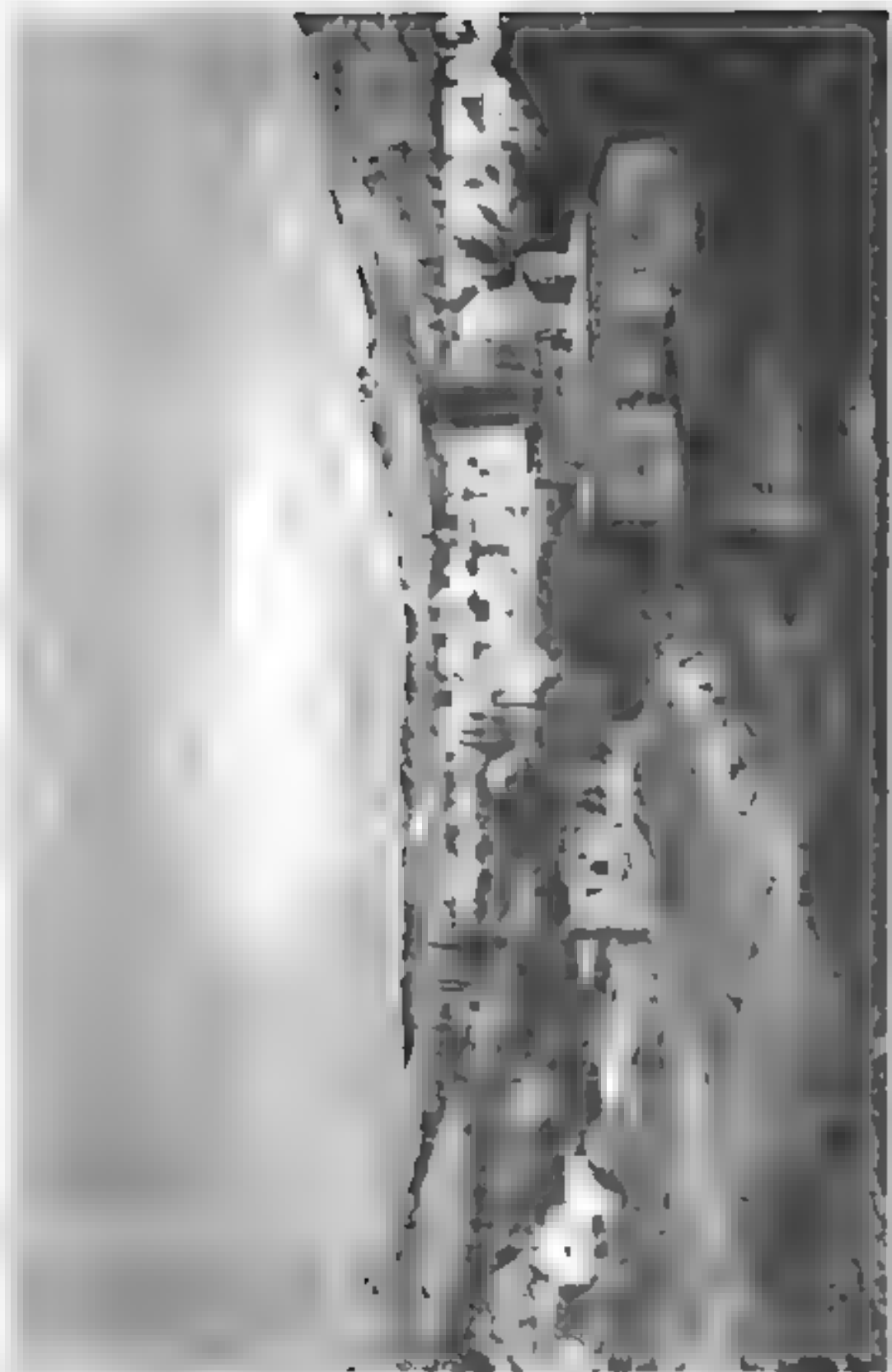
لنجوم الزاهره . 15 ، 10-11

* * *

مستصه

- (1) لطف من مؤيد شيخ اشعادي من حلب الملك الناصر فرج مطيع عام 814 هـ ، وبعد
 نمره علي خليفه مناسي لمسلم من ابي نصيب ملكا لمصر عصب الناصر وبقي
 مؤيد في السلطة حتى وفاته مطيع عام 824 هـ
- (2) انظر بعد ذلك في كتابه من حول حمه مستصه مؤيد شيخ ابي دمشق وولعه مع
 مؤيد حاشني نقلها برونه بن برون مؤيد مؤيد

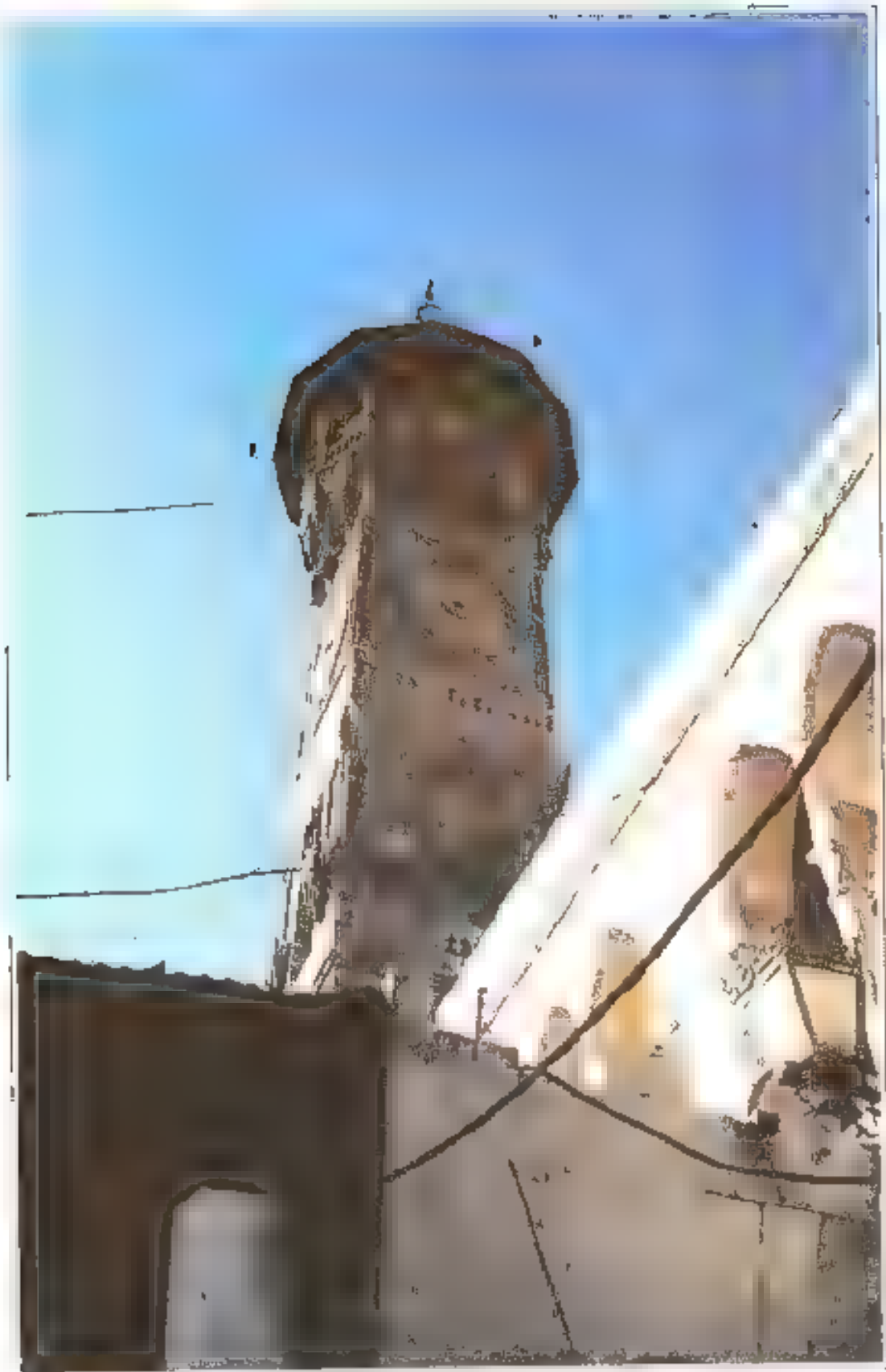
تصویر از یک صحنه در یک محله قدیمی در تهران - ۱۳۰۵



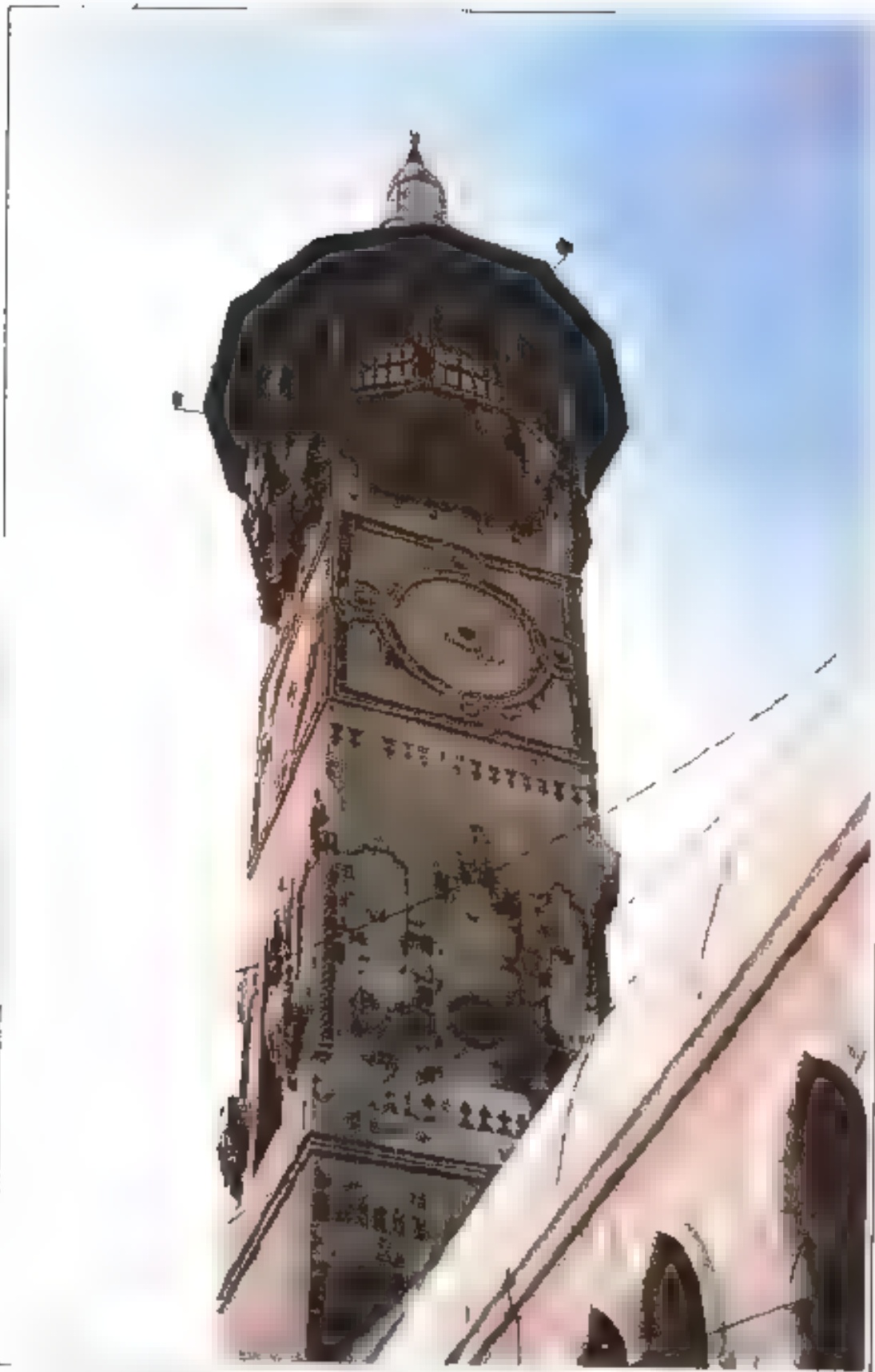




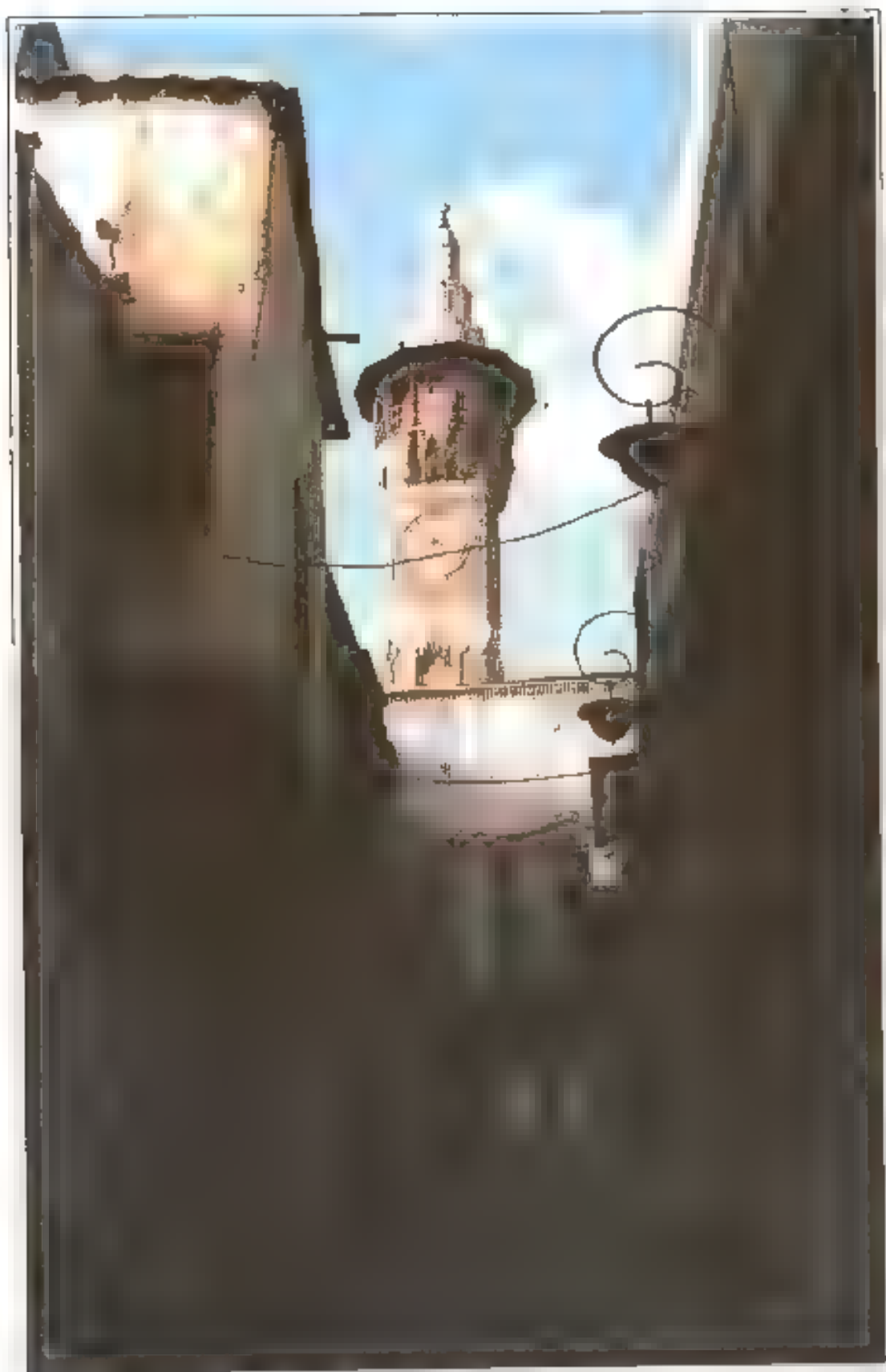
حيّ خصرية، من أهل الأحاء امملوكة دمشق القديمة



مئذنة جامع انطلي من حيّ الخضيرية جنوبها ، يعود للقرن السابع الهجري



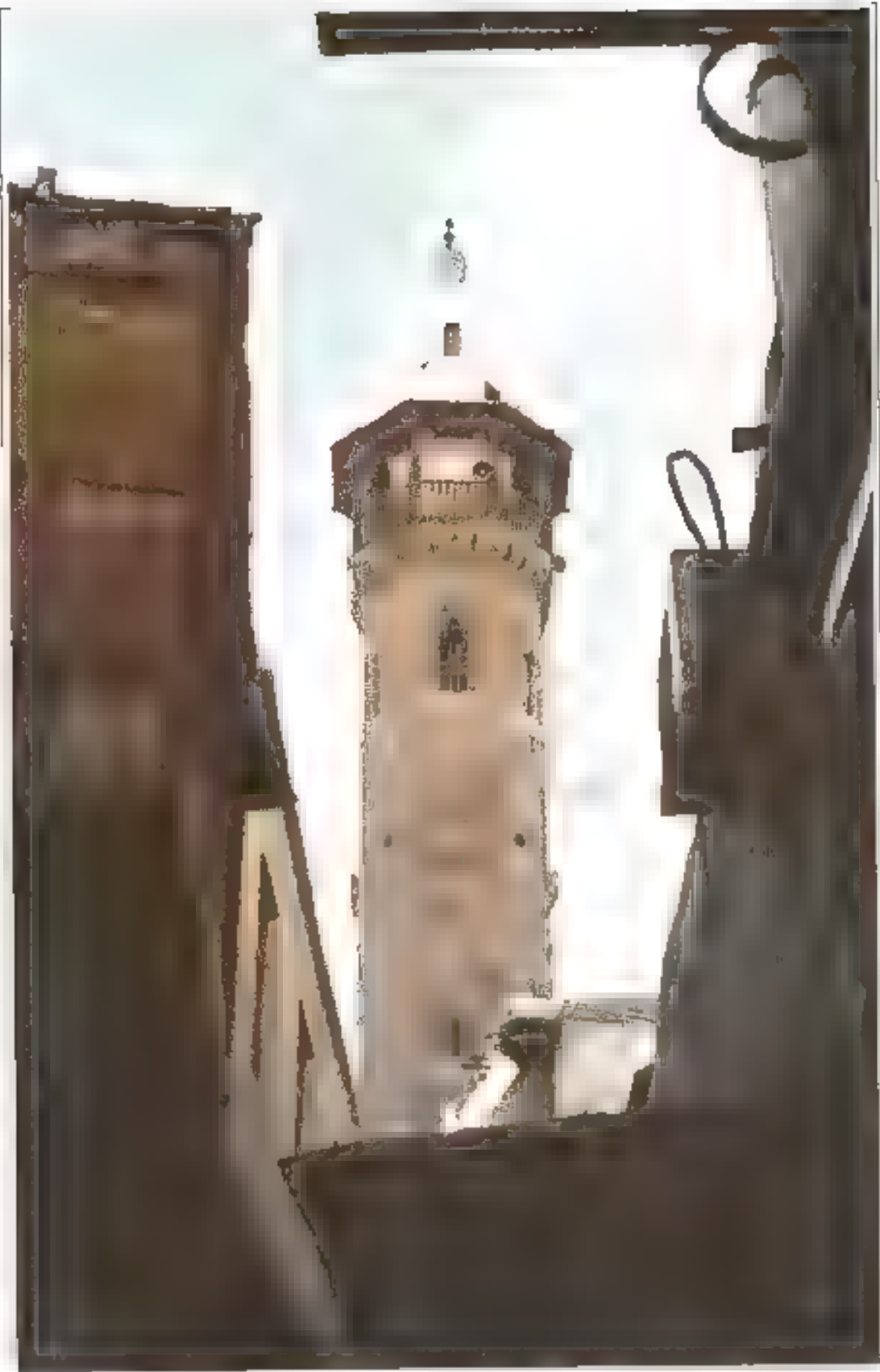
مئذنة جامع املعي سوق الصوف - إحدى أروع له مدن مملوكة دمشق



میدان جامع سعدی من حی عظیمه حومه



مدينة جامع العلمي من حي قصيرته حوييتها



منارة جامع همام الرائعة سوق بصوف ، أُنشئ عام ١١٨٦ هـ



تعمير عهده مدخل الخليفة الموحدين، أواخر القرن 12 هـ، تم استعادته عام 1384 هـ



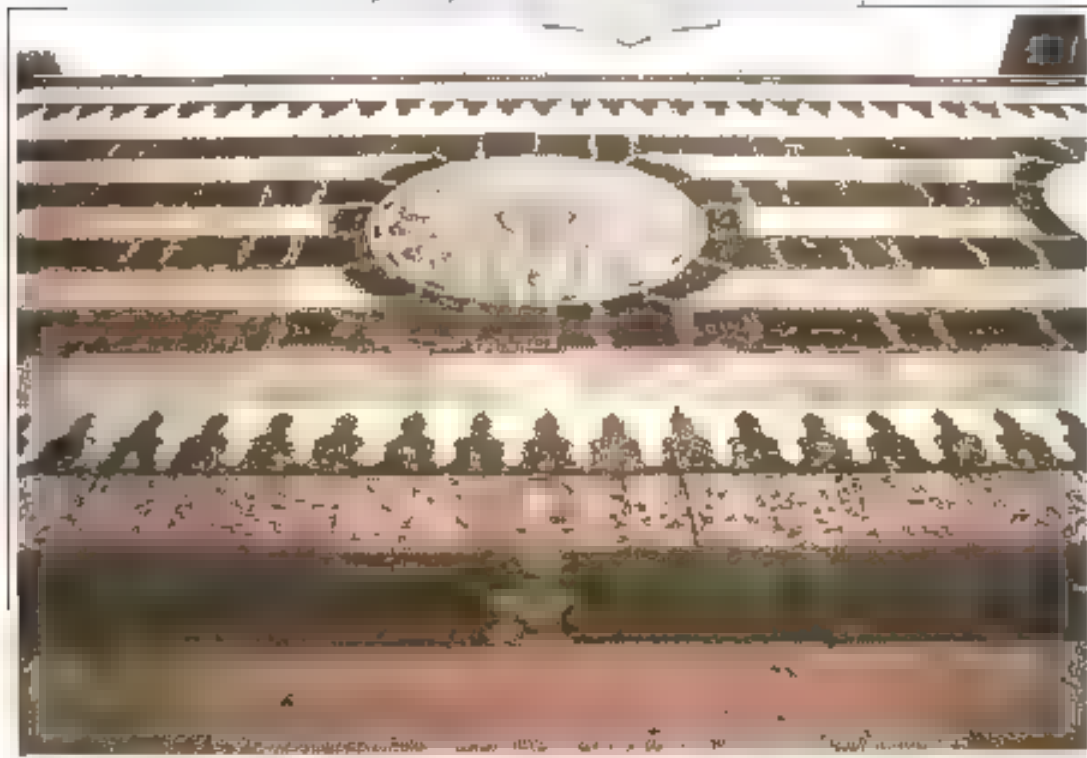
۱. احمد مدخل جامع ارغون شاه حائب (سجده، اجوم)، شاه عام 750 هـ



واجهه تربة لأمير الممروكي آرق السلحدار سديدان (تسقى اليوم 'سيدي صهيب)



مسجد الأمير تقي الدين أحمد بن أبي الفوارس - تأسس عام 748 هـ
 في عهد محمد بن تقي الدين أحمد بن أبي الفوارس - تأسس عام 802 هـ



المنارة - منارة المسجد - منارة المسجد - منارة المسجد



عصبة من واحة حرقة بركة لأمير من حامي الخط العربي دسد د سودي



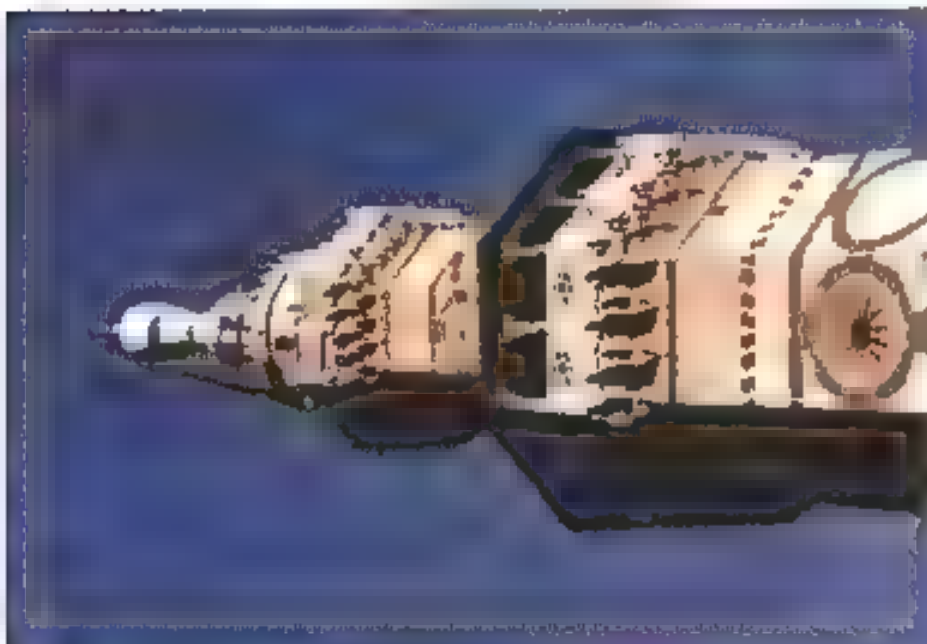
و جهة لدمشق، منظر من دمشق، منظر من دمشق



و جهة مدخل ندره اشبايه و معرضاته الحجرية تدبيرة



بوجه متحف البوفر شهرة (١٩٦٠ م) مسورة من حفر في مصر
تحتل سفاد لاشرف في صورة العون في سنة سبعة برينش برينش
الذهب حماسي (مواي)



شبهه المعبره سحر مع ، لا موري ، عماد به اسنصال
 الأشرف قايتي وقت عدم ، الأهر ، ثلا حظ بحدارة
 مع روحه نور فأنها لأصل ، اب ف حد روح مصفحه



وذلك السلطان الأشرف في سبي مسو ح بالقم شر
 (قارن نوجه ملحوظ)
 من معنيتات متحف المرويديدال سفور له في ب بورك



جامع الأموي الكبير ، حلب ، سورية . دارق دمشق ، تقدم مسجد السلامي على خطه لأحيته

ابن أجا الحلبي

(توفي 88 هـ / 1476 م)

زار دمشق في عام 875 هـ وعام 877 هـ

محمد بن محمود بن خليل شمس الحلبي الحنفي المعروف بابن أجا ، ولد بحلب عام 820 هـ وشأ فيها وطلب فيها لعله على أعباء عصره ، ثم نرد إلى القاهرة مراراً بدءاً من عام 843 هـ ، وعرّف بالعلماء والأعيان والأمراء كالأمير أريك مطاهري وغيره حتى ارتقى لصحبة السلطان الملك الناصر الأشرف محمد بن طاهر ، (والمصطلح «من» مملوكي يعني أنه من مملوكه وليس له ، وداع صيته بسبب ذلك وسافر رسولاً منه ومن لسلطان إلى عدة ممالك كثيرة والروم وغيرهما

وقدم إلى أجا بعدة سفار ، منها إلى الحار وبي القدس والخليل ، ومنها سفره المشهورة صحة الأمر بشك ، وولي قضاء العسكر مدة طويلة ، وله مؤلفات ، منها «سفره سوار» أي رحلته المذكورة ، ومنها ترجمته فتوح أشم ليوافدي ، إلى التركية نظم في 12 ألف بيت ، وكان على قول السحاوي عاقلاً عارفاً ذكياً مؤنداً مؤصباً ، وتوفي بحلب عام 881 هـ .

وأما رحلته الشهيرة ، فهي سجل يومي لوقائع حملة عسكرية حرّرها السطّار بموكبي سبّ الأشرف قاسم على شاه سوار صاحب الإمارة المددريّة في مناطق الثغور ، العوالم شرقي الأناضول ، وكانت هذه الحملة بقيادة الأمير الكبير شريك الدوّار الذي كتب أميراً لدى السطّار وواحداً من كفاء قادة العسكرين للسلطنة .

د مت هذه حملة عامير 875-877 هـ . ونجحت نجاحاً هراً بأقصاء على
 محرر هذه يدونه بصغيرة المعترة أدات بحكم التابعة بممانك ، وبأسر شاه سوار
 معه مع أبعه من إخوانه ، ثم تالالك عدامه باله هرة . وهذا الانتصار
 المين بعد حقاى ثلاث حملات قبته ، مما أكسبه روعه ووقعاً كان حديراً بأن يدون
 حودثه فى كتابه من ، وأن شاد مسى أثري تذكري بهد . الانتصار فأقدم
 نائب بنام الأمير برفوق ، على حيل فاسيون بدمشق فته تحيد النصر ، بقيت
 بعض ثراها بى عام 1942 من عصر الحاصر ، وعرف طوال خمسة قرون بته
 النصر ، أرقه النصر على سوار

كان فاصي العسكري ابن حال الحسي حاصر جميع وقائع هذه الحملة وقد
 شرد بهه فى بعض المادعات فى أثنها ، وتولى مهمة التاريخ بوقعتها فى بته
 المدكو ، وودد بمصوبات دات شار كسر عن أوضاع الدولة المدكوه وحشها فى
 مرحله من قبل ، لاحترة من بهاتها وهو يفصل فى وصف الموكب بحم ددح
 المرفق للامير بشك ، وسمى بهجت السلطات حكمة من حلاله اظهار فوته
 وذكر دخوله دمشق من بين الأولين فى رحله الذهاب ، فى دي القعدة 879 هـ .
 و لكنه فى حله الإياب الى القاهرة ومعه شاه سوار أسيراً ، فى صفر 877 هـ

ومع ذلك ، فإن أحداث هذه الفترة المدكوه تشكل مدات العصور الأخير
 لأهم دولة المماليك فى مصر ولنتم وإخجار ، وما هذه بصرعات الحدية مع
 رويات لشعو . فى شرفي لأصول ، لا واجهة لسافس من السلطة المموكية
 و يدونه اعتمادية الحديده البى تمكب حير من فتح المسمططبية عام 857 هـ .
 وبدأت تتطوع بى رغم بعالم الإسلامى ، وتوسع بحوالأصول ثم شتم
 ومصر .

هذا الصرخ تسمى فى أيام السطان بموكي بظاهر خشقدم ثم اردى فى
 آدم حقه الأسرى قايتى ، السلطان بعثمانى سايرى من محمد بفتح ، وذبت
 عن طريق باليب العثمانيين لإمارى دلقادر وفرمان .

وأدت هذه التراجعات إلى إرهاب الدولة و خيشت لمملوكي وأسفرت في اختتام
عن سقوط الدولة المملوكية في الشام أولاً عام 922 هـ ، ثم مصر ثب عام 923 هـ
على يدي السلطان العثماني سليم خان الأول .

والواقع أن حكم السلطان المملوكي قايتاي كب يتمير بالهوة ولصمود في
وجه المذبحماني ، وهو بعد تجربته لحملة شيبك لأحجة قام بعدها بخمسة
أعوام في 882 هـ برحلة نفعية من مصر إلى شمال بلاد الشام بتفقد التحصينات
الدفعية ، دون أخبارها كتب سره ابن الجيعان ، وقد أوردنا مصر دخول دمشق
أثناءها فيما يتلو بكتابتنا هذا .

أما رحلة ابن أحد فقد شرت للمرة الأولى بعنوان ، تاريخ الأمير يشبث
الطاهري ، بتحقيق د . عبد القادر أحمد عصمت ، وصدرت عن دار الفكر
العرابي بالقاهرة 1973 ثم أعاد نشرها ثابته بدمشق أسناد الشيخ محمد أحمد
دهم ، وصدرت عن دار الفكر عام 986 هـ ، بعنوان : لمراد بن السالك
والعثمانيين الأتراك ، مع رحلة الأمير يشبث بن مهدي لدوادار ، وأضاف إليها
دراسة عن تاريخ الإمارة لدلعية مع مصوص وإضافات أخرى

وعن طعة الشيخ دهم نقلنا النص المتعلقين بدمشق ، دون أن نعد إلى
تصحیح أغلاط اللغة والنحو ، بل تركناها لتعطي فكرة عن عة العصر

المصادر :

- رحلة الأمير يشبث لدوادار لابن أجا ، مقدمة دهمان 5-61 .
- النص اللامع لسحاوي ، ترجمة ابن أجا ، 10 ، 43 .
- النص اللامع لسحاوي ، ترجمة الأمير يشبث ، 10 ، 272 .
- انقول المستظرف لابن الجيعان ، 5-8 .

اخو سوار فلما وصل الى باب زويله وحده سوار
 ثم ان اردوا له شكله ونضرع قد سمعوا الى باب
 فاطلق في كلب ونوحه واهم الى باب صاحب الشرنبة
 سقاءه واظفحه وطلب له الزننيل ليصلوا احاله بنوع
 شات في ليلته وفي يوم الاربعاء انزلوهم وغسولهم
 كنونهم وعلل عليهم ودفعوهم عقابوا المسلمين
 راجع الله الملاد والجاد منهم بفضلهم وسند
 والحمد لله والصلوة والسلام
 محمد والى وصلى الله

ما كرا

في سنة ١٢١٧
 في سنة ١٢١٧
 في سنة ١٢١٧
 في سنة ١٢١٧
 في سنة ١٢١٧

عمود عن مخطوطة رحمة ابن أحم
 ساحة مكبة قصر طوب فابى سراي
 صورة فوتوغرافية بدار الكتب المصرية ، مسحها أحمد ركي باش

[الأمير يشيك في دمشق]

[برحلة لذهاب ، ذو لقعدة 875 هـ]

ورحل صبيحة يوم الجمعة من شقحب وشرل نقنة يسع⁽¹⁾ ، ولاقه لأمرء
 د بن تقدّموا ، وهم الأمير برساي أحد المقدمين ، والأمير حبرك والأمير عرار
 ومن في صحبهم من لأمرء والمماليك لسططبه ، وكان قد احضر أمراً في السّفر ،
 وهو نه صمّ كل أمر من لأمرء عرقه من ممالك سلطانية عربوا معه ويرحبوا
 معه

فدس اجميع في ذلك اليوم ، وظهروا يسهم وسلاحهم ومشوا اجميع
 امام صلّه السّعب كملين ، عّة و يسس ، ثم من عددهم طلبه السعيد وقد ألس
 بعض حبه وهو عدة ميه وعشرين فرساً ، كان طوبه مهالوت لسا وحلقه ،
 وهذا لم يتفق لأحد حتى ولا السلاطين ، ثم لخرانة ثم اقصة ، ثم الأمرء
 لاسين الكلوت ، وهو يسهم كالمر سير ، ومن حبه تمايكه المشتراوه نحو
 لأرعمائة كملين اللّس وخوشن⁽²⁾ على عائلهم وحبيبه لاسية ودحل في
 موكب عظم له يشهد مشه ، وكان يوماً مشهوراً ، وأول اساس إلى امسطه
 وهي سرله ، وحصل به من مدّاء و محبة من أربة مالا يوصف

أقّه يسع كتب يقع عند مدخل دمشق جنوبي في قرية القديم وبم يس لها أثر ، وكان الملوك
 ولأمرء في عهد مماليك بوقهور فيها لمرحّة من عداء اسفر عند مدومهم لدمشق ، كم
 تخرج يسب معهم مواكب لوراع د رعو لسكر من مدسه بديبه بشرقي دمشق
 مضض السّعد عبد القابون ، سير دكرها أرباء في النص ، ولاحقاً في نصر البديري
 ، لاطلاب جمع طلف كمنه د سة تعني لفرقة من الخيش ، وبأصل الأمير الذي يمور
 مرثبي فارس في مهابد ل و يطلق كدلت على فائدة اشة وأسمير ، وكان أول ما
 اسعمل هذا لفظ بمصر و بشدم يام صلاح ، يس ثم نك مدبره فأصبح يطبق على
 نكيه (Bata, ou) بنقرسه من الحسن انظر اسنول: معرفة دول الملوك لمقرري
 (1) 248) ، و نظر بصاً مصرح لكروب في أخبار سي أيوب ديس واصل ، 2 ، 59

ورجع معجم رابهارب بوري Dozy, R. *Supplément aux Dictionnaires Arabes*

(2) خلوتات جمع كلوتة ، عضاء براس شع اده امست كك يلس حصاه أو غيرها

(4) أي اندروع ، ومعده جوش

وفي صبحه يوم الأحد ، ركب وسلم على حريم كافل المملكة لشامة ،
ودخل الجامع لأموي وصلى ركعتين وتصدق على من راحله من الفقراء ،
وقام بالوصاف مستطراً المشاة والقاضي شرف الدين الأنصاري والمشايع إلى يوم
الجمعة بسبع عشرة دخل البلد وصلى الجمعة بمقصورة جامع الأموي .

وحظف فصي النصارى نصيب الدين الشافعي ، أسبع لله طلابه ، حطه
بليعه حرص فيها على الشب والنصر في الأمور واتفاق الكلمة وما يحدث من
الاحتلاف ، ونهى بآب من كتاب الله تعالى وأحدث أحاديثها بساء وإشاد

فلما حرج من جامع ، وقف له ساس صفوقاً وهم يدعون به ويصرعون
إلى الله بصره على عدو الله وعدو المسلمين ، فشاهد جمعة مستكثرة من الفقراء
واقفين على باب الجامع فرسم لي بأر أقف مع حارسه وأصدق من ماله
عنهم ففرقت جميع ما وجدته مع الولد شديداً حاراً ار كيس إلى أدبه

وكان معي بعض شيء ، أضف به إلى ذلك وبقينه مع ذلك والله الحمد وقاسيت في
ذلك اليوم من لاردحام ما لا يمكن حيره

ورسم ال يفرق على الممالك لسلطانية عليق شهر ذي القعدة ، فعلق
الكتاب وفرق عليق أربعين يوماً تكملته شهر شوار ، وهي لمدة التي مصت
بنقهرة ، فصب الكاتب وصره ضرباً مبرحاً ، وأقام في الترسيم⁽¹⁾ أياماً ثم أعم
عنه وصمغ وأطلقه

وفي رابع عشره وصل النصارى شرف الدين الأنصاري وحبس أن المشاة
كملوا ، وأنهم نوحوا على طريق وادي التيم⁽²⁾ فرحل من دمشق بهار الجمعة
بعد صلاة الظهر وبرل عند خان لاجين⁽³⁾ .

(1) الترسيم من مصطلحات العهد المملوكي ويعني الحرس أو الإقامة بحرية
(2) وادي التيم سمة قديمة تعرف في أيامنا بقصائي حاصياً وأشب الوافعين على السمع
العربي عمل الحرمون في الأراضي اللبية والمعنى في الكعبة - الجنوب
(3) خان لاجين خان قسم لا يرل ونمأ ، يقع إلى الشمال من قرية عذر على الطريق بين
دمشق وندمر به الأمير مملوكي حسام الدين لاجين نائب دمشق عام 690 هـ في عهد

وفي نهار السبت ، وصل محمد بن مُسرك حاجب حجاب بالشَّام ورائب
لقعة بها ، وَشَكَّ نقيب القلعة ، فردعهما وضرب يَشِيك⁽¹⁾ نقيب القلعة على
رجله مقدار ثلاثين عصا لما وقع من تمريضه ونهاونه في تجهيزه للزَّردخانات من قعة
دمشق . ثم براميتُ عنده وقتلت بده وشمعت به فشعبي فيه ، رزقه الله شهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنه إلى القُطيفة ثم إلى الشَّك⁽²⁾ ، ثم صحى بقار نهار الاثنين تاسع
عشره ورجل وبات بمنزلة حصيا⁽³⁾ .

(رحلة الأمير شَك الدَّوَّادار ، 77-79)

* * *

~ ~ ~

~ ~

المذكور لمصور قلاوون ويعرف في أيامنا نحن عياش نسبة إلى أحد شيوخ السدو الذي
سكنه في القرن الماضي

(1) هذا الاسم تركي ومن لواصيح في بصي بن أجب رابن جيعان أنه كان شائعاً آنذاك
بأواخر العهد المملوكي وهو في تركية Yns Bey ، أمير فتى ولا زال كثير من
الأسماء في التركية يشق من جذر Yns ، مثل Yaşar أما بد Bey أو Beg ، فهي
الأمير ، كسُيها بالكسرة ، لكنها قد ترد أحياناً في النصوص المملوكية بالفتحة (بك) أو
حتى بالألف (بلك) ، مثل اسم : شادبك ، الذي ورد أعلاه

(2) لقطعه وسك وقرأ بلدات كبيرة عامرة في خوف القلمون ، على الطريق بين دمشق
وحمص .

(3) حسب مصحفة عن حسب ، بلدة معروفة في المنطقة المذكورة أعلاه ، شمالي البسات
لمشار إليها

[الأمير يشك في دمشق]

[برحلة العودة ، صفر 877 هـ]

ثم رحل بكرة بهار الأحد ونزل بالبرستان ، ثم منها إلى حمص بكرة بهار
لاثنين حمص من غير تريحه . ثم رحل منها يوم الثلاثاء وضحى بجان
منحت وقت عديده . ثم صلى الصبح به ورحل ووصل بأسف وفيه
وصل الأمير حسكدي لصاعري خشمدي أحد مقدمي الأوف كرس بمفره
ثم رحل منها وقت العشاء ، ونزل بالقطفة صبيحة نهار الخميس

وفيه وصل الأمير بدمشق الحبيبي مير كبير لشم ، والفصي بطر حسن
المرئي وفيه بها إلى حمص ورحل منها . فلاقى كليل حصلت لنامه وكار
فد سبو حمص ، صحبه ولاده ولصبي فصب بدمخ نصري ومنه فصبطه
سقطار خارج بمنى حروسة بقراب من بدمخ بعد العشاء وأصبح يوم
الجمعة مقسماً بها ، فخرج أهل بدمشق يستلاد عنه

وفي بهار ليست تدمر بغير شهيرة رجه ، انس كليل سمكه اشتمه
مديكه وبيع في بدمخ بطلبة لا تسبه سيء ، وكار - بصره له
عنى قلب البسة طلباً من شمه من صبه ترمب معجب ، قلب مر طلب كليل
امملكة البسمه ، مشى طلب المساريه ، وفيه شاهد كليل بصلب لنامية دلب
صهر أثر الحجل في وجهه⁽¹⁾ .

(1) يذكر سادات دهمان : لا أثر لهذا الحد يوم هجرت حبيب ولدك بن شوحد
الحان الخائل إلى أم بدمخ . نس ، ثم ربه بدمخ ، لا في بدمخ في كتاب
حبيب وهي قرية وقف سجدت به .

(2) كذا في الأصل ، وهي ليست بالمدينة ولد منه ، بعد ذكرها

(3) كذا في سهل بدمخ إلى بدمخ السرق في من دمشق صفة حمص بدمخ سقطار ، وفي
أرض بدمخ في قراب بدمخ وسويك . واد سقطار ونايب عنه قدمه لدمخ

حمص عني في حبه حب بسعه فواكب الرسمية إلى هذه المصطفة

+ كذا في بدمخ بدمخ بدمخ ، في نايب بدمخ بدمخ كليل الأمير بدمخ بدمخ

نكوسج ، راجع . علام الوري لابن طولوب الصاحي ، طبعة دهمان ، ص 68

ودخل سوق ، وكفل بمكة شاميه عن يمينه ، والأمير إسماعيل الأشقر عن يساره ، وفيه الأمر ، والعصاة به وبسره ، وعلى أساس في كربي مكن لفرجه ، وبو مصطط ومكة صُرف عليها حملة ، كل ذلك رغبة لرؤية سُوار في تلك الحلة ، فمّا وصل موكب لتجاه الصعة ، حصر نائب القلعة ومن معه من نصيب صعة و بحرية ، فسبّحوا سُوار وأحرقته لأربعة ، وأولاد قرا وحليل بن ورجا وثلاثة عشر نمرًا من أعين جماعة سُوار

ثم جمع المقر لأشرف باش العساكر بصورة إسمي محمّد ، الكريم ببيدس لاحصر ورب القصر ومعه كفل المملكة ، شامية سمطاً عظيماً ، وأقام بدمشق إلى شهر لاثني ، [و] على كافر المملكة لشاميه صيغة عظمى ، وعزم على جميع مقدمين ومعه المقر الأشرف أمير دو دار ، والأمير يمان الأشقر رأس قوة الشعب ، والأمير محمد الأشرفي ، والأمير برنسي قر ، والأمير حامد برنسي قر ، وبعض أمراء من عسكروا ، وكان محسباً حافلاً ، وجمع على المقر الأشرف أمير ديار بكر الله أنصهره كماله تساح بفر وسمو وطرار رسته ألب مثقل ، وعلى معه امته مقر حاكم قطر سنمو ، وعلى الأمير حامد برنسي قر بكومية ، وفي كومية ، وحبر بكر من المدكو بن تقدمه بليق به ، وقام في إدرم العسكر البصور أنم قديم ، ويكفيلك من وصفه أنه لم يسبقه أحد بمشه

وفيه وصل الأمير جهم الدوار بخدمة المقر الأشرف باش العساكر لمصوره ، ولقاضي شرف الدين بن غريب اسنادار الديوار الشريف ، ومعهم بطيخ صفي وسكر وحلاوة وعشرة جمال من ماء النبل ففرّق جميع ذلك على العساكر بصورة ، وعلى كابل للمملكة شامية وأمرائها ومباشرها حتى سم يدع نفسه الطيخة واحدة مع كره ديك ، فاضربى هذا الكرم النفس الذي أعطاه به تعالى .

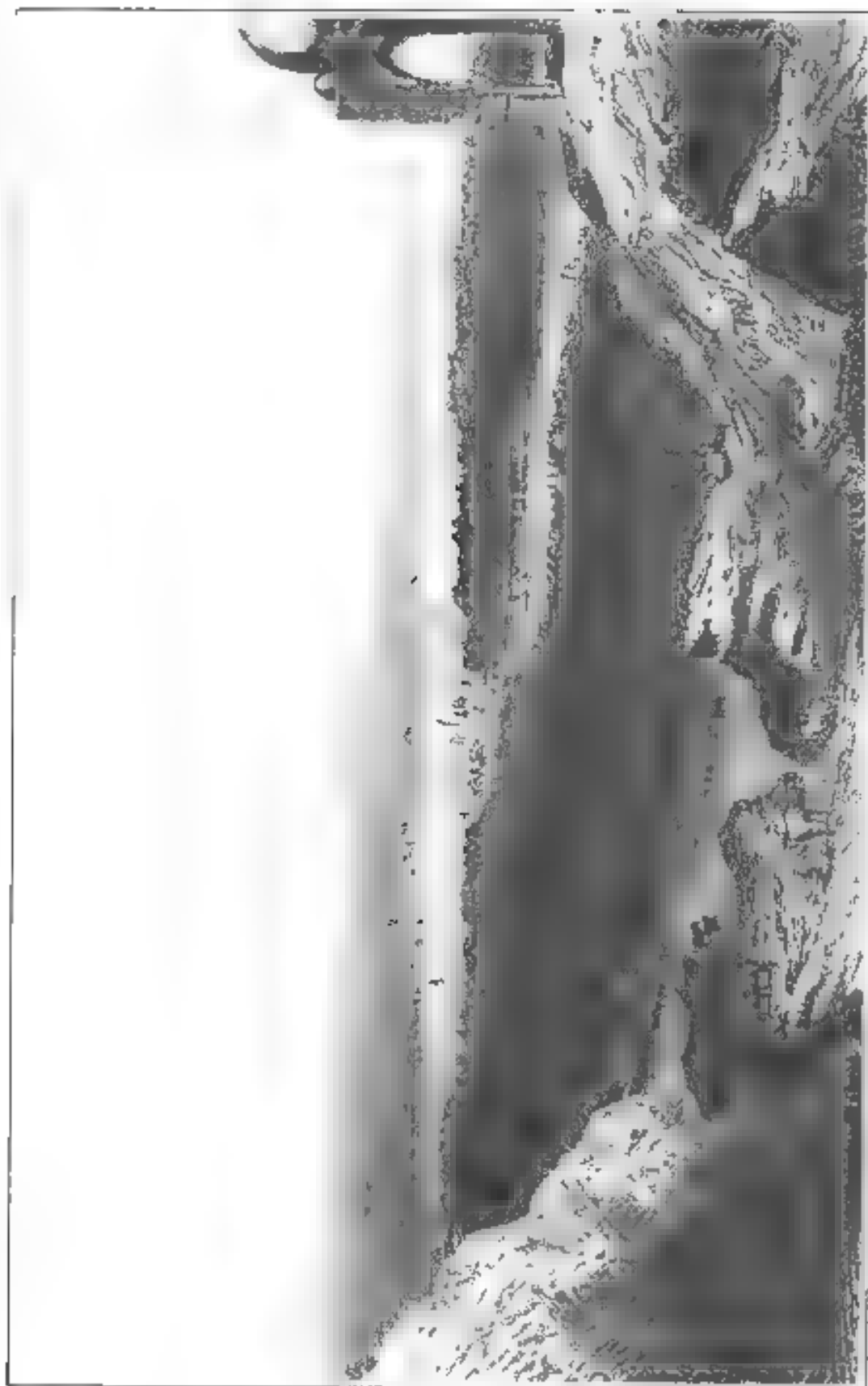
(1) أي القصر لأبني بني الملك طاهر ببغداد . اجمع ما تقدم في بصر العثماني

فرحل يوم الثلاثاء ، الأمير برسي قرا ، ثم رحل الأمير حابر ماك يوم
الأربعاء ، والأمير تقرر يوم الخميس ، والأمير يبال لأشهر بكرة بهار الجمعة ،
والمقر الأشرف باش العساكر المنصورة رحل يوم الجمعة

و ستمر برحل و سمر من مرة لآخرى ، إلى أن وصل إلى صالحية هار
الأربعاء ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسعين وثمان مئة

(حقه ، الأمير يشبك اندوادار ، 155-157)





نقبة قلاية تمثل مشهداً عاماً لدمشق من جبل قاسيود قرب قبة سيار



ابن الجيعان

(توفي 902 هـ / 1497 م)

رحلته إلى دمشق عام 882 هـ / 1477 م

أبو الفداء محمد بن يحيى القسطنطيني المصري معروف بابن الجيعان ، وأسرة بني الجيعان قبطية مسيحية دميائية الأصل ، اعتنقت الإسلام في مطلع القرن التاسع الهجري ، ولعب من أفرادها كثيرون تولوا المناصب الإدارية الرفيعة في سواوين خديفة والعسكرية ، وحينئذ سلاطين لخراسنة على امتداد ذلك لقرن وحتى نهاية عهد الدولة المملوكية⁽¹⁾

كان من أشهرهم وأدناؤهم يحيى بن سبأكر ابن الجيعان (توفي 885 هـ) صاحب كتاب «نحفة لسنية أسماء الملوك المصريين» ورحلته أحمد بن يحيى وصالح الدين محمد و لرتني بركت ، وابنه شهاب أحمد ابن محمد بن يحيى (توفي 930 هـ) الذي روى سلطان قايتباي في رحمة حج وألف عنها كتاب بعنوان «الجموع الطريف في حجة لمقام الشريف»⁽²⁾

وحظي أفراد الأسرة بثراء في مال والعقد ، وصاهروهم الأغنياء وأصحاب المناصب العالية في مصر والشام ، واشتهرت بهم في القاهرة خارة عرفت بحارة أولاد الجيعان ووصفهم المؤرخ ابن تغري بردي بأنهم أصحاب الخل والعقد في الدولة في الباطن ، وإن كان غيرهم في الظاهر فهم الأصل .

⁽¹⁾ نشره الشيخ محمد الحارثي في انبريق بعنوان «رحلة ملك لأشرف قايتباي إلى حجر» مجلة العرب ، جزء 9-10 ، ص 659-696 ، سنة 976 .

«ما لقاضي بدر الدين أبو النقاء محمد ، فقد وُلِّي في عهد قيسى كتابة
 سنة . وكان على قوس من حسن الخفي في كتابه «دائع الزهور» في «قائع الدهور»
 363 3 «رئيساً حشماً وصلاً عرفاً بحوال لمعك ، وكان مقرراً عند
 لأسرف قيسى ورقى في يامه وسيت اسمه اربسه ، وكان أدولاً حلو اللسان
 سيوساً وشعباً معه ، وكان من وبع سي خيعان أشأ بالفهره عماره
 براوة خمره وحعل به حصه وحوصله سسلأ . وأشأه بالقصور واحد طر
 والعيط الحعل» . ثم توفي مقبولاً في رفاق سي الخيعان عام 902 هـ .

تولد من خعد نصاً مهمتاً دون فيه محرياب رحلة لسُلطان قايتي من
 مصر في بلاد الشام وعورته سي لفهرة عام 882 هـ ، وكان مؤلفاً مرفقاً
 لستف . في هذه الرحلة خطوة بخطوة ، وهذا يدل على مدى مكانته وحظوته
 لديه وأصوب الخيعان على مؤلفه عمو «القول المستطرف في سفر مولانا
 الملك الأشرف» . وهو على شكل يوميات يورج لأحد خط سير الرحلة

لم يكن هذه مجرد جبهة عادية كالتي العهد ورأيته في كتابه هـ . فقد فـ
 بها سلطان مصر ولشام بمسه وأخصها بشبه سرية تامة ، وتعيث عن كرسي
 تسكه أكثر من أربعة أشهر دون أن يوصي بحكمة لأحد أثناء عيابه ، وتجرّد له
 عدد قيس من برقيق وهذه حراً أقدم عليها مراراً في عدة رحلات قام بها أثناء
 حكمه بطول اندى مدة 29 عاماً (871 - 900 هـ) . أثبت فيها افتداه وقوة حكمه
 على غرار ما قام به الملك الطاهر بيبرس في رحلته الشهيرة عام 667 هـ¹

وكانت لعاية من وراء هذه الرحلة أوقوف ، عن كُتب ، على الأوصاف
 السياسية وعسكرية . ولقد انتحيت الدفاعية لبلاد لشام ، من حصون
 وفلاع وطرف وحسور ، ثرتمى فيفس والعداء بين امسايلك ايجراكسة
 ولأنزال عثمانيين في الالاصوب . وكان شمس سوربه معرضاً أشد للحضر
 العثماني ، بعد أن استقر العثمانيون في آسيا الصغرى كلها .

(1) كانت رحلته إلى الحجاز تأكيداً لسيادته ثم إلى الشام السلوك للمقري ، 1 . 581

وكان رأينا في مصر بر أجا اخلي ، الورد انها في كتبنا ، كيف ان اسلطان
قايساي بنه كار جرد عام 875 877 هـ حملة عسكرية على إمارة دلفدر في
شرقي الأناضول ، بقيادة الأمير يشك الظاهري ، الذي تمكن من دحرها وإقصاء
على تمردها المدعوم من قبل لعثمانيين وبالطبع ، أثارت هذه الحملة حميظة
هؤلاء ، وبدأت حدة الموقف تتصاعد بين الطرفين

في هذا الموقف المهدد بالخطر ، قام السلطان بر بحلته التفتيشية هذه التي
امتدت من آخر شهر جمادى الأولى إلى أواخر رمضان من تلك السنة ، وداري
أثناء دمشق لعاصمة اثناس لملكته في طريق عودته إلى مصر ، وأقام بها من
16 شعبان إلى 10 رمضان من عام 882 هـ .

خرج السلطان من القاهرة في أواخر جمادى الأولى يوم صحة أو حمال ،
ولم يكن يفؤه في الرحلة بتجاوز الأوغسطين ، بسهم الأمير بتي بث فرا
الدوادراشي ، والأمير حسي بك البغلي ، والأمير يشك الحمالي

ومر بصريفه بالصالحية والعريس وعزة وقاقون والناصرية وصقذ وعلبك
وطرابس واللاذقية وأنطاكية وهراس وعنتاب ، ووصل قلعة المسلمين ، ثم عاد
من ديار بكر بصريق حلب وسرمين وحماة وحمص وأبث ودمس وسعسع
وحسربات يعقوب وحاتمة وقاقون وتبعه من طريق التي حاء مه
وأثناء إقامته بدمشق ، أصيب بمرض شديد ، لكنه عوفي منه

اهتم قابندي ، فصلاً عن التفتيش على لقلاع والخسور ، بمقابلة الحكام
والأمراء المحليين ، وبحث شؤون مناطق التي يحكمونها وكان هؤلاء الأمراء
يبدرون ، في تقديم الهدايا الثمينة للسلطان ورجال حاشيته ، على طول طريق
رحلته ، وكان هو نفسه يحلج في مناسبات كثيرة على الأمراء والسواب غير أن
أعظم الهدايا كانت ما أعطاه لإسحق بشت ، رسول «ناصرى ابن عثمان» ،
صاحب مملكة ديود ، في دولة بني عثمان كما كانت تُعرف آنذاك ، والمقصود
بناصرى السلطان أبو النصر محمد بن ثاني فأنح لمسططية

، قُصِدَ على اليهود ، أن هذه الرحلة عبر من هم وأند. الرحلات . ومن خلالها يمكن التعرف على بعض صراحي لحكمه والإدارة في الشام ومصر . عهد مدالة مصوكة في أدمها لأحبة ، قبل أن يهوي تحت سيوف الغنميين

، استعرض لاحقاً في الجزء الثالث - ربه مستطاب قايتاي معتمدين عبد حديث من بنو حبه بسهره محف بتوفر ، هي عمل مستطاب فصوره عور ، مدته حويي الخ مع لأموي ، وهو مستقل بغير الدقة

ف ، ل بشرة بقور المستطاف ، فكانت على يد المستشرق الإيطالي ريو دي نو لاسو R. V. Lazzari ، في تورينو بإيطاليا عام 1878 بطبعه ، بحرية *Relazione di Palesina e Siria di Kara Bai Torino 1878*

ثم ظهرت منه ترجمة فرنسية ، ماهرة عام 1922 ، على يد المستشرق هرييت ديقوشير H. L. Devonslure تجع عنوان :

Relazione di Palesina e Siria di Kara Bai

ثم في أيامنا أعاد نشره بنديا اليك به د عمر عبد السلام بدمري في طرابلس الشام عام 1984 ، ويحوي هذه الطبعة أخذت النص المنعق بدمش

المصادر :

- 1- القول المستطاف لابن الجيعان ، مقدمة تدمري ، 4-6 .
- 2- بدائع الرحور لابن ياس 3 363 ، وأحار الرحله 134-139 .
- 3- الصور اللامع بسحاوي 3 : 292
- 4- رواد الشرق لعربي بريدة ، 78
- 5- العصر المالكي في مصر و الشام بدمشور ، 174 .
- 6- كتاب السر في العصر المملوكي بدمشور ، 345 .
- 7- أعلام الجغرافيين العرب لحيدة ، 514

[حسباً]

ثم . نحل من حمص في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر شعبان المذكور .
بعد أن أسس الأمير أرمربائب حرايس تشرعاً تشرعاً ، وأدب له في التوجه إلى
صربيس . و ستر آحيي ثائقه ححب شي بهي . عوصاً عن أقيائي^(١)
الخططي . واسمر بقه يومه إلى أن وصل ركبه الشريف إلى حسبياً . وهي قرية
وقف منجب ، له بها حان^(٢)

[اقرأ والنك]

ثم توجه منها يوم الثلاثاء ثاني عشر من شهر بارحة إلى شت بعد قرا .
وهي قرية صغره بها حص أشجار ونهر ماء صتب . وحصرنا فيه إقامة من مقر
سيهي بشك مير رواد كبير . مثل الإقامة سي حهر ه أؤلاً ، وإقامة من عبد
الابواب شريفه وانه المملول^(٣)

[المطيفة والفصير]

ثم أصبح مقيماً بها يوم الأربعاء وليلة الخميس رابع عشره . إلى أن صلبى
الصبح ، وتوجه منها إلى أن برن دلفطفة ، وهي قرية وقف السمارستان بدمشق^(٤)
ثم ارتحل منها يوم الجمعة خمس عشره إلى أن وصل القصير . وهي قرب
من دمشق بريد ونصف

-
- (١) يعيدنا المؤلف بهذه المعلومة المهمة في تحديد . . . القديم المائل بحسباً إلى أيامنا ، وم
مكن هذه النسبة معروفة من قبل فيما نعلم
 - (٢) أقيائي اسم تركي Ak Bey ، ويعني أمير - أبيض
 - (٣) هو يحيى بن شاذلي بن عبد الحسي الشهري القضي الشافعي ، والد المؤلف
 - (٤) بريدية رسب اسلطان نور الدين محمود بن ركي بدمشق ، ولقطعه كدت من أوف
اسلطان . وبه بها عمار معروفة م ران بعضه مائلاً إلى أيامنا كالحق بقديم

[دمشق]

ثم ركب بعد انشاء ، ليلة السبت سـاـس عشرة ، إلى أن وصل إلى قبعة
دمشق المحروسة آخر الليل في المحفة^(١) ركباً واسلمود في غاية الوخس سب ذلك
وأشد لسان الحار يقول :

وكم فُلبُ لما توَعثَ حَسْمُ مَنْ حَذَرِي عليه يَكْرُأُ بِكُ مُلْهِي
لو أُرُوحِي في يَدِي وَوَهْشِي مُشْثَرِي شَعْدَتُهُ لَمْ تُصَفْ

وَصَرَدَ مُوسَى إِلَى اللَّهِ عَالِي بَالِي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِالسَّادَةِ
الْأَوْسَاءِ فِي حَصُولِ إِعْدِيَةِ لَهُ وَحَصَلَ مَا شَاءَ بِهِ مِنْ أَسَدَةِ لِقَرَاءِ ،
كَالشَّيْخِ عَلِيِّ لِدَقِّقِ الشَّحْ عَمِي الْمَحْدُودِ وَسُئِلَ شَحْ لِعَرَفِ بَانِهِ بَعْدِي عَلِي
الضَّادِيقِي ، فَمَعْنَاهُ ، عَنْ مَرَدٍ وَصَلَتْ بِهِ مَسْأَلَةٌ ، فَقَالَ مَا يَحْصُلُ إِلَّا
خَيْرٌ بِشَاءَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَمَا حَصَرَ طِينًا يَمُورُ طِينًا ، فَإِنَّ أَسَدَةَ الْأَوْلِيَاءِ حَتَمَعُوا
مَعَ الْقُصْبِ وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِهِ وَأَطْرَفُوا بِسُرْعَةٍ ثُمَّ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَقَالُوا ، هَرُوا لَهُ
الْعَاقِبَةُ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَلِيمَ وَكِتَابَهُ حَرَّارًا ، فَإِنَّا نَحْنُ نَظَرْنَا فِيمَنْ يَصْلَحُ لِلْوَلَايَةِ
عَلَى اسْلَمِينَ ، فَلَمْ يَجِدْ فِي حِمَايَةِ مَتْنِهِ

وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي أَبْيَانِهِ اشْتَرِيهِ ، بَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَحْمَرُ ، أَدَامَ اللَّهُ
تَعَالَى نَمَاهُ اشْتَرِيهِ ، نَأَهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُ فَاسْتَدْلَبَ عَمِي
صَدِيقَ لَشَحْ عَمِي عَمَّا أَحْمَرَهُ مَوْلَانَا أَعْقَمَ اشْتَرِيهِ ، بَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَدَاهُ مِنْ
الْعَايَةِ الرَّبَّانِيَةِ ، لَا رَيْتُ مُسَاعِدَةً لَهُ عَلَى الدَّوَامِ بِحَقِّ السَّيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثم رَسَمَ ، بَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، لِلْحَاجِّ أَحْمَدَ بْنِ طُقَيْشٍ^(٢) الَّذِي حَصَرَ إِبْنِي حِمَاةَ
بِالتَّوَحُّهِ إِلَى مَقَاهِرَةِ الْمُحْرُوسَةِ بَعْدَ أَنْ شَمِتَتْهُ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِالْإِيعَادِ الرَّئِيسِ
وَبُوحَةِ ابْنِ طُقَيْشٍ مِنْ دِمَشْقَ عِدَّةَ إِفَامَةٍ مَرَكَّاتِ الشَّرِيفِ بِهَا أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ

(١) دخل السلطان دمشق مريضاً ، وكان الموصوف ذكره به يومئذ عند دخوله حمه يوم 2 شعبان

(٢) شيخ قرية نوى بحوران ، بهتم ذكره في نص رحله ابن الحيد عن الكاهن

ثم استمر مولانا المقدم لشريف مصره الله تعالى مقيماً بالقعة بصورة .
إلى أن أكل المسلمون في يوم السبت الثالث والعشرين منه .

وحضر مولانا المقدم لشريف مصره به تعالى ، إلى إسحاق باشا ،
ورفيقه واصدين من ممكة ، وروء مسع نف دينار ، وثلاثمائة رأس من الاعم ،
ومائتي إردب شعير . و ريعمة قطر بسماط ، ومائتي طنن من الداح ،
وخمسين حنث من الإور ابسدى ، وعشرة قاصير سكر ، وعشرة قاطر حب
رمان ، وخمسة عشر قطاراً من الدبس ، وخمسة عشر ردتاً من الأرز البص ،
بعاماً عليهم عند حضورهم لقصد التوجه إلى الحجر الشريف .

و ستمر في زيادة العدة . وحس صبيحة يوم الأحد لربح والعشرين منه .

وكتب علامته لشريفة على المراسيم الشريفة المرسوم بكتبها إلى مصر
بعده مولانا المقدم لشريف مصره . وحنثت بالرعمران وحنثت على يد السبي بردي
بك من سبي أسى المقدم في ليلة الأربعاء لمرسوم والعشرين منه للدير المصرية ،
وصحبه قراً على شمسى بن بصولة .

و حنثت مر سسم شرعة لمرسوم بك الخليفة في حنثها بمعنى ذلك ، وشممت
بصدقات شريفة الأمير قانصوه الشريفي ، لألهمي بإمرية عشرة بالدار المصرية ،
والسبي بردي بك من سبي المذكور قبله باستقراره ساقى حاصر عن الأمير
قانصوه المذكور ، لألهم كاد ملارمين بخدمه الشريفة في حالة التوعل

في «بات» اربيه عسكريه العليا المعروفة عند العثمانيين ، وقوله «الواصلين من مملكة
روم» يعني من طرف السلطان العثماني محمد حان لاسي (المانج) وحس عهد
السلطان المملوكي لأشرف قايتي كانت العلاقة بين المماليك والعثمانيين تتراوح ما بين
لستم احتدر كما يرى هـ من كرم لرس عثمانيين ، وبين لفس استتر بشكل دعم
عثمانيين لإمارتي دندار وفوم في سرفي الأنصوب كما رأيت في نص رحله لأمر
يشك الدودار لاس اجا وسرعد ما تحول لفس استتر في العدة والاحتدر .
حتى بيع مصر في عامي 922-923 هـ ، حيث اشكك الدولار في حرب مصرية
أسفرت عن دحار امدلة مملوكيه وسقوطها نهائياً ، وصم أراضيها بالكامل إلى ملالا
لإمبراطورية لعثمانية القوة

ثم في يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر ١٠٠٠ هـ ، حضر سريي ، سحاق شاه ورفيقه ،
 عثمانيين مدكورين ، إماماً وهو : نفاصيل سكندري حمسين واحد ، ورب يس
 برد عادي عشرة ، وأعطى كفت مائة عشرة ، وأسنة رماح عشرة ، ولتوس كفت
 ثلاثة ، وتر من سعة ، وفسي بندق عشرة ، ورمح قسي حمسين ، وشاشات
 ٥٠٠ ربي عال عشرة ، وسكرات حموي عشرة مجامع ، ومرطبان رنجيل
 مري ، ومرصد كيني مري ، و سبل سهم بعدد دلت هجن ، مراكب وسعة
 وقماش هجن وغير ذلك

ثم جلس يوم الخميس المبارك ، الثامن والعشرين من شهر شعبان المبارك ،
 دلايوان بقعة دمشق الخروسة ، وعمد سماً عظماً ، وحضر إليه لأمير حادي
 بدد نائب الشام ، ولأمير بردي نائب صمد ، والأمراء الساميون والمصريون
 والأمشرون ، وحضر يسحق شاه وجماعه لأوامر سي سي أناده شريفة ،
 وكو سماء وشرو مشدوب غني لعدة ، وأسهم سائر سريفة ، وقدموا
 بقدمهم وهي عو شي بصد ، وكسكة ثمانيت ، وسبع قُصّر جمال بحاتي ،
 وقطران بعر ، وسعة وأربعون قطعة قصة اية ، وقماش محمل ومسح وكمحا
 وسمو واشو وطحد وشو ، وشو سماء

[الميدان الأخضر]

ثم في يوم الجمعة المبارك سلحه ، دكب بعد صلاة الجمعة من القلعة وتوجه
 إلى الميدان دمشق ، وعمل سماء عظيم ومشروب كثير في أحواض ، واجتمع
 لأمراء وائب الشام ، نائب صمد وجماعة المصري بن عثمان صاحب الرود ،
 وكو سماء وشرو واشروب ، وحصل الجمعة المقررات صري ابن عثمان من
 لإصاف وإلحاح لا تستطع صظه ، ووضي عليهم وعلى جماعتهم أمير
 حاح وحكم دمشق ، ورسم سائر لأبغ صواحي الحماة والعلماء الذين
 يستحلونهم

ولسان الحال يقول وينطق بحقيقة الحال كما قال الشاعر :

ومن يصر بآفة ويحصع^١ مؤوه ولا يحش طمأ ما أدام ولا هضم

ثم ركب مولانا لقر الشريف ، بصره الله تعالى ، في نقيّة يومه من ليلته
وعاد إلى القلعة^٢ ، ونهح أهل لشم والمسموم جمعون لعفته وكان يوماً
مشهوداً وموكباً عظيماً ، والله لحمد والثناء

وأنت لسان الحال يقول :

شُكراً لرب السَّهم عسى جريل العظام
فقد سررتُ بيوم قد بلغتْ به مُثاني

وحاصر سيّهي نور^٣ نحو الأمير السّوادا^٤ كبير ، بدعوة من عند المهر
الأشرف السّمي يشك أمير دود^٥ كبير أعزّاه تعالى بصرته ، في أول شهر
رمضان

واستمر القاضي صلاح الدّين بن القنبري في نظر القلعة بدمشق والأسوار
ووكّنه المهر ، شريف ، عن القاضي شهاب الدّين بن السّلسي ، في يوم الخميس
الخامس من شهر رمضان سنة اثنين وثمانين وثمانماية .

واستمر سماعيل الخمي في وطائف نقصي علاء الدّين بن قاضي محلول
القاضي الخمي في تاريخه

واستقر لقاضي جمال الدّين دودار نائب الشام في استدارة الأغوار عوصاً
عن لأمير آقبري .

وفيه أفرح عن جماعة بن السّلسي لذين كانوا في السّجن ، وخطب
قُرّر عليهم للحرائث الشرّعة ، شرّفها الله تعالى أعظمها ، بشاعة اشّح علي
الدّق .

(١) حو^١ : الاحصر (= مرحلة الحسّ) نظر ما يرد في بصر لسري (68) أيام فاسي

ثم رُسم ببطر اسحكبيء الخانات والمكوس على الخطب وليس وعبره ، في
 يوم الجمعة لخمس مائة سنة ، وأحضر الداء بذلك بدمشق مع لأموي وتُش
 به رُحامة⁽¹⁾

وفيه وصل الخبر وفاة القاصي ريس الدين عبد الرحمن بطر الخيوش
 بصورة بعرة المحروسة ، وحصل الأسف عليه .

وتوجه فيه قابضوه أمير كسر عرة إلى غرة المحروسة .

ثم في يوم الأحد مائة - ثمانية ، استقر القاصي برف الدين بن عيا في قضاء
 لسدة ، لحفيه بدمشق المحروسة ، عن القاصي علاء الدين ابن قاضي بحلول
 المتوفى قل تاريخه

وفيه استقر القاصي الشريف موفق الدين عبد الرحمن القاصي اخه وي في
 صر الخيوش بصورة مدسوق خدسه عن قاضي شهاب الدين المدسوقي

وفيه استقر براهيم الدين بريحوم القاصي بن لئس صر الخيوش بصورة
 بعرة المحروسة ، عن والده

(1) مائة سنة مائة مثلاً في أياما على روح حامي محفوظ في مسودع الجمع الأموي .
 وفيه من سنة 1450 ، سمرق بفرسي حار سوق جيه وسره في مقالة له عن نقوش
 المراسيم المملوكية في سورية ، في مجلة المعهد الفرنسي بدمشق

"Décrets Mamelouks de Syrie" 3^{ème} ar de BEU, X, (1947-8) p 26. N° 5

والمف هذا الموح مائة أسطر صاع لاخير مهابيب كسر أص - سنة ومائة
 60 × 8 سم خطه عجي ثوكي

(1) سنة - الأمر لشريف سلطان بني منكبي الاشرف أبو النصر دساي حلد لله ملكه وشيد
 (2) فواعد دوسه الشريعة عند حلول ركابه الشريف بالمملكة الشامية أن يُطلق التحكير
 على (3) الصانع بني بدحل أبو مسوق المحروسة من اربيت وسمن والعسل والتفر
 والشرا (4) و (5) ايموب وخير والين والمحمم والمفيس والفصب والبدحم
 والسفت وجمع الصانع (6) [أو] [لا يؤ] حد غير ذلك ، يزلوا حث يحتدر ومع
 خطاه مرقصع الأشحد (7) من لسانين (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18) (19) (20) (21) (22) (23) (24) (25) (26) (27) (28) (29) (30) (31) (32) (33) (34) (35) (36) (37) (38) (39) (40) (41) (42) (43) (44) (45) (46) (47) (48) (49) (50) (51) (52) (53) (54) (55) (56) (57) (58) (59) (60) (61) (62) (63) (64) (65) (66) (67) (68) (69) (70) (71) (72) (73) (74) (75) (76) (77) (78) (79) (80) (81) (82) (83) (84) (85) (86) (87) (88) (89) (90) (91) (92) (93) (94) (95) (96) (97) (98) (99) (100) (101) (102) (103) (104) (105) (106) (107) (108) (109) (110) (111) (112) (113) (114) (115) (116) (117) (118) (119) (120) (121) (122) (123) (124) (125) (126) (127) (128) (129) (130) (131) (132) (133) (134) (135) (136) (137) (138) (139) (140) (141) (142) (143) (144) (145) (146) (147) (148) (149) (150) (151) (152) (153) (154) (155) (156) (157) (158) (159) (160) (161) (162) (163) (164) (165) (166) (167) (168) (169) (170) (171) (172) (173) (174) (175) (176) (177) (178) (179) (180) (181) (182) (183) (184) (185) (186) (187) (188) (189) (190) (191) (192) (193) (194) (195) (196) (197) (198) (199) (200) (201) (202) (203) (204) (205) (206) (207) (208) (209) (210) (211) (212) (213) (214) (215) (216) (217) (218) (219) (220) (221) (222) (223) (224) (225) (226) (227) (228) (229) (230) (231) (232) (233) (234) (235) (236) (237) (238) (239) (240) (241) (242) (243) (244) (245) (246) (247) (248) (249) (250) (251) (252) (253) (254) (255) (256) (257) (258) (259) (260) (261) (262) (263) (264) (265) (266) (267) (268) (269) (270) (271) (272) (273) (274) (275) (276) (277) (278) (279) (280) (281) (282) (283) (284) (285) (286) (287) (288) (289) (290) (291) (292) (293) (294) (295) (296) (297) (298) (299) (300) (301) (302) (303) (304) (305) (306) (307) (308) (309) (310) (311) (312) (313) (314) (315) (316) (317) (318) (319) (320) (321) (322) (323) (324) (325) (326) (327) (328) (329) (330) (331) (332) (333) (334) (335) (336) (337) (338) (339) (340) (341) (342) (343) (344) (345) (346) (347) (348) (349) (350) (351) (352) (353) (354) (355) (356) (357) (358) (359) (360) (361) (362) (363) (364) (365) (366) (367) (368) (369) (370) (371) (372) (373) (374) (375) (376) (377) (378) (379) (380) (381) (382) (383) (384) (385) (386) (387) (388) (389) (390) (391) (392) (393) (394) (395) (396) (397) (398) (399) (400) (401) (402) (403) (404) (405) (406) (407) (408) (409) (410) (411) (412) (413) (414) (415) (416) (417) (418) (419) (420) (421) (422) (423) (424) (425) (426) (427) (428) (429) (430) (431) (432) (433) (434) (435) (436) (437) (438) (439) (440) (441) (442) (443) (444) (445) (446) (447) (448) (449) (450) (451) (452) (453) (454) (455) (456) (457) (458) (459) (460) (461) (462) (463) (464) (465) (466) (467) (468) (469) (470) (471) (472) (473) (474) (475) (476) (477) (478) (479) (480) (481) (482) (483) (484) (485) (486) (487) (488) (489) (490) (491) (492) (493) (494) (495) (496) (497) (498) (499) (500) (501) (502) (503) (504) (505) (506) (507) (508) (509) (510) (511) (512) (513) (514) (515) (516) (517) (518) (519) (520) (521) (522) (523) (524) (525) (526) (527) (528) (529) (530) (531) (532) (533) (534) (535) (536) (537) (538) (539) (540) (541) (542) (543) (544) (545) (546) (547) (548) (549) (550) (551) (552) (553) (554) (555) (556) (557) (558) (559) (560) (561) (562) (563) (564) (565) (566) (567) (568) (569) (570) (571) (572) (573) (574) (575) (576) (577) (578) (579) (580) (581) (582) (583) (584) (585) (586) (587) (588) (589) (590) (591) (592) (593) (594) (595) (596) (597) (598) (599) (600) (601) (602) (603) (604) (605) (606) (607) (608) (609) (610) (611) (612) (613) (614) (615) (616) (617) (618) (619) (620) (621) (622) (623) (624) (625) (626) (627) (628) (629) (630) (631) (632) (633) (634) (635) (636) (637) (638) (639) (640) (641) (642) (643) (644) (645) (646) (647) (648) (649) (650) (651) (652) (653) (654) (655) (656) (657) (658) (659) (660) (661) (662) (663) (664) (665) (666) (667) (668) (669) (670) (671) (672) (673) (674) (675) (676) (677) (678) (679) (680) (681) (682) (683) (684) (685) (686) (687) (688) (689) (690) (691) (692) (693) (694) (695) (696) (697) (698) (699) (700) (701) (702) (703) (704) (705) (706) (707) (708) (709) (710) (711) (712) (713) (714) (715) (716) (717) (718) (719) (720) (721) (722) (723) (724) (725) (726) (727) (728) (729) (730) (731) (732) (733) (734) (735) (736) (737) (738) (739) (740) (741) (742) (743) (744) (745) (746) (747) (748) (749) (750) (751) (752) (753) (754) (755) (756) (757) (758) (759) (760) (761) (762) (763) (764) (765) (766) (767) (768) (769) (770) (771) (772) (773) (774) (775) (776) (777) (778) (779) (780) (781) (782) (783) (784) (785) (786) (787) (788) (789) (790) (791) (792) (793) (794) (795) (796) (797) (798) (799) (800) (801) (802) (803) (804) (805) (806) (807) (808) (809) (810) (811) (812) (813) (814) (815) (816) (817) (818) (819) (820) (821) (822) (823) (824) (825) (826) (827) (828) (829) (830) (831) (832) (833) (834) (835) (836) (837) (838) (839) (840) (841) (842) (843) (844) (845) (846) (847) (848) (849) (850) (851) (852) (853) (854) (855) (856) (857) (858) (859) (860) (861) (862) (863) (864) (865) (866) (867) (868) (869) (870) (871) (872) (873) (874) (875) (876) (877) (878) (879) (880) (881) (882) (883) (884) (885) (886) (887) (888) (889) (890) (891) (892) (893) (894) (895) (896) (897) (898) (899) (900) (901) (902) (903) (904) (905) (906) (907) (908) (909) (910) (911) (912) (913) (914) (915) (916) (917) (918) (919) (920) (921) (922) (923) (924) (925) (926) (927) (928) (929) (930) (931) (932) (933) (934) (935) (936) (937) (938) (939) (940) (941) (942) (943) (944) (945) (946) (947) (948) (949) (950) (951) (952) (953) (954) (955) (956) (957) (958) (959) (960) (961) (962) (963) (964) (965) (966) (967) (968) (969) (970) (971) (972) (973) (974) (975) (976) (977) (978) (979) (980) (981) (982) (983) (984) (985) (986) (987) (988) (989) (990) (991) (992) (993) (994) (995) (996) (997) (998) (999) (1000) (1001) (1002) (1003) (1004) (1005) (1006) (1007) (1008) (1009) (1010) (1011) (1012) (1013) (1014) (1015) (1016) (1017) (1018) (1019) (1020) (1021) (1022) (1023) (1024) (1025) (1026) (1027) (1028) (1029) (1030) (1031) (1032) (1033) (1034) (1035) (1036) (1037) (1038) (1039) (1040) (1041) (1042) (1043) (1044) (1045) (1046) (1047) (1048) (1049) (1050) (1051) (1052) (1053) (1054) (1055) (1056) (1057) (1058) (1059) (1060) (1061) (1062) (1063) (1064) (1065) (1066) (1067) (1068) (1069) (1070) (1071) (1072) (1073) (1074) (1075) (1076) (1077) (1078) (1079) (1080) (1081) (1082) (1083) (1084) (1085) (1086) (1087) (1088) (1089) (1090) (1091) (1092) (1093) (1094) (1095) (1096) (1097) (1098) (1099) (1100) (1101) (1102) (1103) (1104) (1105) (1106) (1107) (1108) (1109) (1110) (1111) (1112) (1113) (1114) (1115) (1116) (1117) (1118) (1119) (1120) (1121) (1122) (1123) (1124) (1125) (1126) (1127) (1128) (1129) (1130) (1131) (1132) (1133) (1134) (1135) (1136) (1137) (1138) (1139) (1140) (1141) (1142) (1143) (1144) (1145) (1146) (1147) (1148) (1149) (1150) (1151) (1152) (1153) (1154) (1155) (1156) (1157) (1158) (1159) (1160) (1161) (1162) (1163) (1164) (1165) (1166) (1167) (1168) (1169) (1170) (1171) (1172) (1173) (1174) (1175) (1176) (1177) (1178) (1179) (1180) (1181) (1182) (1183) (1184) (1185) (1186) (1187) (1188) (1189) (1190) (1191) (1192) (1193) (1194) (1195) (1196) (1197) (1198) (1199) (1200) (1201) (1202) (1203) (1204) (1205) (1206) (1207) (1208) (1209) (1210) (1211) (1212) (1213) (1214) (1215) (1216) (1217) (1218) (1219) (1220) (1221) (1222) (1223) (1224) (1225) (1226) (1227) (1228) (1229) (1230) (1231) (1232) (1233) (1234) (1235) (1236) (1237) (1238) (1239) (1240) (1241) (1242) (1243) (1244) (1245) (1246) (1247) (1248) (1249) (1250) (1251) (1252) (1253) (1254) (1255) (1256) (1257) (1258) (1259) (1260) (1261) (1262) (1263) (1264) (1265) (1266) (1267) (1268) (1269) (1270) (1271) (1272) (1273) (1274) (1275) (1276) (1277) (1278) (1279) (1280) (1281) (1282) (1283) (1284) (1285) (1286) (1287) (1288) (1289) (1290) (1291) (1292) (1293) (1294) (1295) (1296) (1297) (1298) (1299) (1300) (1301) (1302) (1303) (1304) (1305) (1306) (1307) (1308) (1309) (1310) (1311) (1312) (1313) (1314) (1315) (1316) (1317) (1318) (1319) (1320) (1321) (1322) (1323) (1324) (1325) (1326) (1327) (1328) (1329) (1330) (1331) (1332) (1333) (1334) (1335) (1336) (1337) (1338) (1339) (1340) (1341) (1342) (1343) (1344) (1345) (1346) (1347) (1348) (1349) (1350) (1351) (1352) (1353) (1354) (1355) (1356) (1357) (1358) (1359) (1360) (1361) (1362) (1363) (1364) (1365) (1366) (1367) (1368) (1369) (1370) (1371) (1372) (1373) (1374) (1375) (1376) (1377) (1378) (1379) (1380) (1381) (1382) (1383) (1384) (1385) (1386) (1387) (1388) (1389) (1390) (1391) (1392) (1393) (1394) (1395) (1396) (1397) (1398) (1399) (1400) (1401) (1402) (1403) (1404) (1405) (1406) (1407) (1408) (1409) (1410) (1411) (1412) (1413) (1414) (1415) (1416) (1417) (1418) (1419) (1420) (1421) (1422) (1423) (1424) (1425) (1426) (1427) (1428) (1429) (1430) (1431) (1432) (1433) (1434) (1435) (1436) (1437) (1438) (1439) (1440) (1441) (1442) (1443) (1444) (1445) (1446) (1447) (1448) (1449) (1450) (1451) (1452) (1453) (1454) (1455) (1456) (1457) (1458) (1459) (1460) (1461) (1462) (1463) (1464) (1465) (1466) (1467) (1468) (1469) (1470) (1471) (1472) (1473) (1474) (1475) (1476) (1477) (1478) (1479) (1480) (1481) (1482) (1483) (1484) (1485) (1486) (1487) (1488) (1489) (1490) (1491) (1492) (1493) (1494) (1495) (1496) (1497) (1498) (1499) (1500) (1501) (1502) (1503) (1504) (1505) (1506) (1507) (1508) (1509) (1510) (1511) (1512) (1513) (1514) (1515) (1516) (1517) (1518) (1519) (1520) (1521) (1522) (1523) (1524) (1525) (1526) (1527) (1528) (1529) (1530) (1531) (1532) (1533) (1534) (1535) (1536) (1537) (1538) (1539) (1540) (1541) (1542) (1543) (1544) (1545) (1546) (1547) (1548) (1549) (1550) (1551) (1552) (1553) (1554) (1555) (1556) (1557) (1558) (1559) (1560) (1561) (1562) (1563) (1564) (1565) (1566) (1567) (1568) (1569) (1570) (1571) (1572) (1573) (1574) (1575) (1576) (1577) (1578) (1579) (1580) (1581) (1582) (1583) (1584) (1585) (1586) (1587) (1588) (1589) (1590) (1591) (1592) (1593) (1594) (1595) (1596) (1597) (1598) (1599) (1600) (1601) (1602) (1603) (1604) (1605) (1606) (1607) (1608) (1609) (1610) (1611) (1612) (1613) (1614) (1615) (1616) (1617) (1618) (1619) (1620) (1621) (1622) (1623) (1624) (1625) (1626) (1627) (1628) (1629) (1630) (1631) (1632) (1633) (1634) (1635) (1636) (1637) (1638) (1639) (1640) (1641) (1642) (1643) (1644) (1645) (1646) (1647) (1648) (1649) (1650) (1651) (1652) (1653) (1654) (1655) (1656) (1657) (1658) (1659) (1660) (1661) (1662) (1663) (1664) (1665) (1666) (1667) (1668) (1669) (1670) (1671) (1672) (1673) (1674) (1675) (1676) (1677) (1678) (1679) (1680) (1681) (1682) (1683) (1684) (1685) (1686) (1687) (1688) (1689) (1690) (1691) (1692) (1693) (1694) (1695) (1696) (1697) (1698) (1699) (1700) (1701) (1702) (1703) (1704) (1705) (1706) (1707) (1708) (1709) (1710) (1711) (1712) (1713) (1714) (1715) (1716) (1717) (1718) (1719) (1720) (1721) (1722) (1723) (1724) (1725) (1726) (1727) (1728) (1729) (1730) (1731) (1732) (1733) (1734) (1735) (1736) (1737) (1738) (1739) (1740) (1741) (1742) (1743) (1744) (1745) (1746) (1747) (1748) (1749) (1750) (1751) (1752) (1753) (1754) (1755) (1756) (1757) (1758) (1759) (1760) (1761) (1762) (1763) (1764) (1765) (1766) (1767) (1768) (1769) (1770) (1771) (1772) (1773) (1774) (1775) (1776) (1777) (1778) (1779) (1780) (1781) (1782) (1783) (1784) (1785) (1786) (1787) (1788) (1789) (1790) (1791) (1792) (1793) (1794) (1795) (1796) (1797) (1798) (1799) (1800) (1801) (1802) (1803) (1804) (1805) (1806) (1807) (1808) (1809) (1810) (1811) (1812) (1813) (1814) (1815) (1816) (1817) (1818) (1819) (1820) (1821) (1822) (1823) (1824) (1825) (1826) (1827) (1828) (1829) (1830) (1831) (1832) (1833) (1834) (1835) (1836) (1837) (1838) (1839) (1840) (1841) (1842) (1843) (1844) (1845) (1846) (1847) (1848) (1849) (1850) (1851) (1852) (1853) (1854) (1855) (1856) (1857) (1858) (1859) (1860) (1861) (1862) (1863) (1864) (1865) (1866) (1867) (1868) (1869) (1870) (1871) (1872) (1873) (1874) (1875) (1876) (1877) (1878) (1879) (1880) (1881) (1882) (1883) (1884) (1885) (1886) (1887) (1888) (1889) (1890) (1891) (1892) (1893) (1894) (1895) (1896) (1897) (1898) (1899) (1900) (1901) (1902) (1903) (1904) (1905) (1906) (1907) (1908) (1909) (1910) (1911) (1912) (1913) (1914) (1915) (1916) (1917) (1918) (1919) (1920) (1921) (1922) (1923) (1924) (1925) (1926) (1927) (1928) (1929) (1930) (1931) (1932) (1933) (1934) (1935) (1936) (1937) (1938) (1939) (1940) (1941) (1942) (1943) (1944) (1945) (1946) (1947) (1948) (1949) (1950) (1951) (1952) (1953) (1954) (1955) (1956) (1957) (1958) (1959) (1960) (1961) (1962) (1963) (1964) (1965) (1966) (1967) (1968) (1969) (1970) (1971) (1972) (1973) (1974) (1975) (1976) (1977) (1978) (1979) (1980) (1981) (1982) (1983) (1984) (1985) (1986) (1987) (1988) (1989) (1990) (1991) (1992) (1993) (1994) (1995) (1996) (1997) (1998) (1999) (2000) (2001) (2002) (2003) (2004) (2005) (2006) (2007) (2008) (2009) (2010) (2011) (2012) (2013) (2014) (2015) (2016) (2017) (2018) (2019) (2020) (2021) (2022) (2023) (2024) (2025) (2026) (2027) (2028) (2029) (2030) (2031) (2032) (2033) (2034) (2035) (2036) (2037) (2038) (2039) (2040) (2041) (2042) (2043) (2044) (2045) (2046) (2047) (2048) (2049) (2050) (2051) (2052) (2053) (2054) (2055) (2056) (2057) (2058) (2059) (2060) (2061) (2062) (2063) (2064) (2065) (2066) (2067) (2068) (2069) (2070) (2071) (2072) (2073) (2074) (2075) (2076) (2077) (2078) (2079) (2080) (2081) (2082) (2083) (2084) (2085) (2086) (2087) (2088) (2089) (2090) (2091) (2092) (2093) (209

فتوجهتْ، الأثقال الشريفة وعاليت الخيول الشريفة في يوم تربيحه ، وهو
الأحد ثامنه ، من دمشق المحروسة صحبة الخواجا شمس الدين محمد بن اصبوا ،
والقاضي علم الدين يحيى بن البقري باطر لإسطبلات اشريفة ، والأمير الماس
أسادار انصحة الشريفة ، ولرئيس سبيل حارب ، والرئيس أمير حاج بن علم
الدين ، من درب حوران .

[خروج السلطان من دمشق]

ثم توجهتْ ركبة اشريف ، بصره الله تعالى ، من دمشق المحروسة يوم الثلاثاء
عشر شهر رمضان ، بعد أن أقام بها من ليلة سادس عشر شهر شعبان وإلى
تاريخه . راكمأ طهر فرسه الشريف وفي خدمته لأمير نائب الشام وأمرأؤها

وطهر منها سالكاً باب الفرح لى أن وصل إلى طاهر دمشق . ألبس الأمير
حامي بك الأيباني قلنسوز نائب الشام . والأمير شك ذلك الجبني أثناءك اعساكر
المصورة ، والأمير بلبي المويدي الذواد ربيها ، ولأمير يشك الشرقي يوس
العلاني حاجب الحجاب بها ، وعلي بن شاهين نائب القلعة بها ، تشاريف شريفة ،
ورسم لهم بالعود .

ورسم لسمي حشكدي المحمدي الحارندار ، المتوجه قل تاريخه بسبب
البابسي ، بالعود إلى دمشق المحروسة إلى حين يرد عليه ما يرسم به

[خان المريخ وسعسع]

وتوجهتْ ركبة لشريف ومرّبحان المريخ ، وهو السيد الأول من دمشق
المحروسة . وبرزل سقنع وقت العرب وكب بالطريق أوحال ومشاق ، وببت بها
إلى صبيحة انهار يوم الأربعاء حادي عشره ، ورسم بعمرة خن بها

(القول المستطرف ، 78-89)

وسلم الله الرحمن الرحيم ۞ وما يوصي إلا بالله عليه وكلمته
 المحمدية لدى عمر مالك، الإسلام سلطانها، الأثر في مؤلفه السر لها
 والحد في أمرها بعد ثباتها على العناد، سرب أحمد اد من ملينا
 به في ثابته، وحملته المبرم، وشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له، شهادة على بائني الخمان، فصرح بصره وشهد أن سيدنا
 محمد بن عبد الله هو الموصي، راف على الله عليه وعلى آله وصحبه
 أجمعين، راف على الله عليه، وهو من ملينا، الحمد لله الكريم
 سبحانه وتعالى، وسيدنا، لا إله إلا الله، الأعظم والتمام المقدم، هاجر الملك
 على الإطلاق، والتحصن، مع أصناف النصارى، حاوي النحاس والبر
 من حصنه الله، من حصن النصارى، حاوي مورخ، من طمس من
 الأصناف في القاعة، السلطان المالك، الملك، الأثر، حار، الأصناف،
 حار، الله، ملكه، وحار، الأرض، من امرها، ملكه، فإن السور، لما لك، السامه
 وسر ما في أرضه، إلى أن حار، كاه، السرمه، ويوحى في حده، من حصنه الله
 تعالى، ورأس من اللاده، وأما حده، والأسجاره، والآراء، والأبصار، والأدلة
 والحساب، والبال، والسمات، والعراس، يستعين على الإنسان، منطه
 والمطالع، لا راس، لعمول المستغنى، هو الخواص، السمه، من المسامح
 كدس، للحر، والفصل، لنور حوادك، مندهم، وكسوه، في كتبهم

مودح من مخطوط «القول المستطرف»
 نسخة دير الإسكوريال بإسبانيا



مقبرة ودجلة سحر مع الاموي . من كتاب La Syrie d'aujourd'hui . عام 1884



أبو البقاء البدرى

(توفي 894 هـ / 1489 م)

أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد ، أبو البقاء ، تقي الدين البدرى
الدمشقي المصري الوفاي أديب عارف بالتاريخ والشعر ولد بدمشق عام
847 هـ وسكن القاهرة ، ثم تقلب بينها وبين مكة والدية والشام ، وكان يتكسب
بالتجارة ، وتوفي بمرّة عائداً من الحج عام 894 هـ

ترك البدرى عدداً من المؤلفات الأدبية ، من أشهرها : «راحة الأرواح في
الحشيش والبرّاق» و «غُرر الصّباح في روضات الوحيه الصّباح» و «لمطالع الدرّة في
المدارل القمرية» و «زُهره الأدب» و «سبلوة الغرباء» و «زُهره الحطر وقرّة المناظر»
و «روضه الحديس وثره الأيس» غير أن أهمّها وأشهرها هو كتابه الذائع
الصيت «ثره الأنام في محاسن الشام» ، الذي تمّ تصنيفه عام 887 هـ في عهد
السُلطان المملوكي لُرّحي الأشرف قايتبي ، والذي يُعد بحق أحد أفصح كتب
«لُحاسن» في فنون الجغرافة الإقسيمة بأواخر عهد المماليك .

من المؤكّد أن المؤلّف قد أمضى شطراً طويلاً من حياته بدمشق وعرفها
معرفة وثيقة ، كما ينعكس بجلاء في مصنّفه ، الذي قدّم لنا فيه صورة حيّة لدمشق
بأواخر القرن التاسع الهجري في خواتم أيام الدولة المملوكية ، فرسم لها مشاهد
خديرة بالاهتمام ، وتجاوز ذلك إلى الموصح ابقريّة منها ، وتناول بالوصف
أبهرها ومبجدها وحمّاماتها ومنبرهاها وسواقها وقلعتها ، كما لم يهمل
الحديث عن قراها وأرباصها المشهورة بأزهارها وساتنها وأشجار فاكهتها

نزهة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ١٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة ذوي الألبار » و « سمر اليون »

حفظه الله على نفعه

المكتبة العربية - بغداد

للتأليف: نعمت بن الأعشى

و حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى - مصر

لعام ١٣٤١

القاهرة: ١٣٤١

تمودج بطبعة المكتبة العربية ببغداد ، عام ١٣٤١ هـ
وهي الطبعة الوحيدة لنكتات ، رغم كونها ملأى بالأعلاط

قلعة دمشق

ومن محاسن الشام قديمتها وحُسُن بيائها واتساعها وبها قدر مدنة وبها
صريح سِدِّ الحِصْن أبي اندرءاء. صبي الله عنه وبها جمع وحطه كالمدينة وبها
مفرد خُصَّة لا سِر ، وخارج مدنة الحُطَب الكثيرة ، يعسر الآن عليّ تعدادها
وبها حِمَاء وطُحُوفٌ وبعض حوامِيت سِج الصائغ ، وبها بار نُصُوبٌ وبني
نُصُوب فيها سقُور وبها سقُور واخواصل ، وبها لُطَارمة^(١) التي ليس على رَحَه
لأرض أحسن منها ، كأنها فرغت نقاب من شمع بظُر الرائي أعلاها فيحسُن
نظره وإن طال مرآه

وهي سامت رؤوس الحداد بقال بن تمرلث لَدُ أن حاصره وعجر عنها
امرأ ، يُقَب تحتها وتُقطع الأشجار وتُعق بها ، حتى إذا انتهى تعلعها طلق البدر
فما تحتها من الأخشاب وطش أنها تفسح مدنت وتسقط ستر مدر فيبلغ مُرادُه من
تحد بقعة فلما عتد البدر فيم تحتها برُكَّت بصوت أزعج الوحود كمدرك
لأسد فمن ثم سموها بالأسد البري^(٢) ، وهي الآن على التلّين من عتوّه

ومن مدنه ابر ومجار للماء ومصير^(٣) ، بحيث إذا وقع الحصار وقُطع عنهم
ماء تقوم الأدر مقامه وبها بئر بئر «ديس» وينقسم فيها قسمين ، يستمر
حدهما على حاله ظاهر للمنافع والاستعمال ، والآخر تسحب عليه الأوساح
وبعد وريات ، وهو سمي بقلط^(٤) يمر تحت لأرض بحو من فامتين لتشتت ماء
تظهر فوقه يميناً وشمالاً حتى في بعض لأراضي بلغ مسعة مجار من الماء
بعدد ليس لأحدها احتلاط بالآخر

ومصارفهم تسقط على بئر فليط ، وتمر في المدينة إلى أن يحرج من الباب
تصغير ، ويتصل بمحلّه «المرار» فيصمحل فيما يسب من الأراضي التي تررع
لكرسنة ولصبة وبيقية واقب وما أشبه ذلك وعاب ما سُقي به القنب ،

^(١) صدرمه ياء سَلَط ، كما مُعجفاً بحرج الصفة ، وهو قذعة خشبة منه داب شريك
تعوها قذعة من الخشب وفي لهجة دمشق كانت منها بقية الطرمة ، غرقة عديدة

بين النهرين

ومن محاسن لثام «بين النهرين» ، وهو مُسَدُّ نودِي يشتمل على فُرجة
سموية بها سور وقصو . وسُوفَة ، بها حاوِث صَاح وصادني وعطافي وقُصاعي
وحو صري وفكهي وشوا وفلايبي وسكردي وبقلي وقعدة بن وعده بحبيبه ،
وحمده يشترح صدو ليرة وفطرة يوصل منها إلى حريرة عطمة ، من أسها
بنفسه نهر نري فيصير نهرين ، ومقسوم منه نهر الصبح المُعتد الشبح الرسلار ،
أعد الله غلبا من ركته وعلى مسمين طول الرمد . وبها مقعمران سطاين فيه
نير مسمين وقُبايهم وية للساب غيب ، تُهد به ست واثلاثاء من الأوقات
بند عطر : سواحل ما يصير خضر عائق . ويُنوصل إلى رفاق النهرين المسبل
عنى قناب واطرق وعُرف وكم «واق» ، خمير يطل على بين نهرين وكل
مكان من بلاد عوده يستند صاحبه أسها ويحلب به الماء إلى سمع حسنها

برقة الامام ، 65-70

الشرفان

ومن محاسن لثام شرفها^{١٢} وما حوى من اسطر واقصود ، ومن نصيب
من احوالها والحوار . ونقرب إلى الله تعالى أمهها ماء مداس ، راحة في حور
المحرد القعير اسس . ومو له مر الحبر ، المحم وطعام ، ولريت والحدو
واسم آبوب ونصير ، وفي كل شهر على الموام . فمجلس لطلاب في شتاكيه ينظر
لى اداء وحضره وروحه حسن ، فكيف لا يسعد إلى طلب اعدم ويحترل من
فهمه م سكن !

^{١٢} موقعها اليوم ينطبق على مساحة برقة معروفة . جمع ما كتبه في حجة ابن حجة
الشرف لأعني كمدم شخصه سومي ساء حجة الى بيريدى ولاك . من أئمة الخلفاء
نوسسه وفيه طوائف من بونه . فاء ١ : لكجحية وبادريه العربيه والعرو حشبيه والأصححة
اما الأدي فمن أعلى مساحة امريجة والسرايا إلى جينة النصح والخلوي والبرامكة

ويقول: «بمدرسة الكُحَّحَاتِيَّة»^١ قُتِّعَ بها طاقات بعدد أيام السنة، والشمس
دأته على تلك الطيفان ولا تدخل إليها، وهذا من حسن الهندسة

وأما جامع بكر^{١٢} فإنه في الشرف لأدى، وهو من العليات هندسة وباء
فيه عشرون شباكاً على حط لا سواء. شرف على الأهرام ومرجعه المدا، وف
حوى، وبوسط صحبه يمر نهر بالاس يتوصت منه اناس، وبه نغوربان محلا
وتُمر على اى حوصين بهما سائر الأشجار، وجميع الرياحين والارهر، وببينهم
بركة مرتعة بها كس في عايه التدوير، بحري اداء، إليها من النواخير فهو مترة
يقصد وللمصلي معاً وفي كل طرف مهم عدة من مدارس ومساجد، ولكل
واحد يكفيه من الأوقاف، استولت عيه أيدى المنشهين بالعقيد فأطهروا فيه
أنوع المفاسد. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وكي شرف يطل على «لشقرا» و«المدا» و«القصر لأسق» و«المرجة»
داب العيون والعُدر، وما أحسن قول الشيخ شمس الدين محمد النواحي
الشافعي في وصف الشرف لأعلى

ألا إن ودي الشَّم أصبح آية محاسنه ما بين هل، لُهي تُلى
واب شرفت بالليل مصر فلم يرل دمشق لها بدعوة الشرف الأعلى

ونقلت من حط العلاء علي بن الشريف اماريني، في علام اسمه علي في
الشرف الأعلى

حتى عني وكن وجهه حسن وفعله المرتضى يحلونه الشنف
تدر من الشرف الأعلى له نسب وهل لعير عني ينسب الشرف؟

(١) بل هي خاتمة بها محمد بن إبراهيم الكُحَّحَاتِي عام 7٤٠ هـ بالشرف الأعلى بين مدرسة
العرنة وخندقه والطور وس، كان موقعه عند مقهى الكمال موجه شركة الكهرباء
(2) بُني عام ٨٠٠ هـ، معروف حتى أياما بسرع انصر (حكر لسماق بالعهده المموكي، أو
شارع جمال پاش او اخر العهد العثماني) كان من محاسن حوامع دمشق الملوكه،
فلم يبق منه في عصرنا سوى مارتة الرائعة ومحرابه وثريه وفهه

[وقال] الأمير مجير الدين محمد بن تميم يصف ميدان¹

عجبا لميداني دمشق وقد عدا كسل له شرف إليه يؤول
ونهر سهم العير جاية سيف على طول المدى مسلول

وقد بن لشهيد في «الشقراء» و «الميدان» :

ولم تحك حلق في المحاسن بلدة قول صحيح ما به بهتان
ولئن عدوت مائسا في غيرها هب بينا (الشقراء) و (الميدان)

ومن تحرير القيراضي قوله في وصف الشقراء :

سرى إلى اسقراء من حلق وان إلى الخصرء منك العال
فها جان لو رأى حشها أبو سوس بهد عن (حـ)
و نزل بواديها الذي تراه مسك وحصا النهر منه حمار

(برهة لأ.م. 70-73)

المرجة

ومن محاسن شام مرجه قرب كتاب وقف قرية السنباط
ظهر برفوق سعى به عهده ، كانه ب صخرة حـ حـ باب لتصر ، من
«له هره» مخروسة ، وهو منقص لسوب إلى آخره سحبه على بعض قصرة
نشافة من حملته طحو ، شقراء مرجه «دمشق» المخروسة ظهر قصر بـ
صاهر بي الصوحات «بيرس» سعى لله عهده قرب من «راوية الأعجام»

في سنة 1860 كان تعرف حتى نصف لأول من القصر بـ عشر مرجه محسب ،
ما قبل بـ في مرجه لأحضر في عهد بـ من ميدان بـ أثبت وموقعه لود كـ
من السكة السلطانية إلى المنحف الوطني والمعرض حتى ساحة الأمويين غرباً
مرجه بـ لودى لسرى كتاب شرقي ميدان لأحضر والقصر لأيل حتى بـ حـ بـ يوم مع
جسر فيكتور (وانسريا) حده شمالاً نهر بـ وحولاً نهر باناس والشرف الأدنى

وبليها قصه سوق^١ ، عنه حويتها أحد وعشرون جانباً وغنوها الصفاق لمطلة
على مريحة كورة وبأحرها المسجد مصل شلى بهر برى^(٢) انتهى

فمن وأمركت لظحور غير دائره ولعد هدمها وكيل المقام الشريف
برهن للذين الناسي معروف ، ثلاث وأوائل دوة ، سبطار الملك لأشرف
«فيتي» حله الله تعالى ملكه^٣ فعلى هذا كانت المرحه عمرة أهمة وهي من
المحاسن التي لا تُدرك ، وبعضهم يشبهها بصدرا اناز ، كأنه شبهها به لأن الوادي
يصمم من رأسها ويعنوه حلال وشه هدين الشريفين بالأحقة

ونقلت من خط اتقي ابن حجة قويه فيها :

ذكرت أحتني بالمرج يوما فصوت أدعى بير وهجى
وصرت أكند الأحران وحدي وكس لاس في هرج ومرج

ومن بديع القصي محيي الدين من عبد بظاهر قوله فيها^(٤)

ومرجة في وادي يروك روضها
بها فاص بهر من حبي كأنه
تلاصها عن نقيص بأدمع
وكم غرله للغرة مقله
به حرته رنج ولب عليلة
به الفصل يدو و لربيع وكم عد

ولأسيما إر جاد عيث مبكر
صفائح أصحت بالبحوم تسمر
يرقرقها منه هبات مححر
تبارق أوراق العصور فتظفر
أنال كشمس لرُب تتعثر
به لروص يحيى وهو لا شك جعفر

(برهة الأنام ، 73-76)

(١) رواية الأعجام كتب حتى حوالي عام 1950 في جيب السبع هدمت أنظر صورتها
(2) طاحون الشقراء (أو طاحون الأعجام بصر لأسدي) بأحد سبع الآتين جقمق دك لشم

822 هـ ، وعذر مكابها عبد الأوربان بالاس أما الجامع المذكور فجامع نكز
(3) أم دبيري كنيه عام 887 هـ بأيد سلطنة الأشرف دندى حكم 29 سنة 872-901 هـ ،
وهدم أعلاه حمله لسرية إبي رمشق سنة 882 هـ (وفيها مات البابسي)

4. في نسب الأخير به بأسماء آل يرمك Parmak : الفصل والربيع ويحيى وجعفر يريد
بها تربتهم (قبو البرمكة بأحد بعري بشرف لأبر ، وهي اليوم حي برمكة

الخلخال والمنبيع

ومن محاسن شفاء محلّت «الخدحان» و «المنبيع» ، لمحلّه «الخلخال»^١
 بها سُويقة وحوبيب وفُرس وحمّاد ، وهي مسكن الأتراك^(٢) ، وكذلك «المنبيع»
 و «الشرفان» ، وبه سُوق طحباتهم ، وبها رويت الأدهمية والخصور^(٣) ، وهي
 تحف بالناس والأعيان .

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين محمد بن مائة في وصف الخدحان

يد حنّدا يومى سوري خلق ورهني مع العرّال الخالي
 من أوا ، الجبهة قبّنه مرثما لأحسر الخخال

و «المنبيع»^٤ محلة وسُويقة وحمّاد وأُفروس ، وبها مدرسة «حنونة»^(٥)
 وهي من أعاجيب دهر يمر بصحبها نهر «باباس» ونهر «القنوات» على بابها
 وبها شارب تفل على المرحاة وبها أنواع الرّحام لم يسمع إرمان طيرها وعادة
 خلاوي لطله ، وبحوارها «الأمير الأكميل» «اس منجك» رحمه الله تعالى .
 وبها سكن القاصي بهاء الدين سنجقي الشافعي رحمه الله عاصي وهذه المحلة
 من محاسن دمشق وشرفها انتهى -

- (١) موقع الخلخال في أصف حي الحموي بسنان الأعجام) ومخطه الخجير وسدّ حي رفاق
 من خلفهم ، ووراءه كانت لمؤلّه الصّحري عبيد الدين تظفر عيسى رفاق الحنّ
 والحمرية (أرض الحميرين) التي تطلق على منطقة الجسار ودوّار كمر سوسة
 (٢) يقصد بالأتراك هنا المماليك ، الذين كان أكثرهم من التّرك ، وليس الأتراك الشماليين .
 (٣) اسمان مُصحّحان قطع ولعلّهما الأدهمية (كانت بحبيبه النعم) والخريرية (تردادناه) .
 (٤) المنبيع محلة قديمة يدل عليها اسمها الأرامي حنّ صليحة (عين منبيع) : العين المدافقة
 طمع عربي المدينة حيوي بهاء دى ، وتمر به نهر باباس والقنوات (فعدّيان يابيعها)
 موقعها في أيامنا يمتد من جامعة و ليرامكة إلى الحمرك عرياً يستند استمولات) بأعين
 ساحه الامويين فتؤلف المكتب العربي لمشرق لأدبي عثر فيها مؤجراً (2004) تحت
 اسمه الجامعة على مد من رومانية تدل على قدم عمرها
 (٥) خنونة البرامة من الآثار لأبوية لدراسة (الدرس ١ 302) حدّده دهم ، عند مسي
 التلويون بساحه لأمويين ذكر بين كثير بحوادث سنة 581 هـ : الخنونة إرآيه لسي على
 الصّوات محلة صعد دمشق ، ويعرف ذلك مكان الذي هي فيه بل الثعالب

تقلتُ من حظ الشيخ شمس الدين محمد التوحّي في وصف المسع .

ب سادة اهدوا محاسن حلق
لطري فاضت بانك عمرت
متبع حصي فوق ريوه جبهتي
بريد دمعني بعدكم قوت

(برهه الأنام ، 76-77)

متنزه الجبهة

ومن محاسن اشام المترة ، تسمى بالجبهة^(١) ، وهي أرض مربعة قدر فدانين عليها سماتف بطلها من غير طين بين شجر الصفصاف والخور والخور ، وكل مفرش حصير تحيط به حدود ، ماء من أربع جهته مع البراء والبحرات بالتوافر

وهي على جنب نهر «بردي» ، وبه البواغير وبها حوايت للشرابحية والخراريس والطحّين والخواصرية والأفسمايه وانكاهين وغير ذلك وبها مسجد ومدرستان ومربط للدواب وموقف صفية واقفون في خدمة الناس وعندهم اللحم والأنطاع والصبي^(٢) .

وفيها يقول النبي بن حجة الحموي (دُوَيْت) :

د ملأ (الجبهة) بالأسوار
لُمّنه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سُمّت من بلدتكم
و (الجبهة) من منازل الأقمار

وفيها يقول علي بن سعيد صاحب «المرفص والمطرب» وقد رأى عند شمس الأصيل قبيل المغرب .

(١) بطلق موضعها في عصرنا - كما يتّبر - على مسدأ مرجة الخشيش من ساحة لأمويين . ي عند بناء المسرح القومي والمسح الندي ، موضع مطعم البلاء - ذكرها ابن صولون الصاخي في مطلع القرن العاشر الهجري وذكر طليه عريه ، في كتابه المخطوط «دحائر العصر في تراجم سلاة العصر» مخطوطه ، بحمد الاميركية في بيروت . وهذا الكتاب انهم لم يشتر اي اليوم ، وفيه فوائد جريلة حول انطون عرابيا التاريخية لدمشق

إن لنجته في فسي هوى
 يرقص الماء بهامس طرب
 به يكن حدي بوجه خميل
 يميل الأعصر في لطن اطلل
 وبور شمس نور س هـ
 عند تصفر في وقت الأصل

ويعتبر نهر «القنوب» و «بابيس» مصدر الماء بها منه ، ومن فوق نهر
 حمام أثره ، وهي حصة مقصفت بحوايت فيها عصاتع ويتر بوسطه نهر
 القنوب وتوصل منه إلى رايه ، خريزي شهيرة ، ليس أمدح من مطرف
 وبسحر منها ، إلى أشهره اسمي «قطه»^{١١} ، وهي مقصفت على نهر بردي وعده
 سوعر متشعبة أراضيها بجلال الماء واليرك والبحرات وبه قصة ذات حوايت
 يعلوها أروع أصدق ومرط لدنواب . وعند المقاصي الحبي واللحف والأطاع ،
 حتى الأطاق والملاق من يأكل ، وهذا لا يوجد في بلد من البلاد

أشبه بي وصي قصه بعرته أحمد الكتاني الخلي في

أن حسن سلس على نهر قصة / إذا ما جرى فيها بحوض ولعب
 تهدده أعصه يرو وشه / فسطر من طرف حفي ويهرب
 وفا من غمر الاندلسي وندع

نهر يهيم بحسه من ه بهم / ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
 فكأنه وكأن حصرة شطه / سيف يسيل على بساط أحصر
 (برهة الأمام ، 77 - 80)

، وهو من الوصف أن موقعه كان لبب الأعلى من صفة حمدر ، وشرقيها بأصل أنه
 كبة الهندسة الهندية وفوق مجرى بابيس وعلى أي حال لا أثر له الله ، ولا شك أنه
 حكم حصول على تحدي أدق من خلال وثائق محكم الشرع عثمانية
 ، وبه شح على تحريري ، ذكر اسمي (نور من 2 - 147) ، به بالشف انقلي عربي
 رسوب ، نظر موقعها بوحى ساحة حمدر ، ما أسفل والله شهم
 ، لفظه اسم أمي قديم ، فكل يعني الله ، من موقعه انود إلى صفة حمدر ، مع حمدر
 من ساحة الأمويين والمتمتع أنني لما كنت أرور مقهى «البريين» في شرانوب ، ثم على
 ، من رحت ، مشى بالأشجار واساء بخارية ، أشعر أنني حمداً قصة اعربية

وهيها يقول بدر الدين من لؤلؤ السهي يصف اثيرين .

رعى الله (واري الثيرين) فإني
بري أسى قد جئتسه مترهاً
وأوحى إلى الأغصان قربي فأرسلت
وأخدمني الماء القراح وحيثما

قطعت به يوماً لذيذاً من الثمر
فمد لأقدامي ثاباً من الزهر
هدايا مع الأرياح طيبة الشر
سحت رأيت الماء في خدمتي يجري

وأجاد الودعي بقوله ثم أفاد :

ويوم لما بالثيرين رقيقة
وقفت وسلمت على وجه بكره

حواسيه خال من رقيب يشبه
فردت عيب بالرفوس غصوبه

[وقال] سيف الدين المشد ، وأبدع

وعب صنت من (قسيون) فسكنه
حاصت مياه الثيرين عشيّة

بهوها وصت المزار السالي
وأنتك وهي ليلة لأذبال

(برهه الأمام ، 80-82)

ريوة دمشق

ومن محاسن الشام محلة «الريوة»⁽¹⁾ ، قل بعض المفسرين : الريوة أحدثها
مو كعب⁽²⁾ وابندوها وهي المدكورة في فوهة تعالى ﴿وويهما إلى ريوة
د قري ومعين﴾ ، يعني مريم وعيسى عليهما السلام ، وإم قيل بها ريوة لأنها
مرتفعة مشرفة على عوطنها ومياهها ، وكل راب مرتفع سلى ما حوله يقال به
ريوة ومنه ريوة انصبي لترفعه في النفس وخسم ، والمعين الماء الذي يخرج من
الأرض .

(1) ما يزال المحلة معروفة إلى عصرنا . كما نرى . مع بالطاعم والمقهي ورائحة الشواء

(2) إن نسب العمراء انصميم بدمشق إلى الكفاريين أمر صحيح ، لسبقهم موجة الأراميين

وقال ابن مطرف في ترتيبه الرِّبوة فيها ثمانية لغات : رِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة ، ورِبوة .

والرِّبوة معارة لطيمة بسفح الجبل العربي ، وبه صفة محراب يقال إنه مهد عيسى عليه السلام يُرادر ويُدرله . وبها جامع وحطبة ومدارس وعدة مساجد⁽¹⁾ ، وبها قاعات وأطواق وفيها عين ماء يقال لها «الملثم» ومرابط للدواب وبها سويقتان قطع بهما نهر «بردي» . وبها صندو السمك يصطادون⁽²⁾ ، ولقلايون على جبل التَّهر يقلونه ويُدبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من العجم ، خلاف ما يحثها من اللحم من لذبها . وبها عشرة شراعية لبس لهم شغل عبر الطح والعرف في الريادي والصحور ، وكل ما شبيهه لأنفس فيها . وبها دربان وثلاثة حوَّس برسوم عمل احمر التنويري . وما لمواكه فلاقمة لها وفي اشتريت برطل بربع درهم ، وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح كذلك .

وبها حمام ليس على وجه الأرض بطيرم لكثرة مائه وبطافه ، وله شبائيت تطل على نهر ، وهو مسمى ما بين الأنهر من بوظة ومن تحته وبها طرمة المسجد النبوي الذي حدده نور الدين لشهيد⁽³⁾ ، وله أوقاف على قرأ ووعاظ وقرأه بحاري وغير ذلك كالمؤدود والبراش والبواب والوقد وفيه يقول تاج السنين كندي

إِنَّ (نُورَ الدِّينِ) لَمْ أَدْرِ فِي ابْسَاتِهِ قُصُورَ الْأَعْيَاءِ
عَمَّرَ (الرِّبْوَةَ) قُصْرَ شَاهِعَاءِ نَزْهَةٍ مُطْلَعَةٍ لِلْعُقَرَاءِ

- (1) حم بن في عصره أي شيء من ذلك ، إنما هذا كنية أثرية نادرة على متن الصحرة المعروفة «بشار» ، توضح بناء مسجد هناك عام 444 هـ في أيام الخليفة المستنصر بالله صفي وهذه الكتابة من أقدم وأندر الكتابات الأثرية الإسلامية بدمشق ، إلا أنها تقع في مكان لا ينته لها أحد ، وكانت تعرضت لبعض التلف عند توسيع طريق الرِّبوة قديماً
- (2) أي كان في نهر بردي عند الرِّبوة سمك ، وكان مياهه عذبة شربة
- (3) القصر منه كشك تعلوه فيه حشبه أما المسجد فهو ما توضح به الكتابة الفاطمية المنحوتة على من صخره بشار ، فأصل البناء يعود إلى عهد الخليفة المستنصر عام 444 هـ

وقال الأمير مُحبر لدين محمد بن تميم ، وأحسن ، رحمه الله :

ب حُسْن طارمة في الحَوْ شاهمة	ما إن تملّ بها العينان من نظر
برّه لحاظك في صدقائها لتري	أصاف ما خلق الرّحمسُ للشّر
تري محاسن واديحتوي برّها	لداذة استمع والأصبره عكر
وربوة قد سَمَت حتى بحال لها	سراً أحدثه للأجسم الرُّهر
م من روعس وانهر سلسلة	عكري وتحمل أنوعاً من ثمر
كم بت فيها وخدي شادن عبح	حلو الشّي كعصر اساسة النّصر
أشكو إليه الذي ألقى ومُقله	تشكو إلى الذي يلقي من لسهر
حتى رأيتُ محوم الليل قد عربت	عن وهنت علسا نسمة السّحر
فمنّا نجرّر أديال العفاف بها	والله يعلم منّا صحّة الحرّ
لاحير في لسذة تمضي ويعتقها	حطئة سلك الإنسان في سفر

ومن لطائفه قوله

موضع النفس حبه الحمد أصحّ	يهجي كل ساعة شهب
صوّفتني مصلحها	كلما ررّتها أعرد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين لشهيد هي على شعب حل جميعها متحبه بأواح من حشب ، سقمها «نهر بريد» وأسسها من تحتها «نهر ثود» ومطرها من العايات التي لا تُدرك . وقاله في الخيل العربي^(١) صريح العاشق والمعشوق . وعليهما صومعتان مبيّستان ، وبينهما سبعة مقاصف كل مقصف فيه من ثريات والمصبيح والعطاء والوطاء ما لا يحيط به الوصف ، حتى أن بعض الناس يصنع فيها بتره فيها يوماً فيقيم بها شهراً .

(الخيل العربي هو دلف الرّحمر . كان عليه قبة الخضر (رحمة بن شداد) ، ولا وجود لصريح عاشق به في عصره . إنّه سجن معروف لدي آليم أوائل القرن العشرين وله موقف العمل به في مطلع القرن الحادي والعشرين لتغيير استخدامه

وحملاه متفانلاً متلافياً عليها . حمل العربي بدبله «دفا لرعرار» ،
واحمل شرقي رأسه مثل الخُلْ^١ . وهذا أصب شعراء في وصفهما

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في وصفهما .

يا لحلك من معنى دمشق حمائم^٢ في دفا أشجار تشوق بلطفها
فد اشار لها شحي بكاسه عت عليه بحنكها ويدف

وطالع لشح شمس بن محمد بن الحياط الشهير بصدع مع ابن حنكان
إلى الربوة ، فوحدا عنهما يعومون ويغصون في نهر «نور» الذي تحت أسحوت
معروف بالبيعة^(٢) ، فأشد صدع قوته :

يا ربوب وارب حوى كل نهجه فعيش أوري بحولاه ويعذب
ترق ن الانهر من تحت حنكه فلا عجب أنا بحوض ونلعب

«الكنية ورسمية جگ ، نعي نوع من لانت أوكسيمي تشبه بالفتية ، ولشبه رأس الجمل
بهذا سقي بهذا الاسم ، لكنه يرضى من بين ألسنة العامة مد عهد طوس
٢ ، تقدم لنا اسدي هيا فائدة هزمت في الطوبى عرف ابا ربيعة مدسة دمشق ، فاسم البيعة
انما هو كان يشكر نورا ستعين على حل مدة طوبى فقد ذكر المؤرخ المصنف يوسف
بن عبد الهادي في وجران السبع الهجرى برسالة «عرق الافكار في ذكر الانهر»
نهر نور مصيصة من الربوة . غص في نقت يقان به [] ولند سقط من
المخطوطة اسم أنقب بسبب ما كل أطراف الأورق ، وفي اسمه مجهولاً ، كنت
أمنصب في التفتيش عن اسمه طويلاً ، إلى أن أسسمي به ابلري أخيراً . وكان الرجاء
الكبير ابن بطوطة الطنجي قد وصف أنقب في حنبه دمشق كما من جاء بكتاب هـ .
عامي 726 هـ و 749 هـ ، ولكن دول أن سمي به وهو يشو تحب الربوة ، وقد تحب له
محري في لحر الصل كالعار الكبير كما عثر أنقب على ذكر بلبيقية في واسط
القرن لتاسع الهجري ، كما تقدم أدناه في كتاب «حريه معحدث وفريدة العرت» لأبن
أوري ، ص 8- 82 ، وكذلك في النصف الأول من نقر العاشر الهجري في كتاب
«مكة اخلا» في جودث برمان ، لأبن صو صو الصلحي (1 720) حب بذكر قطع
من نهر اسمه . وعهم من كلامه أن سم المسة كان يطل في عصره على محري نهر
نور بعد أن يهبط من النقب المذكور وهو فاض ماء نور يصم تردى
هذا ولا زال نعب المذكور مائلاً في أيام ، على المكب لأبن بصخرة لمشار بالربوة
(الشهيرة اليوم بصخرة أذكرسي) ونحته «حلول الصاقة»

فأنشد ابن حنكاه رحمه الله .

وسرب طماء في عدير تحلهم يقول خيللي والعرام مضاجعي
بُدوراً بأفق الماء تدو وتعرُّ وفي دمك مصوب حصو كما ترى
أما لك عن عهد الصبابة مذهبٌ فقلت له راعهم بحوصوا وبعوا
(برهه الأدم ، 82-91)

المقسم

ومن مدح ابن اشنام «المقسم»⁽¹⁾ الذي تنقسم منه السبعة أثمار ، وأصله من
سبع «عوب أو ث»⁽²⁾

وإنه يشير برهه الدين بقيراطي بقوله

عندي لأرض دمشو قرطصيه فسقى حمداً أرحب صوب عيوت
وعوب لعراق شمشيه حكبي جرب أدمعها (عوب أو ث)
وبحر [بردي] عني عريه الربداني كالبحر ، إلى أن يسفي عني عريه «نعيجه»
اصحاء [عباه سو عها] .

وما أحسن قول الشرح برهان الدين لقيراطي في وصف الربداني

دمشق وفي طلب نعمهسا المتدابي
وضح قول سرب من عاشر الربداني⁽³⁾

(1) المقسم هو موضع مخرج قبره عند حدود الجوري ، أي أن تود وحسب حسب عني
و نام الملك الظاهر بيبرس الرؤوس الزاهر لابن عبد الظاهر ، ص 265
(2) سبع بردي في أهل أرض مصر دمشو وسبع (عوب أو ث) برا في بعض المصادر
سارجه النديّة ، لكنه صاغ من المذكرة الشعبية لأسماء اشنام وأبداه الربداني ذاتها
(3) حصه سبع من المنداول قديماً بين أهل الأدب . «من عاشر الربداني فاحب روائحه»
ربما كبه عن رائحه التفرح ؟ راجع لريف السوي بوصفي زكريا ، 2 : 272

يُقال من طاهر «باب السَّلامة» إلى طاهر «باب ثوم» ثلاثمائة وستون
عيناً يجري إلى القصة^١ قُلتُ ورأيتُ غاليها ورتويتُ من عذبتها انتهى

وتنقسم هذه الأنهار السبعة منها : «يريد» و «ثورا» بذي الحجل الشرقي
ويشق نهر «بردي» بطن الودي ، ونهر «بابيس» ونهر «القنوت» ونهر «القباية»
ونهر «ندراسي» بذي الحجل الغربي واحرما يتصفي من هذه الأنهار ويفصل
منها هو نهر «بردي» ويرى في «المقسم» على نحو من عشرين درجة
كشأدروان⁽²⁾ ، فربته تذهب الهم وتزيل الحزن

وما ألتف قول الفاضل صدر الدين بن الأدي ، رحمه الله :

قلنا : فؤادك برد عن محنتهم قُلتُ : بار بهوى لا تطغي بدا
برأت قلبي عن لأحاب منذ رحلوا ما (يريد) على (ثورا) وما (بردا)

وقال صاحب دواوين الإشبيلية رحمه الله :

برر ساس فهي بهر هيا يبر به تجلى عروس السُرور
واسمع حديث الماء في جريه يأتيه شهي عيل انصدور

وجمعها الشيخ شعبان الآثاري في قوله وأجاد .

شوفي (بردي) وقلت لصفتها (بردي)	(ندراسي) من المعشوق) حين عدا
و مدمعي (قبوت) و (العدول) حكى	ثورا) يلوم انسى في عشقه حسدا
على معسة (اخلك) حوينا	شانة) كم بها من (عشق) شهدا
فالدر (حبه) و (بردي) (ربوها)	اجتها من (حلحالها) كمدا

(رهة الأنام ، 91-94)

(١) وصف هم ندر ، وهذه النور من اسم الخوفه المعده بهري بردي وثو^١ يعني منها
اسم عن الكرش وكانت تع نواحي ايسات ، ورفاق العين تحت مسجد الأقصا
(2) لشد . ان كلمة فارسيه تدعي لشلال ، لا ان الكلمة مثله في ارضها اسم شقه .
يطعمونها على الموضع المذكور عربي الرتبة على طريق دمر .

خواكبر دمشق

ومن محاسن شام «الخواكبر» وهي كخداث في سمح «حسن قسيو» في عصل به وبي «جبل الربوة» غقة فرقة «مار» في بعد «قنة ست» بعد يسير هذا وشتراكت يعبدان على رأس هدين لحسين عدى مرتبوه ورتبها كما من احبب خصوه وإدائاً أحدهم لاجه ع بالآخر صبح ودمه على حبب حمل والأخرى عند صاحبه . فكأنهما كذا بمشيان في لهواء ووليه هذين ميتين على هدين الحبين

جُع وذ حكمة ا يوم رار عو هه اربا حين والأرهار في سمح «حرف قسيو» حكمة وهو أنه يمتد سر كوها في ربه . وأل السبم إد مر بها حمل من [من صب ربح م ستطع . يسرى به إلى مر تحتها من أهل هندسة ولسك

ومن محاسن شام «أبو د» وهو حسن مة سه أنوع بدمشق حلا الأسود قرية اربداني هي هدية البورصة يسخر حو بها ماورد القاهرة مخروسة ومكة اشرفه وغيرهما مرس نيلاء ^{الخواكبر} فكتهها هي المقولة إلى القاهرة بحرها

ومن محاسن شام نور السريي ، والتسرين ، والترجس ، والتفصح وبيسمي وشتور ، ولسوس ، ولرس ، وانها (وهو لأفحور لأصفر) والأفحوان ، والأديون ، والبابويح ، والآس ، والريحان ، والنمام ، وشتي

أ. اسم الخواكبر ما يزال مذكوراً معروفاً بدمشق حتى أواخر التسعينيات من القرن العشرين ولقد ارتكبا وجرهما خواكبر مزروعاً بنبات ولاشج شمره يسمى «جشاث آخره» وفت بها الأشياء نشافهه ، فأحلى سميها إلى السيان وموقعها سود يعرف عربي اسكي وصولاً إلى مشفى الشامي وسج حرج الخط (2) قاسيون اسم آرامي قديم ^{هصصا} (فشون) ، يعني القاسي ر هذه كات مشو أم الار فخواه ها في صيف سحل 47 درجه مئوية وأكثر (3) سرب علاء من طرية ر الحمر في شاح رجة البمشفي (نوف 27 هـ) عن بقعة الوردي عصره من كتبه «سج الدهر في عجائب ابر والحر»

سُحمان ، واليُوفَر ، وال ر ، والاس ، ري (قف وانظر) ^١ ، وقمر الحت .
 ر خيلاني ، وهو شجر شبه بصفصاف ، وشجر الرُرخت ، وشجر السُرو
 قلت ^٢ ، وجميع هذه محاسن باخو ، كبير ، غير ر الماء لا يصل إليها إلاّ بجهد
 كبير نعوها عن نهر يريد ، فاصطحبوا بها اباً ولاب ^٣ وورثه بكل بهم شدد
 وفيه يقول ابن بؤلة الذهبي

حاكورة دولابها لي النُصُور قد شك
 من حين ضاع زهره رار عليه وبك

(نزهة الأنام ، 102-185)

المزة واللوان وكمر سوسية

ومن محاسن لشدة أرض «المزة ولفواك» ^١ ، من حكماء ، بيوت لماروا
 الحدب الشعابي يصلح برراعة لأزهد ورأي طيبة أرض الحدب القيلي حذروف
 بعرس الأشجار . فمه . المُسْتَهْش ، و مُقْرَاهِيهَا ، وانكمثرى ، ولتفاح ،
 والدرّاقن ، والخرخ ، والأجاص

وكن هذه الأصناف ، والألوان بالمزة وأرض اللوان ، وفيها الدُور الوسيعة
 البهاء الملبحة الأساس وساء وفيها أعين الأساس وهي الجامعة بين حسن
 الأنواع والأحاسن مع بهواء الصحيح والاعتدال بالترحيح . وبها سُويقتن .
 فيهم سائر ما بُشْتَهَى من الأنواع ومصنّى بخطنة وحطنة بجامع حديد ، وفيها

(١) يحرص هذا الاس البرقي من دمشق ويذكر بعض سياحة بصاحبة لقدمي أن بقاءهم
 أدركوا في لمرات التاسع عشر انيلادي وكانوا يسمونه الأفصر .

(٢) أي لنوع الخشبية ، ومنها عدد على نهر يريد ، أشهرها بعوده الشح محيي لنب في
 فوق بالصالحية يعرف برقاق أسو غير

(٣) سم مرة إرامي ، من هاهنا (مرور) ، العلال و مذونة ، ومنها صفصاف (مست) وم
 كفر سوسية فمبهاء سليم كما هو باللفظ صفصاف قرية الختل

صرح الوصي المعتقد الشيخ سعيد⁽¹⁾ أعداد الله علينا من بركاته وأمدَّ بصلاح
دعوته

وتوصَّل منها إلى قرية «كمر سوسيه» ، ولها معصرة ريت وأشجار ريتون
من ر من عسى عنه السلام ، مع اقواكه لكثيرة بطريق الانضمام
(برهه الأنام ، 187-212)

لمزاز والشويكة

ومنها إلى أ ص «لمزآ» و «الشويكة» ، وهي من محاسن الشام ، ولها
يُسبب الرُّمَّان الشويكي .
(برهه الأنام ، 214)

داريا

ومن محاسن بلاد قرية «داريا» وهي قُلي «شويكة» ، ولها السيّد اخيلان
أو سليمان الداريا وأبو مسلم اخولاني أعداد الله علينا من بركاتهما المتواترة وأفاض
عليه من بحار علومهما ابراحرة . ولها يُسبب الطّيح الداريا .
(برهه الأنام 219-220)

(في كتابي «معالم دمشق تاريخية» (ص 384) تحت بلا حداثتي تسميه محله ، لسح
سعد» لغرويه في بيت منصفه مرة لعدته ، التي لا ذكر لها في مصادر فهو هو .
مري محل لنا اللع بتسمية الولي الشيخ «سعيد» وذكر من طولون في القرن العاشر
(مخطوطات برقعير) «ومنها الشيخ سعيد قسي لمرة ، اخه محسن استبداء أهل
دمشق ، وقد تركت له من حجر حتى نُسب بهرج النسي إلى هناك لفرجه عسى
توسعي بقودي هداؤا ، ويروى بالشيخ سعيد» قلت والتي يومها هداؤا
بوسي رحدى ح ب سح سعد صعود كما ذكر في جبل امرة وفيه لشيخ من القف ،
يدعى الشيخ حصر ، كان يجعله الملك الظاهر راجع نص ابن شذاد

يلدا

ومن محاسن شام قرية «يلدا» وهي من القصة إلى شرقي قرية «عريس» .
وما بينهما من القرى لجميع برسم زراعة كروم لعب وعراشه⁽¹⁾
فلتُ وبين هذه لكروم المذكورة قطع أر صر جمعها اصول لور ، لسر
بها بطير في أيام تويرها ، وهي من محاسن الشام .

(برهة الأمام ، 223-235)

شرح الشيخ أرسلان

ومن محاسن الشام «مرح لشيخ أرسلان» ، أعداده علما وعلمى المسلمين
من بركاته ، وأخرى عليها من صبح كرامته ، وفيه قول

ب من عدا نفسه سبياً
وفد بـل وامكسار وقل
نوسى صادق البرهان
مدمع يا سيدي أرسلان

وهو يستعمل على أنهار وأشجار ونواخير لها مع اسم رشاش وعالب
لك الأراضي تررع الخشخ ش

(نزه الأمام ، 248)

(1) ثمة غلط في الاتجاه ، وفي الآرامية يُلدا كذا يؤكد ، وهربلا حنطاً لقربال
(2) يقع هذا المرح موضع قرية شيخ أرسلان بظاهر باب توما ، ويتضح من كلام السدي أنه
كان يشمل منطقته كثر من المساحة التي يقع بها المقام ونزيرة ، وسدوا أنه كان يضم بساتين
ومحلات ، كالأحد عشرية وطخوب الخرج إلى أحياء ما يُعرف اليوم بساتين الطنّالة
و مدوّبعة . أما الشيخ أرسلان Arslan فمتصوف مشهور من القرن السادس الهجري ،
له عدد من شام إلى اليوم مكتبة وحبه مساهمة لسمو . وما برج اسمه تذكر روماً في
الغرائب شعبة «شيخ رسلان» شيخ رسلان ، يا حامي لير وشام . وفي عام
1984 كتب سرت عن سيرة حياته كتاباً بعنوان «عبد الله في نزجته الشيخ أرسلان»
للمؤرخ الدمشقي ابن طونون الصاخي (توفي 953 هـ)

الوادي التحتاني

ومر محاسن اسام ، سواي شحاني^{١٠} ، وهو شرفي «مرح الشح»
وهو يستحل على عذره ، والرياض هي رياض السرجل ، وفيه يقول
القبراطي

لؤدي ، بي داب خلوي منل^{١١} ودمعي على أنها هب يتحدر
فوق إلى هر لستمر حل نيم^{١٢} بـ مـ مـ مـ مثل الدر هم يسر
عيس نص نص اء في عرصتها فتر هو حملاً عند ذلك وترهم
سرى ، راي هب بحور كانه وحبسوا دسيف صفيص^{١٣} محوثر

وهي بكتة طعة ، وهي اب لشيخ حمار الدين محمد بن شاته قدم إلى
دمشق في يوم سمرجل ، وأما هذا الشيخ حماد بن يوسف بن عدي «الوادي
شحاني» لأجل رفته دهر سمرجل ، فصادف بهار حر وقبط شديد ، وأشد
شيخ حماد الدين محمد بن ^{بكتة} البصري

قد أشبه الحفام دجرا بهو فمء سحن^{١٤} ولاز هر خلوي
فمء شحامي مشد ومسخف عرق على عرق ومشي عرق

فأجابه لشيخ جمال الدين يوسف بن عانم يقول

ما أشبه الحفام منزل بهون إلا لمنى راق فيه المطوق^{١٥}
فالروح من فيه والهر كذا حجاب فيه وماءه تدقو^{١٦}

وأما العاص فهي عيصر الخور ، وهو في غو السور ي حالص ، لا عدان
و. فـ بوجهين احصر ويص ، له مع نسيم حصف لطيف يساق أبيض صفيص
برياح الأنس إليه .

^{١٠} يزيد لنداي هذا الوادي تحتاني مصري لقوله اعطوه الـ راقه . بوجهة شرفي مدبه
مشي ، حماني بجرى نسي . ري مع التسه إلى عدم الخط يسه وسير سوري
شحاني ، ري خو . شرفي من الزهر ، فيما يعرف بأباما بسانين كيو .

وبه «عَيْضَةُ السُّلْطَانِ»^{١١}، وحوارها لا يستطيع الإنسان أن يدخل فيها
 لا يصدمه ولا يصل عن الطريق، كأنه سكك بقوالب من الشمع
 وبهذا الوادي مبررة يقال له «ست لسان»، وهو من جهة حصراء ما بين هذه
 اعياص، وبها عين تجري بماء بارد عذب
 (برهة الانام، 249-254)

المرج

ومن محاسن الشام [المرج]،^{١٢} وولته مسهى «الوادي التحتاني» وحره
 «النحر»^{١٣}، يدل به يشتمل على ثلاثمائة وسين قرية تررع انغلة وحبوب،
 وفي العلب الشعير
 و«بحرة» إليها يصب ما يفصل من مكة أنها دمشق، ومنها صيدها من
 السماء واده من الطيور والأسماك صبيعا وشتاء^{١٤}
 (برهة الانام، 255)

-
- (١) كتب هذه حصه تقع من قريتي حميرين وحسة جرش على نهر بردى ولكنها لا تعرف
 بهذا الاسم اليوم إنما لا علاقه بها بدير مرج سبط المعروف في مرج، وسوء
 لسلطان العثماني سليمان خان القاسمي
 (٢) بكمة ساقطة لأصل الطوبع وما زال اسرج حرم بهذا الاسم حتى أيامنا، وقديماً
 عُرف بتسميات عدة: مرج دمشق، مرج راهط، مرج عذراء، مرج العوطة
 (٣) أي بحيرة الغيبة المعروفة، التي يصب فيها ما يفصل من بردى
 (٤) وبين هي لطور والاسم اليوم، لقد عذب وحده دمشق في حاتمة الألفية انديه منطقة
 ارعى الم حدهف يلة إلى لتصحربست الاكتط سخي، وسوء استخدام امورد
 ان له ففي حين كان عدد سكان المدينة لا يتجاوز بواحد لقرن تسع عشر 60 ألف
 سنة 300 أما في الثلث الأول من القرن العشرين، فهو لا يقل اليوم عن 8 ملايين
 سمة أم الحية سرة في واحة دمشق وريفها «الحوص بسلامك» سم به منها أي
 شيء يذكر، بسب الصيد الخثر وانتشار العمران والضراقات والسيارات

الصُمَيْرُ

ومن محاسن الشام «صُمَيْر» ، وهي من مَرَى مَدِينَةٍ تُحَدِّثُهَا الْيُوبُ^(١) .
وإِسْمُهَا يُنسَبُ إِلَى طَبِخِ الصُّمَيْرِيِّ الْأَصْفَرِ

(برهة الأمام ، 296)

برزة

ومن محاسن الشام «برزة» ، وهي من مَرَزَتْ دِمَشْقَ سَيِّ يُرْحَلُ بِهِمْ ،
وهي سَمَاءٌ صُمَيْرٌ^(٢) ، وبها مَعْدَنِي نَبِي إِبْرَاهِيمَ الْخَبِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ
سَبَّ سَمْسَهَ بَرَّةً وَيُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّبَنُّ الرُّرِّي

(برهة الأمام ، 260-261)

القَابُونُ

ومن محاسن الشام «القَابُونُ» ، وهي حَسَةُ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ ، وَهِيَ قَابُوَانُ :
مُوقِفِي وَتَحْتَنِي وَبِهِمَا أَرْضٌ «مُصْطَطَةُ السُّنْطَرِ»^(٣) ، وَهِيَ مُصْطَطَةٌ فِي قَدْرِ عَدَا
خَمْسَةِ سَعْدٍ فِي نَفْسٍ وَعَشْرِينَ دَحَةً مِنْ جِهَتَيْهَا لِأَرْبَعٍ ، وَفِيهَا قَصْرٌ خَمْسٌ لِسَاءٍ
يَتَرَلُّ بِهِ الْمَدَوَّلُ وَالسَّلَاطِينُ عَدَدُ تَوَحُّدِهِمْ إِلَى الْأَسْفَارِ

وَالِإِنِّي هَذَا الْقَابُونُ يُنسَبُ الْخَيْرُ

برهة الأمام ، 264-265)

١- سَمِي شَمَرُ الشَّرْقِيِّ مِنْ دِمَشْقَ ، بَعْدَ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ مَعْدَنِي الرُّومَانِي إِسْمُهُ الْفَخَامَةُ
(٢) إِسْمُ صُمَيْرٍ فِي الْأَرَامَةِ وَهِيَ الْعَجَبُ ، وَبِرْزَةُ حَسَا أَوْ (بِتْ رَزَّة) فَرْزَةُ لَصُورِ
(٣) كَتَبَ بِسَهْلِ قَابُونِ سَهْلًا وَيُنْبَغِي بَرَّةً (عَدَدُ مَدَنٍ لِيُشَارِحَهُ الْيَوْمُ) ، وَهِيَ مُصْطَطَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ
مَسُورًا وَالنَّوْءُ فِي عَهْدِ الْبُلْغَاءِ دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ جِهَةٍ حَسَبَ فَحْشِ دِمَشْقَ
وَالْأَتَمُّ بِهِ وَبِهِ حَلُّو عَوَكُ حَاضِرٌ فِي الْأَرَامَةِ هَمْسًا لِيُوبَ سَمْعِيَاءَ

بيت لهما والعنابة

ومن محاسن الشجر «بيت لهما»¹ و«العنابة» ، ومن الناس من يقول «بيت
لأنه» وهو مكان مراكب برار ، ويصل إل حواء عليها السلام كاتب مقبلة بهذا
المكان . ومن بعض المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في «بيت لهما»
و دم عليه السلام في «بيت أبيب» وهذيل في «سطر» وقايل في «قيية»

قائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن سماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر
قال كان حارح باب الساعات صحرة يوضع عليها القربان ، فم تقتل منه
حذاء بر فأحرقه ولم يتقل بقي على حاله . وكان هذيل صاحب عجم وكان
مرويه في «سطر» ، وكان قاييل صاحب ررع وكان مرويه في «قيية» ، وكان دم في
«بيت أبيب» ، وكانت حواء في «بيت لهما» فحذاء هذيل بكش سمين من غنمه
فجعله على الصخرة فأحدثه البر ، وحذاء قاييل قمح من غنمه فوضعه على
الصخرة فبقي على حاله ، فحذاء قاييل وثقة في هذا الحبل يريد قتله حتى صار
من أمره ما صار . قال بعض المؤرخين : وهذه الصخرة هي الآن في الجامع عند
باب حبرون بالقرب من «حاصل الزيت» وهي صخرة سوداء مقرورة انتهى
مرادهم من يومئذ
(نزهة الأنام ، 268-270)

العنابة

وأما «العنابة»² فهي محلة لا تشتمل على دور وقصو ، والسبب في
سميتها أن كها في زمن الروم كان يتعد في صومعة تلك الأرض فحصل له علة
أشرف منه على الهلاك ، فرب عده ت حرم من حجار الروم ، ومن جملة محله
حمسه جمال عتاب ، فحلها وبشرها ، وكانت دمشق محلة من العتاب وليس

- (1) موقعها اليوم حي لمصنع . بيت بياب يسكنه مطور عبد مثنى ابن النعيس . واسم بيت
لهما آرامي . حذاء حواء ، يعني الموضع المسمى
- (2) موقعها في يومنا شمالي محلي القرأين والسادات ، عده حذاء الخطيب والقصور

يوحنا به حنة عبد نصر هـ كهن يسول منه وعده طاب به قلب صبح
 جاء به طلب فوحده قد يصل من تلك العلة ووحده كهن في نفسه نشاطاً .
 فمن به ما له في سعمت لراحة قال لسيء بفلاي وسي ان يدكر له
 بعد فقر اطلب وعيك ستعملت عبد قال نعم ومن أحرك
 به ما ان عني عنت هذه لا يربها سواد وهو معدود واحشيت ان
 أعنى خاطرك به .

فرع كهن لأ ص سي خو صومعه جميعها عبداً ، وتقرب به في كل
 من حجاج منب إلى سيء أحد ، حتى يعل ر في الإسلام وخدم من ركب اعقاب
 قرد شجرة وبني ما حولها ، فسُميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم

(ترجمة الأمام ، 268-273)

سَطْرَا وَمُقْرَى

ومن محدس اشهم أصل «سَطْرَا وَمُقْرَى» ، وهم من لأراضي «طننة»
 بصفاء وفيها بقول حلال لهم من حطت درر

حسني بـ و فيتم ، تمام كرت
 قف و سرء اعنى كذا كتبه
 رعدتما الشقراء والعوطة الخصر
 دمعي لكم مقري ولا نسيا سطر
 وفيهما بقول من عني

ألا سب شعري هل أسوليه
 دمشق في سوق يهـ مـ رـ حـ
 وطلك يا مقري على طليل
 وإن ألح راش أو ألح عناول

موقع مقري هو دمنصور عني ما بين مدينة بصفاء لردصه وشارع مدته من الكسرة .
 وكان مسو سانه في حرم لا ما يدكروا سم «طخونة مقري» التي كـ هـ
 اما سطر فموقف من دمنصور حارة جبروتات مع حارب وسرة بجو برج سرويس
 واسم مقري بالأرامنة ههنا يعني لصغرة ، أما سطر ههنا فالخانب والتحية

وبينهما مسرةٌ تُسمى «السكي» ، يجتمع فيه البس أيام رهر السمرجل
ويستون ، تحت شجره ، ويوقدون في طعمة الشهر قشور اليص ويطلقونها في
الماء ، ويعلمون قسور أسارح موقدة في الأشجار ، ويصرون اسيام في بستان
الحاجب ، ويقطعون فيه أرقاً من نده والإشراح يعجر الوصف عنها
(نزهة الأمام ، 273-275)

أراضي المزارع

ومن محاسن الشام صبي المراع ، وهي حصرة مع العلاء وكثرة المياه
ومن خصوصياتها الهليون ، وضريحور والكرب والندحب والكراث والحرر ،
وبها مزعترو وفحل وسدب والسبع ورشاد والسقلة والإسجدح والكرفس
وسلق وبنداء وسفل والثوم والكُمفيرة والكروب والكمفور ونقر ، وبها
كثافة وهي من خواصها ، وبها اللوباء والأشجار كالأفلاء والبردة والدخس والباش
ونقرطم وعدس والسُّمسمة وبرر قظونا والقرنفس والحمص والخلية والحسن
(نزهة الأمام ، 276-310)

الميطور والسيلون

من محاسن الشام أصل «لَيْطُون»^٦ و«السيلون»^٧ وهما من مسرّتها
ويقدّر أول من غرس بها غراساً بيده سيمان بن عبد الملك

١. مدو من سكي سمّاه كرد علي (الأسكي أو السكي) وسماه الحاجب كذا بالديوانية
٢. حُرّ لي له نفضه بها مصقه سائين أبي حرس شرقي لصاحبه ، ما يصاقب اليوم منطقة
شرقي كن لدين وإخراج الأحصير وأبو ستراد لفيحاء ومثداً وتوستراد انقابون
٣. ميطور (مد له) ماء الحبل هو اليوم حي الأكراد شرقي لصاحبه بن بهري بربد وثور
٤. مدو من قوبه ومن شعر بلشراء الحسي أنه محوييت بياب تحت ميطور بالأرض خاص الشربة
للصالحية ، وثمة آخر بالكرب وثالث عند المواساة وبالآرامية **صالحيا** : ميرب

[وبهما شجر] النُبق والعسق .

وبعد إن سلّمنا من عبد الله كد بهما في الأكل فحاءه سُتَيْي ليصم
ستانه هدا فقال أ كُتْ به ولا أظرفا كهه شه صمك ياه ثم رك
ودخل السيار فدم سدح به من الثمار ، لا يسير حتى ما حلّي فيه من السدق
لا حصر ، العسق إلا ما عرت عنه ثم بدي بصم سليمان وقال بلشهو
اكنوا عني هدا صمد هدا استار فقال السُتَيْي كُتْ أَصْمَه قبل رحول
أمير المؤمنين به ا فصحك منه ويقال : فشر النُبق والعسق تجمع فحاء
قدر مكوّك طائفني ، وفصل عنه

نقل الخافظ ابن عساكر في رايحه عن عبد الله بن عبد الله بن امارث قال :
أخبرنا أ سُمنا من عبد الملك أمر قم به أن يحسن على العوكة لا يحيي
مها شيئا ، وأمرني بالركوب معه عند طلوع القمر من آخر الليل ومن حضر من
أصحابه فلم يحب بي لست انظر كل ما يأكل حتى ارتفع النهار ، ثم صرنا
إليه وقد أكل قدر الصدوق . ونحن يقولون : هدا القطف اعجب استوى ،
فحارطه في فيه وهذه لقحة بصحت وهذه الاخاصة باعمة ، وكلما رأيت شت
بصيحاً نشير إليه فيتنوله ويأكله

حتى أن لصحى . وأقبل عني يَم السيار وقال ويحك يا شمردن ابي قد
جعت فهل عا شي طعميه ؟ من نعم . عداق حوليه حمراء من
تشي بها فلا حيب فحاء هدا مشويه على حوا وهو قائم بين أشجار الماكهة .
فصار تناول منه فطعه بعد قطعة ويتناول عليها الماكهة إلى أن فرغ

فقال له يا شمردن هل عندك غيرها ؟ فقال : نعم ، دجاجتان معلوقتان
وه عميد شحمياً من اثني بهما فعلى كما فعل بالعروق واتى بهما وهو دم
بين أشجار الماكهة حتى فرغا ، وقال له إن كد عندك سويق بسم سلا وبعض
سُكّر فتشي به فربي حاتم ، فحاء بذلك وكله . واستدعى ماء مدر وجعل
شمردل يصب عليه الماء وأمير المؤمنين يجرعه حتى كماه فارغاً

ثم أعدد لأكل في العاكهة فأكل ملة^(١) ، وإد بالسماط حصر فحسب يأكل
كأنه لم يأكل شيئاً ، قال الحارث ، فعجبا منه

ويقال إنه عرصت به حمى عُقِبَ هذا أشرف منها على الموت ، وقيل بل
سبب موته أنه أكل أبعمانه نصبة وسنتي من وسعمائة فإنه وحروف وست
دجاحت ومكوك ريب صانقي ، انتهى

ورمما ذكر ذلك على سبيل الاستيراد وذكر بستانه والله أعلم

(برهة الأنام ، 310-317)

السَّهْم

ومن محاسن النظم «السَّهْم»^(٢) ، وهو متصل بأرض الصاخية ، وهو درب
ما بين نور وقصور وعاكهة ورمود ومبه شجري بهدير كالبحور وفيه يقول
القيرواني :

دمشق يوردها رصاص نواصر^(٣) يد سحلي عن قلب بطرف الهم^(٤)
على نفسه فلسن من صاع عمره وليس له فهد نصيب ولا سهم

ومن لطائفه قوله فيها وفي السَّهْم :

بقاع دمشق للأمير شائر^(٥) وقف معالي جنكها مترتم^(٦)
بقاع إذا قوس الرب بسهمه رماها غدت بلوشى برأ مسهما

(برهة الأنام ، 317-318)

(١) كان هذا سهماً ، السهم الأدنى ، وموقعه في عصرنا عند طريق الحبة على كتف نهر
بو شرقي محلة الحسرة الأبيض ، والسهم الأعلى ، موقعه حالياً محلة طريق الشيخ
محيي الدين بأعلى حته ، آه كم تحسّر النفس عند فرأه هذه الأوصاف لنصره دمشق
وبهاتها في الماضي ، كيف أحياها العمران اخذت إلى كنهه فيجده وكذخه من لإسمت
والأسعدت والذخار

نصارو و بهران

ومن لحسن أرض «نصارو»^١ و «نهران»^٢ ، وهما معدن التوت و أصل
حُسنه المعنوت

(برهه الأنام ، 38)

النصاحية

ومن محسن شحم «النصاحية» ، مشحونه بتراب و التراب و مدارس حتى
أنها قصبة روميين عثني فيها بين ترب و مدارس بناء جميل ان تولى عليه
مشرون و نصاح ، فأبو منها يعين و ميسر سوى لا ر فكم من مدرسة
هست عد الاملاء و لا اوج و أمسا في طمنه بعد ذلك نصايح ، وهي
نصوح نصحاب خصالا عفيفا ان تولى بالبر ، عمر هلا و هذه نقور
صحته مرطأ منها ان هذه كك معدنة حم و الصائم و هذه تقول
نحوي مسكاً و هذه تقول نخلوني مساً و هذه نقور هديوي ، و حمو
ستفي و كشموي و هديوي نخرنوا خدري و عوا اب و حعلوسي
مدوي مكلا و لا و ف تستعش بي موسى المعص ، فيقال لهم سمعو
كلام ابراهيم في محكم القرآن : «إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ»

(من سادس النصاحية ، ذكره اس طوبون في الثلاثه اخوهرية (1 315) و أنته ذهبا في
محفظ النصاحية بن معلني المطور و الشبلية بأهل نهر يرب و هو ينطق في اسم عدو
ساحة الميسر و الحفطية و حرر اشاويش و الاسم آرامي حتى ان ناقص ، مقصر
كر ر ك ، نصاحي حر ، في نشر هجري بروج السدسه سن ١٥٦٠) «و نصير
عري النصاحية ، هو من محسن دمشق ، أوه يسا ن بهران» و ذكر المحدث (أاريخ دمشق
١٠ 337) «كان في السير ، لا على بين النهرين مكان اسمها نهر
و سبوا فسا مع سبوا حر كان عند مشمي المواساة و حر عبد ابن النعيس : أما
سنا ن بهر فكار حويي و عدي عو حير ، بن محنتي ال شكاتب و نوري باشا انهم ،
و يصم سوري و عني جامع راحة فهو و يسا بن سيات ك مي نصاحية عرب
فيه ما قام به حي المهاجرين بشرقي لتيوب الأعلى عام 190٠ م

في شوقه لحسن «مركسية» وحلاوة «الرُكِيَّة» ، ويلهفاه على «حامع
 لأفهم» و«بصريه»^١ ، يعيرت تلك المعاهد ، وعلقت أبواب تلك المساحد
 ولعمري إن به وإليه راجعو إن هد لهو ابتلاء الحسيم ، فلا حول ولا
 قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبصباحه نهر ن شيه يخرين «ثور» و«يرب» ، وكمه عليهما من عرفة
 وقصر مشد يُحكى عن ابن الصائغ الحضي أنه ما قدم من القاهرة إلى دمشق
 المحروسة ن في «الحسر الأبيض» عند الأمير مخير بدين بن عيم ، ونهر ثور يمر
 بداره المنوسة ، فأجلسه على حطب نهر لأجل برد هواء ، فرأى شمس الدين
 ابن الصائغ ما يمر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول ويأكل ما استهوى
 ويضع قدامه منه ما أعجبه ، ثم امتعت لابن عيم وقدره أنت يعيك هـ النهر
 على شراء الفاكهة بفيض فضله العميم وأشدّه في الحال والحال

يعول وقد رأى ثورا حبيبي بفيض سائر ثمرت قبض
 أيكمكم فلا تشربوا شئت فقلت نعم ، أبيع أيبض

فقال ابن الصائغ وهذه الفاكهة أبيع يرميها في نهر أرب العيطر ؟
 قل له ابن عيم : إنما هذه من اشتاك الأشجار ونباتها عليه ، فيلقبها النسيم
 عندما تشبت الأعصان ، وأما السائتة فيهم يصعدون فواكه مجموعته على أبواب
 سائين ، كالركبة من تمرتها ويحتج ، بن شي : فيأخذه من مقرء وساكن

وأخبرت في القديم أن بعض الفقراء يضع مكثله على رأسه ويسرح في طرق
 سنان ، فعود وقد مثلاً مكثله مما يستط من الأثمار ، من غير يتناول بيده
 شيئاً في السائين من بررع أشحا ألمقرء يعرفونها بالتكرار ، ومثلاً ما يردع
 من ذلك على الطرقات ليقرب تدولها انتهى

١ الأرب مع لأفهم قائماً إلى اليوم بعد بقله ونحده ، أما رحدث البصريه فرائت في
 مطبخ نهر لعشيرة انظر صورها وكان موقعها عند بوابة الخراجية في أيام
 الشيخ زهمان أنه حتى أواسط القرن كان موضعها يستل يعرف بالبصريه

وعدت أهل الصالحة عهداً ، سكت مدسة بسلح ، الأترج و لكبد ، سمو
حُسه عندهم وبصارنه التي هي في ازياد

(برهة لأسم ، 320-323)

جبل قاسون

ومن محاسن الشام «جبل قاسون» ، فإن الصالحة في سفحه ونحج رُاه ،
وهو حل مُشارك به أثر الأنبياء والصحابة والأولياء ، وبه «الكهف» ويقال به
كهف أصحاب الفصه ، وبه معاً ، ادم تبارك كل سلة جمعة يرى بها فطره دد ،
وبه محارب الأريين محل تعبدهم

وبه يسب من عبد الله تعالى من الأزهار والأشجار ما لا يسب في غيره ،
وسفحه بالأمصا ، فمن ههنا القريش و الحُرْم والشبح و السُمق و لرغور
و ريرقون والحروب

(برهة لأسم ، 34-40)

قرية منين

ومن محاسن الشام قرية «مين» ، حصرة بصرة وهي شمالي جبل قاسون ،
وبها «سنيان الخيلاب» شيخ «حنبل» و «الشيخ أبو الرّجان» ، أعاد الله عليهما من
مركانهم ، ويقدر إن الشيخ حنبل لا يقس من ينام عنده ، فإد نام الإنسان حول
الصريح يفتح عنه يحد منه ملقى حرج المرار ، وقد اشتهر ذلك عنه

والى مين تُسب اخور انسي ، وبها التّشح لدي يسه من العدم إلى
القبائل ، ويُحمل نوح سلطد إلى القاهرة مدة لعدم ، ومن تُستعمل بدمشق
الجميع منها يخزّنونه في حوصل معدة له .

ويسب في أشلح، سُرْبَاس ، ويسب في حبال الثلج أيضاً أمير باريس . قال ابن
السطر هو سُرْبَاس وسبب سبته أن شئت وست بهذا الحبل الصبور

وتم إنشاء لاسب إلا في الاراضي الحارة كالقُلَفس ، فإنه بطلع بدرص
نرية العوز من أعماق دمشق ، ولا ييب في غيرها من أرض الشام . ومنه الموز
رَقَصَب السُكْر .

(نزهة الأنام ، 345-356)

غُوطَة دمشق

قلتُ وأما محاسن لشمُ فيها لا تحصى ، وغُوطتها الجمعة للمحسِن
لا تُستقصى وقد جاء في الأحبار عن كعب لأحسا . رضي الله عنه «غُوطَة
دمشق تُسان الله في أرضه»



وعن أبي أمامة ، رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، تلا هذه
لآيه «وَوَيْدَهُمْ إِلَى رِجْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» **سورة النحل** : هل تدرون أين هي ؟
قوا . الله ورسوله أعلم قال : هي في لشم بأرض يقال لها الغُوطَة بمدينة يقال
ها دمشق هي خير مدائن الشام وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما بلفظ : «قل هي دمشق» .

قال الذهبي وأجمع سياح لأرض ولأفصار على أن مشرفات مدينتها
أربعة وهي «صعد سترقا» و«شعب بونا» و«هر الألبه» و«غُوطَة دمشق»
قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته رأيتها كلها ، فكان فصل غُوطَة دمشق على
لثلاث كم فصل الاربعة على غيرها كأنها الحجة وقد رُخِفت وصُورَت على
وجه الأرض

(1) كثر في محاسن الشام وصف تلك مصنفات جريئة من أشهرها كتاب «فصل في لشم»
للرعي المديني ، توفي عام 444 هـ

وما أحمر قلوب الشيخ علاء الدين علي بن المشرف المارداني . وقد أشد به
سقيقه بكر من محمد ، عند قدوم أخيه إلى دمشق الخروسة في سنة إحدى
وعشرين وثمانمائة

من في الحرس بسبب نصير	لا يعرفك بالبلاد العرور
كل فستيه بسبب فيهم	وبها البشر والها واسترور
فت مركب من تحت غلب	وتراءت ولداهم والحور
هذه الجثة أدخلوا سلام	بسد طيب ورب غفور

وقد شبح عنه في لرموي ، حمله في دمشق من أي جهة أبلت
عليه في شجيرة صر ها حصر

وقد شبح محمود من في وأما دمشق فكأنه وجه الحرس ، وقد
د به العدا لأحضر الرطب

وقد لسبح عند وغير حصر من حمله به - سحت بلاد ورايت ما بها
من لأعداء ، فم صر عبيد به قبل وهو هر تحب به قصور وبساتين
وفرى مشسكة بعه ثر مقل ر ثني شتر فرسح في مشها ، وهي في وسط مملكه ما
رء أهر رر ت شعب وان وهي قعه م كوة ميسابور طر لها فرسحاه وقد
لتحفتها الأشجار ، وحاست خلاها الأنهار وهذا الشعب يقول بن أيوح بن
فريدون ، وفيه يقول أبو الطيب المسي من قصيدة تشتم على وضعه

يقول شعب يوان حصاني	أعن هذا يار إلى الطمان ؟
أنوكم دم سنن المعاصي	وعلمكم مفارقة الجنان

ومر ب سهر الألة وهو من أعين البصرة ، صوله أربعة فرسح وعنى
حسبه ساني كأي بسبب واحد قد مد عني حظ لاسوء حله كانه عرس في يوم
، حد ودحسب لي رمنو ، ترهت في عوطنها ، أحدها حسن من الثلاث

(١) ما أبغ هذا الوصف وأطيه فحيا لله دمشق احيية وعطر منها بالدمعة الأردان

وأكثره حيراً ، طوبى ثلاثون مثلاً وعرضها خمسة عشر مثلاً منسبكة القرى ،
والبصياح لا تكاد الشمس تقع على رصها لغزرة أشجارها وكثاف أعصانها

وقال الميدومي في كتابه «طوائف الأعاجيب» : كان يعوطة دمشق أشجار
نخس الواحد منها أربع بركة كالمشمش والحوح ، والتفاح ، والكمثرى . وبها
ما يحمل الثلاث ، وأقلهن اللوان من المأكلة

قلتُ وهذا موجود إلى يومنا هذا ، فإني رأيتُ بها الكرمة ، ولو حدة تطرح
لعيب لأبيض والأسود والأحمر ، ورأيت بو دي السيريين شجرة بون بصرح
لتوت لأبيض والأسود . وهذا من صفة الملاحاة يسمى لتصميم ، وهو أن
يؤخذ قطعة خشب من التفاح ويُنقش ساق شجرة كمثرى تكون بسافين ، ويوضع
بذلك القطعة في إحدى ساقي شقوقه ، وتشدّه بحرقنة ونسقيها وتعاهاه إلى
أن تلحم بها ويخرج الورق الجديد ثم تشر

رجع إلى بقية كلام الميدومي . فكان هو كان عرس الأشجار في بعض
الساتين كالسطور التي تُقرأ انتهى سؤالي

(برهة الأمان ، 356-360)

صناعات دمشق

ومن محاسن لشم ما يُصنع فيها من القماش والسج ، على تعداد نقوشه
وضروبه ورسومه . ومنها عمل القماش الأطلس بكل أحباسه وأنواعه¹
ومنها عمل القماش بهرْمُري على اختلاف أسكله وتين أوصاله . ومنها عمل
بقماش الأبيض لقضي المصوّر لأحياء القصور ، وأموات القصور . ومنها أيضاً
عمل القماش السُّبُوري بجميع ألوانه وحسن لمعه .

(وهذا بضارع ما أتركه بعصوب من تصانف المسوجات الدمشقية الشهيرة ، كالبروكار
والدامسكو والأغني والديما

وفيها تعمل صناعة الذهب المسوب و مصروب و المحرور و المرفوع و الممدود
و مرصوع . وفيها تعمل صناعة القرص من بحس صقله و بقي أرضه . وفيها
تعمل صناعة المرصيه و دب غاب مرصيه . وفيها تعمل صناعة الرُمُوط و لأفح
و تحمل لسائر اللاد و لصبع . وفيها صناعة الحرير بالقتل و التوييت و لتبرير
وفيها تعمل صناعة السلاح ، ك فيها من لأعاجب و الاقراخ . وفيها عمل
صناعة الموشى و المدهون : حتر فيه البواطر و العيون . وفيها تعمل صناعة
السحس من الصرب و الفصيل و النقوش التي تشرح صدر لس . وفيها صناعة
أرج صقال و دهن نواح صغار الكتب ، و حقد لقصع و تمصيل القنقد
و علم ما ذكرناه من هذه الصنائع نمدل عليه أيادي الصنائع من ابواحد بعد
البواحد ، إلى أن يهف على عشرة صنائع حتى تتم .

واعلم أن هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها . ثم تعلمها الناس
منهم و بعضهم من بعض . و قد سبوت من الحكماء و العلماء و من العلماء
للمعلمين و من الأساتدين للإسلامية بصيغ . هكذا نقله اس جماعة في شرحه
على بقول العمدة ، انتهى

(برهة الأمام ، 362-364)

قافات دمشق وخبراتها

و من محاسن شدم ما يحمل منها إلى لدر المصرية عشرة قافات الصررت
بها ، و هذه مسمياتها : قصص رهب ، قُنع ، مرصية ، فرطس ، قوس ، قُنقد ،
قراضيا ، قمر الدين من المشمش ، قرشة ، قُب

و كت في هذ محل كتب ، و داس شخص جلع نعب عليه الخيال ، المدحس
بردد يبي من أهل مصر الحقيقة يقال له «نعانير» ، جاء يبي وقال عتر لي هذا
سدم ردت البله في سدم رجلاً جلاً من أهل الشام ، أعطاني قصعة بها آثار

فُطِرَ فِيهِ بَعْضُ قُصَمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِحَيْطٍ قَبْلَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أُحِلَّ عَلَيْهِ سُرُورًا ،
فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَعَاتِيرُ ، مَنْ مُنَاسَةِ الْحُلِّ الْقَصَمَةِ ، وَهِيَ ذَهَبٌ وَفِصَّةٌ فِي وَعَاءٍ
مَشْدُودٍ مَعْقُودٍ ، تَمَلُّهُ مِنْ بَعْضِ رُؤَسَاءِ الشَّامِيِّينَ . فَسَرُّ بِذَلِكَ وَدِرْقَنِي

فَأُحْدِثُ تُعَجَّبُ مِنْ لَاتَّفَاقٍ وَذَكَرَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ قَدَفَاتٍ لِلْجَلِيَّةِ مِنَ الشَّامِ إِلَى
الضَّهْرِ . وَفِيمَا أَبَ فِي مِثْلِ هَذَا السَّبَبِ ، إِذَا أَبَ بِهِ فِي أَيَّوْمِ إِنْسَانِي حَاضِي وَهُوَ
يُصَحِّحُكَ فَقُلْتُ مَا بَالُكَ وَمَا حَرُّكَ ؟ قَدْ فَارَقْتُكَ فَأُحْدِثُ لِي قِطْعَةً خَبِرَ
وَرُطْبَ وَحَسِبْتَ كَلِمَةً بَرَعِيْفَ فِي عَقْبِهِ فَنَظَّمَ الْقِيَاسَ ، وَإِذَا بِرُئِيسِ شَامِي فِي
حَدِثِهِ عَيْبٌ وَعِلْمَانِ سَرَّ إِلَى ذَلِكَ بِعَقْبَةٍ وَقَالَ لِنُؤْنِي طَلَعَ بِأَلْفِ الْمَقِيسِ
لِسُرُورِهِ ، وَرُؤُسًا الْأَثَرِ ، وَقَدْ لَعَلَّمَنِي لَأَقُولَ بِالْخَيْلِ إِلَى الْأَثَرِ فَهَرَبِي بَعْضُ
الْعَيْدِ وَقَدْ : مَا تَحْرَجُ أَفَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ . رَعَى يُوَاسِمَا . وَسَأَلَنِي عَنْ اسْمِي ،
فَقُلْتُ لَهُ : اسْمِي يَسْمُوْنِي نَعَاتِيرُ ، وَإِنَّمَا اسْمِي أَبُو الْخَيْرِ فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَقَالَ
هَذَا الْمَكَالُ مَا اسْمُهُ ؟ فَأَقُولُ لَهُ كَيْتُ وَكَيْتُ ، وَهَذَا يُعْرَفُ بِكَذَا

إِلَى أَنْ تَوَحَّجَهَا إِلَى دَرَجِ الْأَثَرِ وَأَرَادَ الْكَطْلُوعَ ، وَإِذَا عَمْدِيلُ سَقَطَ مِنْهُ فِي
الْمَوْكَبِ . فَهَدَرَتْ سَاوِيَتُهُ بِلَا ، فَقَالَ لِي : أَعْطِ مِنْهُ لِلنُّؤْنِي دِيَارًا وَخُذْهُ لَكَ مِنْ
فِيهِ . فَخَنَّبَ يَدَهُ ، وَقَالَ لِي مَا تَرْجُو مِنْ مَعْتَقَتِهِ لَهُ مَرْسُومُكَ هَذَا النُّؤْنِي
ابْنِ حَارَبِي ، وَزَجَعَ مَعَهُ فَقَالَ : دَعْ لَنَا وَتَرَكْتَهُ وَأَنْ لَا صَدَقَ مِنَ الْفَرَحِ .
فَقَبِلْتُ لِبَعْضِ عَمَلَانِهِ . أَيْشُ يَقَالُ لِهَذَا بِرُئِيسِ بَيْنَ لَشَمِييِّينَ ؟ قَالَ : هَذَا انْقَاصِي
بِدَارِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَرْئِيَّةِ (١) فَدَعَا لَهُ وَأَصْرَفْتُ أَحَدًا بِالْمَدَنِ حَمْسَةَ دِينَارٍ ذَهَبٍ
وَسَبْعِينَ قِصَّةً ، فَدَفَعْتُ لِلنُّؤْنِي دِيَارًا ، وَجَنَّتْ لِأَنْشُكْرَ مَكَ عَلَى تَعْبِيرِ اسْمِهِ
وَأَحْرَكَ بِتَفْسِيرِهِ فَقَسَتْ لَهُ : هَذَا أَعْجَبُ مِنَ الْأَوَّلِ . انْتَهَى

وَعَالِبُ مَا عُدِدَهُ وَأُورِسَاهُ مِنْ مَخَاسِنِ الشَّامِ انْفَرَدَتْ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَيُحْمَلُ
مِنْهَا عَالِبُ لِمَلَادٍ لِكَثْرَةِ خَيْرِهِ وَمِنْ أَعَاجِيزِهَا أَوْ خَيْرِهِ فِي الْعَالِبِ لِعَبْرِ بَيْتِهَا
حَتَّى أَنَّهُ يَسْمُو الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ ، وَلَوْ فَارَقَهَا لَعَادَ إِلَيْهَا عَلَى طَوْلِ الرَّمَانِ .

(١) نَوَ الْمَرْئِيَّةُ مِنْ سَرِّ لَعَلَمِ الشَّهِيْرَةِ بِدِمَشْقٍ مِنْ اَلْمَالِكِ ، لَا يَدْرِي أَيْنَ طَوَّحَ بِهِمُ الدَّهْرُ

وقال القاضي العاضل .

يقولون في مد رأيت شامهم
فمنهم خير أسلاد وأهنها
فمنهم كل الكرم والمصل
يا حبسهم نعي العريب عن الأهل
(بره الأثام ، 364-367)

فصول السنة بدمشق

ومن محاسن شادان كل برهه ذكرها ، بها واد يتفرح أهل البلد فيه .
ورمال يتعبدون بها ويرجعون إليه ومن محاسن شادان صيغها وهي معه
بحبه لارها وعمو لا ثمر وشويتها مؤسسه موت الأشجار بالاصفر
وتعسيتها بعد التجريد بالامطر

لكن بعد ذلك الشتاء بالأنفاس الأولى. وعتوتهم أسبوت بأحبوت .
 وخم بعدد والمعضلات وإيمدهم المعقه . وإخلاوت التوفقه ويكنون في
 الأماكن المخترات ولا يخرجون منها

ففيها بلدة كثيرة المسكن ومؤها غير آس . وهي مباركة وفيها البركة
وعيشها رعد في السكون والحره . ولكن استقري من كان مولده فيها سم يزل في
قصر يزل في حب الأرض . ويمر إليه لا يوجد في شارع
من أهله على قلب واحد متصافيا

(برهنة الأسطر ، 368-373)

١٨ | بديك أن تسبح دمسو وراث الأكناس ، وهذا حق . راجع ما كتبه الخدح حور شيد
المسكين خمسي في رسالته الطويلة «مقوله كنتم اللثام عن أحول دمشق الشام» ، في
كتيب «ذكر سيرة عمه» ، دمشق 2002 . ما قوله «لا يوجد بها شيء من أهيا على
فب ! أحد متصرفي قبلي رها علة لحسد وانت عصب» ومن بعد أخبار حسد بين
عمه ، دمشق في كتابه «ك» «كواكب لسيرة» ، بلعني مثلاً . بعد في هذا المقور
نصياً غير مسير من الصفحة ، للأسف !

بركات دمشق

ويقال إن من قصده سوء وبواه أكنه الله تعالى فيه وأعره وما قدم عند
 نه من علي بن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهم ، دمشق وحاصر أهلها ، فلما
 رحلها وهدم سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوباً نبيونية ، فأرسل خيف بعض
 الرهبان قطعه وقرأه ووجد عنده مكتوب «رَيْكَ أُمُّ الْخَابِرِ» ، من رَمَاكَ سُوءَ قُصِمَهُ
 الله وثبت من الخمس الأعين ، نقص سُورُكَ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَةٍ فَوُحِدُوا
 خَمْسَ الْأَعْيُنِ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

فهذه بلدة كثيرة البركات عزيزة الخيرات ، نعم بلدة الأبياء وموطن الأصفياء
 والأوسياء وبها صحبة من الأحنفاء ومقابرهم حوت أمثال الفضلاء

(برهة الأمان ، 373-374)

جنانات دمشق وَمَنْ بِهَا مِنَ السَّادَاتِ

ومنها حانة باب الصغير بها بالان اخيشي رضي الله عنه ، وبها السيدة
 سكينة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وبها السيدة ريت⁽²⁾ بنت الإمام
 علي رضي الله عنهم ، وبها معدوية رضي الله عنه ، وبها أويس القرني رضي الله
 عنه ، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قبل خارج الجامع المعروف به
 وبها مقبرة محنة تقروية ، وبها جمعة من الأحنفاء والفضلاء .

ومنها جبانة باب شرقي ، بها أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، وبها حل ابن
 مُعَدِد ، رضي الله عنه ، وبها صرار بن الأروار ، رضي الله عنه ؛ في حارة السادة
 القنماء ، عفا الله تعالى عنهم .

(1) هذا غلط ، والصواب أنها سيدة سكينة بنت أحمد لتبني ولها في باب الصغير قبر
 يحمل كتاب توفيقه وضمه مسجده ، من أحسن وبع الخط العربي

(2) هذا غلط ، والصواب كم يذكر البدرى أنه دفن بقرية راوية (السبت اليوم

وبسبب مقبرة لشبح ارسلار ، عمار الله عيب وعليه المسلمين من به كاته ،
وعنده جماعة من الأماثل والأجلاء الأفاضل .

وحارج باب توم شُرْحِيل كاتب وحي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
والسيدة حوله ربت الأرواح رضي الله عنهما .

وجماعة بيت كهيا ، بها سادة وأعيان وصالحون ، لهم قدر وشار

وبسبب مقابر باب الفراديس ، بها أبو المذبحاح [صُحَّاحِي] رضي الله عنه ،
وبها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهما

ومقبرة سويقة صاروجا⁽¹⁾ ، بها صالحون من أجل المسلمين

ومقابر الصوفية ، بها جماعة من العلماء أئمة الدين وصاحبي المسلمين ،
كاتب بصلاح وابن سمعة وابن المبارك ، وغيرهم

وبليها مقبرة انقبوب وبها الشريفة ، وبها علماء لأمة وأهل الرحمة ،
أحر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة مكب الدين البصري الشافعي ، رحمه
الله

ومنها حنانه الخمرية⁽²⁾ وبها المرحومون من الأولياء والصالحين .

ومنها مقابر محلة السيدة عاتكة ، رضي الله عنها ، ويقال إن في طاهره
صريح المسلك لركب النبي ، صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه

ومنها حنانه محلة القباب ، وبها علماء لعاملون والمجاهدين والصالحون
كسنة الشريف الشيخ المراهدة العالم بقي الدين أبي بكر الخصبي الشافعي ، أمدًا
الله بحدده .

لا يُدرى في مصر وحود مقبرة يسوقه . وحده لكن من أرح المحي في العهد مملوكي
وموضع عثمان بن بكر مقبرة تحفة شريفه ومصره حارة الجندى (الشدة) عريها
(2) موقعتها في أياها من دوار كهرسوم شمالاً باتجاه ريف الخن . وسمعت من بعض العجائز
أن تسمية الرقاق سببها أنه مجاهد للبرية وتنظيف أساس من عبوره . وبأواسط الثمانيات
عند حفر بئر مدخل المدينة الخوي ظهرت بئر بصيق دار الأياد بجهة الشرق

وهذه حمته المقابر لمي في مدينة الخارحة عن مقابر اصالحية والقابوين
وعيردست . وثم صحبة في قري الصواحي ، رضي الله عنهم ، كسعد بن عباد
رضي الله عنه بأرض المبيحة ، وتيمم سدري ، رضي الله عنه ، بقريه تيمم التي
سميت به . وأبو لدرداء رضي الله عنه ، فإنه دخل قلعة دمشق ، واستبى رتب
نكري ست لإمام عني بن أبي طاب . رضي الله عنهما ، وهي أخت أم كلثوم
لكري التي تروجها عمر رضي الله عنه ، وكانت مع أحيمم الحسين لما قُتل وقدمنا
بشم . وهاتن والخس والحسين ومُحسن ندي مات صغيراً أولاد لإمام علي
من فاطمة ، رضي الله عنهما ، ثم تروج بعد موت فاطمة وتسرى ، فجاءه بمون
وبست ، ومن حممة الست ربيب الصعري وأمه كلثوم الصعري . وهكذا ذكر
شيخنا الحافظ برهان الدين الناحي رحمه الله تعالى ورضي عنه

وقال الشيخ نعرف أبو بكر الموصلي ، رحمه الله تعالى ، في كتابه «فتوح
الرحمن» : توفيت استبى رتب الكبرى بنت علي رضي الله عنهما بغوطة دمشق
عقب محبة أحيمم ، وتوفيت في قريه من صواحي دمشق أسمها رادية ، ثم سميت
البلدة بها ، ولأن بقا للبلدة «الست» ولا تعرف إلا بـ «قراست» ، رضي الله
عنه

قال . وكبُرُ رورده في أول أحد من لعدم . ومعني جماعة من أصحابي
بفهمه . ولا ندخل إلى قبرها بل ستمسه وعصرُ أبصارها ، ما قرره علماء في أن
التر لميب بعمله كم لو كر حياً من الاحترام . فبسم أب في الكاء والخشوع
والخضوع . وكأبي بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لا يقدر
الإسنان أن يملأ نظره منها احتراماً فأطرفت فقلت يا بُني رادك الله أدباً ، ألم
نعلم أن حدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه كانوا يزورون أم
أيمم لكونها مرأه محترمة ؟ وبشر لأمة أن حدي محمداً وجميع أصحابه ودرينته
يحتون هذه الأمة ، إلا من خرج عن لطريق فاهم بعصوه . فلحقني زعج من
كلامه عيني . فلما عدت إلى الحسن لم أحدهم ، فواطبت على ريارتها إلى يومنا
هذا انتهى

وبالقرية المذكورة صريح السيد الخسب مدرج [المرري الصحابي] ، أَعَدَّ
الله علينا وعلى المسلمين من بركاته

وهذا الذي وصل إلينا من معرفته من يدمشق من أصحابه رضي الله عنهم
أجمعين وثمّ فيها من لأسياء ولصحابه والأولياء الصالحين غير ما ذكرناه ،
لكن لتوالي المحرّ وسداس علم والمعاهد والدُّس ، وبانقراض المحرّ ، انقطع
الخبر فلا عين ولا أثر .

وأما فصائل أشم فكثيره ، ومجسده حمّة عريضة ، وبركانها مشهورة
وأحد حبراتها مأثورة . وهذا أطلقنا عن القلم في عيضاها وروصاتها وقُطوفها
مدنية مصنّعة في مثيرها ، وهنّ إلى لدور في تسلسل بهرها وسهّل لأحداق
في حدائق هرها

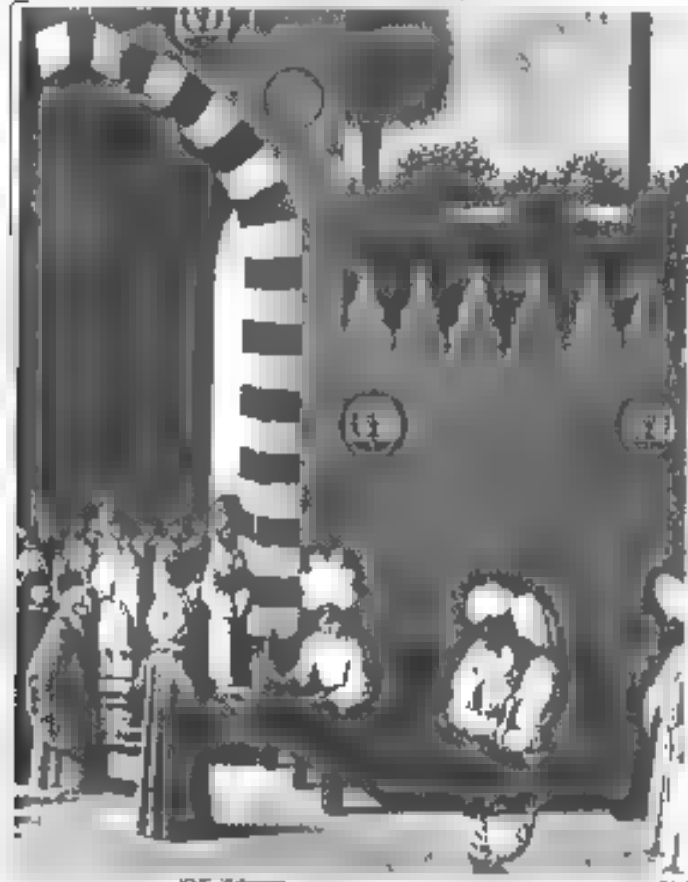
(مرّة الأدم ، 374 : 384)



مسجد السلطان الأشرف قايساي في القاهرة



رسم للسلطان الملك الأشرف قايتباي
عن لوحة قديمة لرسم من مدرسة ليدقية



السلطان قاصوره اعوري يستقبل وفد سفير الهدية
تفصيل من لوحة متحف اللوفر الشهيرة ، سيجتها في جزء لآخر



السلطان العثماني سليم خان الأول
فاتح الشام والمتنصر على السلطان العوري



رسم للسلطان الأشرف قانصوه العوري رسم للسلطان الأشرف قانصوه العوري
بريشة جان ثو Jean Thenaud عام 1501 م عن لوحة قدمة لرسام من مدرسة السندقية



السلطان املوكي قبل الأخير قانصوه الغوري
نقشة خشبية من عمل C Vecellio



قبة مجهولة خلفها راوية الأعجام التي ذكرها البدري
كان موقعها في جبهة السمع إلى الجنوب الشرقي من النكية لسيمانية



لوحة فديحة تمثل دخول العثمانيين دمشق ، تاريخها حوالي 1521-1524 م

محمد بن إياس الحنفي

(توفي 930 هـ / 1524 م)

ألف كتابه سنة 922 هـ

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، أبو الترك ، مؤرخ مصري أصله من
بنو بك جراكسه ولد عام 862 هـ كان أبوه متصلاً بالأمراء وحب الدولة
مملوكيه . وجدّه الأمير إياس الصحري الطاهري ، من بمالك ، الطاهر برقوق ،
وقرّر دواود راثياً في وله ناصر قرّج أيسر برقوق . وكان صاحب الترجمة من
بلايد الإمام حلال الدين السيوطي ، وحي سنة 882 هـ

كتبت ابن يس شهرة كبيرة في عبي اعبيرو هم مؤرخ دوت أحدث وآخر
أياد الدولة مملوكية بمصر ، وأحدث المفتح العثماني لها عام 923 هـ ، 517 م ،
فهو يدك يحتتم سبسه الآثار التاريخيه الخيده اني صف شاهداً على انفس هذا
الفرع من لأدب في تلك العهود ولقد وصل تاريخه هذا إلى عام 928 هـ ، وهو
مدون على شكل حوليات تاريخيه ، وسجل الأحداث اليومية في بعض مواضعه
وإذا كان ابن يس مؤرخ لو جيد لتلك الفترة الهامة بمصر فإ ، دمشق خطبت
مؤرخ كبير مدلل به هو حافظ شمس الدين محمد ابن طوبون نصحي ، الذي
رّج لأحداث أو حر الدولة المملوكية بالإقليم الشامي ، والمفتح العثماني بلشام في
عام 922 هـ ، في كتابه الشهير «مفكهه الخلاق في حوادث الرّم» ، «الدي عطفي
الصرّة لواقعة بين 880-951 هـ .

مشرت منه عام 2002 مسماً كبيراً من الجزء الثاني المصنوع ، بعطي حوادث 926 95 هـ

وأنه مصنف ابن إياس المذكور ، فعنوانه «بدائع الزهور في وقائع الدهور»
 وأول من نشر منه قسماً باستطون كات مستشرق ألماني يواو كاله Paul Kahle ،
 ثم نشره كمالاً محمد مصطفى بالقاهرة ، في ٥ أجزاء ، عام 197٩ صمم شرائح
 جمعية المستشرقين الألمان Deutschen Morgenland'schen Gesellschaft.

هذه ، ولاسيما مونتات أخرى عديدة في تاريخ ، منها «عمود الخيال
 في وقائع الأرم» و«مرح الزهور في وقائع الدهور» ، و«نزهة الأعم في
 عجائب وحكم» وله في الجغرافية كتاب «شوق الأهرار في عجائب الأقطار» .
 ألفه سنة 922 هـ قبل أن يتم مصنفه التاريخي الكبير وقد عقده لذكر عجائب
 مصر وعصاها وسير ملوكها القدماء ، وأحدر نيل والأهرام وعجائب البلاد
 وخططها وأقطارها

وهذه الكتاب - ما يرون محطوطاً ، لكن طُبعت منه أقسام يسيرة في باريس
 سنة ١٨07 ، ثم مع ترجمته ترسيمة بعدة لأندل L. Tangles ، وقد أجدت منه ما
 يتعلق دمشق ، نقلاً عن أسرار الدكتور صلاح الدين المحمد ، من محطوطه
 «مشق الأهرار» في مكتبة شيراز باستطون

المصادر :

- شوق الأهرار ، محطوطه شيراز ، رقم 496 ، ورقة 50 ب - 152 ،
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ، مقدمة المؤلف
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ، 2 ، 490
- مدسة دمشق عند الجغرافيين للمحمد ، ١95 .
- نزهة الأعم ، بإدارة فؤاد فرام البستاني ، 2 ، 3٩2
- تاريخ الأدب العربي بروكس ، الدين الدين ، 40٩

ذكر أخبار البلاد الشاميه ، فمن ذلك أخبار دمشق

علم أن دمشق من أحسن المدن وهو فليم عظيم ، منسج يشتمل على عدة
كُور ، منها : كورة فلسطين ، وكورة عمّوس ، وكورة لدا ، وكورة بيت ، وكورة
بافا ، وكورة قسارنه ، وكورة بالنس ، وكورة بسيطة ، وكورة عسقلان
وكورة عرّة ، وكورة بيت حبريل وفي حاصه حصص التيه ، وكورة الشوبك
وكورة الأربس ، وكورة اسامرية ، وكورة عانة ، وكورة قصرة ، وكورة صور
ومن كورها العوطة ، وكورة القحاح ، وكورة بعسك ، وكورة سار ،
وكورة صيدا ، وكورة الحنة ، وكورة حوالب ، وكورة طرابلس ، وكورة اللقاء
وكورة حبريل لعور ، وكورة طاب ، وكورة عمّان ، وكورة اشراة ، وهي من
كور دمشق أيضا .

ومن عحدث دمشق جامع أمية ، الذي سمى بكن عيسى وجه لأرض مثله ،
وقد بنى هذا الجامع بولس بن عبد الملك بن مزار . فيقول ابن أوييد أنفق عيسى بن
هذا الجامع أربع مائة صندوق ، صحن كل صندوق منها أربعة عشر ألف دينار
وكان فيه ثلث عشر ألف مرقم ، حتى قبل تلغ ثمن كبة عدتهم في مدة العمل في
هذا الجامع ستين ألف دينار .

وهو لعمود بلدر تحت قبة السر ، فيل شتر هم الوليد ألف و خمسمائة
دينار . وفي المحراب عمودان صغيران بفال بهما كب في عرش بلقيس ، روحة
سليم بن دود عديهم لسلام . وعند مدبرته اشرقية حجر بفال إليه قطعة من
الحجر لذي صره موسى عليه لسلام فاسحت منه ثلثا عشر غصا

قل بعض من دخل هذا الجامع ما دخلته قص ، إلا ووقع عيني على ما
لم أكر رأيت قبل ذلك من صناعة رحامه ، ودهان سقوفه واستمر على ذلك
حتى أحرقه تمليك⁽¹⁾ ، عندما استولى على دمشق

(1) وكان ذلك عام 803 هـ 400 م . علما استولى على مدسه ودمر ما تشيبت
راجع ما تقدم علاه في نص ابن خلدون

وول آخر لو أرا أحد أعاش مائة سنة وكان يتأمل ما فيه ، لرأى في كل يوم
 ما هم سرء من حسه قبل ذلك وقيل من عجائب الدنيا أربعة مصر
 الإسكندرية ، وحمص طبرية ، ومدينة رومية ، وجامع نبي أمة
 وفيه يقول ابن نباتة

دمشق في رحلتها مواضع	يصنعو إليها بطر وسامع
ربوئها وقصرها وجامع	فهي ثلاثة من لهن أربع

نشو الارهار ، مخطوطة بشير غايبستانون ،
 رقم 496 ، ورقة 150 ب 152 ، المجلد الاول

ابن طولون الطالعي

(توفي 953 هـ / 1546 م)

أرتح بدحول السلطان العوري دمشق عام 922 هـ

بهذا النص عن تحريده سندس لموكي فأنصود العوري إلى دمشق . في طريقه إلى قنار العمانيين بقياده سندس سيم حان الأول يأتي إلى حنام القسم العربي من كتابها هذا من «دمشق في رحلات القرون الوسطى» ، هذه القرون التي انتهت بسقوط القسطنطينية في عام 1453 م وثلاثاً بعد 63 عاماً حنام عصر دولة سلاطين مماليك ففي عصور هذه السنين بدأت 922 هـ (516 م) انهارت الدولة لموكية بدمشق ، ودخل العثمانيون دمشق دون مقاومة تذكر ، يبقوا في هذه المدينة أربعة قرون كاملة أما مصر فكان فتحها في العام التالي 923 هـ

وعلى ذلك ، يكون عن طريق ذلك الرحلات العربية قد عصب عاماً أحول دمشق الشام ، مما يشمل القرون الوسطى : عهد خلفاء بني عباس ، عهد الدولة فاصمه ، عهد سلاطين لسلالة ، وفؤادهم الألبكة ، ثم عهد نور الدين الشهيد ، وتلوه العهد الأيوبي . وأخيراً عصب سلاطين مماليك برمتهم من بداياته لأولى بنصوص القرون و ابن شداد والصبارم وأوربك ورحلات المسك عدهر بيرس . في خاتمة بجزيرة السلطان العوري . وفي هذا دليل ساطع على مدى أهمية هذا النص من آراء عرصة ، وهذه مصادر التاريخ الخولي المرب على السنين . وبلي ذلك الجزء الثالث في بنصوص الرحاين لأجاب .

ابن طولون الصالحى .

أما مؤرخ ابن خلدون أيضاً فحي ، فله هو الآخر خصوصية عامة مما يرسطو
تاريخه مدته مشو ، إذ أنه كان خدعة الاحيرة عما في مدرسة مؤرخي اشام بعصر
الممالك ، التي ازدهرت و انت أكلها بمصاير تاريخية ثمينة ، ثم انحسرت إبان
حكمه عنصري بسبب كور مشو فعدت مكنتها سنة لغة كتابي من سيطرة
مصححي محرر - ولاه عدة على - صيته خدمه (سماون) ، رولا موقعه كنوته
للمحرر و حقه شرع ، يك ما مكنت بعد أكثر كثر

و قد سمى هذا من محمد بن علي بن احمد ابن طولون الخفي في الصاخية
 حتى لا يمر من بعده في سنة 880 هـ ، في عهد المماليك الرحية اجرائسة ، وكان
 عهد محمود الثاني عتبات من عتباته فاصلاً صوتاً من شراً (ومعنى
 لاسه والى) ، وكانت كات من رادن ، وفيه رركه) تحسن سبب
 من عتبات بعده من عتباته (الطبيعي)

فمن يشاء من جنس منكم أن يقرض أخاه مائة ديناراً فليقرضه
فمن قرضه فلا يذكركم ولا ينهك ولا يفتنه ولا يفسد دينه ولا
يغضب عليه ولا يهين عليه فإني قد قرضتكم ذلك على حلال
غير ممنوع ومن قرض أخاه مائة ديناراً على أن يسير أياهم
منكم فليس بشيء وكذلك قرض منكم الدنيا على الله فليس
بشيء ومن قرض أخاه مائة ديناراً على أن يسير أياهم منكم
فليس بشيء وكذلك قرض منكم الدنيا على الله فليس بشيء

ثم من صورته حلال دس ثمانون شفعه وثلاثون وأتيح له عن طريقه أن يقرأ على القراء والمحدثين والأصوليين : لفظه ، ولثاقه ، وسعويين والمداطقة والمؤرخين والمتنصقين والأطباء والسخمين وعمه ، الفلت وهيبه والصبيحة والموقعين وغيرهم بل وأتيح له أن يتجاوز علماء دمشق ، الدين الحاروه حراب كبره شهده ، يا عمه وإقده ، إني عمه مصر يبال الإحارة منهم عن بعد ، ومنهم المحافظ حلال الدين السيوطي علامة عصره

هذا الاهتمام بالعلم أزعج لابن طولون من وظائف علمية كثيرة في حياته منذ عام 891 هـ وكان يميز في اتحاده عشرة من عمره . فهي تنقلب في هذه الوظائف إلى عُرُصت عليه حظته الجامع لأُمُوي في عام 946 هـ فامسح عنها ثم عُرُص عنه أوب ، لحفصة كدث في سنة 960 هـ فامسح أيضاً برصه . وفي كتابه «مُكَلَّث مشحون» في أحوال محمد بن صوب ، يحدد هذه وظائف سي بدعت بمحمل حياته علمية 33 وظيفة . كان من أحلب وصف اشترس بجامع لأُمُوي كبير ومدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بلصاحبة .

رث من طولون عدد كبير من المؤلفات وتعلقات المجره بلعب 746 عيون . قررته مشو وترجحه وقصده ومجسها طرفاً صحناً من مؤلفه ، عُذ من أهم مصدر تريح دمشق سموماً . وما من يقصد برسه تريحها في شصره فكسه تعتبر المصدر الأول حول بيت المصارع . ومن أشهرها

علام لوي من رمي من الأتراك [مسيك] بدمشق شدم لكري ، بهجه الأمام في قصائن شدم ، السنع ، الأفران من راحة اسبوح ولأفراش الشعر سنام . من لي قصء الشام ، ذخائر العصر في ، احم سلاء العصر ، ذبل تحف دوى لأب فيمن حكمة دمشق من الكنفاء ونبوء وتوب للصعدي ، غاية اساء في ترجمة الشح رسلان . ثلاثه جوهره في تريح لصلحية ، معاكهة خلال في حور برما (هم مؤلفه قصعاً) ، ملخص تنبيه طالب ورشاد الدارس برمة لأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار

وله أيضاً تعليقات كثيرة عن دمشق ، مثل صوب الحوطة علم جمع الحوطة ، شمعة المصية في حمار لندعه بدمشقة البرق سنامي في مدارل الخخ الشمي ، المعزة فيما قيل في امره . قرء العيون في حجاب حبرون ، تحفة الخيب في أخبار الكتيب ، نص حول حرات دمشق من مخطوط «دحائر العصر في تراحم سلاء لعصر» ، نص حور مترهات دمشق وميدان القبو من «دحائر العصر» ، صوء السراح فيما قيل في الشجاج

في كتابه الشهير «معاكفة الحلائق في حوادث الرُفد» فهو أحد أهم وُطُوف
أصول تاريخ دمشق، ما بين عصرين ومرحلتين مسابقتين: نهاية عهد سلاطين
المماليك، ومطلع حكم بني عثمان سلاطينهم، وبما كتب مصر بفجر عُرُجها
كبير ابن ياسين الحصري، ودمشق مُدهي بصوهِ الشامي ابن طولون¹

برسم الكتب حُرُثه لائس صولة حه وطريف ودققة بحياه اسيسيه
والاجماعه والثقافه والاقتصاديه دمشق، ومقدم للفكر مشاهد لحياه اسوميه
لمجتمع دمشقي، بذلك، من حكاهم وعمائهم وأعلامهم وعوامهم، وشئى حوادثه
من كبيره أو صغيره كما ينصن طئقة من لوفائع واعدارات ومعير اشتميه
التي حققت لنا بعضها القرون، بينما اندثر البعض الآخر

نكم مر شدم يوسف بن هذا الكتاب اشهر الذي يعطي مرحبه حدهامه
من تاريخ مدينه حمصه من 880-951 هـ قد صاع منه لخر، ثاني برقمه اوفيه
أخبار سبب ٧١٦-٩٩١ هـ، وهو مجهول عليه في فهم أحوال دمشق واسكانه
عموماً إبان انصوائهما تحت الحكم الجديد، في فو ذلك من تغييرات حديره على
صعده لسياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي، لكنني نشرت منه في العام
2002 نقلاً بحرقه جمعها من 2، محظوظه معاصرة، فسدت وأعد كبر حول تاريخ
دمشق بمطلع الحكم العثماني في أيام السلطان سليمان القانوني

في آخره الألباني يصمم حمار لمدة وحر عصر المماليك فصدرت منه
سره رسمه في مصر سنة ١٩١2-1904، وفيه يورد ابن طولون وكما شاهد عند
صفحة رحول موكب السبط قُصُوه لعوري مشق ودمه بها بين 18-26 خمسين
الأولى سنة 922 هـ، في قبل شهرين من معصه تروح دابق في 25 رجب فحاء
وصفه للموكب لمحم دقيه وأحياناً من استمع معانته بما كتبه معاصره مؤرخ مصر
ابن ياسين في كتابه الشهير «بدائع الزهور في وقائع الدهور»



المصادر :

- لُقْتُ المشحول في أحوال محمد بن طولون ، له .
القلائد الجوهريّة لابن طولون ، مقدمة دهمان ، ص 9-19 .
لشرايب البهية لابن طولون ، مقدمة المسجد ، ص 9-26 .
معاكبة الخلائ لابن طولون - (جزء 1 ، مقدّمه محمد مصطفى ، ص 21-
معاكبة الخلائ لابن طولون (الجزء 2) ، مقدّمتي ، ص 61-69 .
الروض العاطر للأيوبي (مخطوط) . ورقة 235 ط
الكم أكب السائرة بلعري ، 2 : 52 .
دائرة مدرف استاني ، مادة ابن طولون للمسجد ، 3 : 318 .
معجم المؤرخين المشرقين للمنجد ، ص 290-298
Brockelmann, C *Geschichte der Arabische Literatur* Sup. I, S 494



[دخول السلطان قانصوه الغوري إلى دمشق]

[سنة 922 هـ]

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره ربيع الآخر سنة 922 هـ [دخل إلى دمشق أوائل
الحُند من العسكر المصري

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره ثوري بدمشق على لسان المقدم الشريف
سلامان والاطمشان والآطلم ولا عدوان ، وأب لا يظلم أحد من العسكر أحداً

وفي يوم الثلاثاء ثاني جمادى الأولى مها ، بعث الأمير علاء الدين ابن
طالبوا بقيب الحيش إلى شيخنا المحيوي ، يعمي ، أن يكتب له صفة دخول لأشرف
يرتساي إلى دمشق ، ومن حمل الغاشية على رأسه ، وأب برل فكتب ما تيسر
له

وفي يوم الأربعاء ثلثه [دخل إلى دمشق] الأمير بيبرس ابن عم السلطان
بطلب وفي يوم الجمعة خامسه [دخل إلى دمشق] وافي مصر وأحد المقدمين
كرتدي أبو سنة بطلب أيضاً وفيه بعد صلاتها سافر الكلب وبقية الأمراء إلى
ملاقة اسنطار ، بعد أن ولي بيبة لعينة بخاريداره حشقدم .

وفي يوم الإثنين ثمنه ، دخل إلى دمشق ثلاثة مقدمين بثلاثة أعلام :
الأول تبتك الخاريدار ، والثاني قانصوه كرت ، والثالث تيمر الرردكش

وفي يوم الجمعة ثالث عشره برل أمير سلاح [لدى كاد نائب الشام -
أركماس ، عند قبة يلما] ، وقد قرُب مجيء السلطان .

(له بعد كانت تقع عند مدخل دمشق الجنوبي في قرية القسّم حوبي الميدان ، ونسب يبق لها
أثر ، بها نائب دمشق لأمير يدع الجياوي وخار ملوك والأمراء في عهد المماليك
بتوفيق فيها للراحة من عبء السفر عند قدومهم لدمشق ، كما تخرج إليها معهم مواكب
الوداع إلى رعيو معادنه المدينة تقبلها بشرقي دمشق مصطبة السلطان عند القايون ،
التي تفم ذكرها في كتابا هـ بصفي بر أحد والدري

ثم أحضر العلاء بن طلو، نقيب الجيش المصور، زوج ابنة العم، أنهم يوم الأربعاء عشرين شهر هذا اجتمعوا هم واستطار في أرض فلتسوة، فلما قرب ملك الأمراء⁽¹⁾ منه بس هو ومن معه الكلوينات⁽²⁾ والقماش على العادة في المواسم، فحين رآهم السلطان في الطريق برل، وصرب له سحبة وفرش له بساط، ووضع عليه كرسي من فولاد وجلس عليه.

ثم أدب لهم، فحاثوا وفلسوا الأرض، الأول فالأول، ولم يقم لأحد حتى جاء القصاة الأربعة، فقام لهم نصف قومة حلالا مائكي فعطمه ودم له أكثر من روفته. فلما جاء ملك الأمراء قام له وسقم عليه ونسكّر له في الخي، ثم دعا السلطان مرسر ملك الأمراء إلى قرب ساطه، وأمره بالركوب مر على الساط. ثم ركبوا وسارا إلى أن جاء إلى قنور فذهب كل منهم إلى محبته.

وأسار السلطان إلى ولده أمير اخور بأن يمضي مع ملك الأمراء إلى محبته، وفصد بذلك الملك استعطفه حاضرم ملك الأمراء على ولده، بكونه صهره. فعما وصل معه إلى المحيم ألسن ملك الأمراء لولد استطار حذفه، ثم عاد إلى عد ولده وقيل الأص، ثم اصصرف.

وأمر السلطان تهيئة طعام، فما كان إلا مقدار عشرين درجة ومدا سباط عظيم بين يدي السلطان، فدعى ملك الأمراء ومن معه بالأكل، فأكلوا ثم أتى بالتشطب⁽³⁾، ثم أسفاهم مشروباً وإدا بفرسين بكوشين يدار بهما بين يدي السلطان. ثم التقى إلى ملك الأمراء فاعتذر إليه في إعطائهما فقط بأنه على السفر، ثم دعا بحلعة حمراء فألسه إياها. ثم ألس القصاة الأربعة لشميين كل واحد منهم حلعة، وكان معهم أيضاً نائب عزة فألسه حلعة، ثم نوحهوا جميعاً إلى محبماتهم.

(1) أي نائب الشام الأمير ساي، وسب تعظيمه من السلطان عقد على ابنة مؤخره.
(2) بكلوبات جمع كلوناه نوع من القلايس بعتمرها الأمراء كزي سمي casquette في أيام انه بيت جراكسة ويبدو أنها كانت مثلثة الشكل، ملابس الموكية لدير، 5.
(3) من الواضح أن معنى ذلك آنذاك كان غسل الأيدي عقب الطعام.

وفي صُح يوم الجمعة ثاني عشره ، وصل الخبر إلى دمشق بما وقع للنائب
والقصة مع السلطان ، وكان عند معرفة أنه عصف عندهم ، هذقت الشاكري در
السعادة .

وفي صُح يوم الإثنين خامس عشره ، رجع النائب والقصة إلى دمشق ،
ودخلوا في موكب حامل لابس الخلع لسلطانية . ولتائب خلعت حمراء بمقلب
حاصر ، والشهعي بصوف أنصر ، والمالكى بحضر ، وخمي والحلي بأحمر
ورُيئت البلد ، وشرع النائب في تهيئة المدة لسلطان .

وفي مكره يوم الثلاثاء سادس عشره ، دخل إلى دمشق ابن السلطان خرّكس
بطّبه ، ثم الأمير جان بلاط ، الأخ بطّبه ، ثم الأمير آسناي الحاجب بطّبه ، ثم
رأس بونه لُوت سودون الدواداري بطّبه ، ثم أمير سلاح أركنماس الذي كان
ائاً بدمشق بطّبه ، ثم الأمير سودون العجمي بطّبه - وهو أحفلهم - ، ثم أحد
المهزمين أمير آخور ثاني أفندي بطّبه ، ثم الدوادار الثاني علان أحد المقربين بطّبه ،
ورب الجميع بالمصطفة عند انقياد^١ ، ثم ركب النائب وذهب للقاء السلطان ،
ثم رجع من عند السلطان إلى أمته وهما أمر لسماط .

وفي عشية يوم الثلاثاء سادس عشره ، وصل منجيم السلطان إلى قبة يلبأ
حارج دمشق وفي مكره يوم الأربعاء وصل سلطان ونزل بمخيمه بالقبة المذكورة
والنائب بها . ثم جاء جميع الأمراء من المصطفة وعبره وحضروا السمط . ثم
جلس السلطان على النائب وعنى سبعة خرمعه . ثم دخلوا دمشق في أبهة ،
واستمر السلطان بالقبة ، وهرعت أكابر اللد من الأمراء والقضاة والمشايخ
وغيرهم إلى السلام عليه وعلى جماعته .

وفي مكره يوم الخميس ثامن عشره - وهو تاسع عشر حزيران ، وثامن برح
السرطان - دخل السلطان من قبة يلبأ إلى دمشق ، ماراً إلى المصطفة عند القايون
الموقايي حارج دمشق من جهة الشرق ، في موكب عظيم لم يُشاهد مثله

(١) تقدم ذكره أعلاه ، فليراجع

عن عمه ملك لأمرء حاملاً فقه على أس لسطا . وهي منه رأس
 حر ، وصهره حرير أصغر ، وفي علاها هلال من ذهب ، والعاشه قل
 شحبت النعمي - قدمه قصرة مسكها بيده ، وهو مسور به لا يرى ، وأما
 [يسار] السلطان فحال .

وعن من : بن أمير كبير سودور بحمي وعن يمينه أمير سلاح
 كمنس ، ثم أمير مجلس قصدهم ، فعدتهم خمسة وجمعهم اصبحت
 السلطاني في ذهب مزر كش ، ثم من حقه الممايث

وقد سلط حبيبة نوكل على انه أو عبد الله محمد بن المنسل
 منه في مصر يعقوب بن شمس ، عسي ثم عصاة الأربعة المصريين ، كمال
 بطول لشافعي ، عسده بن محمد بن أشحه حفي ، والمجوى بحيم
 بن قري ملكي واشي أحمد بن لحار حلي وبنوهم وعدتهم أربعة
 عشر ، وهم بنو لشافعي الشيخ حمد بن الصافي ، وصالح الدين
 بن قلوب فرث الحبيب الشريف بقعة الحبل بالقاهرة ، وبنو الدين ، والشيخ
 بن دين طهري ماسر وقاف الطرمي ، والشيخ شمس الدين بن وحش ،
 والشيخ شمس دين شونو ، وأربعة لحقني : الشيخ شرف الدين لشمسي
 الحديث ، والشيخ عرس له بن مقري ، والشيخ لبردي والشيخ ربه بن
 الشريف شي ، والشيخ لملكلي الشيخ معين بن يعقوب ، والشيخ شمس
 دين ديني ، وأربعة لحلي : الشيخ شهاب الدين الهنمي ، والشيخ شمس
 دين لطرابسي اشبي ، والشيخ شهاب لدرن اهدسي ، وعاصي عر استر
 سطر عر حسبي كذا ملاي عديهم أحو في الله المؤرخ حار الله بن فهد

ثم فدهم عصاة الأربعة لشميين (١٠٤) البوي بن الفرور ، والمجوى
 بن يوسف وخير الدين لملكلي ، وشرف لدرن بن مفلح ، ويعص بنوهم .

جبر كنهه ورسيه تعي عنة ي لمة التي سذكر داء في ذكر راحة الأشرف برساني
 إلى دمشق راجع ما تقدم علاه في نصوص المقريري وابن اللبودي

ثم أمير آخور^(١) كبير الناصري محمد بن استطان وقدامه رس نوبه كبير
سودود اسدوداري ، وحاجب الحجاب آستاي ، ودوادار شاي علال ، وأمير
آخور شاي اقاى ، وتاي بك اچارندار ، وقمر زرركاش ، وقانصوه كُرت ،
وقانصوه بن سلطان خركس ، ويعرف بالقوقه وينهرس ابن عم استطان ،
وحان بلاط لموتر ، المعروف تاي ترسين ، وحاني بك الأبع

وفي بعض المواضع تقدم لامير الكبير سودود العجمي إلى قدام القصة ،
وعن محبة أمير آخور كبير الناصري محمد بن سلطان ، وعن يساره أمير سلاح
أركماس ، وقدامهم رأس نوبه كبير سودود الدوداري والمعطوفون عليه ،
وعدتهم أربعة عشر ، كدا أملاي إياهم أحد المعريين عند سلطان السمرقندي ،
وذكر في ان عدتهم ستة عشر ، وأنه تقدم كُرتاي وأبك ثمتهم ، وبآخر من
المقدمين بالقاهرة وأعمالها ثمانية

ثم أمراء الشام ، ثم كاتب الأسير الشريفة المقر المحي محمود بن
الحمي ، وقدامه بطر محشر الفصروي وناطو الخالص اس لإمام ، ومناشر
ديود خيش اس لشيرحي ، ومائت كانت السر أحمد بن الخيعار وبقيّة
الناشرين ، وقدامهم الناحي بن الديور ، أمير هركهان بالشام وديود بقعة
المصوره بها وبقيّة الناشرين شاميين ، وقدامهم حرائر اسل وعدتهم ستة

وقدامهم حلفاء الصوفة وسدتهم سبعة ، وهم السيد يحيى بن عدي
أرقاني ، والسيد محمد بن سام لأحمدي ، والسيد محمد بن رس العابد بن
مدرري ، والسيد محمد لأدهمي ، والسيد محمد السطامي ، والسيد محمد
الدسوقي ، وحليمة الست نفيسة^(٢) .

١ . لا يرى المجال يتسع لتفسير هذه المصطلحات واسمها لوظائف في عهد المماليك ، ونحل
اماري في عهد القضاة داني ما وضع حوب ذلك في عهد المماليك «التعريف بأصطلاح
الشريع» لابن فضل الله العمرى ، و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للمفتي شادي
ولاحقاً كتاب من كتاب الصاخي «حدايق ليسمي في ذكر قوايين الخلفاء والسلاطين»
(٢) يعني منوئي مقام السيدة نفيسة بنت الإمام علي (كرم الله وجهه) بالمهرة

وقد أمهم أولاد محمد بن بركات صاحب مكة المشرفة ، وهما : سيد
 راجح ، وأسيد فاسه ، ولد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن ربيعة بن
 أبي سعد محمد بن أبي عريز قتادة حسبي ، وأما أحبهما السيد هراغ ، وهما
 السيد محرم ورير ، وابن أبيهما أيضاً سيد سرف سيد ربيع ، وابن قريشهم
 الشريف أبو سعد بن ربيعة بن بركات ، وجماعتهم .

وقد أمهم محفشار على بعن ، إحداهما سسلطان ، والاشدة لاسه
 وقد أمهم من الخيل المحبوبة مائة ، فمها خمسون بحلال صفر من أصلس ومنها
 ثلاثون بلوس مدهة ، ومنها عشرة نكديش ذهب مرصعة باللائق وغيره
 ومنها عشرة من حواصل الخيل غير مئسة ، وقد أمهم مائة من حبيس أكور مرركشه
 منها خمسون على أحمر ، وذهب معروف⁽²⁾ ، مكنوب على عدنها اسم السلطان ،
 وعلى بعضها طومن باي⁽³⁾ ، وعلى بعضها قابساي

وقد أمهم كرسي ألبه محمّل على بعن ، وهو مرصع بالذرو وخواهر
 و للبحش⁽⁴⁾ ، و غير ذلك ، وقد أمه ثلاثم⁽⁵⁾ بحال لشربدارية راک في وسطها ثلاثة
 أولاد صغار عمارين في الإستان⁽⁶⁾ سمع أطرب منهم ، وهم سائرون .

وقد أمهم أربعة نفس راکس ، وحلف كل واحد منهم عهد ، وقد أمهم
 أحمال الصونة ، وقدامهم الدردية ، وقدامهم لطل والرمز ، وقدامهم
 السق⁽⁵⁾ ، إلى غير ذلك مما يطول تعدادده ، وكان يوماً مشهوداً .

(1) النكديش جمع كنوشر كساء لعماش سدي بوضع على الفرس ما دون السرح

(2) أي ساذج ، بلوس واحد غير مشوب

(3) طومن باي آخر منوك اماليك ، جز كسه تامل بعد فأنضوه قتله السلطان سليم العثماني
 بمصر 923 هـ . ولأشرف قساوي قوى سلاصو لجز كسه ، حكم بين 872 - 90 هـ

(4) الببحش العقيق نسبة إلى بلبحش (بالحسب ما المرسته) ناحية بأفغانستان يكثر بها

(5) أصبح من ص - من لابن طوبون في مذكرة الخلال أن السقيات نوع من الأسلحة الدرية
 كمنوع المكاخيل خفيصة ، فهو يذكر (11 201) «و علمهم الرمي بالسقيات
 والنكيب والسقيات بالدرد» وكذا يذكر (2 4) «ورمو عليه باللكاخيل
 والسقيات والكفيات والسقيات»

ولما مر السلطان على باب النصر الذي في رأس القيسية⁽¹⁾، شر عليه صدقة يهودي، معلّم دار بصّرب بدمشق، درهم وأشرفه اصصعها لدلت حفيمة، ويقبّ بها لها درهم فافتلت الذس على يهها، فأمره السلطان بانكف عن ذلك.

ولما جاء إلى محنة ميدان الخصى⁽²⁾، لافته الإفرح المستأمن هناك، ومعهم قُصصهم، وشرشوا له قصصاً من الجُوح، وشرّوا عليه دراهم وقارصة - ويُقال إنها مائت ديسر - فافتل الذس أيضاً على يهها، فأمرهم السلطان بانكف عن دلت ونقطع جماعته الخوج وتدمروا. ولما جاء إلى حيرة السُمرة⁽³⁾ شرّوا عليه خمسائة درهم.

ولما مر بالمصطبة فده له لائب صياقة عطيمة، فأكنها وحلم عليه حلعه عطيمة، مرركشة على أخصر بأكمام مُدهنة يَلْعُوبِيَّة، فعاد بها إلى منزله دار لِسَعَادَة، ومعه غالب الأمراء في موكب عظيم. وكمل له بهذه الخلعة عدة ستة وثلاثون خدعة، من أول كمالاته إلى الآن.

ثم بلعي أب العاشة - أول بكون السلطان - كان حاملها سُودون العجمي الأمير لكبير إلى أول عمائر دمشق، نقل لهم إنما لعدة يحملها نائب الشام، كما فعل مع بَرُشاي الأشرف، حملها عليه جارقُطَي نائب الشام، في يوم الإثنين خامس عشر شعبان سنة ست وثلاثين وثمانمائة، من الفة إلى المصطبة⁽⁴⁾. فلما سمعو ذلك، حملها نائب الشام مسري حينئذ ثم خضع السلطان على الأمراء السعة كما فعل، لأمر مع السعة الآخر، والحملة أربعة عشر أمراً

(1) القيسية هي لأصل القديس يحيى بن عيسى بن حبيب جامع كريم الدين (الدقاق) لما قوه «باب النصر» فهي تسميه غير ما يراه، ويعلمه ما يُعرف ببوابة الله على درب الخج (2) ميدان الخصى هو حي ميدان التحتاني حول باب المصلّى وقد يُطلق على الميدان كنه (3) بصف ابن كنان في حداث السمين «وكانت فابت جامع المروم ويرج لبرس» وقد كرهه أن كان للسامريين حي بطرف جوبر وقرب جسر ثورا على طريق دوما (4) ذكرنا تفاصيل ذلك أعلاه في نصين لابن اللبودي وابن نعري يردى.

وفي يوم الجمعة سابع عشره حطبت بالحامع لأُموي قاضي قصبة اشاعية
لمصري ، وصلى حقه رفاقته الثلاثة ، ثم صلى بالناس الجمعة ، وكثر حله
مؤثرو السلطان ولما فرغوا من انتسح عُقب صلاة أشد نصيان مدس كانوا
مع السلطان وجمع ناس عليهم حتى كادوا يقتتلون .

ثم حطوا فدعا بعصاه الاربعه بمصره احد المحب حذر الله بن فهد مكّي
مضراً عليهم المسلس بالاولوية ، ثم ثلاثيات الصحيح ، وحضر ذلك القصة
الاربعة [ربوب عصاة شماس ، وحلائق وحلس لقاضي اشاعي المصري
في محراب ، بمقصود ، وعن يمينه اخسي مصري ، ونحوه اخسي اشامي ، وعن
يساره ، ، نحوه اخسي المصري ، ثم لشافعي اشامي ، ثم بكّي ثم
اخسي الشامي

وسب هذا المجلس فحكّمه لأخي المحب المذكور ، من إملاء الحديث
لمسلس [بالأمانة] من حافة العصر شهر الدين أبو الفضل بن حجر ، قاضي
قصبة بدير المصريه ، نحوه محراب الخفية بالحامع المذكور ، ثم بول الملك
لأسرف [برندي] ، وكان مع رفاقته الثلاثة ، قاضي الخفية بها الدر العيسى ،
وقاضي المالكية لشمس لسطي ، وقاضي الخبلة الزين بن مصر الله ، فذكر لهم
ذلك فأرادوا مضاهاة ذلك .

وفي ليلة السبت عشره ، دخل من مصر إلى دمشق المعزول من حجة مصر
لظلمه بعد خروج أسطدر منها - لأمير ماهدي الصغير حين دوا در اسطدر
مصر أرسل عرف السلطان بظلمه ، فأرسل عركه وأمره أن يتجهز حلفه ، وأن
يولي أدو دار في الحجة من ارد فامثل ذلك ونحو اسطدر لنتش

- (1) فراع بالأصل المخطوط ، والسبحة فريدة بحظ مؤلفها
(2) ويرد تفصيل ذلك في نصي ابن اللؤدي وابن تغري بردي حول رحله السلطان الأشرف
برساي الى دمشق سنة 836 هـ

وفي يوم استُمدت المذكور دهن^١ في حمة إلى محييم السبط ، بالصفة عبد
القانون الهوقاني ، فاحتضنت بالخليفة وقرأت عليه المسلسل بالأولية ، ثم سمعته
عليه ، ثم قرأت عليه ثلاث^٢ات الحارثي^٣ ثم توجهت من عنده إلى القاضي
اشدعي ، فقرأتها عليه أيضاً ، بعد أن سمعت منه المسلسل بالأولية ، ثم
توجهت إلى عبد القاضي الحلي فقرأت عليه المسلسل بالخصية^٤ وسمعته عليه
ثم توجهت إلى عبد القاضي المكي ، فقرأت عليه جزء اثنتين حديثاً المتفق من
صحيح مسلم^٥ ثم توجهت إلى عبد القاضي الحلي ، فقرأت عليه المائة حديث
المتفق من ثلاث^٦ات مستند أس^٧ والمسلسل بالمصريين .

وكان ضحني أخوا المحب حار الله من عهد^٨ ومعه شمس محمد ابن
الأكرم ، وقصدت بهذه قراءة تحرير ما عندهم من أحسن الرويات ، فإن
بالأسر لما قرأ على الفصة لأربعة اصبرين بمقصورة الجامع الأموي أخوا جابر الله
المذكور ، المسلسل بالأولية ثم ثلاث^٩ات الصحيح ، ربح سوق أسايدهم بها .

* * *

وفي يوم الأحد حادي عشره ، أرسل نائب مقدمة لسلطان ، عدة أربعة
عشر صدق^{١٠} ، على رأس كل رجل صدر معطى بلون من الألوان ، في أربعة
صدورة حمسون ألف درهم فضة ، وفي بقية الصدورة قماش مفتخر ، وحنف
هذه الصدورة عدة عشرة من مملوكه الخاص الكتبة الحسان ، وخلصهم عدة
عشرة من الخيول الخاص ، وأمير اخور الكبير تيم ، وخازن داره خشتقدم ، ولقدّم
ناصر الدين ابن الخش

وفي هذا اليوم قدّم المقدم ناصر الدين المذكور للسلطان مقدمة أخرى كثيرة
من المال - قيل ألف دينار - ومن الخيل ومن لعم ومن الخمر ومن القير ومن
الأور ومن الدجاج ومن الزيت ومن العسل ومن الأرز ومن الدبس ومن السمن .
وغير ذلك .

١، كما من عادة عماء لشدة الإجماع في الثغرت من الحكام ولوقوف على أحوالهم

وفيه أمر سَلَط. بالمصطبة بإشهار الداء بالأمان والاطمئنان وأن لا تَدَى
ولا عُدوان ، وأن لا يحمل أحد من العوام سلاحاً

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره ، دَهستُ في جماعه إني مُحَيِّم لِسَلَط
بالمصطبة فاجتمعوا كثر الشُّرَّاء أحد ، وقرأتُ عليه المُسَدَّس بالأولوية
وَسَدَّس بالُدُّعاء في المَدَّرم المَحْرَحِين ، في كتبه «حَقِيق الرُّوح لعلو المَعْرِ المحي
أبى أحد» ، حَرِيح أَحَب في الله المَحْدَث حَرَّاسه من فهد المَكِّي بحصوره ثم
جَنَمَت بُقْمه المَدَّشَرِين اصْطَرِيِين ، قرأتُ أمْلَهُم باطر لخواصر شريعة اس
الإمام ، بسب حَتَّ بفقراء وحموه عني طَلَّة العلم .

وفي يوم الأربعاء ربيع عشره ، رحل السَلَط من المصطبة ، وهدتُ لربة
من اسد وبوخته معه في اترسم المحي باطر الجبش بدمشق واطر القلعة بها
ومع دعت ، بعد أن كان وقع بينه وبين أمير سلاح أركنماس مُرافعة عظيمة
بسب دين به عليه واراد أمير سلاح أن يشتريه من السَلَطان بحمسين ألف
دينار ، فسرده للسَلَطان بعاليها^(١)

وكانت توحه معه في ترسيم مُبَشِّر بقلعه بدمشقية الصَّفدي ، ويوسف
لسامري ديوها ، وانتميمي شاهدهد ، سعموا احسبها ، وكذلك ذهب معه في
ترسيم أيضاً المحي بن الخيصري باطر الجوالي ، بسب مال مأخَر عليه منها .

وسم نُفَرَّح سَلَطان في مدة فاسته هذه بالمصطبة عن أحد كربة ، وكلف
رُفَعَت إليه قصه يوحها حتى يرجع وقد ذهب مع جماعة مدرسة الشَّح أسي
عمر بصلحته مشو مشكو به حالهم في قمع دارية ، ولذل المرتب لهم في القلعة
بسب بظف في شهر رمضان ، علمت وصلوا إني قُربه جلس الأَصْرَاء بقرأون
قرأنا له فمر بمسكه فصر يوههم بالعصي ، وقنوا بهم «عند ميت حتى
يحيوا بقرؤون عليه ؟» ، فرجعنا حائنين منه .

(١) ترسيم من مصطلحات العهد المملوكي ، ويعني الاسر ، والقصص غير الشخص

(2) كذا في المطبوع ، ولعلها - فالمراد السَلَطان بعاليها .

وفي هذا المجلس جاء إليه فُصل الإبراهيم وجماعته بهدايا ، فقدمهم
وأكرمهم !

وكان السلطان في هذه الأيام الذي كان فيها بالمصطبة⁽¹⁾ قد رسمَ بيته قُتُنين
به ، فحضر معلمُ العمارية بمصر ومعلمهم بدمشق وبقيةُ العلّامين ، ورسموا
مكاتبهما ثم شرعوا في ذلك



ثم ركب سلطان في أواخر هذا النهار ، وسب مريد أن جمع على النائب
حلقةً أخرى بهذه المصطبة ، فكمّلت خلعه سبعا وثلاثين .

وفي يوم الخميس خامس عشرية ، جمع النائب على أمير آخوره ثم بيابة
الغنية ، وأمر بشهر النداء بأنه لا تُلم ولا عُداوان ثم خضع على خارنداره
حُشَقُتُم

وفي يوم الجمعة سادس عشرية . جاء أخير بأر نائب حلب حير بخت وناث
حماء جازي العرالي ، ومعهما قصاة النلتين ، لاقوا السلطان في لقطيعة

(معانكه أخلاق ، 1 / قسم 2 ، 9-20)



(1) مصطبة لسلطان كانت في سهل القابون بينه وبين برزة ، وكان الملوك والسود والفاذة في
المهد يملكون برلوت بها إذا قدموا من جهة أحد ، ثم تخرج جيوش دمشق للاقائهم
بها ، ويدخلون دمشق محوكة حائل وصمى بأواخر القرب التاسع الهجري أمير لبقاء
اندري (مقدم أعلاه) «وهي مصطبة في قدر فدان ، يصعد إليها لي يفت وعشرين درجة
من جهاتها الأربع ، وفيها قصر حسن البناء برلوت به الملوك والسلاطين عند توجههم إلى
الأسدر» وذكرني أستاذي المرحوم الشيخ محمد بهمان أنه «در فها قديماً ، وكانت
بأ تفاع نحو متر ، ثم مهدها العلاجون فأصبحت أرضاً رر عية

[دخول السلطان قانصوه الغوري الى دمشق]

[رواية محمد ابن إياس الحنبلي]

وفي هذا الشهر [جمادى الآخرة سنة 922 هـ] وردت الأخبار بان السلطان
 حل الى دمشق المحروسة يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى فلاقاه سيدي
 نائب السند ، ولقيه سيدي نائب الشام من ميه وبركه طريقه على ما قبل من
 لأحد ودخل في موكب حافل وعسكر بالنشاش والقماش ، وقد معه الخصلة
 والعصاة الأربعة ، وسائر الأمور من المنعمين والأمراء نصحاء ونعتبرات ،
 وأرباب الوظائف من المشايخ ، ولحم العفير من العسكر

ولقيه أمراء الشام وعساكرها وحمل على رأسه منك لأمراء سيدي
 نائب الشام معه وإخلائه ، كما حرت بذلك عوذا من قديم الزمان فرسنت له
 مديته مشورته حافيه وأقرب له إسناثر بقلعه دمشق ، وشر على رأسه بعض تحار
 المريح الذي هناك ذهبا وقصبة ، وفرش له سيدي نائب الشام تحت حافر فرسه
 الشقق الخضر ، فتراجمت عليه التماثيل ، فكاد السلطان أن يسقط من على ظهر
 فرسه من شدة دحرجته على عنقه ، فصعقهم من بار بذهب والعصاة ومن فرش
 اشتقى تحت حافر فرسه *مرحمة توتير يوم اسدي*

وأحل الى دمشق ، شر على رأسه القنصل وتحار المريح بماير ذهب ،
 وشر المعتم صدقة يهودي معلّم دة الصرب - ثام قصه جديدة ، وفرسنت له
 شقق من مدرسة نائب بها ^(١) ، ورست له أمدية سبعة أيام فكاد له
 بدمشق يوم مشهود ، وعند ذلك من الموكب المشهودة فاستمر في هذا الموكب
 حافل حتى رحل من - ب - أنصر الذي بدمشق ، وخرج الى القصة مهاب وبوخته
 إلى المصطبة التي يقابها مصطبة السلطان ، وهي بالعباد وهو قاضي ، فرل هناك
 ورسم بعض حجاب دمشق عمارتها ، وكذب قد تشعثت من فدم لسنين

(١) قدم ذكر مكية سيدي استنطاب ، ومرب عنه بدمشق الى اليوم (ان سيدي)
 (٢) بنسائه معروفة بدمشق حرج باب حاسه وهي مدرسة عظيمة راب واجهة مملوكة
 حميد بن سيدي عام (١٢٩٤ هـ) ، وهي آخر بناء سمي بموكبي بدمشق

وهذا المركب لم يتحقق لسلطان من بعد الأشرف بن مستنير أن توجه له إمداد
 سه ست وثلاثين وثمانمائة¹ ، سوى بملك لأشرف قنصود العُوري ثم إن
 السلطان أقام بمصطبة التي بالقابون نحو تسعة أيام وقبل إن قاضي نقضه
 أشرفي كما أن مدّين الطويل خطب بحامع بني أمية جُمعين ، ولم يحضر
 سلطان هناك صلاة جمعه وقيل استمرت مدينة دمشق مريّة سبعة أيام

ثم إن السلطان رحل من هناك وبوجهه إلى حمص ثم رحل عنها وتوجه
 إلى حمص فلاقه نائبها حر بردي لعرابي² ، وقيل به مدّله هناك مدّة حافلة
 أعظم من مدّة نائب أشرف على ما أشيع وقيل إن السلطان لما رحل عن حمص
 ترك بها قسماً بك من أحمد بن عثمان ، أنه يهدم ذكره عدم حرج من مصر
 وسافر صُحبة الأمير ماماي المحنسب ، كما تقدّم

(بلائع الزهور ، 5 ، 53-54)



(1) أوربا وحصه أعلاه (ص 65) ، هذا عن ابن الكلبي ، بن نعري بردي
 (2) هذا لعرابي سبي الشام لصيحه العثمانيين عنه فجهم عليهم ، بين 924-927 هـ ثم
 يثور عليهم في أواخر عام 926 هـ ويقتل في 26 صفر 927 هـ انظر حول دوره كديي ،
 حوادث دمشق عدة لعمرو العثماني بلسم ، صفحات مفقودة من كتاب «معاكبه خلال
 في حوادث الزمان» ، لابن طولون الصّاحبي ، دمشق 2001 .



مسرد مراجع البحث

المراجع العربية

- ابن بطوطة ورحلاته - تحقيق ودراسة وتحليل : حسين مؤنس ، دار المعارف
مصر 1980
- ابن بطوطة ورحلته : شاكر حصاد ، مطبعة الآداب ، لجنف 1971 .
- تذكرة البلاد وأخبار العباد لتركيب بن محمد الفرويبي ، شرة فرديسانة قسطنطنية ،
غونشون 1848-1849 . وطبعة دار صادر بيروت 1960 .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشري المقدسي ، شرة دي حوتيه ،
لايدن 1906 .
- أحمد بن فضلان ، أول رحلة بحرية لبرود حبوب روسيا وأوروبا الشمالية
أحمد إيش ، بحث قدم للجمعية الجغرافية السورية ، دمشق 998
- أحمد الصبي والهند : للتاجر سليمان وأبي زيد السيري ، تحقيق إبراهيم حوري ،
سلسلة أبحاث ودراسات عن شبه القارة الهندية - 4 ، دار الموسم ، بيروت 1991
- أخبار رحلات العرب والعرب إلى الهند والصين للتاجر سليمان وأبي زيد
حسن السيري ، تحقيق المستشرق رينو ، المطبعة الملكية ، باريس 1845
- أخبار الصين والهند - لك جرسليمان وأبي زيد السيري ، تحقيق إبراهيم حوري
سلسلة أبحاث ودراسات عن شبه القارة الهندية - 4 ، دار الموسم ، بيروت 991 .
- أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور ثقافي) : د حسين محمد فهمي ،
سلسلة عام المعرفة (138) ، الكويت 1989
- أدب الرحلات بعد العرب - حسني محمود حسين ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، القاهرة 1976
- أدب الرحلات بعد العرب في المشرق ، شاته وطرره حتى نهاية القرن الثامن
الهجري : علي محسن مال الله ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1978

أدب الرحلات ويطوره في الأدب العربي (دراسة ومختارات) : أحمد أبو سعد ،
مشورات دار اشرق الحديد ، بيروت 961.

أدب الرحلة - تاريخه وعلامه جورج غريب ، دار لثقافة ، بيروت 1966
الإدريسي في الجغرافيا العربية ، د أحمد سوسة ، مشورات نقابة المهندسين ،
بغداد

أ. حوره في محاسن دمشق (نوى لتبقى في محاسن حلوى) لابن خلدون ،
شركة صلاح الدين اسعد ، مجلة مجمع لعملي العربي دمشق ، سنال 1992
أرض لصاحبة (لأرف) ، دراسة في جغرافيا الإقليمية عبد الهادي سعد ،
سنة جامعة عبر مشورة منسقة قسم الجغرافيا جامعة دمشق 1954 955.
إرسال الأريب إلى معرفة الأرب (معجم لأدباء) له قوت الرومي الحموي ،
طبعة مستشرق مرغوليوث لاند 907 ، 1926 وصلة اندكو احمد فريد رافي
دار المأمون عصر 1936-938

الإسلام و فكر جغرافي عربي صلاح الدين الشامي ، لاسكسريه 1979
الإشارات إلى معرفة العرب ت. لعللي بن أبي بكر نهروي تحقيق جابر
سورديل طومين ، المعهد الفرنسي بدمشق 1958 .
الأشرف وصوره العوراني محمود درقي سليم القاهرة 1963
الاعراب لاسامة بن مقف الكندي ، تحقيق فليپ حتي مطبعة جامعة
بريستون 1930

الأعلاق الخطيرة في دفر أمراء الشام والخريرة لعبد الدين ابن شداد ، قسم
شامي مدرسة دمشق ، تحقيق سامي لهان المعهد الفرنسي بدمشق 956 . وانقسم
الثالث ، تحقيق يحيى عباره ، مطبوعات وزارة الثقافة ، دمشق 1978
لأعلاق النفيسة لابن رسته ، شرة ديه حويه ، لايدن 1891-1892
لأسلام خير الدين الركني ، الطبعة الثانية ، مطبعة كوسانسومس بالههره
1954-1959 والطبعة الثالثة ، بيروت 1969 .

علام النارج و جعفر عبد العرب صلاح الدين المعج الطبعة الثانية
دار لكتاب الحديد ، بيروت 1978 1979

علام الجعفر في العرب ومقطعات من آثارهم د عبد الرحمن حميدة ،
دمشق 969 . والطبعة الثالثة ، دار الفكر بدمشق 1984

إعلام الزري عن ولي رئاس الانراك بدمشق لشام الكرى . لاس طولون
 مصالحي ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، وزارة الثقافة ، دمشق 1964 .

إعلام الزري عن ولي رئاس الانراك بدمشق لشام الكرى . لاس طولون
 اصالحي ، تحقيق عبد لعصيم حامد حطاب - جامعة عين شمس ، مصر 1973 .

إغاثة الامة بكشف لعممة لتقي الدين المبريزي تحقيق محمد مصطفى زيادة
 وجمال الدين الشيال ، القاهرة 1940

الإفدة والاعصار في الأمور المشاهدة وحوادث المعايه بأرض مصر بعد
 انطيف العدهدي ، شرة دي ساسي ، باريس 1800

أكام المرجور في كر البلد مشهوره في كل مكان لإسحق بن حسي بنحّم
 شرة أنجيلا كوداسي ، روما 929

الأطراف الخفية في السيرة الشريفة السلطنة الملكة الأشرفية بعد الله بن عبد
 الطاهر ، لايسيلك 1902

أمرء دمشق في الإسلام - صلاح الدين نصفي (بتصميم كتاباً وأرجوة به) ،
 تحقيق صلاح الدين المحدث ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1945

بناء عصر بناء العصر ، لاس حجر لاسقلاكي ، تحقيق حسن حشي ، القاهرة
 969-972 .

بناء العصر بأبناء العصر لاس بنو هري السعدي ، تحقيق حسن حشي ،
 القاهرة 970 .

الاصول لواسطه عقد لأمصا لاس رقص طعة كرل فورر ، بولاق 893 .

أسر المنهج وروص انصرح بشرية لإدرسي ، محبولة مكتة حكيم أوعدو
 علي پشا باستانول ، رقم : 688

بائع الزهور في وقائع الدهور ، لاس يس الحفي ، تحقيق محمد مصطفى وياو .
 كلة ، مشور بجمعية المستشرقين الألمانية في إسبول ، لايسيلك 1931-1936 / دار
 اعارف مصر 1941 / المعهد الألماني للأثار بالقاهرة ، قيردر 1960-975 والطبعة
 2ة مركز تحقيق برث باهية المصرية العامة للكتاب القاهرة 982 1984

سده ولسهيه في التاريخ لاس كثير المشقي ، القاهرة 1332 1339

سدر الزاهر في عصره الملك الناصر (محمد ابن قباي) لاس شحنة ، تحقيق
 عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، طرابلس 1984

- مرج ابن ورد واللائل للشيخ عبد العلي بسليسي ، تحقيق أحمد الحادي ،
دار المعرفة ، دمشق 1988
- البرق أتألو في محاسن حلّة لابن حمد وبودي الشهير بابن الراعي ، مخطوطه
مكتبة فيينا ، رقم : 196 .
- بسطة الأرض في الطول والعرض (جغرافية في الأقليم السبعة) لابن سعيد
المعري ، شرة حواء خيسس ، معهد مولاي الحسن ، تطوان 1958
- لبدان ايمانية عبد نقوب الحموي جمعها وحققها اسماعيل ابن علي الأكوخ
مؤسسة الرسالة ، بيروت 1988
- بيت المقدس في كتب الرحالة عند العرب والمسلمين - د . كامل جميل العسلي
عمان عام 1992
- تاج العروس من من خواهر نفوس للمرحوم ابراهيم طبعه مصر 306 -
1307 هـ
- تاريخ مصر في تحلة عمماء الشرق (رحلة لسوي) خالد بن عيسى البلوي ،
تحقيق الحسن مسيح معرب (الأدب : تاريخ)
- تاريخ ابن الخوري (حيدر بن ارماد) حياته ووفاته الأکبر والأغيا من أبنائه .
لابن الخوري تحقيق عمر عبد السلام بدمري المكتبة العصرية ، صيدا 1998
- تاريخ ابن الحمصي (حواشي رمان زقونية ، الشيوخ والأقرب) شهاب الدين
أحمد بن الحمصي ، تحقيق عمر عبد السلام بدمري ، مكتبة العصرية ، صيدا 1999
- تاريخ بر وصي شهنة شفي الدين بن قاضي شهنة الأسدي ، تحقيق عبد
درويش ، مشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1977 1994
- تاريخ الادب العربي بدمسثري إغاثي يوسف فنتش كراتشكوفسكي ،
ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1965
- تاريخ الأمير شهاب الدين قرقطي العربي الحارثي ، نسخة مكتبة جامعة غوطا
Goma بأمايا (برقم : Ar 547)
- تاريخ الأمير يشك الظهري محمد بن محمود بن حليان الحلبي المعروف بابن
أحد ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الفكر العربي بالقاهرة 1973
- تاريخ النصوي لعلاء الدين النصوري الدمشقي ، تحقيق أكرم حسن العسلي ،
دار الأنموذج للتراث ، دمشق 1988

تاريخ الفكر الأدبي أنجل بانشا ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة 1955 .

تاريخ محاصر الدوب لأبي الفرج ابن العبري ، نشره الأب أنطون صالحاني
يسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1958

تاريخ مدينة دمشق : لمحات من عساكر بدمشقي ، المجلد الثانية ، تحقيق
صلاح الدين المسجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1954

تاريخ الملك الطاهر : لعز الدين ابن شداد ، فيربدن 1983

تاريخ ابنك الباصر محمد بن فلاحون الصاخي وأولاده لشمس الدين
الشحاعي ، تحقيق باربرا شيفر ، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة فيربدن 1977

تاريخ ناصر الدين محمد ابن الفرات «الطريق الواضح للسلوك إلى معرفة تراجم
الحلفاء والملوك» ، مخطوط مكتبة لثانيكان بروما ، رقم : 726

تاريخ ناصر الدين ابن الفرات «الطريق الواضح للسلوك إلى معرفة تراجم
الحلفاء والملوك» ، مخطوط المكتبة الملكية بفيينا ، رقم : 814 .

تاريخ ناصر الدين ابن الفرات الجزء 8 ، تحقيق مسططين زريق وبجلاء أبو عز
الدين ، بيروت 1939

التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، د. جمال الدين لسان ،
القاهرة 1958

تاريخ اليعقوبي : لأحمد بن إسحاق ليعقوبي ، دار صادر ودار بيروت 1960
ثاني كتاب وفات الأعيان ليعقوبي ، تحقيق جاكين سوبيه ، المعهد الفرنسي
للدراستات العربية بدمشق 1974 .

لتر المسوك في دليل السلوك لستحاري ، شر أحمد ركي پاشا ، بولاق 1896
تمة المحتصر في أخبار البشر لرين الدين عمر بن الوردي ، طبعة مصر 1870

نحوه الآليات ونحوه الأعجاب لأبي حامد الغرابطي ، تحقيق كبريل فيران ،
مجلة الآسيوية عدد 207 سنة 929 ، ص 304 وشرة دوسر ، مدريد 1953

لشحة الملوك في الدولة اتركية لبيرس المنصوري ، تحقيق عبد الحميد صابح
حمدان ، الدار المصرية السياسية ، القاهرة 1987 .

تذكرة السيرة في أسام المنصور وبنيه لاس حسب تحقيق محمد محمد أمين
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة 1976

- لترت الخيرية الإسلامية محمد محمود محمد حسن ، در ، معلوم لطاعه
والشر ، ارياص 1984
- تراجم كتاب السري في العصر المملوكي ، أحمد دراج ، دراسة في مجلة البحث
لعملي ، صادرة عن جامعة أم القرى بمكة ، العدد 4 سنة 1401 هـ ، ص 345 .
- برصع لمرح . (من عدم مرحح في المسائل و سدد) للعدري لأندلسي
محطولة مكتبة آل الشيرازي باندلس
- تسريف لادم و منصور في سيرة بنت منصور المحبي بندن بن عبد صاهر .
تحقيق مراد كمن و رة لثقة ، لا شر يومي سسيلة تراث القاهرة 1981
- التعريف بان خلدون ورحلته عرباً وشرقاً لعبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق
محمد بن تاويت بطحي ، حنة التأليف والترجمة والشر ، القاهرة 1951
- التعريف بالمصطلح الشريف ، لابن فضل الله العمري ، مطبعة العاصمة بمصر
1894 وطبعة بتحقيق د سميح الدروبي ، منشورات جامعة مؤنة ، عمان 1992
- نفسه الادري سوية في عهد ممانيك أحمد عرت عبد المكرم ، بحث في
مجلة كلية الادب بجمعة إبراهيم بدم (عبد شمس) ، عند مايو ، ص 127
- تقوم بعد لأي بعداء ، تحقيق رينو والبارون دي سلال ، باريس 840 .
- تسبيه والإسراف لأبي الحسن السعدي ، بشرة دي حويته ، لايدن 1894
- وطبعة أخرى بتحقيق عبد الله صناوي ، مكتبة شني بعد 1738
- التعريف بسام فسن ، في قضاء السام لابن طولون ، صبحي بدمشقي ، تحقيق
صلاح ، بن اسحق ، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة الترقى 1956
- شمار بقاصد في ذكر سجاد يوسف بن عبد لهادي ، تحقيق محمد أسعد
طسر المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق 943 .
- شمار لأوراق لتقي بندن بن حنة الحسوي ، تحقيق محمد شني ، الفصل
براهيم ، مكتبة الخاغي بمصر عام 1971
- جامع التواريخ برشد الدين بهمداني ، المجلد اثني في تاريخ الملوك ، ترجمه
عن امة محمد صادق شات ومحمد موسى هداوي وفؤاد عبد الحصري لصار
راجعه بحبي الخشت ، وراه ثقافة ، القاهرة 1960 .
- جامع التواريخ ، لرشد الدين الهمداني ، المجلد 1-2 از أعز پيدایش قبائل
معول تا پایان دوره غازان خان ، تحقيق بهمن كرمي ، تهران 1959 .

- جامع فتوح لرشد الدين الهمداني ، المجلد 3 ، تحقيق عبد الكريم علي
أوغلو علي راده ، باكو 1957
- جغرافيه مصر من كتاب المسالك والممالك لأبي عبد بكر دعدانه
يوسف العليم ، مكتبة دار العروبة للبشر ، الكويت 1980 .
- الجغرافيون العرب : صبري محمد حسن ، الجف 1959 .
- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام ومن الحروب الصليبية ، لمحمد
مؤنس عوض ، عين سدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة 1995 .
- جهود المسلمين في الجغرافيا ، Muslim Contribution to Geography ، عيسى
أحمد ، ترجمة فتحي عثمان ، سلسلة الألف كتاب (272) ، القاهرة 1960
- حولة اثرية في بعض بلاد شامة أحمد وصفي ركب ، لمطبعة الحديثة ،
دمشق 1934
- الحيش والبحرية في عصر المماليك ، علي إبراهيم حسن ، القاهرة (د.ت)
- حدثو ليسمير في ذكر قوائم الخلفاء والسلاطين لاس كتاب الصلحي ،
تحقيق عباس صناع ، دار الفانس ، بيروت 1991
- حديث استبداد المديم ، د حسين قوري ، القاهرة 1943
- حسن لمالك سيرة متنوعة من لسيرة الظاهرية لشافعي بن علي الكاتب ،
تحقيق عبد العزيز الحويطر ، الرياض 1976
- الحصارة الإسلامية في القرن الرابع لهجري آدم من ترجمه محمد عبد
هدي بوريدة ، مطبعة لجنة التأليف وترجمة واشتر ، القاهرة 1941
- حصاره العرب غوستاف بوبور ، ترجمة عادل رعيت ، مطبعة عيسى انسي
الخليبي ، القاهرة 1969 .
- حلب في كتب البلد بين العرب - شوقي شعث وفتح بكور ، دار المسير
بدمشق 1995 .
- حوادث دمشق اليومية عدة معرو لعثماني لشام صفحات مفقودة من كتاب
مكتبة خلان في حوادث برمان لاس طولجو الصلحي تحقيق أحمد عيش ، د
الاوائل ، دمشق 2002 .
- حوادث الدهور في مدى الأندم واشهر لاس تعري بردي الأتبيكي ،
مصحح شرها رليم بوبر ، جامعة كاليفورنيا 1930-1942

- حوييات دمشقية 814-839 هـ . من تاريخ ابن السودي تحقيق حسن حشبي ، مكتبة الانجوا المصرية القاهرة 1968
- حريدة لعجائب وفريدة الغرائب . لسراج انديس عمر بن الوردى ، نشرها محمود فحوري ، دار الشرق العربي ، بيروت 991 .
- حظف دمشق : صلاح الدين المجد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1949
- لدرس في تاريخ المدارس لعدد القادر النعيمي ، تحقيق جعفر الخسبي ، مطبوعات مجمع الندمي اعربي بدمشق 948 - 951 .
- دائرة المعارف الإسلامية . لمجموعة من كبار استشرقين ، دار شريريل ، لايدن الطبعة الأولى 913 ، والطبعة الثانية 1977 .
- دائرة المعارف (وموسوعة لكل من المصنف) بادرة فؤاد إبراهيم السليمي لمطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1986-1980
- دراسات في تاريخ الممالك البحرية : علي إبراهيم حسن ، القاهرة 1944
- الدره اقصية في دواء طاهرية ل محمد بن محمد بن صصري ، سره وليم بريبر ، مطبعة جامعة كورنيل في بركلي 1963
- درر لكلمه في ثعالب الله شاميه لابن حجر عسقلاني ، المطبعة العثمانية
- حد أباء الهند 1348 1350 هـ . وضعه محمد سيد حد . حق ه هرة 1966
- دره لأسلاف في دواء الأثر - : لآل حبيب ، نشره يول ، أمسردام 1846
- دور شامية عتقه ، مذكرات ومرويات وبنود من تاريخ دمشق : أحمد ايش ، دمشق 2002
- دمشق بين عصرى مصنف و لعمريين كرم حسن لعسي لشركة المتحدة ستوريغ ، دمشق 1982
- دمشق الشام في بصوص الرخاليين والبعرايين واللدانيين العرب والمسلمين من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر للهجرة . د أحمد ييش و - فيه الشهابي مشورات ورارة الثقافة ، دمشق 1998 .
- دمش في عهد انمايك : نقولا ريادة ، مشورات مكتبة سان ، بيروت 1966 .
- دمشق في عصر لأندلسين صلاح انديس المجد ، صحيفه معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجد السادس 1988 ، العدد 1-2 ، ص 52-53
- دوله سي قلازور في مصر محمد حماد انديس سرور القاهرة 4 19

دولة الطاهر بيبرس : محمد جمال الدين سرور ، القاهرة 1960 .
لندرات لأبي الحسن الشاذلي ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ،
عدد 951

لندرات لأبي عرج لأصهسي جمعها وحققها خليل الحطية ، در رياض
نجيب الرئيس ، لندن 991 ، .

ديون لغات الترك : لكاشعري ، إستانبول 1333-1335 هـ .
دخائر القصر في ترجم مُلأء العصر لابن صولون الصالح ، مسوذه مؤلف في
مكتبة يافت اذكارية بالجامعة الاميركية في بيروت ، رقم . Ms-920.02/I.32tA .
دخائر القصر في ترجم مُلأء العصر نسخة مخطوطة بأنايا ، رقم . 779 .
دخائب المسود في ذكر من حج من الحنف والموئ لثقي الدين البقري ،
تحقيق جمال الدين الشال ، القاهرة 1955
دليل كتاب الروضتين ، لأبي شامة لقدس ، نشره عرت العطار الحسيني ،
مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة 947

دبل مرة الرمن في ترجم لأسيد المعطي لوبني ، حيدر أباد 1954-1961 .
الرحاب المسمور في العصور اوسطى ركي محمد حسن ، دار اعارف مصر
1945

لرحلات شوقي صيف (عهد الأدب العربي) دار المعارف ، القاهرة 1956
رحلة ابن بطوطة تحقيق عبد بهادى الدين ، مطوعات أكاديمية المملكة
المعربية ، الرباط 997 .

رحلة ابن بطوطة : شرة علي انتصر اكناني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
1979

رحلة ابن بطوطة تقديم كرم النساني ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت 1960
رحلة ابن بطوطة دراسة محمد محمود ابياد ، مجلة تراث الإنسانية ، انشه
المصري ، عمدة لتأليف وانترجمه والطبعة والنشر المحمد لثالث القاهرة 963 ،
رحلة ابن جبير : ابن جبير الأندلسي ، تحقيق حسين نصار ، مكتبة مصر ،
نقاهره 1955 . وطبعة دار صادر ودار بيروت لنشر ، بيروت 1964
رحلة ابن جبير ورحله ابن بطوطة محمد مصطفى ريده ، مطبعة خه اسألف
والترجمة والنشر ، القاهرة 939

رحلة ابن جبير ، حسين نصار ، مكتب مجلة تراث الإنسانية ، الهيئة المصرية
للعامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، المجلد الأول ، القاهرة 963
الرحلة ابن جبير المصنوع في الدراسة لمداسة ، مشاة معاف ، لقاهرة
982.

الرحلة انتوكليه إلى دمشق : صادق حودة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985
الرحلة والرحالة المسلمون أحمد رمضان أحمد ، دار البيان العربي بجدة
رسائل دمشقية 4 رسائل عن دمشق ، يوسف بن عبد الهادي ، شره صلاح
الخيمي ، دار ابن كثير ، دمشق 988.

رسالة ابن فضلان في الرحلة إلى بلاد التراب والخرز وأرووس والصفالة لأحمد
ابن فضلان ، تحقيق سامي مدد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 999
رواة لشرق العربي في العصور الوسطى بقولاً رناده ، مطبعة المقتطف والمفطم
مصر 943

أرووس برنهر في سيرة ابن الطاهر يحيى ابن بن عبد الظاهر ، تحقيق عبد
الحري حويطر ، الرياض 1976
أرووس لزمهر في سيرة ابن الطاهر (عطر) لندر عيسى ، تحقيق هاس
إرست ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1962 .

أرووس العاطر فيما بين القرون السابع إلى حتام القرن العاشر ، لشرف
دين الاريبي لأنصارى ، مخطوطة مكية بدولة في برلين ، رقم 9886
أرووس معط في خبر لأقطر بعد معم الحميري تحقيق حسن عيسر .
مكنة لسان ، بيروت 1975

رنده كشف للمملك وبيان اطرق والمسلوك ، خليل بن شاهين الظاهري ، نشره
بول أفس ، اطبعة احمهودة ، باريس 1894
لسميرت لإسلامه إلى أورو ، في أعرون بوسطن ر برهم أحمد العدوى ،
سلسلة أفرا - عدد 179 ، دار المعارف بمصر

سفرنامه . لناصر حسره المروري ، ترجمه عن الفارسية د يحيى الخشاب ،
بطبعة الثانية ، دار الكتب الجديد ، بيروت 1970 .

استور معرفة دول لنوك بنقي ابن المقريري ، تحقيق محمد مصطفى ريده
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة 934 - 972 .

- سير علام اسلاء شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب لأرفؤوط وحسين الأسد ، بيروت 1981-1985
- سيف لهت في سيره الملك المؤتد شبح (حمودي) ، للنسب اعيني ، تحقيق فهم محمد شلتوت ، القاهرة 1968 .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحلي ، نشره حسام الدين المقدسي ، القاهرة 350-351 هـ .
- صبح الاعشى في صعدة الاش لأحمد بن علي لقنقشدي ، انطبعة الأميرة ، القاهرة 1910-1920 . وانطبعة الثانية بدار الكتب المصرية 1918-1922 .
- صدوق الأبحار (ناريج بن ساه) حمزة بن أحمد بن سبط لعربي بعليبي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، طرابلس 1993 .
- صفحة حريرة الأسلس مسحة من الروص المعطر في خير الأقطار للحميري . تحقيق لفي بروفنسال مع ترجمة فرنسية القاهرة 1937 .
- صفحة حريرة العرب لحنس بن أحمد الهذلي تحقيق محمد بن عبد الله السحدي ، مطبعة اسوده بالقاهرة 963 . وصحة أخرى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 773 هـ . وصحة أخرى تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز لدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء 1983 .
- صفوة لا غير مسوع لأفصير و لأفصير محمد بيرم الخامس ابوسي ، مطبعة المقتطف مصر 1302-1311 هـ .
- صوره لأرض (المسالك والممالك) . لابن حوقل ، نشر كرامرز ، لايدن 1938 .
- صورة الأرض ، لمحمد بن موسى الخوارزمي ، نشره هنز فون مجيك ، مطبعة دوف هوتسهاورن ، فيب 1926
- صورة الأقاليم لأبي يد السحي مخطوطة مكتة يد حكمت ، صمن مكتة جامعة اسك عبد العزيز آل سعود
- صوء الصبح المسعودي لدوخ المشر لمقشدي ، لقاهرة 1906
- لصوء للامع لأهل القرب السمع لشمس الدين السخاوي مصع المقدسي بالقاهرة 1353-1355 هـ
- الطهر بيرس سعيد عبد المسح عشور ، سلسلة أعلام عرب 14 ، مطبعة مصر ، القاهرة 1963 .

الظاهر جبرس وحاصرة مصر في عصره محمد جمال الدين مرور ، دا الفكر
العربي ، مطبعة دار الكتب لمصرية ، القاهرة 914

عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة . سُهر ب . نشره هار فون محدث ،
را شر أبو هر سوقيس في لايبسب ، مطبعة أروف هولتسهاور ، فيينا 1929

عجائب البحار وعرائث الموجودات : تركي يابس محمد القروي ، نشره
فُسعيد غوسغن 849 وطبعة فروق سعد ، دار لافق الجديدة بيروت 1978

عجائب المقدور في نوائب تيمور : لابن عربشاه ، المطبعة العثمانية ، القاهرة
1305 هـ . وطبعة بتحقيق علي محمد عمر ، القاهرة 1979

عجائب الهند ، بزة وبحره وحراره . لُورث من شهر يار البَاحه الر م هُرمري ،
تحقيق لمشرق فَن درست مع ترجمه فرسيه لمشرق مارسل دوفنت ، مطبعة
برن لاس 1883 881 وطبعة محمد ميل دربان مقومه عيب ، مطبعة سعده
بالقاهرة 1908 . وطبعة يوسف الشاروني المنقولة عن الاثنيتين ، دار رياض الر م
لنشر ، لندن 990.

العراق في الخوارط العديده . حمد سوسه ، مطبوعات مجمع علمي العربي ،
بغداد 1959 .

عربا من ليك والعظميين لالترك ، مع ترجمه الأمير يونس من مهدي
لدوادار لابس ألدخلي ، تحقيق محمد احميد دهمر ، دار مكر دمشق 1986
عصر السلطنه امين و تاجه عيني ولأدي محمد ررق سيم (8 جزء) ،
لقاهرة 1946 1962

عصر امينكي في مصر و شام . سعد عبد الفرح عاشور ، دار النهضة
العربه بالقاهرة 1965

عبد حماد في تاريخ أهل زمان . لندر العسي ، جزء 1 تحقيق محمد
محمد مين ، الدار المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987-1988

عقد حُف (حو . ث . ر . ح . م 824 850 هـ) لندر عسي ، تحقيق عبد برآي
لططاوي القرموط ، لرهراه للإعلام العربي ، القاهرة 1989

32 - العهد لدر لاس عبد . تة الاندسي . تحقيق أحمد أمين وأحمد الرئيس
و راهم الأديري وعبد سلا هرو ، مطبعة لحة الأليف والترجمه و نشر ،
لقاهرة 940 - 1973

- العلاقات السياسية بين مماليك واعراب في الدولة المملوكية الأولى ، قيد حمداً .
عاشور ، القاهرة 1966
- علم جغرافيا والعرب - سليمان السوي ، مقالات مجلة الصب ، بكوف ،
ابند 1932 1933
- عاب اليان في ترجمة الشيخ أرسلان : محمد بن طولون الصالح : تحقيق أحمد
إيش ، دمشق 1983
- عدو لأفكار في ذك الأنهار - لاس عبد الهادي - تحقيق صلاح الخيمي ، محله
المعهد الفرنسي لدراسات لغوية - دمشق ، عدد 34 (1982) ، ص 2 ، 1 ، 196-206
- عوضة دمشق - محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ،
طبعة ثانية ، 1952
- فتح المتعدي في وصف بغداد - لأحمد بن محمد المقرئ - مخطوط مكتبة فروع
سلاطين
- فتح المتعدي في وصف بغداد - لأحمد بن محمد المقرئ ، مطبعة دائره المعارف
عثمانية ، حيدرآباد 234 هـ
- فوح البلدان ، لأحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة
المهصة المصرية ، القاهرة 1956-1957
- المروسيه في مصر في عصر سلاطين بني ملوك 1248-1257 ، السيد البدر العربي ،
دار المهصة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1967 ،
- فصائل الشام ودمشق لأبي حسن الرعي الديكي - تحقيق صلاح الدين المنجد ،
مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1950
- فكرة الجغرافيا عند العرب - محمد محمود الصياد - محاضرات الكنيسة
الوطنية بحسب 1957
- قواب الوفيات ، لابن شكري النكتي ، تحقيق حسان عباس ، دار صادر ،
بيروت 1973-1974 ،
- في رحاب دمشق (دراسة عن أهم أماكن الأثرية) - محمد أحمد زهران ، دار
لنكر بدمشق 1982
- لقاموس المحيط وبقاوس الوسيط - محمد ابن الفيروز آبادي ، تصحيح اشبح
نصراني و محمد قطة العدوي - بولاق 1272 هـ - وطبعة مصر 1330 هـ ،

- انقلاطد الجوهريه في تاريخ الصحابة - لابس طولون الصالحى ، تحقيق محمد
 أحمد زهد ، طبعة لأوسى مكتب دراسات الإسلاميه بدمشق ١٩٤٩-١٩٦٥ .
- والطبعة الثالثة من مطبوعات مجمع اللغة العربيه بدمشق 1980
- القول المستطرف في سمر مولانا المنك الأشرف : لأبي النقاء ابن الخيعان ، تحقيق
 عمر عبد السلام بدمري جروس برس ، طرابلس 1984
- قيام دولة ايمانك انشأه - حكم أمين عبد السيد ، القاهرة ١٩67 .
- كتاب لاقيه أو مسالك ميسر - لابرهم بن محمد بن مصطفى ، بشره
 دى حويه ، لايدن 1866-1870
- كتاب الأموال : لأبي عبد البعدادي ، تحقيق محمد حماد لعقي ، القاهرة
 1366 .
- كتاب البلدان . لأحمد بن أبي يعقوب البغوي ، بشره دى حويه الملحقه
 لاغلاق عيسه لاس رسته لايدن 18٩2 وطبعة لخدميه باسم 1٣77 هـ
- كتاب برنار (ممشق) - لقصبي محمود العدوي ، تحقيق صلاح الدين
 محمد مطبوعات مجمع بدمري بدمشق 1956
- كتاب الجعر فسا - لابس سكيك المغربي ، تحقيق اسماعيل لعربي ، مشوراب
 مكتب اسحارنى لطبعة و ستر بيروت (٩7٠)
- كتاب الخريف - محمد الزهرى تحقيق فتحه حاج صافى دمشق ١٩٨8
- كتاب الخيول - لأبي عثمان الجحظ ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، مصر
 194٩
- كتاب الخراج - لفافة بن جعفر لعدي - محطوصه مكتبه كوبرلى بدمشق
 تركيه ، رقم . 1076
- كتاب الخراج - لقدامة بن جعفر البعدادي ، ندميه ملحقه بكتاب المسالك
 والمدالك لاس خرداديه ، بشره دى حويه ، لايدن 1889
- كتاب دول الإسلام - لملهمي ، المطبعة العثمانيه ، حيدر أباد 1945-1946 .
- كتاب لعرو و بان استا و لحر - لابس حندو ، طبعة بولاق بصحيح الشيخ
 صر الهوري ، مصر 1867 .
- كشف مصوب عن أسامي مكتب و مصور - خدي حبيقة الشهير كاتب چلي .
 طبعة استامبول 1941

كثر السفر وجامع القروى ، لابن أبيك الدوادري ، الجزء 8 (التركة الركنة في أخبار
 النبوة تركته) ، تحقيق أوسريح هاريس ، معهد الأديبي بالآثار بالقاهرة ، 971 ،
 الجزء 9 (سيرة لهجو في سيرة أسك لنصر) ، تحقيق هانز روبرت روبر ، بدهره 1760
 الكوكب السائر في أعين لند العاشرة ، بحم مدير العري ، تحقيق حسرائس
 حو ، مشورات كنه الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية في بيروت 1945-1958
 لسا. اعبر محمد بن مكرم بن مسعود ، طعة ر صابر ودار بيروت بعبابه
 حسين شرارة ومصطفى دمشقية ، بيروت 1955-1956
 بقاء بن حمدون وتموربك ولترج فيسل ، برحمه محمد بوفيق ، دار
 الحياة ، بيروت (دون ترويج)
 مباحث العبر ومباحث الفكر محمد بن ابراهيم الطوطاط ، مخطوطة بمكتبة
 كوبريلي بإستانبول ، رقم : 1170
 المجموع بطريق في حجة انقادا ريف ل احمد بن الخيف ، شره لشح
 حمد الحاسر ، مجلة العرب لعدد 9-10 ، ص 659-696 ، الرياض 1976 ،
 مختار في كشف الاسرار هنت الأسرار بعد ابراهيم الخوري ، طعة دمشق
 30 هـ ،
 مختار في كشف الاسرار وهنت الأسرار كالجوري ، طعة بدهره 30 هـ ،
 لمختصر في أخبار البشر لأبي العبداء أسعد بن اسود ، انصعة لخمسة
 بالقاهرة 1325 هـ
 مختصر كتاب لبلدان لاس انفق نهمداني ، شردي حوية ، لايد 886 ،
 مدرس دمشق وربطها وحوامعها وحماتها لابر رفر الإرسبي ، تحقيق
 محمد أحمد دهمن ، المكتب الإسلامي بدمشق 1947 ،
 مدن عربية بقولاريدة ، دار الطليعة ، بيروت 1965
 مخطط الصلحية محمد أحمد دهمن ، محقق بكتاب امروح السندسية لاس
 كتابان انصالحى ، منشورات مديرية الآثار القديمة لعمدة ، دمشق 1947 ،
 مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين صلاح الدين المسحد ، دار
 الكتاب الجديد ، بيروت 1967
 مرة خاں وغيره البقطن في حوادث لرمب لعبد الله البقطنى ، طعة حيدر
 أباد الدكن بالهد 1337-1339 هـ

مرصد الاصلاخ على أسماء لأمكنه والنفاع لصفي بن عبد الحادي ، تحقيق
علي محمد البحاري ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1954
مرواح لذهب ومعادن الخوهر . لأبي الحسن المسعودي ، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد ، القاهرة 964.

مرواح لذهب ومعادن الخوهر تحقيق بارييه دي ميسار وديقه دي كورتني ،
علق عليها شارل بلا ، منشورات الجامعة الساسة ، بيروت 1966-1979
أرواح سدسنة اميجية في تخصص تاريخ الصاخة لاس كتاب المتأخي ،
تحقيق محمد احمد رهم ، منشورات مديريه لأثار القدييه العامة ، دمشق 1947
مسالك الأنصار في حديث لأمص . لاس فصل الله العُمرى دولة ممانيت
لاوسى تحقيق رويپ كرافوسكي المركز الإسلامى بسحوث بيروت 1986
مسالك الابصار في حديث الامصار للعُمري ، الطب الثاني في حديث بيت
حنگر ح تحقيق كلاوس مع قريب ر 1468

مسالك الابصار في حديث لأمص للعُمري ساب الخامس عشر في قبائل
لعرب ، لقريبن سابع و سامن للبحرة ، تحقيق رويپ كرافوسكي ، بيروت 485.
مسالك الأنصار في حديث لامصار للعُمري ، الطب السادس و سابع في مملكه
مصر والشده و حده و حده تحقيق أمّ فور سيد ، القاهرة 1985
مسالك الأنصار في حديث لأمص للعُمري ، الطب الأول ،
تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية بالقاهرة 1924

مسالك الابصار في حديث لامصار . لأبى فصل الله العُمري ، مصوره مخطوطة
نصر طوب في ، (77 مجلد) . ديه فؤاد سرگين وعلاء مدين جو حوش وإيكهارد
نويور ، معهد تاريخ علوم لغرييه والإسلاميه ، جامعة فراكفورت 988-1989
لمسالك والممالك (أو صورة الارض) لاس خوفل شرة دي حويه ، لايد .
877

مسالك و الممالك (أو كتب لأفيم) لأبراهيم بن محمد لإصطحري ،
تحقيق محمد حيدر الحسي وشعقة عرب . ورة لشعة ، القاهرة 196
مسالك و ممالك لأبي عبيد سكري تحقيق أرياب فارلوفس وأسريه فيرنه .
الدار العربيه للكتاب وبيت الحكمة بتونس 1992
المسالك والممالك : لأبن حرّاديه ، شرة دي حويه ، لايد 1889

- مساهمات الجعر في العرب و لمسمين في صرع خريطة انعام مؤاد سر كين ،
 حاميه مرائكفورب 1987
- مسجد حاند بن ابويد دمشق ، أفدم مسجد مدامح أحمد إيش ، محلة
 الحوليات الأثرية السورية المجلد 35 (1985) ص 4.7-431 .
- مشرك وصعباً والمشرق صقعا لي قوت نرومي الحموي ، شره فستند ،
 عوتشر 1846 .
- المشرق في عصر العارية والأندلسيين في القرو ، الوسطى ، صلاح الدين ، المسحد ،
 دار لكتاب الحديد ، بيروت 963 .
- لمعار لابن قسة السبوري ، تحقيق ر ثروت عكاشة ، مطبعة دار لكتب ،
 لهرة 1960 وطبعة محمد اسماعيل الصاوي لطبعة للإسلاميه بالقاهرة 1934
- معجم دمشق التاريخيه أحمد إيش ود قنيه نشهائي ، مشورت ورة
 الشقة ، دمشق 1996
- معالم وأعلام في بلاد العرب ، الجزء الأول عن سورية أحمد قدمة ، مطبعة
 لب باه - الأديب ، دمشق 1965 .
- معجم سندان بياقوت نرومي الحموي ، شره فرياند فستند ، لايتسبك
 866 ، 870 ، وطبعة محمد أمين الحانجي ، مطبعة السعادة ، لهرة 1906 وطبعة
 دار صادر ودار بيروت ، بيروت 1959-1968
- معجم سندان من أسماء البلدان والموضع لأبي عيد لكري ، تحقيق
 مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1945
- معجم مؤرخين اندمشقير وانا هم ، مخطوطة والطبعة . صلاح الدين المسحد ،
 دار الكتاب الحديد ، بيروت 978
- معجم مؤلفين : عمر رضا كحالة ، دمشق 1957
- معطيات جديدة في الطوغرافيا التاريخية لدمشق ، من خلال سيرة الملك لظاهر
 بيسر أحمد يس وعصام خنجر ، بحث اعني بدوة «الرواية الشعبية العربية» ، المعهد
 العربي لشرق الأوسط بدمشق ، 27-28 نيسان 2005
- معبر لاحتير في - كرم المعهد ولة ر لسا ، عدين بن الحبيب ، تحقيق د
 محمد كمال شهبه ، المغرب 1976 .
- المغرب في حنى المغرب لابن سعد الأندلسي ، طعة مصر 953-965 .

مفاكهة الخلال في حوادث الزمان - لاسن طولون الصاخي ، تحقيق محمد مصطفى - المؤسسة المصرية لخدمة المؤلف و نشر - القاهرة 1962-1964.

لمكنة خرفة العربية - مباحث عواد ، مقاله محله أهل السط ، العدد 49 السنة الرابعة (1999)

الملايس المملوكية : يوم ماير ، ترجمه صالح الشبتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1972

من ، لسه على جمع من طو ، لسه لاسن رشيد لهيري ، مخطوط مكتبه سر لإسكوريال ، رقم . 1736

من مدهج الفكر ومدهج العبر (صحة - مر خرافة مصر) - محمد بن وهيم وطوط - تحقيق عبد سال عبد سعم شامي ، اغلس نوصي لشقوه والصور والاداب ، الكويت 1981

مقامات الوهراني ومقاماته ورسائله - محمد بن محرر لوهري ، تحقيق برهيم سال و محمد نعلش ، مشورات و ارده اشقوه ، القاهرة 1968

مدرسه لأصل ومسملة خد ، عبد الله - شره محمد رهري .

مكتب لإسلامي دمشق 906

محم عمر - في سترك غني معجم سال محمد امين الخاخي ، مطبعة سعادة عصر 907 .

منه لسناني وألصوفى بعد - لاسن بحري ردي الاتاخي ، الجزء 1 ،

محم حمد يوسف الخاخي ، در نكت مصرية - القاهرة 906 - جزء بتحقيق بيس محمد عبد عزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988 .

مهدب حبه من طومعه لاسن بصدقه بطححي بهديب أحمد هو مري ومحمد أحمد خاد الموي - المطبعة الأميرية ببلانق ، القاهرة 939 ،

لوعص : لاعسر مدخر حصص ، لادر خلط تقريره) لنقي لدين هيري مطبعة وادي اسفل مصر 1906-908

امواكب لإسلامية في الممالك والمحاسن الشاميه - لاسن كنان الصاخي ، تحقيق حكمت إسماعيل ، مشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1992-1993

مورخو مصر لإسلامية - محمد عبد الله عبد ، مصعه ختة ادب والتروحة والنشر ، القاهرة 1909

- المؤرخون المشيخون، وأشارهم لمخطوطته من القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري . صلاح الدين المجد ، مطبعة مصر 1956
- مورد لطيفة فمم ولي لسطنة والخلافة لابن تعري بردي الأناكي ، نشره كارلايل ، كامبردج 1792 .
- موسوعة خطط ريف دمشق : أحمد الإيش وعصام الحجار (غير منشورة)
- سحوم لرامرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تعري بردي لأناكي دار الكتب المصرية ، القاهرة 1929-1972 .
- سحنة الدهر في عجائب البر والبحر : الشيخ الزبوة الدمشقي نشره مير ، دار أرتوهاراسوفتس للنشر ، لايتسبت 1923 .
- سرة لأساين فيس وي مصر من استلاطين لعبد لسطن حين بن شهين الطهري ، تحقيق محمد كمال الدين علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1987
- سرة الأدم في محسن لشم لأبي القاء لدرى ، مشورات المكتبة العربية بعداد ، بعديه صاحبها بعداد ، الأعظمي ، المطبعة السلمية عصر عام 34 هـ .
- سرة لقوب : لحمد الله المستوفى العروبي ، نشره لستشرق غي بوستراخ ، (مجموعة ببت تذكريه 23) ، سلب 1915
- سرة لستق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي ، مخطوط في مكتبة كوبريلي باستنول ، رقم 955
- سرة المشق في اختراق الآفاق ، للشريف الإدريسي ، نشر بوهان غلندمايستر ، نور 1885 وشره تشيرولي وغبرييلي ورافيدا ، بولي 1770-1984
- سرة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان : لابن الصيرفي ، تحقيق حمس حسي . القاهرة 1970-1977 .
- شق لأدهر في عجائب الأفطار لابن ياس الحفي ، مخطوط في مكتبة بشير بن بلسون رقم 496 ومحفوظه دار الكتب المصرية رقم 1606 ط
- صوص ودرست حول جغرافيه وصوغرافية سور فؤاد سرغي ، سسنة جغرافيا الإسلامية 77 ، معهد تاريخ لعنوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت 993 ،
- صنام المرحاب في المسالك والممالك والبلدان : لأحمد بن عمر العدري ، تحقيق عبد العزيز الأهوسي ، ضمن كتابه تحقيق صوص عن الابداس ، معهد لدراسات لإسلامية مدريد 1965

مصحح الطبع من عصمت الأندلس الرطيب ، لـ أحمد بن محمد المقرئ مشرة
مكتون أحمد فريد رفاعي مطبوعات دار الأمان ، بمصر 930 وطبعة مجيبي الدين
عبد الحميد ، القاهرة 1949 .

بهية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين لوبري ، طبعة دار الكتب المصرية ،
القاهرة 1923 1969

النهج السند والدر المريد فما بعد تريح ابن العميد : المقصّل بين أبي الفصّل ،
تحقيق بلوشيه ، باريس 911 ، 1929 .

نوافي ، لوبيات لصالح الدين الصفدي ، تحقيق هتموت ريتروس ديسرغ
وأحرش مشنوت المعهد الألماني للأشغال في بيروت ، رفرس شتبر للشرقي
فريباد ، 1931 982 .

وفعة السلطان اعجوري مع اسلص سليم العثماني لاورسل بوقف ، تحقيق
عبد المعمر عامر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1962 .

وصف دمشق في أيام باب بطه بيرس خصوص لفروسي ، شرها أحمد
إيش ، دمشق 1983 .

وصف دمشق في مسائلك لأبصار صلاح الدين اسحق فصلة من مجلة معهد
المخطوطات العربية بالقاهرة ، المجلد الثالث 1957

وصف دمشق من خلال موضوعات متنوعة لرحالين الأوروبيين من القرن
رابع عشر إلى القرن السابع عشر (مونتفيل ، دي لا بروكيير ، بولوب ، مونت)
إعداد وترجمه أحمد إيش ، دمشق 1984 .

وفيت لأغيا وأ. ب. الراس لابن حلكب تحقيق محمد مجيبي لدين
عبد الحميد ، القاهرة 948 ، وطبعة أخرى بتحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت
1969-1972

ولا دمشق في عهد المماليك محمد أحمد دهقان ، المطبعة العمومية دمشق
1964

226 أبوهراسي ورقعه عن مساجد دمشق : د. صلاح الدين المجد

مطبوعات لمجمع العلمي العربي بدمشق 1965

نقوب الكلام في باب الشام . حله ابن حجة بدمشق ، شرها أحمد طربيع

مجلة المجمع العلمي العربي ، عدد 31 (1956) ، ص 61-630

**المراجع الإنكليزية والألمانية
والفرنسية والإيطالية والإسبانية**

- Ashtor, E. *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages*, University of California Press, 1971
- Atil, Esin. *Art of the Mamluks*, Smithsonian Institution Press, Washington D.C., 1981
- Ayalon, D. *Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom*, London, 1978
- Ayalon, D. *The Mamlūk Military Society. Collected Studies*, London, 1979
- Ayalon, D. *Studies on the Mamluks of Egypt (1250-1517)*, London, 1977
- Brockelmann, C. *Geschichte der Arabische Literatur*, Leiden, 1937-1949
- Darrag, A. *L'Égypte sous le règne de Parsbey, 825-841 H*, Institut Français de Damas, 1961
- Defrémery, C. et Sanguinetti, B. R. *Voyage d'Ibn Batoutah*, Paris, 1853-1858
- Devonshire, H. L. "Relation d'un voyage du sultan Qutbay en Palestine et en Syrie", dans B.I.F.A.O., Le Caire, tome XX, 1921
- Fischel, W. J. *Ibn Khaldun in Egypt: his public functions and historical research (1382-406)*, University of California Press, 1967
- Gabrieli, Francesco. *Storia dell'Arabia Cristiana*, Giulio Einaudi, Editore S.p.A., Torino, 1957
- Galent, Guillermo. *El viajero infatigable Ibn Batuta*, Tetuan, 1950
- Gandefroy-Demombynes, M. *La Syrie à l'Époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes*, Paris, Paul Geuthner, 1923
- Ghamâtî, Abû Hamîd al-. "Le Tuhfat al-Albab" Ed. par Gabriel Ferrand, dans JA. 207 (1925), pp. 1-304
- Gibb, H. A. R. *Travel of Ibn Batuta*, Routledge, London, 1929
- Glubb, J. B. *Soldiers of Fortune the Story of the Mamlukes*, Hodder and Stoughton, London, 1973
- Grousset, R. *L'Histoire des croisades et du royaume franc de Jerusalem*, Paris, 1934-1936
- Holt, P. M. *The Age of the Crusades the Near East from the eleventh century to 1517*, Essex, 1986
- Janssens, H. F. *Ibn Batuta, Le Voyageur de l'Islam*, Bruxelles, 1948
- Khaldoun, Ibn. *Prolegomenes*, texte arabe publié par M. Quatremère, Paris, 1858

- Lanzone, R.V.: *Viaggio in Palestina e Siria di Kaid-Bai*, Torino 1878.
- Levi Della Vida, G.: "L'invasione dei Tartari in Siria nel 1260, nei ricordi di un testimone oculare". In: *Commentarii Periodici Pontificii Institutii Biblici. ORIENTALIA*, Volume IV, Nova Series, Roma 1935.
- Little, D.P.: *An Introduction to Mamlūk Historiography*, Wiesbaden, 1970.
- Mayer, H.E.: *Geschichte der Kreuzzüge*, W. Kohlhammer, Stuttgart, 1965.
- Mayer, L.A.: *Mamluk Costume: A Survey*, Albert Kundig, Genève, 1952.
- Mayer, L.A.: *Saracenic Heraldry*, Oxford, 1933.
- Muir, W.: *The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt, 1260-1517*, London, 1896.
- Newton, P.: *Travels and Travellers in the Middle Ages*, London 1926.
- Poliak, A.N.: *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900*, Royal Asiatic Society, London, 1939.
- Popper, W.: *A History of Egypt, 1382-1469, English translation of Ibn Tawrī Verdi's al-Nujūm al-Zāhira*, California, 1909-1933.
- Provençal, Lévi: *La Péninsule Ibérique au Moyen-Age*, le Caire, 1937.
- Quatremère, M.: *Histoire des Sultans Mamlouks de l'Égypte*, Paris, 1844-1845.
- Rubruck, W.: *The Texts and Versions of John de Plano Carpini and William de Rubruquis*, ed. by C. Raymond Beazley, Hakluyt Society, London, 1903.
- Runciman, S.: *A History of the Crusades*, Cambridge, 1951-1954.
- Sasra, Mh'd ibn.: *A Chronicle of Damascus 1389-1397*, edited and annotated by W. Brinner, University of California Press, 1963.
- Setton, K.M.: *A History of the Crusades*, Philadelphia 1968.
- Slane, M.G. de: *Autobiographie d'Ebn Khaldoun*, Paris, 1862.
- Wiet, G.: *Histoire des Mamlouks Circassiens*, Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire, 1945.
- Wulzinger, K. & Watzinger, C.: *Damaskus, die islamische Stadt*, Berlin & Leipzig, 1924.
- Zambaur, E. de: *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam*, Hannover, 1927.
- Zettersteen, K.V.: *Beiträge zur Geschichte der Mamlukensultane in den Jahren 690-741 der Hira, nach arabischen Handschriften*, Leiden, 1919.

* * *

فهرس الجزء الثاني

- 44- محيي الدين ابن عبد الظاهر توفي 692 هـ رحلات بين 659-676 هـ 5
- 45- ابن سعيد الغرناطي توفي 685 هـ زار دمشق بعد 656 هـ 35
- 46- محمد بن إبراهيم الوطواط توفي 718 هـ لا إشارة لزيارة له لدمشق 39
- 47- ابن رُشيد الفهري الأندلسي توفي 721 هـ زار دمشق سنة 684 هـ 41
- 48- شيخ الرتبة الدمشقي توفي 727 هـ وصفه بمطلع القرن الثامن 47
- 49- محمد بن عبد الله الحميري نحو 727 هـ وصفه بمطلع القرن الثامن 65
- 50- أبو الفداء صاحب حماة توفي 732 هـ أتم كتابه في سنة 731 هـ 85
- 51- شهاب الدين التويري توفي 733 هـ لا إشارة لزيارة له لدمشق 91
- 52- صفى الدين البغدادى توفي 739 هـ لا إشارة لزيارة له لدمشق 113
- 53- ابن فضل الله العمري توفي 749 هـ وصفه بين 738-749 هـ 119
- 54- ابن بطوطة الطنجي المغربي توفي 770 هـ زار دمشق 726 و 749 هـ 175
- 55- أبو العباس القلقشندي توفي 821 هـ أتم كتابه في سنة 814 هـ 217
- 56- تقي الدين ابن حجة الحموي توفي 837 هـ رحلته لدمشق سنة 791 هـ 229
- 57- محمد ابن صصري بعد 799 هـ أرخ لرحلة برقوق 796 هـ 259
- 58- عبد الرحمن ابن خلدون توفي 808 هـ رحلته لدمشق سنة 803 هـ 289
- 59- الأمير تغري بردي الأتابك توفي 815 هـ تجريدته إلى دمشق 803 هـ 317
- 60- تقي الدين المقرئزى توفي 845 هـ 4 تجاريد بين 809-813 هـ 341
- 61- ابن تغري بردي الأتابكي توفي 874 هـ تجريدة للناصر في 814 هـ 365
- 62- ابن تغري بردي الأتابكي توفي 874 هـ حملة المؤيد شيخ 817 هـ 383
- 63- عمر ابن الوردي الحلبي توفي 861 هـ ألف كتابه في سنة 822 هـ 391

- 64- خليل بن شاهين الظاهري توفي 873 هـ زار دمشق 831 هـ وأقام بها 399
 65- ابن اللُّبُودي الصَّالحي توفي 896 هـ أرخ حملة پُرسبای 836 هـ 407
 66- ابن أجا الحنفي الحلبي توفي 881 هـ زار دمشق 875 و 877 هـ 433
 67- أبو البقاء محمد ابن الجيعان توفي 902 هـ رحلته إلى دمشق 882 هـ 445
 68- أبو البقاء البُدري المصري توفي 894 هـ أتم كتابه في سنة 887 هـ 459
 69- محمد ابن إياس الحنفي توفي 930 هـ ألف كتابه في سنة 922 هـ 511
 70- ابن طولون الصَّالحي توفي 953 هـ أرخ حملة الغوري 922 هـ 515

تم الجزءان المعلقان بالرحالين العرب
 ويليهما الجزء الثالث ، ويضم
 نصوص الرحالين الغربيين
 مركز بحوث ودراسات إسلامية

وكان الفراغ من جمع هذا الكتاب وتحريره
وتسطيره ، على يد محققه ، بمحروسة دمشق
الشام ، لتمع بقين من شهر رمضان المعظم من
سنة ألف وأربع مئة وتسع وعشرين لهجرة من
له العز والشرف سوله الحمد بما وفق وأعان .

مركز تحقيق كتاب في تاريخ مدينة